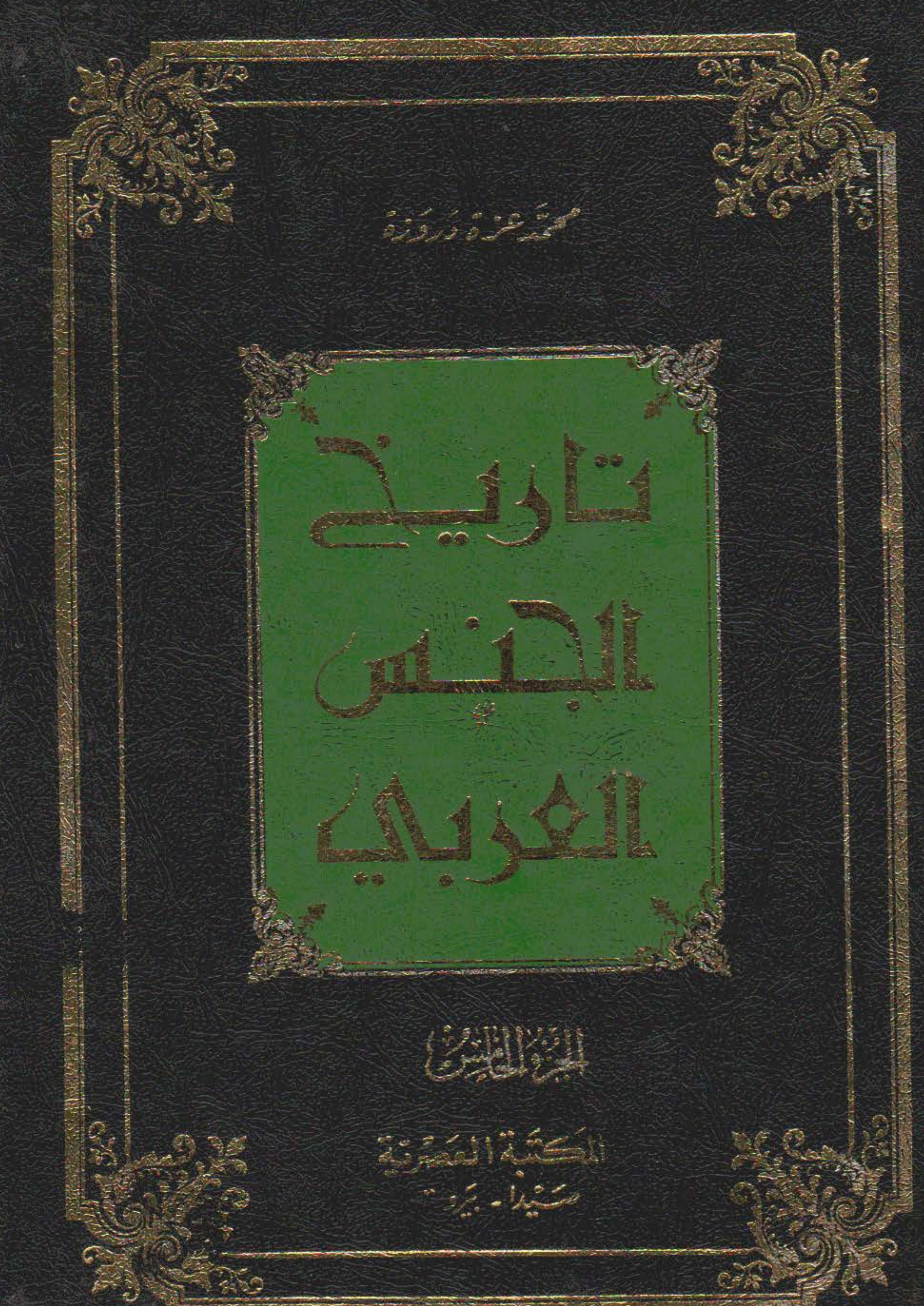

محمد عزة دروزة
تاريخ
الجنس
العربي
الجزء الخامس
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

تاريخ الجنس العربي

في

مختلف الأطوار والأدوار والأقطار

تأليف

محمد عزة دروزه

الجزء الخامس

تاريخ الجنس العربي ومآثره في دور العروبة الصريحة

قبل الاسلام

١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م

الناشر - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت

موجز مشتمل هذا الجزء [(١)]

---

(١) انظر الفهرس المفصل في نهاية الكتاب

تمهيد في بحث مصادر دور

العروبة الصريحة قبل

الاسلام

تمهيد

في بحث مصادر هذا الدور

قد يبدو لأول وهلة ان مصادر تاريخ هذا الدور أكثر توافراً وأيسر منـــالا بالنسبة للدور السابق على العروبة الصريحة الذي عقدنا له الاجزاء الأربعة الأولى من الكتاب . لأن وسائل الحضارة والتسجيل قد كثرت وترقت وعمت في حقبة هذا الدور التي تبتدىء بقرون قليلة قبل الميلاد المسيحي وتمتد إلى البعثة المحمديـــة أي أوائل القرن السابع بعد الميلاد ، ولأن عادة التدوين أخذت تنتشر فيها بمقياس واسع في مختلف انحاء البلاد الآسيوية والاوروبية وشمال افريقية على وسائل الكتابة الحديثة من قرطاس ورقوق بالاضافة إلى الاستمرار على التدوين النقشي على الحجارة والمعادن .

غير ان الذي كشف من النقوش قليل ومعظمه مقتضب أو مبتور أو ديني ولم يصل الينا شيء من المدونات العربية الرّقّية والقرطاسية قبل الاسلام .

ولا يعقل أن لا يكون العرب في الجزيرة ومهاجرهم قــد سجلوا مآثرهم ونشاطهم وأفكارهم في هـــذا الدور الذي ارتقت فيه وسائل التسجيل والحضارة وعمت والذي لم يكن العرب بعيدين فيه عن هذه الوسائل بل المعقول أن يكونوا فعلوا ذلك بمقياس أوسع بكثير ممـــا فعلوا في دورهم الاول الذي نشطوا فيه في سبيل تسجيل أفكارهم ومآثرهم ونشاطهم وتاريخهم نشاطاً غير يسير : والنقوش الحجريه التي اكتشفت في جنوب الجزيرة وفي أعالي الحجاز في بلاد اللحيانيين والثموديين ثم في منطقة الصفا في حوران وفي بـــلاد الانباط وتدمر تدل على أن القراءة والكتابة كانت منتشرة في هذه المرحلة بين العرب بدوهم وحضرهم انتشاراً غير يسير . وفي الكتب العربية القديمة التي تحتوي كثيراً من تاريخ ومآثر العرب في هذا الدور إشارات لا تحصى فيها دلالة على انهم عرفوا واستعملوا وسائل التدوين الحديثة من قرطاس وأقلام ومداد ورقوق كما ان في القرآن آيات كثيرة مؤيدة

لذلك . ومما تذكره الكتب على سبيل المثال معلقات الشعر التي كانت تكتب وتعلق على الكعبة . وقد ذكرت الروايات ان النبي ﷺ دعا سويداً بن الصامت فأجابه لعلك تدعو الى ما في هذه المجلة ثم اخرج مجلة لقمان وعرضها عليه [1] .

وقد يكون المسلمون في صدر الاسلام الاول قد أبادوا كثيراً من مدونات القدماء التي تتعارض مع تعاليم القرآن والسنة وخاصة التسجيلات الرّقية والقرطاسية منها كما قد يكون كثير من هذه اهترأ وباد . ولقد ذكرت كتب السيرة اشياء كثيرة عن الرسائل التي كان يكتبها النبي ﷺ للامراء والزعماء والاقيال في جزيرة العرب وأطرافها أو التي كان يتلقاها . وهذا يقال كذلك بالنسبة لجهود خلفائه الراشدين فلم يبق الدهر على شيء منها على حداثة عهدها وعلى ما كان لها عند المسلمين من احترام وقدسية . ومع ذلك كله فاننا نميل الى القول انه لا بد من ان يكون هناك تسجيلات كثيرة على الرقوق والقرطاس والاحجار والمعادن في داخل الجزيرة وخارجها تنتظر التنقيب والكشف .

على ان القليل المكتشف والمدروس من النقوش الحجرية في داخل الجزيرة وخارجها بخطوط مسندية وثمودية ونبطية وتدمرية ولحيانية و صفوية تساعد على عرض صور وثيقة ونشاطهم في هذا الدور مع التنبيه على قلتها أولا وضيق مداها ثانياً لأن أكثر المكتشف مقتضب وفيه ما هو مشوه او ابتر كما قلنا .

وهناك الى هذا مدونات اليونان والرومان واليهود والسريان التي يرجع تدوينها الى قبيل الميلاد المسيحي ويمتد الى بعده . وقد احتوت اشياء غير قليلة عن العرب في الجزيرة والمهاجر في هذا الدور . وهي مما يعول عليه كثيراً بدون ريب وان كان من الحق ان نقول ان ما احتوته قليل ومقتضب ، وان ما تمدنا به من الصور الوثيقة عن تاريخ العرب في هذا الدور ضيق النطاق .

ولقد احتوت الكتب العربية المدونة في القرون الهجرية الخمسة الاولى روايات كثيرة

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧-٢٨ اقرأ أيضاً الباب الثالث من كتابنا عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة . الحياة العقلية ٢٣٧-٢٨٨ حيث اوردنا شواهد قرآنية كثيرة على انتشار القراءة والكتابة ووسائلها الحديثة.

جداً متصلة بحقبة هذا الدور ومتضمنة صوراً كثيرة فيها روعة وقوة وتفصيلات مسهبة لمآثر ونشاط العرب الديني والاجتماعي والحربي والادبي والاقتصادي والسياسي في جنوب الجزيرة وشمالها وبلاد الشام والعراق . ويبدو من انعام النظر فيها انها غير خالية مـــن حقائق تاريخية ، وان ما ورد فيها عن هذه الحقبة لا يصح ان يعد من نوع ما ورد فيهاعن الحقب السابقة لها لقصر المدة التي مرت بين التدوين الاول والرواة الاولين نسبياً . غير ان من الحق ان نقول ان بقاء الروايات محفوظة في الصدور أو متداولة على الالسنة فقط عدة اجيال او قرون الى بدء تدوينها منذ القرن الهجري الاول او الثاني جعلها مشوبة بكثير من المبالغات والمفارقات والنقائض والتخمينات والخيال ، وعرضة لدخول كثير من المنحولات والاكاذيب عليها بعـــد الاسلام لغايات أدبية وحزبية وقبلية وسياسية وشخصية وأسروية .

ومن أجل ذلك فان الاعتماد القوي عليها في تدوين مآثر ونشاط العرب في هذا الدور غير سليم اذا اريد لهذا التدوين الوثوق والصحة . وان كان ذلك لا يمنع ان تكون مـــن المراجع التي يستند اليها او يستأنس بها مع التزام الحرص والتحفظ .

على ان هناك مصدراً عظيما صحيحاً كل الصحة وصادقاً كل الصدق وهو القرآن على اعتبار انه اقدم وثيقة مسهبة مكتوبة وصلت الينا سالمة من كل شائبة تعود الى اربعة عشر قرناً مع الاحترام لقدسيتها وكرامتها .

ولقد احتوت فصول القرآن الوعظية والتذكيرية والتنديدية والتنويهية والانذارية والتبشيرية والقصصية والجدلية صوراً كثيرة جداً عن هذه الحقبة بالنسبة للعرب عـــامة والحجازيين خاصة. وسيكون على هذه الفصول معولنا الاقوى والاكبر في الكلام خاصة عن حيـــاة العرب ومآثرهم ونشاطهم الاجتماعي والعقلي والديني والادبي في هذا الدور ولا سيما لأواخره ثم بالنسبة للحجاز خاصة وهو البيئة التي نزل فيها . وان كان مـــن واجبنا أن ننبه على ان الصور التي يمكن اقتباسها من القرآن هي من قبيل الاستنتاج والاستلهام . وهو قصارى مـــا يساعد عليه الاسلوب القرآني وهدف تنزيله الوعظي والتبشيري والانذاري والديني والتشريعي .

ولقد احتوت الاجزاء الستة الاخيرة من الكتاب الجليل الذي ألفه الدكتور جواد علي في تاريخ العرب قبل الاسلام كثيراً بل أكثر ما عرف من نصوص المنقوشات العربية العائدة الى هذا الدور ثم كثيراً مما احتوته المدونات القديمة الرومانية واليونانية والعربية العائدة الى ما قبيل الاسلام وبعده بقليل مع دراسات قيمة . ولقد ذكرنا في مقدمة الكتاب في الجزء الاول أن هذا الكتاب الجليل كتب للتخصصين وكمرجع واسع من التاريخ العربي قبل الاسلام قد يضيق به الذين يحبون ان يقرأوا تاريخ العرب قبل الاسلام للاطلاع والالمام بدون توسع كبير . وهو ما توخينا تحقيقه في سلسلتنا بالاضافة الى الفكرة الاساسية التي قامت عليها وهي عرض تاريخ الجنس العربي في مختلف اطواره في سلسلة واحدة . وسنعول على هذه الاجزاء تعويلا كبيراً في هذا الجزء كما فعلنا في الجزء الاول الذي عقدناه على تاريخ العرب القديم في الجزيرة العربية وبخاصة في جنوبها .

الفصل الاول

مظاهر بروز الشخصية العربية الصريحة

١ ــ تطور كلمة العرب والعروبة

٢ ــ مراحل تطور اللغة العربية

٣ ــ شمول اسم العرب لجميع العرب وغدو اللغة الفصحى لغـــة جميع العرب قبل الاسلام ومؤيدات ذلك .

تطور كلمة العرب والعروبة

قلنا في مقدمة الكتاب في الجزء الاول ان الشخصية العربية الصريحة اخذت تبرز قبل المسيح بخمسمئة سنة أو اكثر قليلا . ونقول هنا تفصيلا لذلك ان هذا البروز كان في الاسم الذي ظل يتطور حتى صار بصيغته الفصحى (العرب والعربية) علما على سكان جزيرة العرب والذين خرجوا منها كما كان في اللغة التي ظلت تتطور بدورها وتقترب من اللهجة الفصحى الى ان بلغتها .

ولقد كانت نواة الاسم الفاظاً من اشتقاقه وهي (عربي – اريبي) و (عرابا – وعرابايا) او (ارابا – ارابايا) التي ذكرت في نقوش ومدونات قديمة منها ما يرجع الى القرن التاسع قبل الميلاد المسيحي [1] . وقد قال الباحثون وعلماء اللغات في اللهجات العربية القديمة او السامية كما يحلو ان يقال ان الكلمة في هذه اللهجات كانت تعني البادية وسكانها [2] . وقد يؤيد هذا كون الكلمة العربية الفصحى « الاعراب » تمثل هذا المعنى حيث جاءت في القرآن بمعنى البدو في آيات عديدة منها آيات سورة التوبة هذه « وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم » (٩٠) و « الاعراب اشد كفراً ونفاقاً واجدر الا يعلموا حدودما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم . ومن الاعراب من يتخذ ماينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم . ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم » (٩٧ – ٩٩). وحيث جاءت فيه كذلك بمعنى البادية كما تفيده آية سورة الاحزاب هذه « يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلا » (سورة الاحزاب ٢٠) .

وفي لسان العرب لابن منظور (حرف الباء مع العين) ان كلمة الاعراب تعني اصحاب

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٦٩ وبعدها والعرب قبل الاسلام زيدان طبعة جديدة ص ٣٩ وبعدها

(٢) المصدر الاول . انظر ايضاً تاريخ اللغات السامية ولنفسون ص ١٦٤

النجعة الذين يرتادون الكلأ ويتتبعون مساقط الغيث ومظان المياه وان للكلمة صلة بالماء حيث يقال عن الماء الكثير ماء (عَرِب) وعن الاكثار من شرب الماء (التعريب) وعن البئر الكثيرة الماء (بئر عَرِبة) وان كلمة عربة من اسماء مكة وفي ذلك قال الشاعر :

وعربـــة أرض لا يحل حرامهـــا   من الناس إلا اللوذعي الحلاحل[1]

وان هذه الكلمة هي اصل تسمية العرب لأن احد اجدادهم اسماعيل حل فيها ونمـــا وكثر وانتشرت ذريته في الجزيرة العربية ، وان هناك من قال ان العرب سموا باسمهم اقتباساً من اسم جدهم الاكبر يعرب بن قحطان . وهناك من يذهب الى ان الكلمة مقلوبه من عبر بمعنى ارتحل واجتاز أو مبدولة من غرب بمعنى بلاد الظلام في العبرية للكناية عن جزيرة العرب [2].

ولقد ذكر ياقوت في معجم البلدان اسم عربة وقال انه اسم قرية في اول وادي نخلة من جهة مكة واسم عَرِب وقال انها ناحية قرب المدينة .

ومهما يكن من امر فان الكلمة متطورة من كلمة ليست فصحى الصيغة لأن العربية انما صارت الى دور فصاحتها الذي يمثله القرآن الكريم قبل الاسلام بما لا يزيد عـــن مئتي سنة في حين ان نواة الكلمة التي تطورت عنها على ما يرجحه الباحثون قد قرئت في نقوش ومدونات تعود الى ما قبل الميلاد المسيحي بقرون عديدة . وبعبارة اخرى ان نواة الكلمة قد تكون ارابا وعرابا واربي وعربي التي قرئت في النقوش والمدونات والتي قـــد يكون من معانيها الارتحال والبدو والباديه والجماعات الذين كانوا ينتجعون لتتبع المياه في جزيرة العرب واطرافها او التي قد تكون اطلقت عـــلى مكان او مدينة من اماكن ومدن جزيرة العرب او اطرافها في العهود السابقة للميلاد وان هذه الالفاظ تمثل بدايـــة بروز الاسم العربي الصريح الذي اطلق على جزيرة العرب واهلها ومن خرج منها الى الاقطار المجاورة في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام ، وانها عربية الجنس من دون ريب الدلالة على ذلك .

وأقدم اثر معروف ذكرت فيه احدى هذه الكلمات وهي عربي او اربي نقش سلمناصر الثالث الملك الاشوري (٨٦٠–٨٢٥ ق‌م) . وقـــد ذكرت الكلمة فيه مترافقة مع اسم

(١) يشير الشاعر بذلك الى حل مكة في ساعة من نهار للنبي عليه السلام حينما زحف عليها وفتحها .

(٢) انظر تاريخ اللغات السامية لولنفسون ص ١٦١ وبعدها

جنديبو ملك عربي او اريبي كحليف مـن حلفاء ملك دمشق الآرامي اداد يدري ضد أشور . وقد ذكر النقش انه اشترك بألف جمل . واعتبر الباحثون ذلك علامة على بدوية جنديبو[1] .

وقد ذكرت الكلمة في نقوش أشورية أخرى أيضاً . فذكرت في نقشين لتغلات بلاسر الثاني (٧٤٥–٧٢٧) ق م جاء في أحدهما اسم زبيبي ملكة أرض عربي وجاء في ثانيهما اسم سمس ملكة عربي [2] . ثم ذكرت في نقش لسرجون الثاني (٧٢٤–٧٠٥) مع اسم سمس ملكة عربي ايضاً [3] . وذكرت في نقش لسنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١) مترافقة مع اسم ياتيا j,tie الذي يمكن ان يكون نواة عطيه او عاطيه ملكة اريبي ، وذكرت في نقش آخر لهذا الملك مترافقة مع اسم تلخوني ملكة اريبي [4] .

وبرغم ما قاله علماء اللهجات العربية القديمة ومع احتمال صحة قولهم فان تكرار الكلمة مع اسماء ملوك عديدين واحد وراء آخر خلال مئة وخمسين سنة قد يسوغ القول انها لم تكن تعني البادية أو البدو اطلاقاً وانما كانت او صارت تعني مملكة بعينها ولا سيا انها لم تلحق بأسماء ملوك آخرين مـن ملوك البادية ذكرت أسماؤهم وأسماء بلادهم في نقوش اشورية اخرى . وهو ما يذهب اليه الباحثون ايضاً الذين خمنوا موقعها منطقة دومة الجندل[5] .

أما اقدم اثر معروف ورد فيه كلمة عرابا او ارابا فهو تاريخ هيرودوت اليوناني من رجال القرن الخامس قبل الميلاد حيث ذكر هذه الكلمة وصفاً او اسماً لشبه جزيرة العرب مدخلا فيها جزءاً من الارض المصرية التي هي في شرق وادي النيل[6] .

وقد وردت أيضاً في كتاب لاكسيوفون اليوناني من رجال القرن نفسه اسماً أو وصفاً للمنطقة التي حددها أمر الملك دارا والتي كان المقصود منها الصحراء المتاخمة لسورية الجنوبية [7] . والسياق قد يفيد ان هذا الاسم قد ورد في أمر دارا بالاضافة الى اسم

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وتاريخ العرب لفيليب حتي الترجمة العربية ج ١ ص ٤٥

(٢) جواد علي المذكور ص ٣٠٢

(٣) نفس المصدر ص ٣١٢

(٤) المصدر السابق ص ٣١٨–٣٢٠ (٥) ٣٠٢

(٦) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٧٦ (٧) نفس المصدر

فينيقية في سياق تنظيم الولايات الشامية التي صارت في نطاق السلطان الفارسي في الثلث الاخير من القرن السادس قبل الميلاد .

وقد وردت كلمة عرابايا او ارابايا في جغرافية بطليموس مترافقة مرة مع لفظ الصحراء Deserta ومرة مع لفظ البتراء Petraea ومرة مع لفظ السعيدة Felix وقصد بالاولى بادية الشام وبالثانية شرق الاردن وبالثالثة الجزء الجنوبي من جزيرة العرب [١] ويوجد في الجانب الغربي من شبه جزيرة سيناء مما يلي شرق الاردن واد يحمل الى الآن اسم وادي عربة من المحتمل ان يكون اسمه متطوراً عن تلك التسمية او ان هذه التسمية جاءت من اسمه .

ولقد سمى الرومان حينما قضوا على مملكة الانباط في شرق الاردن التي كانت عاصمتها البتراء من أوائل القرن الثاني بعد الميلاد بلادها مقاطعة ارابيا او عرابيا [٢] مما فيه امتداد للتسمية السابقة على ما هو المتبادر .

وبالاضافة الى هذا فان استرابون استعمل كلمة Erembi وصفا للعرب . وقد خمن الباحثون انه محرف من ارابي او عارابي [٣] . وفي هذا شيء من التطور والاقتراب نحو الصيغة الفصحى .

وفي سفر نحميا اسم جاشم العربي في سياق ذكر اعداء بني اسرائيل الذين نشطوا لاحباط جهود العائدين من السبي منهم في الثلث الاخير من القرن السادس قبل الميلاد في سبيل تجديد اورشليم ومعبدها [٤] . ولا ندري هل قصد بهذا الوصف معنى البدوي او انه كان يطلق بلفظه على قوم جاشم . واذا صح الفرض الاخير فيكون مهما في بابه من حيث قدم الاسم وتطور مداه .

ولقد ورد في سفر أخبار الايام الثاني الذي يرجح تدوينه بنصه الحالي في القرن الخامس

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٣٥٧—٣٥٨

(٢) تاريخ العرب المطول حتى الترجمة العربية ص ٩٧ ج ١

(٣) العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١٧٧

(٤) الاصحاح ١ ،

قبل الميلاد جملة « ملوك العرب » في سياق ذكر الذين قدموا لسليمان هدايا[1].

ولقد وصف اسكيلوس اليوناني من أهل القرن الخامس قبل الميلاد ضابطاً اشتهر في جيش احشويروش بوصف « العربي » في مقام التنويه [2].

وما قلناه في سياق وصف جاشم يقال فيما ورد في أخبار الايام وفيما قاله اسكيلوس أيضاً .

وعلى كل حال فانه يصح ان يقال ان نواة كلمات العرب والعربية والعربي قد برزت في أوائل الالف الاول قبل الميلاد المسيحي . ثم اخذت تذكر خلال هذا الالف بصراحة في تسجيلات مختلفة وصارت تطلق عـلى العرب وبلادهم جزئياً على الاقل قبل الميـلاد المسيحي ثم صار نطاق اطلاقها يتسع بعده الى ان بلغ ذروته قبل الاسلام على ما سوف نفصله بعد .

---

(١) الاصحاح ٤

(٢) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ١٧٦

مراحل تطور اللغة العربية

ولقد كان تطور اللغة التي كان يتكلم بها سكان جزيره العرب ومن هاجر منهم الى الاقطار المتاخمة لها منذ الالف الاول قبل الميلاد المسيحي واقترابها شيئاً بعد شيء إلى اللهجة الفصحى يجري متوازياً مع تطور الاسم . ولما كانت اللمحة العربية الصريحة بادية على اسماء جنديبو وزببي وسمس وعاطية التي ذكرتها النقوش القديمة في القرون التاسع والثامن قبل الميلاد المسيحي وعلى اسم جاشم الذي ورد في سفر نحميا الذي كتب في القرن الخامس قبل الميلاد المسيحي فيسوغ ان يقال ايضاً ان اللغة العربية الصريحة بدأت بدورها تتميز في أوائل الالف الاول قبل الميلاد كالاسم ثم استمرت تجري في مراحل التطور والبروز حتى بلغت ذروة تطورها باللغة الفصحى التي نزل بها القرآن .

ومن الممكن ان تلمح مراحل تطور اللغة من استعراض ومقارنة النصوص التي قرئت على النقوش المعنية والسبئية والحضرموتية والقتبانية والحضرمونية والحميرية في جنوب الجزيرة واللحيانية والثمودية في شمالها والنبطية والتدمرية والصفوية واللخمية في بلاد الشام والعراق والتي تعود إلى الحقبة الممتدة من القرن الاول قبل المسيح الى القرن السادس بعده .

واليك نماذج كثيرة متنوعة تمثل مراحل هذا التطور بقدر الامكان في الحقبة المذكورة وللدكتور جواد علي دراسات قيمة وطريفة في مقارنات وتطورات صيغ الافكار والجموع وحرف الاشارة والعطف والتعريف وعلامات التأنيث والتذكير والاسماء الموصولة والضمائر والاعداد لكثير من هذه النماذج [1] . وقد رجح ان عدم الاجادة في الكتابة وعدم استعمال الحروف الصوتية أو حروف المد من أسباب ما يظهر بين كثير من الالفاظ ومماثلتها في الفصحى من تباين . وهو ما يبدو واضحاً عند انعام النظر فيها . وفي هذه النماذج كثير من الالفاظ بل أكثر الالفاظ تبدو بمثابة نواة أو أصل لما صارت اليه في الفصحى . وهناك ألفاظ كثيرة مشابهة لكلمات فصيحة غير دارجة اليوم مثل ضرم بمعنى الحرب وجندل بمعنى الحصن وسفر وسطر بمعنى كتب الخ . وقد وضعنا في الذيول تفسيرات فصيحة للنماذج اقتباساً من المصادر التي نقلناها منها .

---

(١) الجزء السابع من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام

أولا

نماذج من النقوش المسندية في جنوب جزيرة العرب

جل هذه النقوش بل كلها وجدت في جنوب جزيرة العرب . وهي عائدة إلى الحقبة الممتدة من القرن الثاني عشر قبل الميلاد الى القرن السادس بعده .

ولقد قام في هـــذه الحقبة ممالك عديدة عرفت بأسماء الممالك المعينية والحضرموتية والقتبانية والاوسانية والسبئية والريدانية والحميرية . وكان ملوكها يتنازعون على السيادة العليا في مختلف أدوار هذه الحقبة . وحينما كان ينجح بعضهم في توطيدها لنفسه ولخلفائه من بعده كان الباقون يحتفظون بالحكم المحلي في مناطق قبائلهم كملوك ممالك ثانوية مع الخضوع لمن تكون له السيادة العليا ثم يستأنفون التنازع والتنافس عليها على ما شرحناه في الجزء الاول . ولذلك فان النقوش تمثل على الاغلب الحقبة اكثر مما تمثل الدولة . وهذا فضلا عن التشابه بل التماثل في اللغة مفرداتها وضمائرها وأفعالها وصيغها . واليك نماذج عديدة تمثل مراحل هذه الحقبة وفي معظم الكلمات نوى للالفاظ الفصحى :

١ ـ نقوش عائدة للحكم المعيني خلال الالف السابق للميلاد

أ ـ أسماء ملوك معينيين في الحقبة الممتدة من القرن الحادي عشر الى القرن السادس قبل الميلاد :

اليفع وقه ـ وقـــه ال صدق ـ ابو كرب يثع ـ عم يثع نبط ـ يثع صدق ال ـ اب يدع ـ حفن بن اب يدع ـ وقه ال ريام ـ اب يدع يثع ـ اليفع يشر ـ يثع ال ريم ـ تبع كرب بن يثع ال ريم ـ حفن ذرح [١].

ب ـ اسماء رجال دولة بارزين :

علمن بن عم كرب ذ حذأر ـ بأس ال ـ يذكر ايل ـ سعد ايل ـ وهب ايل ـ يسمع ايل ـ شهر علن ـ ثوب ايل ـ يسلم ايل [٢].

---

(١) جواد علي ج١ ص ٣٨٥–٣٩٧ والعروبة الصريحة بارزة بقوة على الاسماء . وال او ايل هي نواة كلمة الاله او الله بالفصحى على الاغلب وبمعناها ـ ووقه نواة فعل وقى يقي في الفصحى .

(٢) نفس الجزء والصحف . وما قلناه في صدد اسماء الملوك نقوله في صدد هذه الاسماء . وحرف (ذ) بمعنى آل في الفصحى ، ويسمع ايل هي نواة اسماعيل على الارجح والاسماء : بأس الله وذكر الله وسعد الله ووهب الله وسمع الله ووهب الله وسلام الله . ومعظم الاسماء في صيغة المضارع الفصحى وهذا ما كان اهل اليمن وظلوا يفعلونه في مختلف ادوار التاريخ الجاهلي .

ت ـ يوم ذبح عثتر ذ قبض كبودت وكون احد كبودت اربعة واربعهى وذبح الالت بقر وسقنى بسم كل معنم حرم واجرم [١] .

ث ـ بالات معن ويثل وبخلكرب صدق ملك معن [٢] .

ج ـ ورث د برسل اسم واسطرسم عثتر ثرقن وعثتر ذ قبض وود ونكرح وعثتر ذ يهرق وكل الالست معن ويثل وكل الالت وشيم هي واملك واشعب وجو بن كل ذ يسنكر سم وسفاي وختبل بن مقمسهم بضرم وسلم يمت ارضهم [٣] .

ح ـ هجرن قرنو بتلح ربعن رمشو [٤] .

خ ـ ويوم شبث اب يدع يثع ملك معن وسود معن [٥] .

٢ ـ نقوش عائدة الى الحكم القتباني خلال الالف الاول قبل الاسلام :

أ ـ بضرم تنشأ يدع ال يبن وسمه عـلى نيف ويثع امر وتر واملك سبأ واشعبهمو واملك رعنن ورعنن بعلو يدع اب وقتبن وولدعم [٦] .

ب ـ يذمر ملك جبا وهشب شعبن ذ بجن ذ حرر ونأس وذ ودن وصبرم وهجرهمو ومتخلهمو وارضهمو وابضعهمو لعم ولأنبي وللكهمو يدع اب يجل بن ذمر عـلي ملك قتبن [٧] .

---

(١) علي جواد ج ٧ ص ١٠٠ وبالفصحى : يومذبح العشر رب مدينة قبض اربع ذبائح . وكانت احدى الذبائح اربعاً وأربعين ذبيحة . وذبحوا للالهة بقراً وعجولا باسم كل معيني الاحرار منهم والاجراء .

(٢) ص ١٢٤ بحق آلهة معن وثيل ونجال كرب صدق ملك معين .

(٣) جواد علي ج ١ ص ٣٩٣ وبالفصحى ورصد آل وبر وقفهم ونقوشهم في حماية عثتر شرقن وعثتر قبض وود ونكرح وعثتر يهريق وجميع آلهة معن وثيل وجميع آلهة سبأ ومحامي سبأ وملوك سبأ وشعوب سبأ لمنع كل من يغيرها ويبيدها في ايام السلم والحرب . (عثتر ونكرح وود اسماء معبودات وشرقـان وقبض ويهريق اسماء مدن . وضرم فصحى بمعنى الحرب والعروبة الصريحة ملوحة على النقش جملة ويخمن انه كتب في القرن الثامن قبل الميلاد .

(٤) ص ٣٨٩ وبالفصحى : مدينة قرنو في ربع رمشو فيها

(٥) ص ٣٨٩ وبالفصحى : ويوم فوض بذلك اب يدع يثع ملك معين ومجلس شورى معن الذي كان يسمى مسود .

(٦) جواد علي ج ٢ ص ١٦٤ والعروبة الصريحة ظاهرة بقوة على كلمات النقش وفيها خبر عن حرب نشأت بين ملوك سبأ ورعنن وقتبان واشترك فيها شعوبهم

(٧) جواد علي ج ٢ ص ١٦٤ وهذا النقش تتمة لخبر الحرب الذي ذكر في النقش السابق وفيه خبر استيلاء ملك قتبان على شعوب وارض واموال ومزارع بني ذبحان وبني حمران وبني نأس وبني ود وبني صبر وغدو ذلك ملكاً لآلهته عم وابني وله .

ت ـ اسماء ملوك قتبانيين حكموا بين القرن التاسع والقرن الرابع قبل الميلاد :

شهر يدع اب ذ بيان يهنعم ـ شهر هلل يهرجب ـ شهر يجل ـ فمر علي ـ يدع اب يجل ـ سمه علي وتر ـ هوف عم يهنعم ـ اب شبم ـ شهر غيلن ـ نبط عم ـ روال غيلان يهنعم ـ فرع كرب يهوضع ـ يدع اب ينف[1]

ث ـ شهر ورخن ذ تمنع خرف موهبهم ذ دزحن أخرن أخرن[2]

ج ـ عشر كل هنأم وموبلم وتقنتم وترثتم كل نفطم بينفط[3]

ح ـ سطر ذ تن اسطر ن بيت ورفو[4]

خ ـ يد شهر ورخس ذ برم قدمن خرف موهبم ذ ذرحن[5]

د ـ نبط عم بن سمع دهبر[6]

ذ ـ ورخن ذ تمنع ورخن ذ برم[7]

ر ـ بيت عم د لبخ بن غيلم وخلفن ذ سدو بتمتع ورخس ذ تمنع خرف شهر ذ يجر اخرن[8]

ز ـ ول يفتتح هج دن ذ محرن بنحو خلفن ذو سدو ورخسن ذ عم خرف اب على بن شحز قد من وتعلماي يد شهر[9]

---

(١) جواد علي ج ٢ ص ٥٦ - ٦٣ والعربية الصريحة ملوحة في الاسماء التي جاء اكثرهـا في صيغة المضارع التي ظلت تغلب على الاسماء اليمنية قبل الاسلام

(٢) نفس الجزء صفحة ٢٥ ومعنى النقش من هلال شهر ذو تمنع سنة موهب ذو ذرحان وتعني جملة أخرن أخرن الاشهر الذي تلي الشهر إلى امر آخر

(٣) ص ٢٦ ومعنى النقش : عشر كل ربح صاف وكل ربح يأتي من التزام أو بيع أو ارث

(٤) ص ٢٦ ومعنى النقش : سطرت ـ كتبت هذه الاسطر في معبد ورقو

(٥) ص ٢٦ ومعنى النقش : يد شهر في شهر ذي برم الاول من سنة موهب آ ل ذرحان . وكلمة قدمن فسرت بالاول الى السابق . وهي في معنى (الاول) كما هو ظاهر .

(٦) جواد علي ج ٢ ص ٢٦ هذا النص تابع لسابقه وقد اريد به اشهاد صاحب الاسم على ما احتوته الكتابة السابقة وجلة (دهبر) بالفصحى (من آ ل هبر)

(٧) ص ٢٧ وبالفصحى : شهر ذو تمنع وشهر ذو برم الاول (وكلمة شهر تعنى الهلال والجملة في صدد تسجيل تاريخ بعض الاحداث

(٨) ص ٣١ وبالفصحى : مبيت الاله عم رب بنخ الكائن بذي غيل وعلى باب ذو سدو بمدينة تمنع في شهر ذي تمنع في السنة الثانية من سني شهر يجر

(٩) ص ٤١ وبالفصحى :وليفتح هذا الامر - اي يعلن - على طريق باب ذو سدو في شهر ذو عم من السنة الاولى من سني اب علي بن شحز وقد علمته (وفعته) يد شهر

س ـ عليمهو علهن ملك سبأ وخميس واعرب ملك سبأ ذ جم وقتبن واقول واقوم واشعب ملك احبشت ارض ونوبن ذ ريدن اذينت وخميس واعرب ملك سبأ[1]

ش ـ حلكم سحر وحرج شهر هلل بن ذرا كرب ملك قتبن شعب قتبن وذعلسن ومعنم وذعنتم ابعل صروب عدو سدو[2]

ص ـ اسماء معبودات واماكن واشخاص وقبائل واسر في نقوش قتبانية[3]

ذات سحرن ـ ربحن ـ ولد عم ـ عم يسرن ـ عم شقير ـ ذات بعدن ـ ذات غفرن ـ اب عم ـ زيدم ـ ذو يهر ـ ذو درعت ـ ذو اثرت ـ جدنم ـ ردهم ـ رشم عضرن ـ هرن ـ ذرحن ـ بوسن ـ معدن ـ اجلن ـ شبعن ـ فقدن ـ ذمرن ـ اجرم ليسن ـ بنو عرقن ـ بنو برصم ـ قشمم ـ بينم ـ كتم ـ ذ ترد ـ عم رعمست ـ برام زمن ـ حجرو ـ جدلم ـ سمم ـ مطرن ـ مغلفن ـ دمن ـ مخضن ـ غرين ـ ذ شعثم ـ ذ ملحم ـ ذو ورقن ـ ذ شحط ـ ذ رآن ـ رسمم ـ قنعن ـ غم رشون ـ خلبن .

٣ ـ من النقوش العائدة لمملكة حضرموت خلال الالف السابق للميلاد

آ ـ العزيليط ملك حضرمت بن عم ذخر سير اذ جندلن انودم هس لقب[4]

ب ـ سين ذ علم نسر علق احن[5]

ت ـ تفس واذنس وولدس وقنيس وصبحت عنيس وذكر لسين[6]

ث ـ حنشم بن مذ سقم ذ جرب[7]

---

(١) ص ٤٦ وبالفصحى : من نصيبهم لعلهان ملك سبأ ولقبائل واعراب ملك سبأ ذوجي وقتبان واقيال ومقدمين وقبائل ملك الحبشة أرضي ونخوم ذو ريدان اذينة وقبائل واعراب ملك سبأ

(٢) جواد علي ج ٢ ص ٤٠ والنقش بالفصحى : حكم او قانون اصدره وامر به شهر هلال بن ذرا كرب ملك قتبان لشعب قتبان وبني علسن ومعين وعنتم اصحاب ارض سدو

(٣) نفس الجزء ص ٥ ـ ٦٣ معظم الاسماء نوى لكلمات فصحى واكثرها ينقصها حروف المد وربما كانت تنطق بالمد : سحران ـ ربحان ـ يسران ـ بعدان الخ

(٤) جواد علي ج ٣ ص ٧٥ والعبارة بالفصحى : العزيليط ملك حضرموت بن عم ذخر سار الى حصن انود ليتلقب . وجندل فصحى بمعنى حصن . ويظهر ان من العادة ان يذهب ملوك حضرموت الى هذا الحصن ليتتوجوا فيه لاعتبارات مجهولة .

(٥) ص ٨٨ وبالفصحى : سين العليم رب مدينة علق احن .

(٦) ص ٨٧ وبالفصحى : روحه وجسمه واولاده وما يقتنيه ونور عينيه وكل ما يفكر به في قلبه هو لسين اله حضرموت .

(٧) ص ٦٦ وبالفصحى حنش بن مذ سقم من آل جرب

ج ـ كبر رمى عسم بن حبسم من مذبم [1]

ح ـ من اسماء رجال الملك العزيليط :

رب ال بن عذم لات ـ هبسل قريشم ـ نصرم بن نهدم ـ رقشم بن اذمر ـ الم بن يعللد ـ الم بن بقلم ـ اب كرم ذو ورم ـ اب كرب مقتوى ملكن [2]

خ ـ اسماء معبودات حضرموتية [3]

سين ـ عثتر ـ حول ـ شمس

د ـ اسماء مدن ومواقع حضرموتية :

مذبم ، مشور ، ميفعة ، شبوه ، غان ، يبر [4]

ذ ـ اسماء ملوك حضرموتيين [5]

صدق ال ، شهرم علن ، سمع يفع ، يدع ال بين ، امينم ، يدع اب غيلان ، رت شمس ، اب يزع ، حي ايل ، معدي كرت بن اليفع ، السمع ذ يـــين ، اليفع ريم ، عم ذخر ، العزيليط ، يرعش بن ات يزع ، علهان بن يرعش

٤ ـ من نقوش مملكة اوشان خلال الالف السابق للميلاد

أ ـ اسماء ملوك اوسانيين [6]

مرتوم ، زيدم سيلان بن معد ايل ، معد ايل سلحن بن يصدق ايـــل ، يصدق ايل فرعم شرح عث بن ورم ، معد ايل بن ذيدم

ب ـ اسماء مدن ومواقع كانت في حكم مملكة أوسان [7]

حمان ، انفم ، حبن ، رياب ، رشاي ، جردن ، دتنت ، تقد ، دهس ، اودم

ت ـ نقش لامراء أوسانية اسمها (رثدت) وجد مهشما وفيه هذه الكلمات :

---

(١) ص ٦٦ وبالفصحى : كبير قبيلة رمى غسم بن حبس من مدينة مذاب

(٢) ص ٧٥ ذكر هؤلاء الرجال كمرافقين للملك عندما ذهب الى حصن انود . وكلمة مقتوى تعني قائد . والعروبة الصريحة ملموحة في الاسماء .

(٣) نفس الجزء ص ٨٦

(٤) جواد علي ج ٢ ص ٨٦ـ٨٨

(٥) نفس الجزء ص ٩٠ـ٩٣ والعروبة الصريحة قوية بارزة على الاسماء والتماثل تام بينها وبـين الاسماء السابقة

(٦) نفس الجزء ص ٩٣ـ٩٧

(٧) نفس الجزء والصفحات

ذت بغيثت انخت .. سقنيت مرأس صلمم ذ ذهبم[1]

٥ – من نقوش مملكة سبأ وذي ريدان خلال الالف السابق للميلاد

أ – صبحم بن يتع كرب فقضن [2]

ب – كل جوم ذا لم وشيعم وذ حبلم وحموم[3]

ت – عم شفق بن عم كوب ذ خلل مود يدع ال ويثع امر و كرب ال[4]

ث – وسقى خرف ودثاسباوجوم شبعم[5]

ج – السمع نبط بن نبط علي ملك كمنهو وشعبهو كمنهو لالمقه ومريبو ولسبأ[6]

ح – ذ ابهى ذخرف بعثتر بن حذمت[7]

خ – يذمر ملك جبـــا وهبت شعبن ذبحن ذ حمرر وناس وذ ودن وصبرم وذ .. وهجرهمو ومنخلهمو وارضهمو وابضعهمو لعم ولأنبي وللمكهمو يدع اب يجل بن ذمرعلى ملك قتبن[8]

د – كرب ال يهصدق ذ يفعن واب امر ابن حزقوم أواب كرب ذ ترحنن وعم يشع ذ مونين ولحى عث بن ملحن ذ اربعنهن واسد ذخر بن قلزن اربعنهن [9]

---

(١) جواد علي ج ٢ ص ٩٦ وقد ذكر المؤلف ان النقش يسجل خبر تقديم رئدة صنم الذهب لمعبد نعان لحفظ سيدها ملك أوسان يصدق ال فرعم (وكلمة سقنيت بمعنى قدمت)

(٢) نفس الجزء ص ١١٠ وبالفصحى صبح بن يشع كرب قفضان

(٣) ص ١١٣ وبالفصحى : كل قبائل جوم بنو لام وبنوشيم وبنو حبل وبنو حمير

(٤) ص ١٢٢ وبالفصحى : عم شفق بن عم كرب ذو خليل (رئيس خليل) محب ليدع ايل ويثع امر وكرب ايل (ومود بمنى محب)

(٥) ص ١٢٣ وبالفصحى : وسقى الاله سبا وقبائل جوم في الخريف والربيع سقاية مشبعة

(٦) ص ١٣٦ وبالفصحى : السمع نبط بن نبط علي ملك كمنهو وشعبه خاضعون للاله المقه ولامراء سبأ

(٧) جواد علي ج ٢ ص ١٦٢ وبالفصحى : في شهر ذي ابهى من سنة عثتر بن حذمت

(٨) ص ١٦٤ : يذمر ملك حبا وهب وشعبه ذبح قبائل ذي حمر وناس وذي ود وذي صبر واستولى على مدنهم ووديانهم واراضيهم واموالهم فقدت للاله عم والاله انبي وللمكهم يدع اب يجل بن ذمر علـــي ملك قتبان

(٩) ص ١٦٦ وبالفصحى : كرب ايل يصدق امر يفعان واب امر ابن حزقوم وابو كرب وامير ترحتان واسد ذحر بن قلزان من قبيلة اربع نهان

ذ ـ ادم ملكن ذ سموي اله امرم بعل ين[1]

ر ـ رشو ذت غضرت قين سحز وقين يدع ال ين[2]

ز ـ سمعمذات علم[3]

س ـ امراهموبن سخيم[4]

ش ـ تالب ريمم بعل خضعن ذ هجرن أكانط[5]

ص ـ احزب حبشت هجرم زوم وسهرتن[6]

ض ـ ابو كرب مقتوى شمر يهرعش ملك سبا و ذ ريدن بن يسرم يهنعم ملك سبا و زريدن هقني المقه تهون بعل اوم صلمن ذ ضرفن صلمنهن ذ ذهبن حمدم بذت همن ومتعن[7]

ط ـ سو انسن هرجن[8]

ظ ـ ربيم بن عذرن قبض ثثن حجن وقهو المقه بعل اوم[9]

ع ـ نجرفن ثني وسبعهى ومات خرفنن[10]

غ ـ وبورخن ذ محجتن ذ بخرقين خمسة وثمنى وثلث ماتم[11]

ف ـ بلطن الفن[12]

---

(١) ص ١٩١ وبالفصحى : عبد الملك رب السماء اله امر رب ين (بعل بمعنى رب او اله هنا . وهي كذلك عند الكنعانيين والآراميين في بلاد الشام . والغالب هي نفس كلمة « بيل » التي كان يسمى بها الرب في بابل او معبود بابل . وقد حافظت الكلمة على لفظها وبعض معانيها في الفصحى منهـا الزوج والسيد وصاحب الشيء

(٢) ص ١٥٩ وبالفصحى : كاهن مدينة غضران وحاكم مدينة سحر ، والقين – الموظف الكبير – في حكومة يدع ايل ين .

(٣) جواد علي ج ٢ ص ١٦٢ وبالفصحى : سمع هذا الاعلام

(٤) ص ٢٠١ : امراؤهم بنو سخيم

(٥) ص ٢١٦ تالب رميم (اسم معبود سبئي) رب بني خضعان من مدينة اكانط (وكلمة هجرن تعني المدينة وتطورت الى هجر بنفس المعنى في الفصحى)

(٦) ص ٢٥٠ احزابهم الحبشيون في مدينتي زوم وسهرت

(٧) الجزء ٧ ص ٩٣ وبالفصحى : ابو كرب قائد شمر يرعش ملك سبا وذي ريدان ابن ياسرالنعم ملك سبأ وذي ريدان اهدى الاله المقه ثهوان رب ارام صنما من الفضة وصنمين من الذهب حمداً له لانه اعانه ومتعه

(٨) نفس الجزء ص ٧٩ : هذا الانسان قاتل . والهرج بمعنى القتل من الفصيح

(٩) ص ٩٠ : ربيب بن عذران قدم الوثن حسب امر المقه رب اوام

(١٠) جواد علي ج٧ص ١٢٠ وبالفصحى : بسنة اثنتين وسبعة ومائة (خرف بمعنى سنة واستعمل هذا في الفصحى بصيغة خريف)

(١١) ص ١٢٠ وبالفصحى : بتاريخ ذي الحجة من سنة ثلاثمائة وخمس وثمانين

(١٢) ص ١١٩ الف بلط (البلط نوع من العملة)

ق ـ ابعل قبرن [1]

ك ـ ولكذا حزو تالب [2]

ل ـ هقني ذن صلم حمدم بذت [3]

م ـ أسماء أشخاص في نقوش مملكة سبأ وريدان :

سعدم احرس بن غضبم ، عبد عثتر بن موقس ، اظام بن زنبو ، انسن نمرن ، يصبح ، سعد ثون ، الشرح احضن ، عربم اريم ، حمدن سقرن، ربيبت [4].

ن ـ اسماء ملوك مملكة سبأ وأسماء ملوك مملكة سبأ وذو ريدان . الاولون من القرن التاسع الى القرن الثـــاني قبل الميلاد والآخرون من القرن الثاني قبل الميـــلاد الى القرن الثالث بعده [5]

سمه علي ، يدع ال ذرح ، يثع امر وتر ، كرب ال يين ، علي نيف ، كرب ايل وتر ذمر علي ببن ، وهب ايل ، نشأ كرب يهنعم ، وهب ال يحز ، فرعم ينهب ، انمرم يهنعم ، يهنعم ياسر ، برج يهرحب ، يرم ايمن ، علهان نهفان ، شعرم اوتر ، حيو عثتر ، الشرح يحضب ، ياسر يهصدق ، شمدار يهنعم ، همدان يهقبض ، وهب عثت ، كرب عثت يهقبل ، شهر ايمن ، رب شمس نمرن ، ذمر علي ذرح ، نشأ كرب ايمن ، ذمر علي يهبر .

و ـ أسماء قبائل وأسر في دور المملكتين السبئيتين [6].

سبأ ، ققضن ، يبون ، لخدم ، حضن ، قدرن ، صلحن ، ذخلل ، يهزعم ، ريدن ، معهر ، امرم ، خولن ، بتع سمعي ، دمهن ، خسأ ، سخيم ، همدن ، حاشد ، بكلم ، يرسم عثن ، بنو اعـــين ، حضرن ، بني تزأد ، بني مارن ، محيلم ، نعمت ، صعقن ، ذعذهبن ،

---

(١) ص ١١٩ : اصحاب القبر .

(٢) ص ١٢٦ وبالفصحى : كما طلب الاله تالب

(٣) ص ١٢٣ بالفصحى : قدم هذا الصنم حمداً عن نفسه

(٤) جواد علي ج ٢ ص ٢١٢-٢٧٥

(٥) جواد علي ج ٢ ص ١٤٧-١٥٤ و ١٩٤-١٩٨ و ٢١٢-٢٦٠ وكلمة (ال) هي نفس (ايل) نسبة الى الله او الاله الفصحى والعروبة الصريحة بارزة على الاسماء وصيغ المضارع هي صيغة التسميات اليمنية . والمتبادر ان (الهاء) هي املائية او صوتية فاذا حذفت صارت الكلمة فصحى : ينعم ، يرحب ، يصدق ، يقبض ، يقبل ، يبر الخ .

(٦) نفس الجزء والصحف السابقة الذكر .

ونح ، سهمن ، دمهن .

هـ - أسماء مدن ومواقع وسدود في دور المملكتين

مريبو ، فيشان ، اوم ، منيتم ، ذيين ، رحبم ، يسرن ، ذتت ، حريب ، نجرن ، رجمت ، شمم ، مرسم ، حنن ، مقرن ، ابين ، يثعن ، نومم ، نشن ، كمنا ، قنن ،خبعم ، ثمدت ، شدم ، خبأم ، ارجن ، معفرن ، ضلم ، موثبم ، حرنن ، وقبم ، هرن ، ريدت ، ذات عرمن ، ثهوان ، ذات غرم ، زوم ، سهرتن ، ترعت ، صنعور ، حبتم ، يفعن ، يبلح ، ذو أمر .

٦ - من نقوش المملكة سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنت التي حكمت جنوب الجزيرة من القرن الثالث بعد الميلاد الى القرن السادس . وهي التي تسمى في الكتب العربية بالمملكة الحميرية لأن معظم ملوكها من قبيلة حمير

أ - فليشرحن وشوف ومتعن[١]

ب - عسى وبنى وهوثر وشقر[٢]

ت - اشعبهمو سبأ وحميرم ورحبتم[٣]

ث - ملك سبأ وذريدن وحضرمت ويمنت وأعربهم طودهم وتهامهم[٤]

ج - عشر سفلن واعرت مأرب[٥]

ح - تبارك سم رحمنن ذ بسمين ويزرال والههمو رب يهد زهرد عبدهمو شهرم وامهو وحشلتهو شمسم واولدهمي وابشعر ومار وكل[٦]

---

(١) جواد علي ج ٧ ص ٩٩ وبالفصحى : ولينشرح وليرى وليتمتع

(٢) ص ٩٩ وبالفصحى : واستعمل الحجارة وبنى واسس ورفع البناء

(٣) ج ٣ ص ١٦٥ وبالفصحى : شعوب سبا وحمير ورحبه

(٤) ج ٣ ص ٠٣٦ وبالفصحى ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت واليمن واعرابهم في الجبال والسهول (هذا اللقب الرسمي لملك مملكة حمير في النقوش) وطود تعني الجبل وتهامة تعني السهل من الفصحى . وكذلك اعرب تعني أعراب

(٥) ج ٣ ص ١٤٥ وبالفصحى عشيرة سفلان واعراب ومارب

(٦) ص ١٧٣ وبالفصحى : تبارك اسم الرحمن الذي في السماء واله اسرائيل الذي ساعد عبده شهر وامه وزوجته شمس واولاده وابشعر ومار وكل بيته

خ ــ تبارك ذ رحمن ذي سمين[1]

د ــ بنصر وردا الهن بعل سمين وارضين[2]

ذ ــ بسم رحمن وبنهو كرستش غلبن[3]

ر ــ بحيل وردا ورحمة رحمن ومسيحهو وروح قدس سطر ذي مزندن[4]

ز ــ ذن فرس وركبهو[5]

س ــ خلفتهو ذ ستخلفو على كدت ودا[6]

ش ــ من اسماء ملوك حمير التي وردت في النقوش :

ياسر يهنعم ، شمر يهرعش ؛ ملك كرب يهأمن ، ابو كرب اسعد ، ورا امر ايمن ، حسان يهأمن ، شرحب ايل يعفر ، عبد كلالم ، معد كرب ينعم ، شرحب ايل يكف ، مرثد الن ينف ، معدي كرب يعفر[7]

ص : اسماء رجال بارزين في ابان الحكم الحميري واسماء اماراتهم :

شرحبيل يكمل ، ذو معفرن ، اسودن ، ذو يعدن ، زرعة ، مرحبم ، حارث ، مرثد ، ذو جدنم ، يلجب ، يصبر ، ريحم ، مهرت ، سبن ، اسحرتن ، وطح ؛ ذ خلل ، مرت ، ذيزن ، ذو ذرنح ، ذو فيش ، كيدر ، ذو معهر ، ذ رعن ، ذ شولـــان ، ذ شعبن ، ذهمدن ، ذ مهد ، ذ ذين ، ذ فرنت ، ذ ثت ، علسم ، ذ كلعن[8]

---

(١) ج ٣ ص ١٥١ الجملة فصيحة : تبارك اسم الرحمن رب السماوات

(٢) ص ١٥٧ وهذه ايضاً : بنصر وتعضيد الاله رب السماوات والارض . وردا فصيحة وقد وردت في القرآن بمعنى مؤيد (ردءاً يصدقني اني اخاف ان يكذبون : سورة القصص ٣٤)

(٣) ص ١٩٤ وهـــذه كذلك : باسم الرحمن وابنه كريستو غلبنا . وكريستو هو اسم المسيح في اليونانية وكان هو المنتشر

(٤) ص ١٩٨ وهذه كذلك : بقوة وتأييد ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطرنا هذه الكتابة

(٥) ج ٧ ص ٩٠ : هذا الفرس وراكبها

(٦) ج ٣ ص ١٩٨ خلفته واستخلفته على قبيلة كدت ودا

(٧) ج ٣ ص ١٣٩–١٩٥ واللهجة الفصحى بارزة على اكثر الاسماء بل جميعها

(٨) ج ٣ ص ١٩٥–٢٠٢ هذه الاسماء وردت في نقش امر بتسجيله ابرهة قائد الحبشة في اوائل القرن السادس وعرف بنقش حصن غراب

ثانياً

اسماء ملوك وملكات ورجال في مشارف الشام قرئت على نقوش اشورية تعود الى الحقبة الممتدة من القرن التاسع الى القرن السابع قبل الميلاد

جنديبو ملك أريبي، زبيبي ، سمس ، عاطيه ، تلحون ، طابعـــة ملكات اريبي ، حزائيل ملك قيدار ، اوتيه ملك قيدار ، جربا ، خطرانو ، تمرانو ، جنابو ، باسقانو ، اوابو ، ابي جاد ، من رجال ممتكتي اريبي وقيدار ، دوماتو معقل اريبي ، خيابا ،بطنا، تيا ، خطى ، عبدو بعل ، تمودي ، ايبا بيد ، مرسماني ، قبائل في مشارف الشام ، قيسو ملك خاليدي ؛ اكبرو ملك نبط ، معن ساق ملك مجالاني ، جابـــا ملكة ديهراني ، خابيصة ملك ادبا ، نيهارو ملك جاباني ، بايله ملكة ايهيلو ، خبا نمرو ملك بودا ، ليلى ملك ياري [١].

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ ومابعدها ولمحة العروبة الصريحة بادية عليها برغم تحريف الكلمات لانها منقولة عر كتب الاثريين الذين كتبوها بحروفهم .

ثالثاً

نماذج من النقوش اللحيانية والثمودية التي وجدت في شمال جزيرة العرب . وفي معظمها كذلك نرى الالفاظ الفصحى

١ ــ نماذج من نقوش لحيانية تعود إلى الحقبة الممتدة بين القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الرابع بعده عثر عليها في جهات العلا في اعالي الحجاز على طريق بلاد الشام وهي أقرب إلى الحجاز منها إلى الشام :

أ ــ ادق هصلم لذ غبت بلذ تحت بته[١]

ب ــ بنت قسم هدقت هصلن لهنا كتب فرضه وآخرته[٢]

ت ــ ذ علم أفكل لات[٣]

ث ــ مرط كتبه بهذه[٤]

ج ــ زد بن ذ عمر تع وعرر ذ غيت عرر أسفرذه[٥]

ح ــ عبد خرج بن زد غوث بني هكفر له ول ورثه هكنر ذه كله واخذ همثبرن سنت ثنن لتلمى بن هناس[٦]

---

(١) جواد علي ج ٧ ص ١٤٥ ومعناه قدم الصم لذي غابة بملاذ لمبده . (وذو غابة اسم اله لحيان وملاذ اسم موقع او بلد)

(٢) ص ١٤٦ ومعناه بنت قاسم قدمت هذا الصنم لهناء الكاتب وواجبه وآخرته

(٣) ص ١٤٧ ومعناه هذا علم كاهن الاله

(٤) ١٤٧ ومعناه مرط كتبه بهذه

(٥) ص ١٤٧ ومعناه زيد بن ذو عمر تع وعرر ذو غابة عرر كتب هذا (وسفر بمعنى كتب وفي الفصحى سفر واسفار بمعنى كتاب و كتب)

(٦) ص ١٤٨ ومعناه عبد خرج بن زيد غوث بنا القبر له ولورثته هذا القبر كله واخذ المثبر في السنة الثانية لتلمي بن هناس. والمثبر بمعنى المقبرة او ارض المقبرة و كلمة ثبور في الفصحى بمعنى الموت متصلة بهذا الاصل على الاغلب وتلمى بن هناس احد ملوك لحيان

القلم الثمودي واللحياني والصفوي

عربي	عبري	سبئي	لحياني	ثمودي	صفوي
ا	א				
ب	ב				
ج	ג				
د	ד				
ذ	ד̄				
ه	ה				
و	ו				
ز	ז				
ح	ח				
خ	ח̄				
ط	ט				
ظ	ט̄				
ي	י				
ك	כ				
ل	ל				
م	מ				
ن	נ				
س	ס				
ع	ע				
غ	ע̄				
ف	פ				
ص	צ				
ض	צ̄				
ق	ק				
ر	ר				
ش	ש				
ت	ת				
ث	ת̄				

خ - مردة وحضرةبنونضر أخذو هقبر ذه هم واخوهم [١]

د - للبه وخفشهوغرته هخبرت ذات ول ورثهم [٢]

د - ابنه اخذ هصفحت ذات [٣]

ذ - عنترة بن اس بن تينل بن عب ذ ال هنا حنكت سبى نفها لو بلحجر منو سنت من أذى سبى فخفو هلجبل ذ لثلث سنن [٤]

ر - واشهد كلهم ... لهم وشهدت وعارخت له بن امر [٥]

ز - وهب لاه بن زدقى ولمي بن تفيه وديونفس مر بن حوت م اخذ حلمهاخرج [٦]

س - براي شمت جشم بن لذن ملك لحين [٧]

ش - حيو هدقو هصلمن هذه ذ نذر بعجلين ابهم خر حـــذ غبت فرضهم وأخرتهم وسعدهم سنت ثلثن وخمس براي منعى لذن بن هناس ملك لحين سامه [٨]

ص - دعنهضع نحت هصلم [٩]

ض - واخذ ه مثبر بن [١٠]

ط - زد هنا كتب [١١]

ظ - عبد سمن، عبد منت ، أس منت [١٢]

ع - همصدمن بته حبب هجلل [١٣]

---

(١) جواد علي ج ٧ ص ١٤٩ ومعناه مرارة وحضرة بنو النضر اخذوا هذا القبر هم واخوهم .

(٢) ص ١٤٩ ومعناه بالفصحى للبه وخفشه وغرته هذه الارض الغزيرة المياه ذات الاشجار ولورثتهن

(٣) ص ١٤٩ وتفسيره بالفصحى ابانه اخذ هذا المنحدر

(٤) ص ١٥٢ وتفسيره بالفصحى : عنترة بن اوس بن تنيل بن عب ذو آ ل هاني جعل خفيراً مدة ثلاث سنين على الجبل بالحجر

(٥) ص ١٥٣ وتفسيره شهدوا كلهم وارخت لا وابن الامير

(٦) ص ١٥٥ وتفسيره وهب الله بن زيد قاني ولمي بن تفيه وديا نفس مرين حوت ما اخذ عليها مر الخرج

(٧) ص ١٥٥ وتفسيره في حكم شامت جشم بن لاذن ملك لحيان

(٨) ص ١٥١ تفسيره : حيو قدم هذا الصنم الذي نذره ابوه خر خذعت لعجلين الاله للحصول على رضائه عنهم في دنياهم وآخرتهم وليسعدهم سنة خمس وثلاثين من حكم منعى لوذان بن هانيء اوس ملك لحيان مسلمه

(٩) ص ١٥٧ دعنه الصانع تحت الصنم

(١٠) ص ١٥٧ واخذ المثبر (المقبرة والمثبر فصحى ايضاً)

(١١) ص ١٥٩ : زيد هنا كتب

(١٢) ص ١٦٠ عبد السماء - عبد مناة - اوس مناة (اسماء اشخاص)

(١٣) ص ١٦٨ المصد من بيته حبيب الجليل . ويلحظ في حبب ومنت وهجلل وامثالها انها ينقصها حروف المد حتى تلفظ بلهجة فصحى والغالب انهم كانوا ينطقونها ممدودة

غ   بهبت ذه من أنس[1]

ف ـ وهو ثالدى دثا حمم بذ افع ولذغبت جهبل بن مات وعشرة سدول [2]

ق ـ نورن بن حضر وتقط بايم جشم بن شهرو عبد قحت ددن... [3]

ك ـ امت ثيعن بنت دد نذرت بعد بنته قن بنت مثل لسلمان همذ نذرت عله امه فرضه وسعده [4]

ل ـ ادق هصلم لذ غبت بملذ تحت بته [5]

م ـ خلس زد خرج بن بل خمد سنت عشرن وتسع عشر ايم خلف فضج[6]

ن ـ ذ وهب لاه بن زد منت ادق لذ غبت هذاصل خ لم على رتج قدست وهصلم خرته وسعده سنت عشرن وتسع [7]

و ـ عبد غث بن زد له سمم قرب هصلم لذ غبت يهبرحت برح بت ذ على هشانت مع جبل ددن هشان [8]

ه ـ عبد منت اصدق فرضه هله وسعده[9]

---

(١) ص ١٦٩ وهي بالفصحى : بهذا البيت من انس

(٢) ص ١٧٠ وبالفصحى : في هذا الربيع لدى اول ظهوره يقدم القربان المحروق بذي افاع ولذي غابة والخمر مئة وعشرون سدولا (الحمم هي الحميم الحار بالفصحى ولعل نقط سدول يعني مكيالا معنياً)

(٣) ص١٧٠ وهي بالفصحى: نوران حاضر كتب بأيام جشم بن شهر وعبد حاكم ددان

(٤) ص ١٧١ وهي بالفصحى : امة يشعان بنت داد نذرت بعد ابنتها قد بنت حثل لسلمان المحبوب نذرت عله يطيل عمر امها ويسعدها

(٥) ص ١٧١ وهي بالفصحى : قدم الصنم لذي غابة بملاد تحت معبده (مبيت هذا بمعنى المعبد ومنه رب هذا البيت)

(٦) ص ١٧١ وهي بالفصحى : قتل زيد خرج بن بل خـــامداً سنة عشرين وتسع ايام خلف فضج خلس مرادفة لقتل في بعض لهجات الفصحى)

(٧) ص ١٧٣ والعبارة بالفصحى هي : هذا وهب اللاة بن زيد مناة قدم لذي غابة هذا الاناء الذي ضمه على الرتاج المقدس وعلى الصنم لآخرته ولسعده سنة تسع وعشرين

(٨) ص ١٧٦ وهي بالفصحى : عبد غوث بن زيد اللاة سم هذا الصنم لذي غابة عـــن المصيبة التي اصاب بها البيت (المعبد) ذي الشأن العلي مع شعب ددان العلي الشأن (وجبل هذا بمعنى جبله اي شعب. ولعل غوث هي يغوث احد معبودات العرب وكانوا يتسمون بهذا الاسم في عصر النبي عليه السلام وسمم بمعنى قرب

(٩) ص١٨٠ وهي بالفصحى عبد مناة اصدق فرضه بالله اسعده(وتعبير اصدق وصدق وتصدق بمعنى الاعطاء من الفصحى

لا ــ نفس عبد سمن بن زد خرج الت نبه سلمه بنت اس ارشن[1]

ي ــ اسماء اخرى قرئت على نقوش لحيانية :

هنىء اس بن شمر ، مسعود هنىء ، سهم ايل ، كرب ايل[2]

٢ ــ من النقوش الثمودية العائدة الى الحقبة الممتدة من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الرابع بعده . وقد وجدت في البلاد المعروفة بمداين صالح الواقعة شمال العلا :

أ ــ دنة قبور صنعه كعبو بر حرثت للقيض بر عبد منوتي امه دي هلكت في الحجر شنة مئة اثنين وترين بيرح تموز . ولعن مرى على من يشنا القبور د ومن يفتحه حتى يبده . ولعن من يغير دا على منه ٣

ب ــ ود معن وان رهن[4]

ت ــ رب رضو وود ال سرت مكفر ٥

ث ــ هلهى ا ت م تمعزز ذ[6]

ج ــ صلم نتنت ل ٧

ح ــ ضى لى ٨

خ ــ لسلمت بلو دو عى وضحن ٩

د ــ شهدن بسلم عى[10]

---

(١) ص ١٨٤ وهي بالفصحى : قبر عبـــد السماء بن زيد خرج الذي بنته سلمه بنت اوس ارشان (وقد فسر الباحثون كلمة نفس بقبر استناداً الى امثالها)

(٢) جواد علي ج ٣ ص ٣٠٧-٤٢٧

(٣) جواد علي ج ٧ ص ٢٠٠ وعبارة النقش بالفصحى هي (هذا القبر صنعه كعب بن حارثة للقيض بنت عبد مناة امه التي هلكت بالحجر سنة مئة واثنتين وستين من شهر تموز . ولعن الرب الاعلى من يغير هذا القبر ومن يفتحه يمس بأولاده . ولعن من يغير الذي كتب في اعلاه (ويعد هذا النقش من النقوش الهامة عند الباحثين ويخمنون انه كتب في سنة ١٠٦ بعد الميلاد والحجر هو الاسم الذي كان يطلق على مدينة مداين صالح وقد ذكر في القرآن . انظر ايضاً تاريخ اللغات السامية لولفنسون ص ١٧٧-١٧٨)

(٤) جواد علي ج ٧ ص ١٩٧ ومعناها بالفصحى ود معن وانا رهن (وهي فصحى كل الفطاحة)

(٥) ص ١٩٨ ومعناها بالفصحى الاله رضو وود انا سرت من كفر

(٦) ص ١٩٨ ومعناها يا الهي اتم يتم عزيز هذا

(٧) ص ١٩٩ وبالفصحى الصلم اعطي لي

(٨) جواد علي ج ٧ ص ٢٠٢ وتفسيره بالفصحى اضيء لي او انر لي

(٩) ص ٢٠٣ وبالفصحى للسلامة من البلاء والعي وضحنا

(١٠) ص ٢٩٣ وبالفصحى شهدنا بالسلام من العي

ذ ـ لعذ بن ملكت آخذ[١]

ر ـ لوسط بن هرب بن دخلت بت[٢]

ز ـ لبت سقم بمران[٣]

س ـ تيم بن عبنى ووجم عل خلله[٤]

ش ـ سعدان توتن وق ال تمم[٥]

ص ـ لحزم تشوق ال عمت[٦]

ض ـ ست بن ذن وست نسل[٧]

ط ـ هن لمت[٨]

ظ ـ عل رضو هضبا[٩]

ع ـ هلهى سعد سعدت على دورت[١٠]

غ ـ هصلم عن بفجعن[١١]

ف ـ هشمس همعن[١٢]

ق ـ زن عبد ملكت[١٣]

ك ـ ذن سعد ططب ممت[١٤]

---

(١) ص ٢٠٣ وبالفصحى لعوذ بن ملكة اخذ

(٢) ص ٢٠٣ وبالفصحى لوسط بن هرب بن دخلت بات

(٣) ص ٢٠٤ وبالفصحى لبت (اسم رجل) سقم تمران اي مرض

(٤) ٢٠٤ وبالفصحى تيم بن عبنى وجم على قبر خليله

(٥) ص ٢٠٦ وبالفصحى : سعدان رافق وق ايل ال تمم

(٦) ص ٢٠٦ وبالفصحى لحزم (اسم) تشوق الى عمته

(٧) ص ٢٠٦ وبالفصحى : ساء بن هذا وساء نسله

(٨) ص ٢٠٧ وبالفصحى هنا لاموت

(٩) ص ٢٠٨ اعلى رضو الملجأ

(١٠) ص ٢٠٨ ج ٧ وبالفصحى : يا الهي ساعد سعدة على دورة

(١١) ص ٢٠٨ وبالفصحى يا صنم اعنا على الفاجعة

(١٢) ص ٢٠٩ وبالفصحى يا شمس اعنا

(١٣) ص ٢١٣ بالفصحى : هذا عبد مكة (والنقش مهم في صدد قدم قدسية مكة)

(١٤) ص ٢١٤ بالفصحى هذا سعيد طاب من الموت

ل ـ لتيم يغوث بن جشم الوعل [1]

م ـ هعتر سم اعدد هول ونصور لمخشور [2]

ن ـ فهد شرغرت وخلصت [3]

ه ـ هاله دعون ا ت ميسر ام هاهل ذاتا يعمل [4]

و ـ اسماء اخرى في نقوش ثمودية :

سعدلاه ، هنأ لاه ، ذكر ايــل ، اوس لاه ، عدد ال ، عــبد ثعل ، امر ايــل ، عبد عمن ، ملتمحب ، سلم ، سرر ، شكت ، مسكت ، حرزت ، سهرت [5]

---

(١) ص ٢١٦ الوعل: لتيم يغوث بن جشم او جاشم (الاسم ورد بهذه الصيغة في سفر نحميا من اسفار العهد القديم الذي دون في القرن الخامس قبل الميلاد مع وصف العربي)

(٢) ص ٢١٧ والعبارة بالفصحى هي : يا عثتر السماء اعدد راحة ونصراً نخشور

(٣) ص ٢١٧ وبالفصحى يا ذا الشرى (اسم معبود) العفو والخلاص

(٤) ص ٢١٧ وبالفصحى يا الله انت الميسر ام هاهل ذات يعمل

(٥) ص ٢١٠-٢١١

رابعاً

نقوش بلاد الشام الصفوية والنبطية والتدمرية

١ ـ من النقوش الصفوية العائدة الى الحقبة الممتدة من القرن الثاني قبل الميلاد الى القرن الخامس بعده . وقد وجـــدت في المنطقة المعروفة باسم الصفا فيما وراء جبل حوران . ومعظمها يكاد يكون بالفصحى لو كانت جيدة الاملاء. وقد نقصت احرف المد في أكثرها

أ ـ لأذنت بن ورد بن نغير ووجع على اشيعه حرب فسلم بن اذنت[1]

ب ـ وجم على اخته وبني هرجم[2]

ت ـ ونجى من هسلطن [3]

ث ـ ووجم عل اخته وبني هرجم سنت نجى منمرت هسلطن عل ال عوذ[4]

ج ـ ورعى هابل هنخل وورد هنمرت[5]

ح ـ لأنعم بن انف بن جرم ال ووجد سفر انعم فنجح ورعى هابل مرق نبط خوذ[6]

خ ـ لجزم ال بن قحش بن سعد ووجد اسطر اسود وابه فنجح[7]

د ـ لسني بن سني بن محنن ووجد اثر دده فنجح[8]

---

(١) ص ٢٢٨ والعبارة بالفصحى : لاذينة بن ورد بن نغير وتوجع على أشياعه الذين سقطوا في الحرب فسلم بن أذينة

(٢) ص ٢٢٩ والعبارة بالفصحى : ووجم على اخته وبنى الرجم

(٣) ص ٢٣٠ وبالفصحى : ونجى من السلطان (أي من الدولة التي كانت دوله الرومان على ماخمنه الباحثون ويعود إلى القرن الاول قبل المسيح)

(٤) ص ٢٣١ وبالفصحى : ووجم على اخته وبنى الرجم سنة نجى من غارة السلطان وحل عـــلى آل عوذ

(٥) ص ٢٣١ وبالفصحى : ورعى الابل بهذا الوادي وورد النمارة (والنمارة عين ماء)

(٦) ص ٢٣٥ وبالفصحى لانعم ابن انيف بن جرم ايل ووجد سفر انعم فنجح ورعى الابل سنة مروق النبط الذين جاؤوا هنا (ويبدو ان النقوش التي تبـــدأ بحرف الـــلام ثم الاسم تعني ان الكتابة هي لصاحب الاسم

(٧) ص ٢٣٨ وبالفصحى : هذه الكتابة لجرم ايل بن قحش بن سعد وقد وجد كتابة اسود (اسم رجل) وابيه فنجح

(٨) ص ٢٣٩ وبالفصحى هذه الكتابة لسني بن سني بن محنن وقد وجد كتابة عمه فنجح (وقد فسر الباحثون كلمة دده بعمه)

ذ ـ وخرج هشنا فهلت سلم وثول ذ يغير هسنو [1]

ر ـ ووجع عل شمت اسر فهلت وبعل سمن وجد عوذ سلم غنظ برمى وعور لذ يغير هسنو [2]

ز ـ وحلل هدر سنت قنس هملج ال عوذ وخرج اشيعه اسرن [3]

س ـ وعرف خله مت وله عله ووجم لهنا عل هرس وعل شعثم وعل دتم وعل جبنى وعل رحمت اخوله محربن وحلل وجلس سنت قتل حوصت وبلجا وخرص ذ ال تم فهلت سلم مباس [4]

ش ـ لعمر بن هنامنت بن يملك ذ ال معص ووجد وقع اخه عـــدى مقتل ووجع ورعى وقيظ خجل هخرس وجل ملح فالت سلم [5] .

ص ـ وندم عل بن اخه مسبي حولت فتوجد ذمى خلن ويبل ذا هله [6] .

ض ـ وخيط مدبر فهلت مجدت وسلم [7] .

ط ـ لملك بن عوذ بن هولى وصير من رحبت مرويت [8] .

ظ ـ لأنعم بن قيمت ذ ال عمرت ونفر فـــاسلم وبنه اقلت سنت أخرق رجوت ال

---

(١) ص ٢٤٠ وبالفصحى : وخرج للعدو فيالاة سلم . وثول الذي يغير هذه الكتابة (وثول بمعنى انزل الخبل والكلمة مستعملة للان بهذا المعنى في العراق وقد فسر الباحثون كلمة هشنا بالعدو ولعلها الشانيء بالفصحى وهي بمعنى العدو والمبغض ووردت كذلك في القرآن)

(٢) ٢٤١ وهي بالفصحى : وتوجع على شامت الذي اسر . فيالاة ويارب السماء ويا جـــد عوذ (اسماء معبودات) سلم الذي سقط بالروم وعور الذي يغير هذه الكتابة

(٣) ص ٢٤١ وبالفصحى وحل بهذا المكان سنة قنس الملك آل عوذ وأخرج أشياعه الاسرى .

(٤) ص ٢٤٤ وبالفصحى : وعرف ان خاله مات قوله (حزن) عليه ووجم كذلك لهنا على حرس وعلى شعث وعلى داث وعلى جبنى وعلى رحمة اخواله الذين سقطوا بالحرب وحل وجلس سنة قتل حوصة وبلجة وخرص من آل تيم . فيالاة (الله) سلم من البؤس .

(٥) ص ٢٤٦ وبالفصحى : هذه الكتابة لعمر بن هنأ منات بن يملك من آل معيص . وقد وجد أثر اخيه عدى المقتول ، فتوجع ورعى وصيف وجمع طعام الخرس وجمع ملحاً فيالاة سلم

(٦) ص ٢٤٧ وبالفصحى وحزن على ابن أخيه مسبي حوالة ، سبيءاثناء وجوده عـــلى ماء خولان مختفياً في اهله

(٧) ص ٢٤٧ وبالفصحى : ومرق من البر فيالاة او يا الله المجد والسلام

(٨) ص ٢٤٧ وبالفصحى : لمالك بن عوذ بن الولي هاولي . وقد رجع من رحبة مروية

هدى ليمت [١]

ع ـ لحبت بنت اسلم وتشوقت عل نمن [٢] .

غ ـ وجع من عصم فدثا بججر [٣]

ف ـ وهبهلت نل سلم هملك [٤]

ق ـ ووجع وهرمنى روح [٥]

ك ـ مقتل قتل هال حولت فهلت ودشر ثأر [٦]

ل ـ فهشمس ولت لا خل ووكس وخرس وعرج وعور لمن خبل [٧]

م ـ وتشوق ال ابه وال خله وال خلته [٨]

ن ـ لا دين بن مسقر هبكرت [٩]

ه ـ فهلت لذ سار وغيره ووجم عل محلم وعل ظنن وعل عمسك [١٠]

و ـ وهلت ودشر عور لذ عور سفر [١١]

لا ـ ونجى بهبتر هتخل فهلت سلم [١٢]

---

(١) ٢٢٨ وبالفصحى : هذه الكتابة لانعم بن قيمة من آل عمرو . ونفر فسلم مغ ابنه . افلت سنة اخرق رجاء ال هدى ليموت

(٢) ص ٢٤٩ بالفصحى : هذه الكتابة لحبة بنت اسلم . وقد تشوقت على نومان (والنقش مهم في بابه حيث يدل على ان النساء ايضاً كن يكتبن)

(٣) ص ٢٥٠ وبالفصحى : توجع من عاصم فأمضي الربيع بحجر (مكان ما)

(٤) ص ٢٥١ وبالفصحى : يا لاة أنيلي السلم للملك

(٥) ص ٢٥٢ وبالفصحى : وتوجع فيرضو (اسم معبود ايضاً) أرح

(٦) ص ٢٥٥ وبالفصحى : المقتول في قتال آل حولة . فيالات ويا ذا الشرى اثأرا

(٧) ص ٢٥٥ وبالفصحى : يا شمس ويالات عاقبا بالخلل والوكس والخرس والعرج والعمى لمن يصعد

(٨) ص ٢٥٧ وبالفصحى : تشوق إلى أبيه وإلى خاله والى خالته

(٩) ص ٢٥٩ وبالفصحى : هذه البكرة لاذين بن مشعر

(١٠) ص ٢٦٠ وبالفصحى : فيالاة سلم للذي سار وتركه ووجم على محلم وعلى ظنين وعلى ملك المساك .

(١١) ص ٢٦٠ وبالفصحى : يا لاة ويا ذا الشرى عور الذي يعور الكتابة

(١٢) ص ٢٦١ وبالفصحى : ونجى بالبقر بهــذا الوادي فيالاة سلم (فسر الباحثون كلمة النخل بالوادي)

ي ـ لنظر بن طب بن اجمم ذ ال عن وضبا فهلت ورضى غنمت [1]

اً ـ لامر بن همين ونغضب بنه [2]

بً ـ وحل هدر فرعي هابل . فهلت وبعل سمن شيع هجش [3]

تً ـ ونضب عته مات اسلم [4]

ثً ـ لسعد بن نج بن دود هتموى [5]

جً ـ لا نغم بن قحش وغنم سنت حرب نبط [6]

حً ـ ابرد بن اصلح بن ايجر وشتى هدر وذبح فهلت سلم [7]

خً ـ لشمت بن لعثمن بن شمت بن ثرك بن انعم بن لعثمن وجم عل امه وعل داده وعل خله عم وعل انعم قتله حل صبح فوله عل بن خلة ترح ورعى هضـــان ورحض بتبر وخله شناف هلت سلم ووجد واثر اخه فنقم [8]

---

(١) علي جواد ج ٧ ص ٢٦٣ وبالفصحى : هذه الكتابة لنظر بن طبب بن اجم من آل عن وغزا وغنم فيالاة منك الرضا

(٢) ص ٢٦٣ وبالفصحى : هذه الكتابة لامير بن همين وقد غضب من بنيه

(٣) ص ٢٦٤ وبالفصحى : وحل في هذه الدار (أو المكان) فرعى الابل . فيالاة ويا بعل السما ستيعا الجيش

(٤) ص ٢٦٥ وبالفصحى : وفقد مأة اسلم (بعضهم فسر أسلم بحيوان وبعضهم فسرها بمعنى سالم من العيب .

(٥) ص ٢٦٤ وبالفصحى : هذه الكتابة لسعد بن ناجي بن داود التياوي (نسبة الى تيا من مدن الحجاز في طريق الشام)

(٦) تاريخ اللغات السامية لولنفسون ص ١٨٥ ومعنى النقش بالفصحى : هذه الكتابة لانعم بن قحش وقد غنم سنة حرب الانباط

(٧) تاريخ اللغات السامية لولنفسون ص ١٨٤ والعبارة بالفصحى : هذه الكتابة لبرد بن اصلح بن ايجر وشتى في هذا المكان وذبح ذبيحة . يا الله (او يالاة) لك السلام.

(٨) نفس المصدر ص ١٨٤—١٨٥ وهي بالفصحى : لشامت بن العثمان بن شامت بن شريك بن انعم بن العثمان : وجم (حزن) على امهوعلى عمه وعلى خاله عم وعلى انعم . قاتله خاله صباح قوله (حزن) على ابن خـــاله تريح . ورعى الضأن واغتسل بتبر وخاله شناف . يا الله او يا لاة لك السلام .

د ـ لاذنت بن ورد بن انعم بن كهل بن عم بن كهل من ذوى التغير . فهلت وشع هتم
وجد عوذ وبعل سمن ودسر غيرت له . وعور وعرح وقات بودق لذ يعور هخطط [1]

ذ ـ لنصر ال بن حجر هخطط . وحضر هدر فه اثع سلم وخرص قعصن وفر [2]

نموذج من الخطوط الصفوية نقلا عن الجزء السابع من تاريخ العرب قبل الاسلام

للدكتور جواد علي

٢ ـ من النقوش النبطية . وهي عائدة إلى الحقبة الممتدة من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن السادس بعده . ووجد معظمها في شرق الاردن وطريق الشام والحجاز وبخاصة في منطقة مدائن صالح وحوران . وينقصها هي الاخرى حروف المد حسب قواعد الفصحى ومع ذلك فالفصاحة بارزة على كثير منها:

أ ـ دنه نقشو يهرو بن شلى ربو جديمت ملك تنوح [3] .

---

(١) تاريخ اللغات السامية لولنفسون ص ١٨٦ والعبارة بالفصحى : هذه الكتابة لاذينة بن ورد بن انعم ... بن كهل بن عم بن كهل من ذوي التغير فيالاة ويا وشع القم وياجد عوذ ويا رب السماء ويا ذا الشرى غيروا له . وابتلوا بالعور والعرج و (لم يعرف الباحث معنى الكلمتين (وقات بودق وخنوا انها كلمات دعاء بذيئة) الذي يطمس هذا الخط .

(٢) نفس المصدر ص ١٨٧ والعبارة بالفصحى : هذه الكتابة لنصر الله بن جمر . وقد حضر في هذه الدار فيا ائع (اسم معبود) سلم وقتل قعصن وفر .

(٣) علي جواد ج ٧ ص ٢٧٢ وبالفصيح: هذا قبر فهر بن سلى مربي جذيمة ملك تنوخ . والنقش من النقوش الهامة عند الباحثين من ناحية التاريخ لانه احتوى اسم جذيمة ملك تنوخ وقد عرف عندهم باسم نقش ام الجمال حوران

ب – تي نفش مر القيس بن عمرو ملك العرب كله • ذو أسر التبج وملـــك الاسدين ونزرو ملوكهم . وهرب محجو عكدى وجايزجي في حببج نجرن مدينة شمر وملكمعدو ونزل بنيه الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه عكدى هلك سنت ٢٢٣يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده [1]

ت – بسم الله شرحو برمع قيموا برمر القس وشرحو بن سعدو وسترو وشريحو [2] .

الخط العربي في أواخر القرن السادس بعد الميلاد
والنقش هو المعروف بنقش حران ونصه مذكور في الحرف (ث)
نقلا عن الجزء السابع من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

---

(١) نفس الجزء ص ٢٧٣ وبالفصيح : هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي حاز التاج وملك الاسدين ونزاراً وملوكهم وهزم مذحج بقوته وجاء الى نزجى في حبيج نجران مدينة شمر وملك معداً وأنزل بنيه في ارض الشعوب (يريد قسمها بينهم كما يخمن الباحثون) ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه في القوة هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ كانون اول ليسعد الذي ولده . وهذا النقش مـــن النقوش الهامة عند الباحثين ايضاً من ناحية التاريخ واللغة . ويعرف بنقش النمارة لان الحجر الذي كتب عليه – وهوشاهدقبرامرىء القيس – وجد في النمارة في الحرة الشرقية من جبل الدروز .انظر ايضاً تاريخ اللغات السامية لولنفسون ص ١٨٩–١٩١ ويخمن كتابة النقش بسنة ٣٢٨ ب م .

(٢) هذا النقش يعرف بنقش زبد لانه وجد في خربة بهذا الاسم . ويخمن تاريخه بسنة ٥١١ ب م . وقد قرىء بصيغة اخرى وهي ينصر الاله شرحو برامت متفو وظي منفو وظي بر مر القس وشرحو بن سعدو وسترو وشريحو . واهم ما في النقش كلمة (الاله) وهي فصحى وبقيته اسماءوالعروبة الصريحةبادية عليها . انظر جواد علي ج ٧ ص ٢٧٩ وتاريخ اللغات السامية ص ١٩١

ث ـ انا شرحيل بن ظالمو بنيت ذا المرطول سنت ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعام [١] .

ج ـ لا لعزا الهت بصرا [٢] .

ح ـ دنه اربعنا دى عبد محلمو وعـــديو وحورو عل علت بشنت ترتيو لربال ملكا ملك نبطو [٣] .

خ ـ عل علت دوشرا اعرا اله مرنادى ببصرا [٤] .

د ـ بيت اسدو الها اله معينو سنت سبع لهدرنيس قيصر [٥]

ذ ـ دنه سجدا دى بنه وعبد ... [٦]

ر ـ ولعن ذو شرا كل من دى يقبر بقبر دنه [٧]

ز ـ متبركه قدم دشرا [٨]

س ـ مقبرة عبيشت برودو [٩]

ش ـ هلكت في الحجر وشنت ماه وشيتو وترين بيرح تموز ولعن مرى علما من يشنا القبرو دا ومن يفتحه حشى وولده ولعن من يغير دا على منحه [١٠] .

ض ـ أسماء عديدة أخرى في نقوش نبطيه :

حبو ، خلدو ، حنو ، حسنو ، لطفو ، ملمو ، روفو ، يحيو ، يطبو ، يملك ، يعلى ،

---

(١) هذا النقش ايضاً هام جداً لانه فصيح كل الفصاحة . ويعرف بنقش حران لانه وجد على حجر فوق باب كنيسة في حران في اللجا في المنطقة الشمالية من جبل الدروز . ومع النص العربي نص يوناني جاء فيه « أسس شرحيل بن ظالم سيد القبيلة مرطول مار يوحنا في سنة ٤٦٣ من الاندقطية الاولى والجملة الاخيرة تعبير زمني عن الرومان وتخمن سنة كتابته بسنة ٥٦٨ ب م انظر تاريخ اللـــغات السامية ايضاً ص ١٩٢

(٢) جواد علي ج ٧ ص ٢٨٤ وبالفصحى : للعزى الهة بصرى

(٣) ص ٢٨٤ وبالفصحى : هذا المربع (او المذبح) بناه محلم وعدي وحور في السنة الثانية لحكم رب ايل ملك ملوك النبط

(٤) ص ٢٨٥ وبالفصحى : على مذبح ذو الشرى اعرا الاله ربنا الذي ببصرى

(٥) ص ٢٨٥ وبالفصحى : بيت اسد الاله . اله معين . سنة سبع لهدريانوس قيصر .

(٦) ص ٢٨٥ وبالفصحى : هذا المجد بناه وعبده ...

(٧) ٢٨٧ وبالفصحى : ولعن ذو الشرى كل من يقبر بهذا القبر

(٨) ص ٢٨٧ وبالفصحى : باركه قدام ذي الشرى

(٩) ص ٢٨٨ وبالفصحى : قبر عيشت بن ود

(١٠) جواد علي ج ٧ ص ٢٩٦ وبالفصحى : هلكت في الحجر سنة مئة وستون واثنتين في شهر تموز ولعن رب العالمين من يشنأ (يعتدي) هذا القبر ومن يفتحه حاشا ولده . ولعن من يغير هذا على منحاه.

يعمرو ، تعمر ، ترغو ، نسبو ، أيجرو ، اكلبو ، اكبرو ، اخرسو ، أبرشو ، زبود ، خلود ، سعود ، غزلات ، ملكت ، ايفت ، حببت ، سو سنت ، مرات ، محميت ،امت‌لاه سعد ايل ، عبد عمنو ، عبد رب ال ، عبد عبادت ، عبد حرتت ، امت تيم ، ال روحو ، ال قصي ، ال سلم [1]

ض -- لرقوش برت عبد منوتو امه وهى هلكت في الحجر [2]
ط -- ذكرون طب لملكيت بر اوسو بر مغيرو هو نبه عل بعل شمين [3]
ظ -- هو اكتب كتبا دا [4]
ع -- دنه قبر ادى عبد اروس بر فرين لنفسه و لفرين ابية هفرقا ولقينو اتته [5]
غ -- دنه بنينا دي مرانا ملكو ملكا ملك نبط [6]
ف -- اخوته وولدهم لهم كلهم [7]
ق -- دنه مسندا دى قرب منعت بر جديو لدوشرا واعرا اه مرانا دى ببصرا بشنت ١١١×× لرب ال ملك ملكا نبطو دى احيى شيترت وعمه [8]
ك -- لعن دوشرا اله مرانا والهيا كلهم من دى ... [9]
ل -- دا تنشادى اب بر مقيمو بر مقيم ال دى بنه له ابوهى بيرح الول شنت الحرتت ملك نبطو[10]

---

(١) ص ٢٩٧-٣٠٥ والعروبة الصريحة بارزة بقوة بل واللهجة الفصحى بادية بقوة على الاسماء

(٢) ص ٣٠٦ وبالفصحى : لرقوش بنت عبد مناة امه وهي هلكت في الحجر (الراجح قبر بناه ابنها لها)

(٣) جواد علي ج ٧ ص ٣٠٧ وبالفصحى : طاب ذكر مليكة بن أوس بن مغير هو بعاه لاجل بعل السماوات (رب السماوات)

(٤) ص ٣٠٧ وبالفصحى : هو كتب الكتابة هذه

(٥) ص ٣٠٧ وبالفصحى : هذا القبر الذي صنعه اروس بن فرين لنفسه ولفرين ابيه ولتين اتاه (زوجته)

(٦) ص ٣٠٨ وبالفصحى : هذه البناية التي بناها سيدنا مالك ملك ملوك النبط

(٧) ٣٠٨

(٨)ص ٣٠٩ وبالفصحى : هذا المذبح الذي تقرب به منعة بن جدي الى ذي الشرى واعر االاهين . الهينا اللذين ببصرى . سنة ٢٣ لحكم الملك رب ايل . ملك النبط الذي احيا وانقذ شعبه(وعم تعني شعب)

(٩) ص ٣٠٩-٣١٠ وبالفصحى : ولعن ذو الشرى الاله ربنا والآلهة كلهم الذي ...

(١٠) ص ٣١٣ وبالفصحى : هذا القبر لاب بن مقيم بن مقيم ايل الذي بناه له ابوه في شهر أيلول من السنة الاولى للحارث ملك النبط

م ـ ل اله والو الها وبا منحبتا عل حي رب ال ملكا ملك نبطو دى احيى وشيزب عمه وعلهى جملت وهجرا اخيته ملكتنبطو برى ملكو ماكا ملك نبطو بر حرتت ملك نبطو رحم عمه وعل حي قشما بر شعيدت اخيته ملكت نبطو وعل حي.. ملكو بني رب ال وجملت وهجرا وفص ال ... اخيته ملكت نبطو وعل حي قشما برقشما بشنت ... رب ال ملك نبطو دى احيى وشيزب عمه [1]

ن ـ دا ربعتا دى عبد ... بر بدرو لاله [2]

ه ـ دنه محرمت مرا الملكي [3]

و ـ دنا حمنا عبد معيرو بن عقرب بت اسدو الها اله معينو في سنت سبع لهدريانس قيصر [4]

لا ـ دنه جدرا دى هو امى و كوايا دى بنه تيمو بر لدوشرا وشريت الهيا بصرا [5]

ي ـ دنه قبر ادى عبد عيدو بن كهيلو بن القسى لنفشه وبلده وآخره ولمن ذى ينتن ويقبر به عبدو يحيوهى يبرح نيسان شنت تشع طارتت ملك نبطو رحم عمه ولعنه ذو شرا ومنوتو وقيشه كل ذي يزبن كفرا دنه أو يزبن أو يرهن او نيتن او يوجر او يتألف علوهى كتب كله او يقبر انوش لهن لمن ذي علا كتب كفر دنه حرم كحليفة حرم نبطو

---

(١) جواد علي ج ٧ ص ٣٢٢-٣٢٣ وبالفصحى : للاله واثل اله منحبتا الكبير . لحياة رب ايل الملك . ملك ملوك النبط الذي احيا وأنقذ شعبه . ولحياة جميلة وهاجر اختيه ملكتي النبط ابنتي مالك ملك ملوك النبط ابن الرحارث ملك النبط الرحيم بشعبه . ولحياة قسمه بن سعيدة اخته ملكة النبط . ولحياة ... مالك ابناء رب ايل . وجميلة وهاجر وقصي ايل ... اخواته ملكات النبط ولحياة قسمه بن قسمه بسنة ... رب ايل ملك النبط الذي احيا وانقذ شعبه

(٢) ص ٣٢٤ وبالفصحى هذه ربعة عملها بن بدر الله

(٣) ص ٣٢٤ وبالفصحى : هذا حرم مالكنا .

(٤) تاريخ اللغات السامية ص ١٤٢ وبالفصحى : هذا هو مذبح النار الذي صنعه معبر بن عقرب بيت اسد الاله اله معين في السنة السابعة لهدیانوس قيصر .

(٥) نفس المصدر ص ١٤٢-١٤٣ وبالفصحى : هذا هو الجدار والنوافذ التي عمرها ابن تيم لذي الشرى وبقية آلهة بصرى . والكوة والكوى في الفصحى بمعنى النافذة والنوافذ . و (دي) بمعنى الذي تكون فصحى في بعض اللهجات العربية في عصر النبي عليه السلام باضافـــة نقطة على الدال . ومنه البيت الجاهلي المشهور :

وان البئر بئر ابي وجدي   وبئري ذو نشرت وذو طويت

وشلمو لعلم علمين ١

٣ – من النقوش التدمرية . وهي عائدة إلى الحقبة الممتدة من القرن الثاني قبل الميلاد الى القرن الخامس بعده . ومعظمها وجد في منطقة تدمر .

أ – بولا ودمس عبدو صفيا الن ترويهون لا عيلمى بر حيرن بن حيرن متا ولحيرن ابوهي رحيمي مديتهون ودحلى الهيا بد يلدى شفر ولهوت ولا لهون بكل مبو كله ليقرهون بيرح نيسن شنت ... ٢

ب – بولا ودمس اقيمو صلميا الف ترويهن دى يرحبولا بر عجا وعويدا بر حديدن بي يرحقولا برحديدن بر زبد بؤل بر حديدن فرميون دحلا الهيا ورحيا مديتهون ونحريو عندينهون شينا احرنا عبدو ترعيا الن شتيهن دى فليادى بيسلقا رتبادى بت بل مـــن كيسهيون بيرح ادر شنت ٣

ت – صلمت سبتميا بتزي نهيرتا وزدقنا ملكتا سبتميوا زبدا رب حيلا . ربا وزبي رب حيلا دي تدمور قرطسطو اقيم لمرتهون بيرح اب دي شنت ٤

ث – صلماد نه يوليس اورليس زبيدا بر مقيمو بر زبيدا عشتورا بيد ادي اقيم له

---

(١) العرب قبل الاسلام لزيدان ص ٨١ والعبارة بالفصحى : هذا هو القبر الذي بناه عبد عائد بن كهيل بن القسي لنفسه واولاده واعقابه ولمن يكون في يده كتاب منه يبيح له ولاي واحد يخوله في حياته ان يدفن فيه . في شهر نيسان للسنة التاسعة من ملك الحارث ملك الانباط محب شعبه ولعن ذو الشرى ومناة وقيس كل من يبيع هذه القبر او يشتريه او يرهنه او يهبه او يؤجره او ينقش عليه شيئاً آخر او يدفن فيه احداً الا الذين كتبت اسماؤهم اعلاه وان القبر وما كتب عليه حزم مقدس حسب القاعدة التي يدسها الانباط والسلاميون الى ابد الآبدين . ويزبن بمعنى يبيع ومنها زبون من الفصحى .

(٢) جواد علي ج ٧ ص ٣٣١ والعبارة بالفصحى : المجلس والشعب صنعا التمثالين هذين لاعيلمي بن حيران بن مقيم بن حيران متا ولحيران ابيه الرحيمين بمدينتهما والخائفين آلهتهما . وكانا قد احسنا لاهل المدينة واطاعا الآلهة في كل شيء . اقيم التمثالان في شهر نيسان سنة . . .

(٣) نفس المصدر ص ٣٣١ والعبارة بالفصحى : المجلس والشعب اقاما التمثالين هذين ليرحبول بن عجا وعويدا بن حديدان بن يرحبول بن حديدان بن زيد بول بن حديدان فرمون اللذين خشيا الآلهة واحبا مدينتهما وقدما هدايا كثيرة لها . وكذلك هذه الابواب الستة لمعبد بل الكبير من كيسهم الخاص . بشهر آذار سنة . . .

(١) جواد علي ج ٧ ص ٣٢٩ والعبارة بالفصحى هي : تمثال سبتميا (هـــذه الكلمة لقب روماني للتشريف) بت زبي الفاضلة والصديقة الملكة . سبتميا زبدا قائد الخيالة الاكبر . وزبي قائد الخيالة التي بتدمر القائدان . اقاماه لسيدتهما بشهر آب سنة . . .

تجرا بنو شيرتا دي نحت عمه لالجاشيا ليقره بديل دي شفر لهون بيرح شنت [1]

ج ــ لبريك شمه لعلما مرا كل طبا ورحمنا [2]

ح ــ لمرا عيلما طبا ورحمنا مودا معنى بر ملكوربا بر معنى راوما عل حيوهى وحيي بنيهى واخيهى بيرح شبط شنث ... [3]

خ ــ لارصو ولعزيزوا الهيا طبيا [4]

د ــ اله نصيبا عل عزا ومرابيتا عبد وهب الهي شـيرا [5]

ذ ــ ترتن علوتا الن عبد عبيدو برعمو بر سعد له نبطيا روحيا دي هوافرس بحيرتا وبمسريتاعنا لشيع القوم الها طبا وشـكرا [6]

ر ــ صلما دنه دي نسابر حلا بر نسابر حلابر رفال بر عبس له بني شـيرتا دي سلق عمه من فرت ومن الجشيا بديل دي سفر لهون بيرح نيس شـنت [7]

ز ــ اسماء أخرى في نقوش تدمرية :

طاعي بن يورينا ، قسما ، يورينا بن عجيلو بن يورينا ، نبولا بن وهب لاة ، حيرن بن

---

(١) ص ٣٣٣ والعبارة بالفصحى هي : هذا التمثال ليوليوس اورليوس زبيدا بن مقيم ابن زبيـدا عشتور بيدا الذي اقامه له التجار بنو القافلة التي اتجهت معه للجاشيا ليوقروه بديل ما احسن اليـهم بشهر نيسان سنة ...

(٢) ص ٣٣٤ وبالفصحى : لمن بورك اسمه الى الابد رب الكل الطيب الرحيم

(٣) ص ٣٣٥ وبالفصحى : لرب العالمين الطيب الرحيم شكر معنى بن مالك الاكبر بن معنى رؤوم لحيائه وحياة بنيه واخوته . شهر شباط سنة ...

(٤) جواد علي ج ٧ ص ٣٣٦ والعبارة بالفصحي هي : لارحو ولعزيز الالهين الطيبين

(٥) ص ٣٣٧ وبالفصحى : هذا نصب العزى ورب البيت صنعه عبد وهب الله قائد القافلة

(٦) ص ٣٣٧ وبالفصحى : هذا المذبحان الاثنان صنعها عبيد بن عم بن سعد الله النبطي الروحي الذي هو الفارس في معسكر الحيرة وفيسكنة عانة لشيع القوم الاله الطيب شكراً

(٧) ص ٣٣٨ هذا التمثال لنسا بن حلا بن نسا بن حلا بن رقال بن عبس اقامه للقائد شيرتا سلق عمه من الفرات ومن الجشيا بديل سفره اليها بشهر نيسان سنة ...

ويلحظ ان كلمة صلما تعني التمثال والصنم وردت في النقوش اليمنية والنبطية والثمودية واللحيانية ...

شمشاس ، عوجا بن يورينا ، مقيمو بن طاعي [1]

٥ – نقش قرىء على حجر فوق باب دير في الحيرة : بنت هذه البيعة هنـــد بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وأم الملك عمرو بن المنذر امة المسيح وام عبده وبنت عبدو في ملك ملك الاملاك خسرو انو شروان وفي زمن مارافرايم الاسقف فالاله الذي بنت له هذا الدير يغفر لها خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها . ويقبل بها وبقومها الى أمانة الحق ويكون معها ومع ولدها ابد الدهر الداهر [2]

---

(١) العرب قبل الاسلام لزيدان الطبعة القديمة ص ٢٠٠ والطبعة الحديثة ص ٢٥٥ . ويخمن تاريخ هذا النقش باواخر القرن السادس بعد ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بعثته ، وهو فصيح مئه بالمئة .

(٢) مجلة الحوليات السورية المجلد الثاني لسنة ١٩٥٢

الاكتفاء بالنقوش دون المرويات

ومع أن كتب الادب والتاريخ والمعاجم العربية القديمة قد احتوت نصوصا كثيرة جداً منثورة ومنظومة معزوة إلى أناس عاشوا قبل البعثة في شمال الجزيرة وجنوبها وغربها وشرقها وفي بلاد الشام والعراق والبادية كما احتوت أسماء كثيرة جداً من تلك الحقبة لأشخاص وأماكن وسدود وقصور وأصنام وملوك وأمراء وشعراء وزعماء وقبائل فاننا لم نر أن نورد منها نماذج لأن منها ما هو عائد إلى زمن متقدم بعدة قرون وباللغة الفصحى في حين ان هذه اللغة لم تصل الى طورها الفصيح النهائي إلا قبل البعثة بمئة وخمسين سنة تقريباً. ومع اننا نعلم يقيناً أن هناك شعراً جاهلياً باللغة الفصحى منسوباً إلى شعراء عاشوا في القرنين السابقين للبعثة يصح أن يورد كنص من نصوص اللغة الفصحى فإن هذا الشعر اختلط بما صنع بعد الاسلام ونسب إلى ما قبله لأسباب متنوعة. فجعلنا هذا نتحرز كذلك من ايراد نماذج منه ونفضل حصر النصوص في النقوش لأنها وثائق لا تتحمل شكاً.

تعليق على نصوص النقوش التي أوردناها

فهذه النصوص النقشية العائدة إلى قرون متتالية أولها أوائل الالف الأول قبل الميلاد وآخرها القرن السادس بعده أي قبيل البعثة النبوية تمثل دون ريب مراحل التطور التي تقلبت فيها اللغة العربية الصريحة في جزيرة العرب وخارجها خلال هذه المدة. وقد اكتفينا بنماذج النصوص التي لا شك في كون أصحابها عرباً صرحاء ولغتها عربية صريحة ولم ندخل معها نصوصاً يقينية الوجود من عبرانية وآرامية وآشورية وكنعانية ومصرية، لأن هذه النصوص وإن كانت عربية قديمة فان عليها طابع الشخصية الخاصة قليلا أو كثيراً يجعلها خارج طور الشخصية العربية الصريحة.

ولقد سلكنا النصوص التدمرية والنبطية في السلسلة ونحن نعرف أن بعض الباحثين يحسبونها من اللغة الآرامية. غير أننا فعلنا ذلك لأن ملامح العروبة الصريحة على هذه

النصوص قوية في المفردات والاسماء والتراكيب والضمائر والأفعال ، ولأن بينهـــا وبين النصوص الأخرى العائدة إلى نفس ظروفها والى ما قبلها والتي لا يتحفظ البـــاحثون في اعتبارها صريحة العروبة كالنصوص الاحيانية والثمودية والصفوية كثيراً من التشابه بل وان بينها وبين النصوص السبئية والمعينية والقتبانية والحضرموتية العائدة الى القرون السابقة قليلا عن الميلاد المسيحي كثيراً من التشابه . على ان هناك باحثين عديدين قرروا غلبة العروبة الصريحة على النقوش التدمرية والنبطية ولم يعتبروها آرامية [١] . ومما قالوه ان سكان البلاد الشامية التي منها تدمر وبلاد الانباط في شرق الأردن وحوران ومداين صالح وان كانوا آراميين وكنعانيين فالمرجح أن موجات صريحة العروبة قـــد أخذت تتسرب الى هذه البلاد من جزيرة العرب منذ القرن السادس قبل الميلاد وتفرض نفسها عليها فتغلبت اللغة الصريحة على لغتها القديمة أو امتزجت بها بمقياس واسع فضلًا عن أن حكام البلاد أصبحوا منها على ما تدل عليه أسماؤهم مثل عبادة ومالك وحـــارثة وأذينة وحيران ووهب اللاة ورب ايل او ربيال وخلدة وجميلة وقسمة وهاجر الخ الخ

والمدقق في نصوص جنوب جزيرة العرب وشمالها وخارجها يجد تقارباً وتشابهاً في المفردات والصيغ والاسماء والمعبودات والعادات بحيث يزول ما قد يكون قائماً في ذهنه من تغاير شديد بين لغة جنوب الجزيرة وشمالها ثم بين لغة سـكان الجزيرة والذين خرجوا منها وانتشروا في بلاد الشام والعراق في هذه الحقبة ، ويلمس الاطوار النهائية القريبة من الفصحى التي أخذت لغة الجنوب والشمال والشام والعراق تسير فيها متوازية حتى بلغت طورها النهائي .

---

(١) انظر جواد علي ج ٧ ص ٢٧٥–٢٨٣ و ٣٢٦–٣٢٩

شمول اسم العرب لجميع العرب

وغدو اللغة الفصحى لغة جميع العرب

قبل الاسلام ومؤيدات ذلك

وإذا لاحظنا التقارب أو بالأحرى التطابق بين لغة نقش حران ودير الحيرة وبين اللغة الفصحى التي يمثلها القرآن بدا لنا ان التطور قد بلغ في المهاجر العربية (خارج الجزيرة) غايته قبل الاسلام . ولا شك في ان هذا كان الواقع في الجزيرة وشمالها وجنوبها وشرقها وغربها . وهذا مؤيد بقوة وحسم بالقرآن نصاً ودلالة وبوقائع السيرة النبوية المتواترة التي لا خلاف في جوهرها .

وهذا التأييد يشمل كون اسم العرب واسم اللسان العربي للغة العرب قد غدا مستقراً في أذهان العرب وغير العرب وشاملا لجميع العرب في الجزيرة وخارجها . وكون اللغة الفصحى التي نزل بها القرآن قد غدت لغة جميع العرب في الجزيرة وخارجها كذلك .

وتوضيحاً لذلك نقول : اولا – ان القرآن بالاضافة الى وصفه العرب بأمة وقوم ونسبتها الى النبي عليه السلام كما ترى في الآيات التالية :

١ – وكذب به قومك وهو الحق .. الأنعام ٦٩

٢ – وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً .. البقرة ١٤٣

فانه احتوى معنى تمييزياً بين العرب عامة وغيرهم حيث اطلق على غيرهم تعبير « الأعجمي » كما ترى في الآيات التالية :

١ – ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين .. النحل ١٠٣

٢ – ولو نزلناه على بعض الاعجميين . فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين .. الشعراء ١٩٨–١٩٩

مما لا يحتمل مراء في دلالته على صحة ما نقرره. لأن هذا الاطلاق لا يمكن ان يكون إلا ترديدا لما هو قائم في الأذهان عامة قبل نزول القرآن من كون العرب جميعهم أمة متميزة ، ومن كونهم وكون غيرهم يعرف ذلك سواء من كان منهم في مختلف أنحاء الجزيرة أم في المهاجر العربية .

وبالنسبة لوحدة اللغة العربية وشمولها نقول إن القرآن قرر ان الله أنزله عربياً بلسان النبي ليفهمه قوم النبي ويعقلوه كما ترى في الآيات التالية :

١ ـ انا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون .. يوسف ٢

٢ ـ نزل به الروح الأمين • على قلبك لتكون من المنذرين • بلسان عربي مبين .•
الشعراء ١٩٣ ـ ١٩٥

٣ ـ فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون .. الدخان ٥٨

وانه نبه على انه لم ينزل أعجمياً ائلا يتحجج قوم النبي بعدم فهمه كما ترى في الآيات التالية .

١ ـ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون . ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين . أو تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة .. [1]
الانعام ١٥٥ ـ ١٥٧

٢ ـ ولو جعلناه قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أو عجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء [2] .. سورة فصلت ٤٤

فهذا الجزم القرآني في اعتبار وتسمية اللغات غير العربية « أعجمية » يؤيد ان اللسان الذي كان يتكلم به العرب هو واحد غير متعدد اجمالا . وهو لغة القرآن الذي وصف بأنه نزل بلسان عربي مبين .

---

(١) بمعنى انا انزلناه بلسانكم لئلا تقولوا ان كتب الله الاولى نزلت بغير لغتنا ولا نعرفها ولو انزل كتاب بلغتنا لكنا اهدى من اهل تلك الكتب

(٢) بمعنى لو انزلناه بلغة غير عربية كالكتب المنزلة الاولى لقالوا كان يجب ان يكون مفصلا بالعربية

وبما روي من أنه كان لبعض القبائل بعض التعابير والاستعمالات والحروف واللهجة المغايرة بعض الشيء للغة القرآنية ليس من شأنه أن ينقض ما نقول أو يقف دليلا على وجود تغاير في لغة العرب في عصر النبي عليه السلام وقبله بقليل يمكن أن يحتمل معنى تغاير جوهري أو يحتمل تعبير لغات متباينة كما نفهمه من تباين اللغتين العربية والسريانية اللتين هما شقيقتان في الأصل أو مايقرب من ذلك . واننا نسوغ لأنفسنا أن نقرر ان كل كلمة جاءت في القرآن وكل معنى ورد فيه لكل كلمة وكل تعبير استعمل فيه حقيقي أم مجازي وديني أم اجتماعي وتاريخي أم اقتصادي أم معاشي كان العرب يفهمونه ويستعملونه قبل نزول القرآن من حيث الاجمال . وانه لا يعقل ان تكون فيه كلمات أو تعابير لم ينطق بها العرب أو لم يستعملوها قبل نزوله بقطع النظر عن السعة والضيق بعد تلك النصوص القرآنية القاطعة ولا سيما بعد تعبير « أعجمي » لغير اللسان العربي مقابل « عربي » للدلالة على اللغة العربية ، وكذلك بعد الشواهد التي أوردناها .

وما نقل عن بعض علماء اللغة القدماء من أن العرب لم يعرفوا أو لم يستعملوا كلمة فاسق أو كلمة النفاق أو غيرهما من كلمات قرآنية لا يمكن أن يعقل ولا يمكن أن يصدق. ويكفي ان نعرف ان كلمة الفسق ومشتقاتها قد وردت في نحو خمس وخمسين آية وكلمة النفاق ومشتقاتها قد وردت في نحو ثلاثين آية لنعرف تفاهة مثل هذه الاقوال . يضاف الى هذا كله طبيعة مهمة النبي التي هي مخاطبة مختلف طبقات الناس والقبائل وتلاوة القرآن عليها مما لا يمكن أن يتسق مع عقل ومنطق وحكمة أن يكون مايتلوه عليهم وهو دعامة نبوته ومعجزتها الكبرى بغير اللغة التي يفهمونها بتراكيبها ومفرداتها بل ولا في مستوى أعلى كثيراً من مستوى افهام المتوسطين منهم .

ونقول هذه الكلمة الأخيرة تفنيداً لما قاله بعض القدماء من أن لغة القرآن كانت أعلى من مستوى الافهام ، ولما قاله بعض المحدثين من المستشرقين وغير المسلمين خاصة من ان الذين آمنوا انما آمنوا لفصاحة القرآن اللغوية وسمو طبقته حيث كانت هذه الصفات فيه مما تبهر سامعيه . ونذكّر الذين قالوا هذا بأن من المؤمنين الاولين في مكة من قد آمن بالنبي على اثر الدعوة وقبل ان تعد الآيات والسور الصغيرة النازلة على الأصابع وان جلهم آمن قبل منتصف العهد المكي وان القرآن يذكر ان الكتابيين الذين آمنوا بالقرآن والنبي انما آمنوا لما فيه من الحق والروحانية كما ترى في الآيات التالية .

١ ـ وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله

لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلا ..

آل عمران ١٩٩

٢ ـ واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ..

المائدة ٨٣

٣ ـ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا تلي عليهم يخرون للاذقان سجداً . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ..

الاسراء ١٠٧ – ١٠٨

٤ ـ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين ..

القصص ٥٢ – ٥٣

ولقد ظلت اكثرية المكيين الساحقة ثم اكثرية الحجازيين الساحقة ثم أكثرية العرب الساحقة جاحدة طيلة العهد المكي وأكثر العهد المدني ؛ وقد سابخ النبي ثلاثة عشر عاماً في مكة يتلو القرآن على اهلها وعلى العرب واسلوب القرآن المكي خاصة شديد الروعة مما ينقض مثل هذا القول ويبرز ما فيه من وهن .

وواضح ان ما نقوله ليس فيه ما يقلل من سمو طبقة لغة القرآن وفصاحته وبلاغته الرائعة النافذة التي لا يمكن ان تتحمل كلاماً ولا ريباً كما انه لا يمنع ان يكون في القرآن مفردات غير عربية او غير قرشية اللهجة ، بل نحن نعتقد بوجود ذلك ، غير ان مما لا نشك في كونه الحق هو ان الكلمات غير العربية قد عربت واصبحت جزءاً من اللغة العربية قبل الاسلام ، وان الكلمات او اللهجات غير القرشية قد دخلت في اللغة القرشية التي اصبحت لغة القرآن قبل الاسلام ايضاً .

وليس من شأن هذا وذاك ان يمتنع على السامعين من غير قريش تذوق وفهم المفردات التي من هذا القبيل أومدلولاتها اجمالا او تفصيلا . وهـذا مع التسليم كذلك باحتمال وجود طبقات من العرب في كل بيئة في عصر النبي حتى من القرشيين انفسهم لم تكن مداركها تصل الى فهم جميع معاني القرآن او لم تكن تستعمل او لم تكن تسمع بجميع

الفاظ وتعابير وتراكيب القرآن ، وباحتمال وجود فئات من العرب وخاصة من سكان المناطق البعيدة عن الحجاز كانت تتكلم بلهجات غير لهجة القرآن او تستعمل تعابير والفاظاً ومصطلحات ليست من تعابير والفاظ ومصطلحات القرآن مما هو طبيعي ومتسق مع بدائة الأمور وليس مما يتناقض مع مدى وجوهر ما قررناه ايضاً .

ولقد اثر عن أبي عمرو بن العلاء احد علماء اللغة العربية القدماء ورواتها قول جاء فيه « ما لغة حمير بلغتنا » وتمسك الدكتور طه حسين [١] بهذا القول حين اراد التدليل على اختلاف الشعر العربي الفصيح المنسوب الى القحطانيين واورد بالإضافة اليه بسبيل البرهنة على الفرق بين اللغة الحميرية واللغة الفصحى نصاً حميرياً مروياً عن الاستاذ جويدي هذا هو: « وهم وانخهو بنو كلبت هقينو ال مقه ذهرن ذن مزندن حجن ومهتهو بمسألهو لوفيهمو وسعدهمو نعمتم »

ومع ان دعوى الدكتور الاصلية بأن الشعر العربي الفصيح المنسوب الى قحطانيين مفروض وجودهم في عهد متقدم بعدة قرون عن البعثة صحيحة اي ان الشعر مخترع [٢] فان هذا وامثاله مما اوردنا نماذج عديدة منه انما كان يمثل طوراً من اطوار اللغة العربية قبل ان تصل الى طور فصاحتها القرآنية وليس من شأنه ان ينقض ماقررناه آنفاً كذلك . ولا سيما ان المأثور الموثوق من الأسماء والأعلام الجنوبية في الحقبة التي سبقت البعثة الى مئة سنة في صيغة العربية الفصحى ؛ ولأن اندماج القحطانيين بالعدنانيين ابان حياة النبي بالسهولة واليسر التامين وما كان بينهم من تفاهم لغوي وطيد وتام هو من الحقائق التاريخية التي لا يصح المماراة فيها . وقول ابي عمرو المذكور يحمل على وجهين فاما انه كان بقصد التنبيه على ما يمكن ان يكون راهناً من بعض فروق اداتية ولفظية بين لغة اهل الجنوب واهل الشمال ابان البعثة النبوية وبعدها مثل ما هو مروي من حديث «ليس

---

(١) من الجدير بالتنبيه ان هذا ينسحب على الشعر العربي الفصيح المنسوب الى حجازيين ونجديين (عدنانيين) مفروض وجودهم في عهد متقدم بعدة قرون عن البعثة ايضاً بحيث يسوغ الجزم بأنه مخترع فان لغة الشمال كانت في هذه الآونة تمر في نفس الدور الذي كانت تمر فيه لغة الجنوب فضلاً عن لغة سكان بلاد الشام والعراق من العرب الصرحاء . والدليل على ذلك لغة النقوش اللحيانية والثمودية التي هي لغة شمالية بالاضافة الى النقوش النبطية والتدمرية والصفوية . وفي لغة نقش حجر قبر امرىء القيس الملك اللخمي دليل قوي وقد كتب في سنة ٣٢٨ ب م وذكرت فيه قبائل عربية شمالية .

من امبر صيام في امسفر» بدلا من « ليس من البر صيام في السفر [١] » واما انه كان اطلع على نصوص حميرية قديمة ووهم ان اللغة العربية الفصحى كانت قائمة متوطدة حينما كانت هذه النصوص تمثل اللغة الحميرية وهو الوهم الذي يخطر ببالنا ان الدكتور طه حسين قد وقع فيه حينما اورد نص الأستاذ جويدي للتدليل على الفرق بين لغتي الشمال والجنوب . ومن الجدير بالتنبيه ان كثيراً مـــن الأعلام والاسماء والمفردات التي قرئت في النقوش السبئية والحميرية واللحيانية والثمودية والصفوية والتدمرية والنبطية والعائدة بخاصة إلى قبيل البعثة النبوية تتماثل مع المعروف المتواتر من لغة قريش التي نزل القرآن بها على ماهو ملموح في النماذج التي اوردناها .

ولقد روي كثير من كلام العرب الجاهليين ومساجلاتهم وخطبهم وأمثالهم منهـــا المنظوم ومنها المنثور ومنها ما هو منسوب إلى جماعات من الحجاز ونجد في المدن والبوادي ومنها ما هو منسوب الى جماعات كانت تعيش في اليمن والشام والعراق في عهـــد دول الحميريين والغسانيين واللخميين والكنديين وفي حياة النبي عليه السلام قبل البعثة كما رويت أسماء أعلام وأشخاص كثيرة جداً كانوا يعيشون في جميع هذه الانحاء قبل البعثة ومنهم من كان يعيش في حياة النبي عليه السلام مما هو مثبوت في كتب التاريخ والأدب واللـــغة والتراجم القديمة العديدة كالأغـــاني ولسان العرب والقاموس ومعجم البلدان والكامل والبيان والتبيين والأمثال والأمالي والعقد الفريد وتاريخ الطبري وتاريخ اليعقوبي وطبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام وأسد الغابة ودواوين الشعراء ومختاراتها وكتب الحديث الخ الخ جاءت بلغة فصحى مماثلة للغة القرآنية في مفرداتها وصرفها ونحوها وسبكها ونظمها ومجازها وبديعها وبيانها والأسماء التي كان يتسمى بها الصدر الاسلامي الاول . ومهما كان في ذلك منحول ومصنوع فان فيه على كل حال وباعتراف أشد المتزمتين في ذلك شيئاً غير قليل يعود إلى

---

(١) مما جاء في الجزء الاول من لسان العرب لابن منظور ان النبي عليه السلام قال لبعض اهل اليمن وقد اتوا بأسير يرعد من البرد خذوه فأدفئوه فأخذوه فقتلوه لأن الادفاء عندهم القتل مع انه كان يريد ان يقول ادفئوه من التدفئة لانه كان يرعد من البرد ولا يمكن ان يأمر بقتله لان ذلك مخالف لنص القرآن « حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق . فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها . سورة محمد » ففي هذا صورة من صور ما يحتمل ان يكون بين لغات القبائل القحطانية والعدنانية في دور العروبة الصريحة وفي نطاق اللغة الفصحى . ومثل هذه الصورة يوجد بين القبائل العدنانية نفسها وفي كل زمان ومكان ولا تعد يمانية في معنى ان لغه بلد او قبيلة ما غير لغة بلد او قبيلة اخرى بطبيعه الحال .

ما قبل البعثة .

وفي معجم البلدان لياقوت أسماء آلاف القرى والمدن والمواقع والأعلام التي كانت موجودة قبل البعثة النبوية في مختلف أنحاء اليمن والحجاز ونجد واليمامة والبحرين وعمان والعراق والشام بصيغة عربية فصحى وبينها تماثل وتشابه كبيران على ما بين الانحاء من تباعد وفي هذا وذاك أدلة لا تدحض على شمول اللهجة الفصحى لأهل الجزيرة وخارجها قبل البعثة .

ولقد حكى القرآن كلام العرب في سياق الحجاج اللجاج أو في سياق الاستفسارات والاسئلة التي حكاها فجاء مندمجاً مع اللغة القرآنية كل الاندماج مثل حكاية قول بعضهم « واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين . واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » (سورة الأنفال ٣١ – ٣٢) ومثل حكاية قول بعضهم من منافقي يثرب « هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون . يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » سورة المنافقون(٧–٨). ومثل قول بعضهم « ان هذا الا سحر يؤثر . ان هذا الا قول البشر » (سورة المدثر ٢٤ – ٢٥)[١]

ومن المتواتر الذي بلغ حد اليقين :

أولا : ان النبي عليه السلام كان يتصل بمختلف الطبقات والشخصيات المكية ثم بمختلف الطبقات والشخصيات والقبائل التي كانت تفد على مكة في موسم الحج وأسواقه ويتحدث اليهم ويتلو عليهم القرآن ويتفاهم معهم بلغته التي هي لغة القرآن ، وان مواسم الحج وأسواقه لم تكن قاصرة على اهل الحجاز وخاصة قبيل البعثة بل كان يفد اليها العرب من أنحاء عديدة من غير الحجاز أيضاً أي من نجد واليمن وأطراف العراق والشام .

---

(١) في القرآن المكي والمدني آيات كثيرة فيها حكاية قول الكفار والمنافقين والمبطين من مثل ذلك ولهذا رأينا ان نكتفي بالامثلة الثلاثة .

وثانياً : ان وفوداً كثيرة وفدت على النبي عليه السلام مـــن اليمن ونجد والاحساء والبحرين والعراق والشام وفلسطين وحضرموت اسماء رجالها وقبائلهم عربية فصحى وان النبي كان يتلو عليهم القرآن ويتخاطب معهم هو واصحابه الحجازيون المهاجرون والانصار بلغتهم التي هي لغة القرآن وانه كان يرسل معهم قراء مـــن كبار صحابته الحجازيين ليعلموهم القرآن ويفقهوهم في الدين ويتولوا امر القضاء بينهم وجباية الزكاة منهم ، وان النبي كان يكتب لهم الرقاع والعهود والوصايا والتشريعات بلغته [1] . ولم ترد روايـــة ما تفيد انه كان تراجمة بينهم وبين النبي واصحابه وان هذا ينطبق على أهل اليمن الذين قيل ان لغتهم غير لغة الحجاز ، حيث يؤيد كل هذا دعوى وحـــدة اللغة العربية لجميع العرب في مختلف أنحاء الجزيرة ومهاجرها قبل الاسلام اجمالا كما قررنا قبل .

---

(١) في طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام وكتب الحديث وتاريخ الطبري مؤيدات كثيرة متنوعة . انظر مثلا الجزء الثاني من طبقات ابن سعد مطبعة لجنة الثقافة الاسلامية ص ٢٤-١٢١ وسيرة ابن هشام مطبعة حجازي ج ٤ ص ٢٣٢-٢٧٢

تخمين الوقت الذي غدا اسم العرب ولغة العرب شاملين

وليس من السهل تحديد الوقت الذي أصبح اسم العرب فيه عـــاماً مشتركاً للجنس العربي ولا الوقت الذي اصبحت فيه اللغة الفصحى لغة عـــامة ومشتركة لجميع العرب في الجزيرة وخارجها . ولا شك في ان ذلك قد تم نتيجة تطورات استغرقت امداً غير قصير وتأثرت بعوامل واسباب متنوعة من العسير تحديدها أيضاً .

والمتبادر ان تكون تسمية « العرب » الشاملة قد توطدت قبل توطد اللغة الفصحى كلغة مشتركة لجميع العرب بمدة طويلة . وان تكون اطلقت اولا على القبائل المنساحة من الجزيرة الى تخومها بمعنى البدو ثم صارت لها علماً ثم اخذت دائرة اطلاقها تتسع وتتردد بين القبائل التي ظلت في الجزيرة والتي كانت وثيقة الصلة بالقبائل المنساحة حتى عمت . ولقد تعرضت هذه القبائل لحملات ملوك آشور في القرن التاسع قبل الميلاد وبعده على ما ألمعنا اليه في مطلع هذا الفصل وشرحناه في الجزء الثالث من الكتاب ، فلعل هذه الحملات كانت تؤدي احيانا الى ارتداد القبائل الى داخل الجزيرة تحمل التسمية الجديدة وتنشرها في انحاء الجزيرة المختلفة فكان ذلك من أسباب التعميم . وقد يكون من السائغ أن يقال ان هذه التسمية غدت موطدة بعد الميلاد المسيحي ببضعة قرون قدرها فيليب حتي في الجزء الاول من كتابه تاريخ العرب بثلاثة قرون بعد ان كانت تطلق على بعض اجزاء الجزيرة وتخومها وقبائلها وملوكها قبل ذلك بعدة قرون . ولقد ورد في نقش حجر قبر امرىء القيس الذي أوردنا نصه في نبذة النقوش النبطية جملة « ملك العرب كلهم » وهذا النقش كتب كما قلنا في سنة ٣٢٨ ب م حيث يسوغ هذا القول ان كلمة العرب كانت معروفة وتطلق على العرب الصرحاء في هذا الوقت ممتداً الى ما قبله بأمد ما .

وتأخر توطد اللغة القرآنية الفصحى كلغة مشتركة لجميع العرب اجمالا عـــن توطد التسمية طبيعي . لأنه لا يمكن ان يكون الا بعد توطد مفهوم الوحدة الجنسية والاسم القومي وشمولهما من جهة وبعد تطورات في صلات العرب ببعضهم لايمكن ان تتم الا بعد توطد وشمول ذلك المفهوم والاسم من جهة اخرى .

ولقد قرر غير واحد من علماء العرب وغير العرب انه كان للحج وتقاليده واسواقه

اثر كبير في ذلك بعد أن غدا شاملا لجميع العرب . والذي يتبادر لنا ان هذا الشمول قد تم على مراحل . فكان الحج في بدء أمره لاهل الحجاز ثم اتسع نطاقه حتى أخذ يشمل سكان جنوب الجزيرة من جهة وسكان أطراف الجزيرة وخارجها من جهة ثانية . ولعل ما كان من غزوة الحبش لليمن ومحاولة غزوهم للحجاز وما كان من سيطرة الروم على بلاد الشام ومصر والفرس على بلاد العراق وما كان يقع بين الغساسنة واللخميين ملوك العرب في الشام والعراق من حروب تبعاً لما كان يقع من مثل ذلك بين الروم [١] والفرس كان ذا أثر في ذلك حيث جعل العرب خارج الحجاز يشتد اتجاههم الى الحجاز الذي لم يكن خاضعاً لسيادة أجنبية ما .

ولقد كان للاشهر العربية (القمرية) أسماء قديمة فغيرت بأسماء جديدة منها ما يدل على بعض المواسم وآثارها مثل ربيع الاول وربيع الثاني وجمادى الاول وجمادى الثاني ورمضان وشوال ومنها أسمـــاء خاصة بالحج وأشهره الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ونرجح ان لهذا التغيير صلة بذلك الاتساع من جهة وبالهدنة المقدسة في أشهر الحج من جهة حتى يتسنى للعرب أن يشهدوا موسم الحج الكبير في مكة من كل ناحية من انحاء الجزيرة وخارجها ثم يعودوا وهم في طمأنينة وأمان في ظـــل تلك الهدنـــة المقدسة [٢] .

واذا صح ما نفرضه ونرجو أن يكون صحيحاً فيكون توطد اللغة القرآنية كلغة عامة اجمالا قد تم كذلك على نفس هذه المراحل . ونحن نقدر انه قد بلغ ذروته قبل البعثة النبوية بنحو مئة أو مئة وخمسين سنة ، وصيغة أسماء الاشهر القمرية المتواترة عما قبـــل البعثة تدل على ان تغييرها وقع في طور توطد اللغة الفصحى . وهذا لا يمنع أن تكون هذه اللغة قد اخذت تتوطد في الحجاز ثم في شمال الجزيرة قبل ذلك وبالتالي قبل توطدها في جنوب الجزيرة وأطرافها وخارجها بطبيعة الحال ، بل نكاد نجزم انهذا هو الذي وقع.

والصحيح من الشعر الجاهلي هو شعر شمالي على الاغلب وأصحابه المعروفون يقيناً من أبناء القرنين السابقين للبعثة النبوية . واللغة القرآنية في أصلها هي لغة قريش والحجاز

---

(١)سيأتي خبر غزوة الاحباش وتاريخ الغساسنة واللخميين في فصول آتية

(٢) اقرأ كتابنا عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة من ١٨١–٢١٤ وانظر ما ذكره الالوسي في الجزء الثالث من كتابه بلوغ الارب في احوال العرب ص ٧٦–٨٠ من اسماء الاشهر القديمة واسباب تبديلها .

وهي التي غدت اللغة العامة . وقد يكون في كل هذا دليل على ما نقول

وإذا ما دققنا النظر في النقوش الشمالية والجنوبية والنبطية والتدمرية والصفوية العائدة الى القرن الخامس الميلادي على الاقل ثم في اللغة الفصحى التي لم يصل الينا شيء مكتوب ومحفوظ ومسهب منها الا القرآن الكريم وما يمكن أن يكون صحيحاً من الشعر الجاهلي بدا لنا في التطور الذي تم خلال قرنين أو أقــل معجزة فريدة عظيمة تثير اشد الدهشة والاعجاب مما وصلت اليه اللغة الفصحى من طور يصح ان يعد من أرقى الاطوار التي يمكن ان تبلغ اليها لغة بشرية من حيث قوة البيان وروعة الاسلوب وبلاغة التعبير ونفوذ المعنى ودقة الاداء وقوة الخيال ونصاعة الحجة وسعة المتناول وغزارة المادة وتنوع الفنون والاساليب والضوابط والقواعد والاشتقاق والتعريب وصيغ الافعال والاسماء والصفات، وهذا فضلا عما تدل عليه في الوقت ذاته على مبلغ ما وصل اليه المتكلمون بها ابان هــذا التطور من قوة العقل وصفاء الذهن وسعة الخيال ورقي الذوق الفني . ولقد كان من بركة القرآن المجيد وقدسيته ان حفظ للعرب بل للانسانية هذه اللغة العظيمة أبد الدهر وأن حفظ للعرب في الوقت نفسه أبد الدهر كذلك وحدتهم ومناعتهم ضد التباعد والتعدد اللذين صار اليهما من قبلهم من جنسهم قليلا أو كثيراً .

الفصل الثاني

تاريخ الجنس العربي في جنوب جزيرة العرب

في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام

١ ـ مملكة سبأ وذي ريدان

٢ – مملكة سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت أو المملكة الحميرية

الممالك الصريحة العروبة في جنوب الجزيرة

في هذا الدور

قد يكون من الحق أن يقال إن دور العروبة الصريحة في جنوب جزيرة العرب قد بدأ في عهد مملكة سبأ على ما تدل عليه النقوش التي أوردنا بعض نماذجها في الفصل الأول من هذا الجزء وعلى ما شرحناه في الجزء الأول من الكتاب . غير أن هـــذه الدولة التي امتدت إلى الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد نشأت في وقت يعد سابقاً من بعض الوجوه على ذلك الدور ، فلم يكن بد من تدوين تاريخها في سلسلة واحدة مع تاريخ ماقبل العروبة الصريحة . وهو ما فعلناه في الجزء الاول . أما ما قام بعد هذه المملكة فانه كان في بورة العروبة الصريحة التي أخذت تقوى وتتسع قبيل الميلاد المسيحي إلى أن بلغت ذروتها قبيل البعثة المحمدية .

ولقد قام بعد مملكة سبأ مملكتان رئيسيتان واحدة بعد أخرى متميزتان بالاسم بعض الشيء وغير منقطعتين عن بعضها في الوقت نفسه وهما مملكة سبأ وريدان التي امتد حكمها من نحو سنة ١٢٥ ق م إلى نحو سنة ٢٧٥ ب م ثم مملكة سبأ وريدان وحضرموت ويمنت التي امتد حكمها إلى الثلث الأول من القرن السادس بعد الميلاد .

مملكة سبأ وذو ريدان

لقد عثر على نقوش كثيرة تعود الى عهد هذه المملكة و قرىء عليها اسم عـــدد غير يسير من الملوك كانوا يتلقبون بنعت « ملك سبأ وذو ريدان » كما عرف منها انهم كانوا ينتسبون إلى أرومات وقبائل مختلفة . وانه كان أحياناً يقوم في منطقتين ملوك يتلقبون بنفس اللقب في وقت واحد مما فيه دلالة على أن بعض ملوك هذه المملكة لم يكونوا دائماً أصحاب سلطان شامل في جنوب الجزيرة .

وقد نبه الأثريون وجواد علي الذي ناقش دراساتهم [1] كذلك الى ان من المحتمل ان

---

(١) انظر الجزء الثاني من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ص ٢١٢ وما بعدها

يكون بعض الذين تلقبوا باللقب لم يمارسوا سلطاناً ما ، منهم من كانوا يتلقبون بـــه في حياة آبائهم الذين كانوا يمارسون السلطان حسب العادة ثم تحول الحوائل دون ممارستهم السلطان اما بالموت أو بتغلب غيرهم على العرش ، والى هذا فهناك أشخاص عديدون قرىء في النقوش نعتهم بنعت الملك دون زيادة ومن المحتمل أن لا يكونوا أصحاب اللقب الكامل أو أن يكونوا متمردين أو امراء وحكامـــاً في منـــاطقهم فوصفوا بالنقوش بوصف الملك دون ممارسة سلطان كامل .

ومما نبه اليه جواد علي والأثريون كذلك أن معظم النقوش مثلومـــة أو مشوهة أو قاصرة ، وان هذه الفترة من تاريخ جنوب الجزيرة من أشد فترات تاريخها القديم تشوشاً وأكثرها ثغرات وانه ليس في الامكان ترتيب الملوك ترتيباً صحيحاً لا من جهة ممارسة السلطان ولا من جهة مناطق الحكم وشموله ولا من جهة الامر ولا من جهة تاريخ الحكم وان بعض الاثريين اضطروا الى ترتيب الملوك ترتيباً هجائـــياً ، وان النقوش لا تحتوي أشياء كثيرة هامة من أخبار نشاط ملوك هذه الحقبه ، وان جل ما عرف منها أسماء الملوك واشارات الى ما كان يقع من مصاولات وحروب بين الزعماء الطامحين .

وهذه أسماء ملوك هذه الحقبة وما عرف من ظروف حكمهم مستفادة من دراسات الأثريين للنقوش وتعليقات جواد علي عليها [١] .

١ — شعرم اوتر : وهو أول من تلقب بلقب ملك سبأ وذو ريدان . وكان قبل ذلك يتلقب بلقب ملك سبأ كخليفة لأبيه علهان نهفان الهمداني الارومة الذي ذكرنا خبره في الجزء الاول . وقد اشتدت المصاولة بينه وبين الحميريين والريدانيين بزعامة أمير ريدان (ذو ريدان) فكتبت الغلبة له وخضع ذو ريدان وجماعاته فتلقب باللقب الجديد . ولم يكن شامل السلطان مع ذلك حيث كان يقوم ملوك آخرون في مناطق أخرى غير خاضعين له . وهذا ما وكان أيضاً في عهده وعهد أبيه حينما كانوا يتلقبون بلقب ملك سبأ . ويخمن ان بداية حكمه باللقب الجديد هي سنة ١٢٥ قبل الميلاد .

٢ — حيو عثتر : ويخمن الاثريون انه ابن أيمن يرم اخو شعرم اوتر الذي تلقب بملك سبأ قبله ، وانه كان شريكاً في الحكم واللقب لعمه . وقد قرىء في نقش اسمه ولقبه

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٢ ص ٢١٢ — ٢٦٠ .

ملك سبأ وذو ريدان .

ولقد سجلت النقوش أنباء لشعرم بسبيل فرض سلطانه على المناطق الخارجة عنه . من ذلك انه كان متحالفاً مع ملك حضرموت ضد الحميريين والريدانيين فلما تمت له الغلبة على هؤلاء طمح الى فرض سلطانه على ملك حضرموت مع انه كان حليفه ضد الحميريين وزحف بقواته على بلاده وانتصر انتصارات عديدة ولكنه لم يحقق غايته ولم يقض على المملكة الحضرموتية ولم يخضعها لسلطانه . ومن ذلك انه هاجم قوات كانت تابعة لملكين اخوين كانا يتلقبان بلقب ملك سبأ وذو ريدان ويسيطران على قسم من المملكة فأخفق في تحقيق هدفه . « من ذلك ما يفيده نقش سجله رجل من أتباعه يذكر فيه انه قدم للاله العزى حصاناً وصورة من الذهب لأنه انقذ حياته ونجاه في الحروب التي خاضها مع سيده شعرم اوتر بن علهان نهفان .

٣ ــ الشرح يحضب : وهذا ابن فرعم ينهب المرثدي الارومة الذي كان يتلقب بلقب ملك سبأ ويتنازع مع علهان نهفان ويسيطر على قسم من المملكة مثله . ويظهر ان الشرح استطاع ان يحتفظ بمملكة أبيه وتلقب كخصمه بلقب ملك سبأ وريدان على ما ذكرته النقوش . .

٤ ــ يأزل بين : وهذا اخو الشرح . وكان شريكاً لأخيه في الحكم واللقب .
وكما سجلت النقوش نشاطاً لشعرم بسبيل تشميل سلطانه سجلت للشرح واخيه أيضاً مثل ذلك . ومن ذلك ما يفيده نقش سجله أحد رجال الملكين ذكر فيه أنه قدم الى الاله المقه ذو هران وثنا من الذهب شكراً لأنه مكن سيديه الملكين من اعدائهما ومن عليهما بالنصر في غزوهما لأرض حمير وحضرموت وقد أوقعا في أعدائهما هزيمة شديدة وخسائر جسيمة . وقد تعددت النقوش التي ذكر فيها انباء المصاولات والمعارك بين الملكين من ناحية والحميريين والحضرموتين من ناحية اخرى مما يحتمل ان يكون دلالة على تكرر الزحف وتعدد المعارك . وقد عثر على نقش ذكر فيه ان زعيما اسمه غران ثار على الشرح فتمكن من تأديبه بفضل الآلهة ورحمتها .

٥ ــ نشأ كرب يبن يهرحب : وهو ابن الشرح يحضب الذي خلف اباه على الحكم وقد عثر على نقش ذكر فيه اسمه واسم يأزل يبن عمه معا بوصفهما ملكي سبأ وذو ريدان

حيث يفيد هذا ان العم ظل يحتفظ بشراكته في الحكم واللقب الى ان مات فاسر دنشأت في الحكم على ما يدل عليه نقش ذكر اسمه فيه منفرداً . ولم يعثر على نقوش تذكر نشاطاً لنشأ كرب .

٦ – وترم يأمن : وهو اخو نشأ كرب الذي خلفه على العرش . ولم يعثر على نقوش تذكر نشاطاً لهذا الملك عدا ما ذكر فيه اسمه ولقبه دون تفصيل .

٧ – ياسر يصدق : وهو ابن وترم يأمن . ولم يعثر على تسجيلات بنشاطه هو الآخر وقد عثر على نقش لجماعة من أقيال قبيلة مهانف ذكروا فيه اسمه لمناسبة بناء بيوت لهم وشكروا الآلهة عثتر شرقن وعثتر جنت وبعل شرقن وذات حميم وبعل محرم وبعل ريدان على توفيقهم في ذلك . وقد قدر الاثريون أن بداية حكم ياشر هي سنة ٦٠ ق م .

٨ – ذمر علي يهبر بن ياسر : وقد عثر على نقد باسمه . وذكر اسمه واسم ابيه في نقش سجله احد رجاله تبع بن كرب من آل حرفر لمناسبة تقديمه أوثاناً لمعبد الاله المقه لحمايته وخيره وخير ارضه وحصنه في منطقة رحب .

٩ – ثارن يعب يهنعم بن ذمر علي : وكان شريكاً لأبيه في الحكم واللقب ثم انفرد فيها بعد موته . وقد ذكر اسماهما في نقش سجل فيه خبر ترميم وتجديد سد اسمه ذو أمر في منطقة أين فأدى الى عودة الحياة الى ارضين واسعة . وكان العمال من قبيلتي سبأ وعذهب . وقد ذكر اسم الوالد والابن في كتابة على تمثال من البرونز قدمه جماعة من آل ذرنح لمعبد صنعاء . وذكر ثارن في نقش سجل فيه خبر ارساله رجلين من اشراف حمير لحضور حفلة تنصيب الملك العزيليط ملك حضرموت في حصن انود . وهذا الخبر يفيد ان مملكة حضرموت ظلت تحتفظ بشخصيتها واستقلالها الى هذا الوقت . وذكر ثارن وابنه ايضاً في نقش سجله جماعة من بني سحر بمناسبة تقديمهم اوثاناً للالهة لحمايه سيديهم وحماية اموالهم وأملاكهم . والآلهة التي قدم لهـا الاوثان هي عثتر وسحر بعلا نفقان وهيس والمقه وذات حميم وذات بعدان وشمس ...

١٠ – ذمر علي يهبر ابن ثارن : ولم يعثر على تسجيلات بنشاطه عدا ذكر اسمه ولقبه في كتابة مبتوره مؤرخة بتاريخ شهر « ذو نسور »

١١ – كرب ايل وتر يهنعم ابن ذمر علي : وقد عثر على نقد باسم هذا الملك

١٢ – هلك امر بن كرب ايل : وكان شريكا لأبيه في الحكم واللقب .

١٣ – ذمر علي ذرح : ويخمن الاثريون انه ابن آخر لكرب ايل وتر وانه خلف اباه او اخاه . ولم يعثر على تسجيلات بنشاطه غير ورود اسمه ولقبه في احد النقوش .

١٤ – يدع ايل وتر : ويخمن الاثريون انه ابن ذمر علي ذرح وبعضهم لا يجزم بصلةما بين الملكين . ولم يعثر على تسجيلات بنشاطه غير ورود اسمه ولقبه في احد النقوش دون تفصيل ودون ذكر اسم ابيه .

ولقد ذكر بعد هذا الملك طائفة من الاسماء استنتج الاثريون من دراساتهم انهم ينتسبون الى ارومات غير الارومة المرثدية التي ينتسب اليها الشرح يحضب وخلفاؤه .

ويلحظ شيء من التسلسل في سلسلة هؤلاء الخلفاء التي تبتديء من الملك الرابع الى الثالث عشر او الرابع عشر . ولم يشر الاثريون الى ملوك همدانيين بعد شعرم وتر وحيو عثتر (الاول والثاني في السلسلة) حيث يمكن أن يفيد هذا ان الملك قد استتب للأسرة المرثدية بعدهما وان السلطان قد نزع من ايدي الاسرة الهمدانية .

اما الاسماء التي عرفت بعد الاسم الرابع عشر فهي :

١٥ – شمدار ينعم : وقد عثر على نقد باسمه في خرائب ريدان دون تفصيل آخر .

١٦ – عمدان يهقبض . وقد ذكر اسمه في كتابة وجدت في المكان المعروف بحرم بلقيس قرب مأرب وصف فيها بوصف ملك سبأ وذو ريدان . ووجد في خرائب ريدان نقد باسمه وقد صور رأسه على النقد فبدا وجهه حليقاً وضفائر شعر رأسه متدلية على رقبته .

١٧ – نشأ كرب يأزن

١٨ – وهب هثت

١٩ – هوتر عثت يفس

٢٠ – كرب عثت يهقبل

وقد وردت اسماء هؤلاء الاربعة في نقش نعتوا فيه بنعوت تشبه نعوت الملوك بدون تفصيل وعرف انهم ابناء تصح بن يهزحم .

ويخمن الاثريون هؤلاء الاربعة والاثنين اللذين ذكرا قبلهم من قبيلة حاشد احدى فروع قبيلة بتع التي كان منها بعض ملوك مملكة سبأ .

٢١ – نشأ كرب أوتر

٢٢ – شهر أيمن

وهذان أخوان . وقد ذكرا في نقش واحد بنعت يشبه نعت الملوك دون تفصيل .

٢٣ – رب شمس نمران : وقد ورد اسم هذا في بضعة نقوش . وعرف من أحدها انه ايضا من قبيلة بتع . ووصف فيها بوصف ملك سبأ وذو ريدان . وقد سجل في احد النقوش خبر حرب باشرها قائدان أخوان من ذي جدن اسمها عبد عثتر وسعدثون بأمر سيدهما رب شمس نمران ملك سبأ وذو ريدان شكرا فيه الاله المقه بعل حردان الذي من عليهم بالعافية وأعادهما بالسلامة ونجاهما من الوباء الذي عم كل الارض . وقد دعوا الآلهة عثتر وهبس والمقه وذات حميم وذات بعدان وشمس وثور بعل حروان بأن تبارك لهما وتحفظهما وتمن عليهما بالعافية وبأولاد ذكور وبثمار كثيرة وغلة جيدة . وقد سجل بنو نعمة أقيال قبيلة سهمان في نقش آخر اسمه بوصف ملك سبأ وذو ريدان وذلك بمناسبة اتمامها بناء بيوتهم في زمنه .

٢٤ – سعد أوم نمران : وقد عثر على نقش مبتور قرىء منه كلمة نمران بوصف انه ملك سبأ وذو ريدان وأتم الاثريون الاسم استناداً الى نقوش اخرى

والمتبادر من انتساب الملوك الذين ذكروا بعد يدع ايل (الرابع عشر في السلسلة) الى قبيلة بتع ان زعماء هذه القبيلة نشطوا وتمكنوا بدورهم من الاستيلاء على الحكم والسلطان وممارستها عوداً على بدء لما كان لزعماء قبيلتهم من مثل ذلك في دور مملكة سبأ .

إلى هنا ينتهي ما أمكن إيراده عن ملوك سبأ وذو ريدان استناداً إلى دراسة الاثريين للنقوش وتعليقات جواد علي عليها .

ولم يرد ذكر لحضرموت وملوكها في النقوش التي عثر عليها عدا ما ذكر من خبر تنصيب العزيليط وارسال ثارن يهنعم وفداً لشهود حفلته وهذا وقع قبل الميلاد . على انه لم يرد في النقوش ان ملوك مملكة سبأ وذو ريدان قد استولوا على حضرموت ، وقد ورد

هذا في سياق سيرة المملكة التي قامت بعدها على ما سوف نذكره بعد ، حيث قد يفيد هذا ان مملكة حضرموت ظلت قائمة في عهد قيام مملكة سبأ وذو ريدان ، وكل مـــا في الامر انه لم يعثر على تسجيلات بما كان منها من نشاط أو بأسماء ملوكها .

هذا ويبدو واضحاً من أسماء الملوك ورجالهم وأسماء الآلهة والمواقع والقبائل والاسر التي جاءت في سياق ذكر الملوك أن العروبة الصريحة قد أخذت تقوى وتتسع في جنوب جزيرة العرب في هذا الدور .

شؤون متنوعة في عهد المملكة

ولقد ظلت الحالة الدينية على ما كانت عليه في الدور السابق حيث كان الاله الرئيسي القمر ومعه عثتر أي الزهرة ثم الشمس التي كانت توصف بذات حميم وذات بعدان وآلهة ثانويون حماة لقبائلهم ، فكان أهل المملكة يتجهون اليهم لدفع الاذى وجلب الخير والشكر على النعم والتوفيق والعافية والنصر ويقدمون لهم النذور على صورة أوثان مـــن الذهب وغير الذهب ترمز اليهم ويقيمون لهم ويقربون لهم القرابين ويسجلون ما يفعلونه من ذلك في نقوشهم التي يذكرون فيهـــا ملوكهم الى جانب الآلهة والاحـــداث التي جعلتهم ينقشونها .

وكان اسم القمر الاله الرئيسي المقه في المرحلة الاولى من المملكة الذي يلمح فيه معنى اللمعان ثم صار اسمه تالب في المرحلة الثانية التي صار الحكم فيها للهمدانيين .

وليس في النقوش ما يساعد على معرفة شيء غير ذلك من طقوس وعقائد اليمنيين في هذه المرحلة كشأن ذلك في المرحلة السابقة .

ولقد كان هناك قبائل كبيرة لها زعماء اقوياء يطمحون الى الحكم ويتنافسون عليه . ومنهم من كان ينجح في تحقيق مطمحه في الحكم المحلي أو السلطان الرئيسي . وأهم هـــذه القبائل بتع وسمعي وسخيم وخسأ وخولان وردمان وحمير وريدان وحملان . وقدأوردنا في الجزء الاول من الكتاب نتفاً عنها لأنها كانت بارزة نشيطة في عهد مملكة سبأ فلا نرى ضرورة للتكرار .

وقد ذكرت اسماء قبائل اخرى ثانوية لم تذكر قبل مثل يرسم وعثن وحضرن وسأرن

ومحيلم ونعمت وصعقن وعذهبن وسهمن ودمهن وأعين . والعروبة الصريحة بارزة عـــلى الاسماء .

كذلك فإنه ذكر في سياق سيرة الملوك أسماء مدن وسدود وحصون عديـــدة مثل توعت ومدرم وقدمن وحدثن ورحبن وجدرن وصبين ويهر ورفشن وهرن وأوم وذات غرم وردمن وصورن ويريم وصروح وزوم وسهرتن ورحبتن وصنعو ويفعن ويبلح وذو امن وحريب . والعروبة الصريحة بارزة على الاسماء كذلك .

ولقد ظل نظام الاقطاع او حكم الامراء المحلي مستمراً في عهد هذه المملكة عـــلى ما يستفاد من ورود اسم غير واحـــد من الاقيـــال في سياق سيرة المـــلوك امتداداً لما كان عليه الامر في عهد الممالك السابقة على ما ذكرناه في الجزء الاول . وذلك بالاضافة الى اقيال قبائل سمعى وبتع وخولان وردمان وحمـــلان الذين ذكرناهم في الجزء الاول والذين ظل أولادهم يمارسون الحكم المحلي في مناطقهم على الارجح وليس من شك في انه كان اقيال وامراء مناطق كثيرون في عهد هذه المملكة وان لم يعثر على نقوش تذكرهم على ما يفيده اسماء عدد كبير من المخاليف وردت في نقوش المملكة الحميرية والمدونات العربية الاسلامية مما سوف نذكره بعد .

مملكة سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت

أو

المملكة الحميرية

وكما عثر على نقوش عديـــدة ساعدت على معرفـــة معظم ملوك مملكة سبأ وذو ريدان وشيء من احداثها فقد عثر على نقوش عديدة ساعدت كذلك على معرفـــة معظم ملوك هذه المملكة وشيء مـــن أحداثها كما ان الكتب الرومانية واليونانية والسريانية والحبشية المدونة قبل الاسلام والكتب العربية القديمة التي كتبت في القرون الاسلامية الاولى روت عنها اشياء كثيرة .

وقد سميت هذه المملكة بالمملكة الحميرية ايضاً لأن ملوكها كانوا من قبيلة حمير التي كانت تندمج بالتحالف مع الريدانيين وامير ريدان في المصاولات التي كانت تجري في سبيل الحكم بين زعماء الاسر والقبائل القوية مما ذكرنا طرفاً منه في الجزء الاول مـــن الكتاب وفي الفصل السابق من هذا الجزء في سياق سيرة مملكة سبأ وذو ريدان . وقد ورد اسم حمير في نقوش عديدة أوردنا بعضها في النماذج اللغوية [١] . وقد قال عنها المؤرخ الروماني يبلنوس [٢] انها كانت في القرن الاول قبل الميلاد من أقوى القبائل عدداً وكانت منطقة كثافتها منطقة ظفار عاصمة مملكة سبأ وذي ريدان الثانية . وقد ذكرها كذلك مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الاريتري [٣] من رجال القرن الاول بعد الميلاد فقال ان الحميريين كانوا يحكمون منطقة واسعة من سواحل العربية الجنوبية على ساحل البحر الاحمر وعلى ساحل المحيط حتى حضرموت كما كانوا يحتلون بلاد عزانيا في الساحل

---

(١) حرف ب وحرف نخ في نقوش مملكة سبأ وذو ريدان رقم (٥) وحرف ب في نقوش مملكة حمير رقم (٦) مثلا

(٢) جواد علي ج ٣ ص ١٣٧

(٣) نفس الجزء ص ١٣٨

الافريقي الشمالي .

وأول ملك تلقب بلقب سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت هو ثاني ملوك الحميريين شمر يهرعش بن ياسر يهنعم . وقد كان أبوه يتلقب بلقب ملك سبأ وذو ريدان فقط وقضى شمر ردحاً من عهده ولقبه قاصر على هذا .

وقد رأينا مع هذا أن نذكر ياسر في رأس قائمة ملوك هذه المملكة لوحدة الارومة التي تجمع بينه وبين خلفائه . واليك الآن أسماء من عرف من الملوك الحميريين من النقوش نتيجة لدراسة الأثريين وتعليقات جواد علي مؤلف كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام مع ما ذكرته النقوش من احداث عهودهم [١] .

١ – ياسر يهنعم : وقد عثر على اسمه واسم ابنه شمر يهرعش في نقش مؤرخ في شهر مذران سنة ٣١٦ من سني نبط ايل وقد قدر الاثريون ان سنة ٢٧٦ ب م توافق هذه السنة وقد دونه فرعان يازل بن ذونح ويعجف رئيسا قبيلتي قشمم ومذحجم بمناسبة بنائهما صهريجين لخزن المياه لارواء أراضيها المزروعة بالكروم في أيام سيديها ياسر يهنعم وابنه شمر يهرعش ملكي سبأ وذو ريدان [٢] .

ويفيد هذا ان الابن كان شريكاً لابيه في الحكم واللقب على ما جرت عليه عادة ملوك اليمن .

وقد ذكر اسم ياسر في نقش آخر مؤرخ في شهر ذو الحجة سنة ٣٨٥ من التاريخ الحميري التي قدر الاثريون انها موافقة لسنة ٢٧٠ ب م دون ذكر لقب ملكي له .

٢ – شمر يهرعش ابن ياسر : وهو أول من عثر على اسمه موصوفاً بملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت . وقد وصف في بعض النقوش بوصف ملك سبأ وذو ريدان فقط ثم وصف بالوصف الطويل حيث يفيد هذا انه هو الذي تمكن من فرض سلطانه على حضرموت ويمنت .

وقد قرىء اسمه منفرداً في عدد من النقوش . منها كتابة سقطت بعض أسطرها فيها قانون لتنظيم بيوع المواشي والرقيق . وقد حدد المدة التي يصبح البيع فيها ناجزاً بمدة شهر

---

(١) نفس الجزء ١٣٩–١٧٠

(٢) حرف الهاء في يهرعش ويهنعم هو على الارجح املائي والكلمتان فصيحتان في صيغة المضارع يرعش وينعم وكذلك اسم يعجف واسم فرعان .

والمدة التي يصح اعادة المبيع فيها بين عشرة أيام وعشرين. والمدة التي اذا هلك المبيع في أثنائها يكون على حساب البائع بسبعة أيام . وقد لقب شمر في هذا النقش بملك سبأ وذو ريدان فقط . ومنها نقش وجد في خرائب مأرب سجله قائد من قواد الملك اسمه ابو كرب وذكر فيه خبر تقديمه تمثالين من الذهب لمعبد الاله المقه شهوان رب اوام لأنه منّ عليه فنجاه من مرض أصابه في مأرب ومن عليه في الحرب التي وقعت في وادي صنمد حتى موضع عكوتنن وانتصر فيها جيش الملك على جمع من قبائل تهامة وعسير . وورد في النقش اسماء قبائل (ذ سهرتم) و (دوآت) و (صحرم) و (حرت) حيث يفيد هذا ان شمر كان يبذل جهوده في سبيل توسيع نطاق سلطانه أو التنكيل بمن يناوئه . ومنها نقش سقط منه كلمات كثيرة ذكر فيه اسم ملك كرب قبل اسم شمر ثم جملة ملكي سبأ وذو ريدان . وقد سجل النقش زعيم اسمه سعد تالب يهشع ذكر فيه انه مع أولاده قدموا إلى الاله تالب ريام رب حدثان تمثالا من الذهب لأنه منّ عليهم وساعدهم ونصرهم في المعارك التي وقعت بينهم وبين جيش الملك شمر وتمكنوا مع من كان معهم من الهمدانيين وبمساعدة سيديهم (مراهمو ـ امراؤهم) يرم ويرح من بني بتع همدان من التغلب على جنود شمر يهرعش من الريدانيين والحميريين ومن كان معهم من عشيرة سفلن وأعرب مأرب وقد خمن جواد علي أن يكون كرب الذي ذكر قبل شمر ووصف معه بملكي سبأ وذو ريدان اخاً أكبر لشمر أو عما أو خالا شاركه في الحكم بعد موت أبيه . وقد يفيد هذا ان البتعين الهمدانيين الذين كان لهم السلطان قبل ياسر كانوا يحاولون استرداد السلطان ويتمردون على السلطان الحميري .

ولقد استمر سلطان شمر وقوي على ما سوف يرد بعد حيث يفيد هذا انه استطاع ان ينكل بمناوئيه في جولة ثانية . وقد قرىء اسمه في نقش سجله جماعة من بني ثعن كبراء عشيرة عدال تيمنوا فيه بذكر الاله عثتر ذبيان بعل بحر حطب . وقد وصف شمر في هذا النقش بوصف ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت ، حيث يفيد هذا ان شمر استطاع ان يوطد سلطانه ويوسعه حتى يشمل منطقتين لم تكونا داخلتين في نطاقه وهما حضرموت ويمنت ، وكان حضرموت مملكة فيظهر ان شمر قضى عليها . أما منطقة يمنت التي من المرجح انها نواة كلمة اليمن الفصحى فقد كانت في القسم الشمالي من المملكة ، وذلك قبل ان يصبح اسمها علماً على جميع جنوب الجزيرة الذي يرجح انه كان قبيل البعثة المحمدية ، ثم توطد نهائياً بعدها .

٣ - يرم يهرحب : لقد انفرد فلبي بذكر هذا الاسم دون أن يورد نصاً يحمله . وخمن ان يكون ابن شمر وأن يكون حكمه حوالى سنة ٣١٠ ب م . وقد قال جواد علي انه لم يعثر على نقوش فيها شيء عما جرى بعد شمر يهرعش الى سنة ٣٧٥ أو ٣٧٨ ب م أي نحو سبعين سنة ، وروي انه عثر في اكسوم عاصمة الحبشة القديمة على كتابة وصف بها الملك عزان « بملك اكسوم وحمير وذو ريدان والحبشة وسبأ وصلح وتهامة والبجا وكسو ملك الملوك » وعلى كتابة ثانية وصف بها أيضاً بوصف « ملك اكسوم وحمير وذو ريدان وسبأ وسلحين وصيامو وبجه وكسو ملك الملوك » وانه استدل من ذلك على انالاحباش غزوا المملكة الحميرية وقوضوها وفرضوا حكمهم وسلطانهم على جنوب جزيرة العرب . وقد قال الباحثون ان الغزو كان حوالي سنة ٣٤٥ ب م وانه كان جواباً على غزو حميري للحبشة في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع للميلاد ، وان الحكم الحبشي استمر الى سنة ٣٧٥ أو ٣٧٨ ب م وان جملة ثورات ظهرت في ايام عزان في بلاد الحبشة انتهز فرصتها الحميريون فتمكنوا من تقويض حكم الاحباش واستئناف سيادتهم وسلطانهم .

ومن الجدير بالذكر ان هذا الغزو المتبادل بين ملوك اليمن وملوك الحبشة ليس هو الاول . ولقد كانت قبيلة اسمها في النقوش القديمة « احبشت » قد نزحت من اليمن الى بلاد الحبشة قبل بضعة قرون من ميلاد المسيح وفرضت نفسها وحكمها واسمها على هذه البلاد وأسست حكومة في اكسوم . ثم غزا السبئيون هذه البلاد وفرضوا سلطانهم عليها . غير ان الحبش الذين صاروا يعرفون بالجعزيين ثاروا عليهم وقوضوا سلطانهم وأقاموا مملكتين هما مملكة أدوليس ومملكة أكسوم ثم تنازعت المملكتان وتمت الغلبة للثانية . ثم استمر التنازع بين زعماء اليمن فصار بعضهم يتحالف مع مملكة اكسوم ضد خصومهم مما فتح الباب للاحباش واثار فيهم الطموح الى فرض سلطانهم على بلاد اليمن وقد وجد نقش في زيلع على ساحل بلاد الحبشة يدل على انهم غزوها في اوائل القرن الثاني بعد الميلاد [١] ، ويظهر ان الحميريين استطاعوا تقويض حكمهم ثم غزوهم وفرض حكمهم أو سلطانهم عليهم في أواخر القرن الثالث . ثم تمكن الاحباش بدورهم من تقويض هذا الحكم وغزوا اليمن وفرض حكمهم او سلطانهم عليها في أوائل القرن الرابع الذي امتد الى سنة ٣٧٥ أو ٣٧٨ ب م حيث استطاع الحميريون تقويضه واستئناف سلطانهم في بلادهم .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زيدان طبعة جديدة ص ١٤٦

٤ ـ ملك كرت يهأمن (يأمن) . وقد ورد اسمه واسم ابنين له معه وهما أبو كرب أسعد ورامرأيمن بوصفهم ملوك سبأ وذو ريدانوحضرموتويمنت في نقش سجل فيه خبر اقامتهم معبداً للاله ذي سموى (رب السماء) في سنة ٤٩٣ حميرية الموافقة لسنة ٣٧٨ ب م ومن المحتمل ان يكونوا قد فعلوا هذا في مقام الشكر لرب السماء الـذي وفقهم إلى طرد الاحباش واستعادة السلطان . وهذه هي المرة الاولى التي يرد فيها اسم الاله ذي سموى وحده مما رأى فيه الاثريون دلالة خطيرة وتطوراً دينياً نحو التوحيد ، حدث نتيجة لحكم الاحباش الذين كانوا يدينون بالنصرانية التي يكرر انجيلها كلمات «أبانا الذي في السماوات» و « أبي وأبوكم الذي في السماء » وسلام في السماء ومجد في الأعالي » و«رب السماء والارض» و « ملكوت السماوات » وأمثالها

٥ ـ أبو كرب أسعد : وقد ذكر اسمه في النص السابق الذي ذكر قبل هذا حيث كان على ما يفيد شريكا لأبيه في الحكم واللقب . ثم ذكر منفرداً في نص امر بكتابته بمناسبة اقامته حصناً في وادي ماسل جمح . وقد ذكر لقبه في هذا النص بزيادة «واعرابهمو طودم وتهمتم » بعد كلمة يمنت التي تعني واعرابهم في الجبال والسهول والتي تدل على توسع السلطان وتوطده في عهد هذا الملك بحيث يمكن ان يقال ان سلطانه شمل جميع انحاء جنوب الجزيرة ، وهذا بقطع النظر عما روته الكتب العربية من شمول سلطانه لأماكن ومساحات شاسعة غير هذا الجنوب على ما سوف يأتي بعد . وفي النص اسم حمره الذي خمنه الاثريون انه سد في موقع نيشان واسماء كدت وسودووده التي خمنوها انها قبائل . وفيه ايضاً اسم حسان يهأمن ابنه ملقباً باللقب الملكي الطويل الجديد حيث يفيد هذا انه كان شريكا لأبيه في الحكم واللقب بدوره. وقد خمن الاثريون حكم أبي كرب منفرداً من سنة ٤٠٠ الى ٤١٥ أو ٤٢٠ ب م .

٦ ـ حسان يهأمن ابن ابي كرب الذي ذكر في النقش السابق . ولم يعثر على نقش ذكر فيه منفرداً . ولهذا وقف الاثريون من أمر ممارسته الحكم منفرداً موقف التردد .

٧ ـ ورامر أيمن : ابن ملك كرب أيمن الذي ورد اسمه في نقش مع أبيه . وقـد ذكره بعض الاثريين كخليفة لابيه او اخيه بعـد ان كان شريكهما في الحكم واللقب وخمنوا ان حكمه امتد الى سنة ٤٢٥ ب م

٨ ـ شرحبيل يعفر : (شرحب ايل) وهو ابن ابي كرب اسعد ايضاً . ويقـدر الاثريون ان حكمه امتد من سنة ٤٢٠ أو ٤٢٥ الى سنة ٤٥٥ ب م وقـد ورد اسمه في

نقش طويل هام موصوفاً باللقب الملكي الطويل ، وقد سجل في النقش خبر تجديده بناء سد مأرب وترميم بعض اجزائه على مقربة من موقع رحب عنـد عبران حتى موقع ضمحان وحضره مسايل المياه وبنائه القواعد والجدران بالحجارة وتقويضه فروع السد وانشائه اقساماً جديدة اوصلها ببعضها بين غيلان ومغلول وتجديده سد يسران . وقـد ذكر في النقش ان الاعمال تمت في شهر ذي داوان من سنة ٥٦٤ حميرية الموافـقة لسنة ٤٤٩ ب م حسب تقدير الاثريين . ومما ذكر في النقش ان السد تهدم بعد سنة حتى اضطر سكان الرحبة المجاورة له الى الفرار الى الجبال خوفاً من الهلاك وان الملك استعان بحمير وقبائل حضرموت لاعادة العمل فتجمع لديه زهاء عشرين الف رجـل اشتغلوا بقطع الحجارة من الجبال وحفر الاسس وتنظيف الاودية وانشاء خزانات الماء ، وقد جعل له أبواب ومنافذ لمرور الماء والسيطرة عليه، وذكر ما انفقه من دبس وخمر (دبسم وخمرم) وطعام وما ذبحه من ابقار واغنام للعمال . وقد قال الملك ان العمل قد تم بنصر وتـأييد الاله رب السماوات والارض .

وفي خبر تصدع السد مرتين وخوف من حوله من السكان وفرارهم ما يمكن ان يكون تأييداً لحادث سيل العرم الذي ذكرته الكتب العربية وقـالت انه كان سبباً لهجرة كثير من قبائل اليمن إلى الشمال وخارج الجزيرة [١] غير ان النزوح الذي ذكرته هذه الكتب كان على ما يستفاد منها أقدم بكثير من هذا العهد لأن من القبائل التي قيل انها نزحت إلى خارج الجزيرة بسببه قبائل غسان مع أن وجود غسان في بلاد الشام كان قبل ٤٥٠ ب م على ما هو معلوم علماً يكاد يكون يقيناً . وقد يسوغ ان يقال ان هذا ليس اول تصدع في السد . ولقد عزا الاثريون تحول ملوك سبأ من عاصمتهم الاولى مأرب الى عاصمتهم الثانية ظفار في القرن الثاني قبل الميلاد الى ما أخذ يطرأ على السد من تصدع [٢]. فلعل تصدعا شديداً وقع قبل سنة ٤٥٠ ب م ولم يعثر على نقش به هو الذي كان منه سيل العرم والذي جعل بعض القبائل اليمنية تنزح من اليمن إلى شمال الجزيرة وخارجها .

ولقد ذكر سيل العرم في القرآن الكريم في الآيات التالية التي تفيد أنه كان في بلاد سبأ :

« لقد كان لسبإ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا

---

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي مثلا ج ٣ ص ٨٩ — ١٠٠

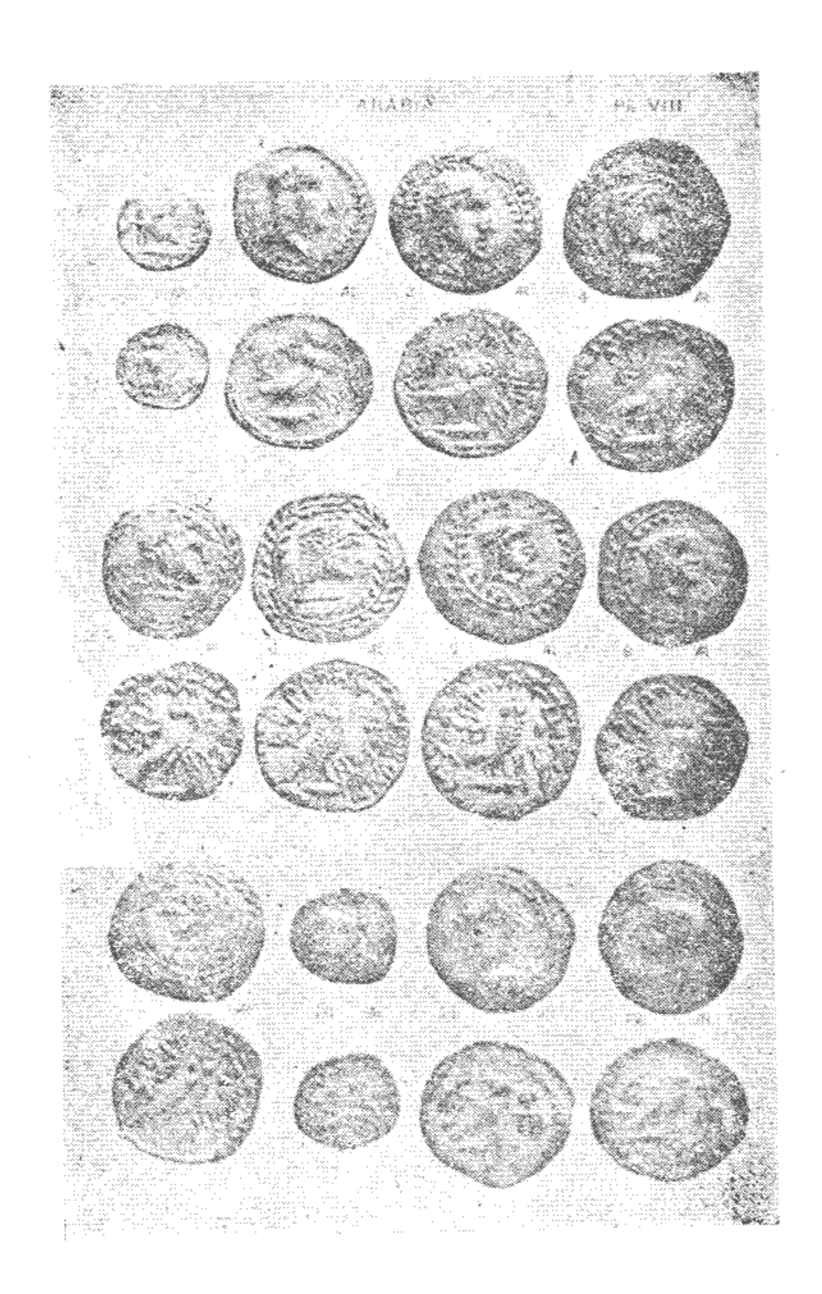
(٢) جواد علي ج ٣ ص ١٥٩

له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا ليالي وأياماً آمنين . فقالوا ربنا باعـد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » سورة سبأ ١٥ - ١٩

والمتبادر ان حادث سيل العرم كان من الحوادث الداوية التي تداولتها الاجيال فذكر في القرآن في هذه الآيات في معرض التذكر والأنذار ، وفي الآيات اشارة الى ما كان من تشتت أهل سبأ بنتيجة السيل . وفي هذا تأييد لما ذكرته الروايات وتطابق معه . ونص « اله السماوات والارض » الوارد في نقش الملك شرحبيل ينطوي عـلى الدلالة الخطيرة التطورية التي انطوى علـيها نص اله السماء بل اشد لانـه جمع الارض والسماء لربوبية الله تعالى .

٩ ـ عبد كلال : ذكره بعض الاثريين كخليفة لشرحبيل وقالوا انه كان كاهناً على قبيلة أو رئيس قبيلة فثار طمعاً في الملك أو دفعاً لأضطهاد الملك الحميري واستنجد بملك الحبشة فأنجده فنجح في فرض حكمه الذي امتد خمس سنين . غير ان اصحاب هذا الرأي لم يوردوا نصاً مؤيداً على ما يستفاد من تعليق علي جواد الذي ذكر ان اسم عبد كلال ورد في نقش مع اسمي هنام وهلل ابنيه بصفتهم أسياداً أو أقيالا لقبيلة قولم . ومما قاله علي جواد ان الكتب العربية القديمة ذكرت اسم عبد كلال بن مثوب كزعيم وثب على ملك التبابعة بعد وفاة أحدهم الملك عمرو بن ثبان أسعد عن أولاد صغار وقالت انه ملك اربعاً وتسعين سنة وانه نعت بتبع الاصغر وان له مغازي وآثاراً بعيدة . . وقد ظن جواد علي ان هذا مصدر الاثريين في ذكر عبد كلال كملك من ملوك الدولة الحميرية .

١٠ ـ شرحبيل ينف : وقد ذكر اسمه في نص طمست معظم كلماته ولم يكد يبقى منها الا اسمه واسم ولدين له هما معدي كرب ينعم ولهيعثت ينف (لهيعة ينوف) بوصفهم ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في الاطوار والتهائم . والنقش مؤرخ بسنة ٥٨٥ أو ٥٧٥ حميرية التي قدرها الاثريون بسنة ٤٧٠ أو ٤٦٠ ب م . ويظن هؤلاء ان هذا الملك حفيد لشرحبيل يعفر أو أحد أبناء أحفاد الملوك الآخرين .



نقود من عهد المملكة الحميرية

نقلا عن الجزء الثاني من تاريخ العرب قبل الاسلام

للدكتور جواد علي

١١ و ١٢ ـ معدي كرب ينعم ولهيعة ينوف : وقد قال الاثريون استنتاجاً من دراساتهم انهما اللذان حكما بعد أبيهما شراكة ثم انفرد الثاني بالملك بعد موت أولهما وان حكمهما استمر من سنة ٤٧٠ الى سنة ٥٠٠ ب م .

١٣ ـ مرثد الن ينف [1] : وقد ورد اسمه ملقباً باللقب الطويل في نقش مهشم لم يمكن فهم شيء آخر منه الا احتمال وقوع فتنة ما مما استدل عليه من كلمة هرج التي قرئت فيه. وقد وضعه الاثريون بعد معدي كرب ولهيعة مع تنبيههم الى ان اسم والده لا يعرف .

كتابة تعود الى الملك معد يكرب يعفر ، ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت
ويمنت « اليمن » وأعرابها في الهضاب وفي تهامة
نقلا عن الجزء الرابع من تاريخ العرب قبل الاسلام
للدكتور جواد علي

١٤ ـ معدي كرب يعفر : لقد ذكر اسم هذا الملك ملقباً باللقب الطويل في كتابة مؤرخة بسنة ٦٣١ حميرية الموافقة حسب تقدير الاثريين لسنة ٥١٦ ب م وقد عبث الدهر فيها فلم يمكن قراءة شيء منها الا اسم الملك ولقبه ثم كلمات « سبأ ـ حميرم ـ رحبتم .

(١) هذا الاسم ورد في كتاب العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان بصيغة مرثد اللات ينوف انظر ص ١٢١ ـ ١٢٤

وكلمة اشعبهمو قبلها » ثم كلمات « كدت ـ نعلبت ـ مضرم وكلمة اعربهمو قبلها » وقد قال جواد علي ان مضرم هي مضر العدنانية وان كدت هي كنده اليمنية وان ثعلبت هي قبيلة ثعلبة أو ثعلبان .

١٥ ـ ذو نواس : ويبدو من سياق جواد علي ان اسم هذا الملك لم يرد في نقش وانما ورد في كتب وكتابات حبشية وروماني ومريانية تعود إلى ما قبل الاسلام . هـذا بالاضافة الى وروده في الكتب العربية الاسلامية القديمة .

وقد ذكرت هذه الكتب خبرغزوة حبشية لليمن في عهد هذا الملك وفي سنة ٥٢٥ ب م وتمكن الغزاة من الاستيلاء على اليمن وهلاك ذي نواس فكان ذلك نهاية المملكة الحميرية المستقلة . وقد تلقب ملك الحبشة نتيجة لذلك بلقب « ملك الجعزيين وسبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في الاطواد والتهائم على ما عرف مـن نقش سجل نائبة في اليمن على ما سوف يأتي تفصيله بعد .

ومما روي كسبب للغزوة الحبشية اضطهاد ذي نواس الذي كان يدين باليهودية لنصارى اليمن واستحثاث قيصر الروم النجاشي على الانتصار لهم وانقاذهم من محنتهم [١] ومما روي كذلك أن اميراً يمنياً اسمه دوس ذو ثعلبان استجار بملك الحبشة على ذي نواس فاستجاب اليه وبادر إلى غزو اليمن . فاذا صح هذا فان من الممكن أن يقال ان النجاشي اغتنم فرصة النزاع والخلاف بين أمراء اليمن فأقدم على الغزوة [٢] . على ان بعض الاثريين قالوا ان ذا نواس هو الذي كان البادىء وانه قاد حملة غزا بها بلاد الحبشة فهزم الاحباش جيشه وقتلوه ثم ساروا الى غزو بلاده واستولوا عليها [٣] . وعلى كل حال فالغزوة الحبشية أو الغزوة المتبادلة ليست الاولى على ما شرحناه قبل .

وبعض الروايات تذكر ان الغزوة كانت بقيادة النجاشي كما ان بعضها يذكر انها كانت بقيادة قائد اسمه ارياط . ومما ذكرته الروايات العربية ان ذا نواس لم يقتل في المعركة وانما اقتحم بفرسه البحر حينما يئس من النصر أنفة من الاسر أو الهلاك بيد عدوه ـ ان صحت الرواية ـ فكان في ذلك حتفه .

هذا والعروبة الصريحة أبرز على أسماء الملوك والرجال والمواقع والمدن والقبائل التي ذكرت في النقوش مما سبق حتى يكاد يكون كثير منها فصيحاً مافيه الدلالة على ماقررناه قبل

---

(١) و (٢) و (٣) جواد علي ج ٣ ١٦٦ ـ ١٧٢ انظر ايضاً الطبري ج ١ ص ٥٤٥ ـ ٥٤٧

من ان لغة الجنوب كانت تسير نحو الفصحى التي يمثلها القرآن متوازية مع لغة الشمال اجمالا وفي ما يأتي من الاسماء دلائل مؤيدة لذلك أيضا .

بعد الاستيلاء الحبشي

والروايات مختلفة فيما جرى بعد انتصار الاحباش على ذي نواس واستيلائهم على مملكته فالروايات العربية تذكر ان أول وال عينه النجاشي هو أرياط قائد الحملة الذي هو ابن عمه في الوقت نفسه وان قائداً من قواد الحملة اسمه ابرهة ثار عليه فقتله واستولى على الحكم واستبد به [1] . والمؤرخ بروكوبيوس المعاصر للاحداث والذي ذكر ان النجاشي غزا اليمن انتصاراً للنصارى الذين اضطهدهم ذو نواس يقول ان النجاشي بعد قتل ذي نواس أقام ملكاً نصرانياً حميرياً اسمه اسميشوع وفرض عليه جزية ثم عاد إلى بلاده [2] وفي النماذج اللغوية التي أوردناها نص نقش ذكر فيه سميفع اشوع بوصفه ملك سبأ واسم كريستس (المسيح) وهو على الارجح الملك الذي عناه المؤرخ حيث يؤيد هذا الخبر الذي ساقه . وفي النقش عبارة تفيد ان هذا الملك كان خاضعاً لسيادة نجاشي الحبشة . وفي هـذا تأييد آخر لرواية بروكوبيوس .

والمتبادر ان نصرانية اسميشوع هي التي رشحته للقيام على حكم اليمن تحت سيادة الاحباش .

وهناك نقش طويل وهام لابرهة تاريخه سنة ٦٥٧ حميرية التي توافق سنة ٥٤٢ م [3] جاء في مطلعه ما ترجمته « بحول وتأييد ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطرت هذه الكتابة . وقد وصف نفسه في النقش بأنه نائب ملك الجعزيين محز ذيبان ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في النجاد والتهائم . والظاهر ان ابرهـة خلف السميفع أشوع على الملك بشكل لم تذكره الروايات والنقوش صراحة ولكن فيها ما يفيد انه اغتصبه اغتصاباً بعد موته ، حيث ورد في نقش ابرهة المذكور خبر ثورة قادهـا زعيم يمني اسمه يزيد بن ابي كبشة كان ابرهة انابه عنه على قبيلتي كده ودا ، وقد انضم اليه

---

(١) الطبري ج ١ ص ٥٤٥ - ٥٥٠

(٢) جواد علي ج ٣ ص ١٧٠ وبعدها

(٣) جواد علي ج ٣ ص ١٩٨ - ٢٠٣

قسم من نقش أبرهة بخط المسند
نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام
للدكتور جواد علي

اقيـــال سبأ ذو سحر وذو مرة وذو خليل والقيل معدى كرب بن سميفع وذو الكلاع وذو مهد وذو ثات وذو علم ذيبان و كبير حضرموت . وقد سير ابرهة على الثائرين حملة بقيادة قائد حميري موال له اسمه جراح امير امارة زنبور (ذو زنبور) فهزمها يزيـــد وتفاقم أمره نتيجة لذلك حتى انه استولى على حصون كثيرة و كثرت حشوده مـــن حضرموت وغيرها فجهز ابرهة حملة جديدة كبيرة مزيجة من الاحباش والموالين لهم مـــن اليمنيين وأقيالهم مثل ذو معاهر وابن ملكن ومرجزف وذو زرنح وعدل وذو فيش وذو شولمان وذو شعبان وذو رعن وذو همدان وذو يزن وذو فرنت وجعلها بقيادة قائد اسمه وطاح بن عوره من ذي جدن او قيل ذي جدن . وبينما الجيش في طريقه الى الحرب إذا بيزيد رأس الثورة يظهر مع عدد من أتباعه امام ابرهة يطلب منه العفو والصفح . امـــا الباقون فقد ظلوا متحصنين في مراكزهم وأبوا الخضوع والاستسلام [1] .

والمتبادر ان فريقاً من امراء اليمن عز عليهم ان تخضع بلادهم لملك حبشي وأن يذهب الملك منهم فقاموا بثورتهم وكان من المندمجين فيها ابن الملك السابق القيل معدي كرب بن سميع [2] حيث يمكن ان يكون في هذا دلالة على ان ابرهة فرض نفسه حاكما على اثر موت اسميفع فاعتبر ابنه عمل ابرهة اغتصاباً للملكه . ويظهر ان أقيال اليمن كانوا متنافسين متناحرين فيما بينهم فانحاز الذين هم ضد يزيد ومعدي كرب الى ابرهة .

ولم يرو جواد علي رواية ما عن مصير بقية قواد الثورة . ولكنه ذكر استمرار ابرهة في الحكم وتعاظم امره حيث يفيد هذا انه اخضعهم .

ولقد كان من مظاهر تعاظم امر ابرهة ان وفوداً وفدت عليه مـــن قبل النجاشي وامبراطور الروم و كسرى الفرس والمنذر ملك الحيرة والحارث بن جبلة ملك غسان خاطبة لودّه على ما ذكره ابرهة في نقشه [3] .

ويلحظ ان الوفود مـــن مجموعتين متعاديتين متنافستين الاولى مـــن امبراطور الروم وحلفائه النجاشي وملك غسان . والثانية من كسرى الفرس وحليفه ملك الحيرة . ويظهر ان كلتا المجموعتين كانت ترغب في كسب أبرهة واليمن إلى جانبها فيما قام بينهما من نزاع وتنافس مما يدل على أن أبرهة كان قوي المركز يمارس السلطان والسيادة برغم تسمية نفسه نائب النجاشي .

---

(١) و(٢) جواد علي ج ٣ ص ١٩٨-٢٠٣

(٣) جواد علي ج ٣ ص ٢٠٢-٢٠٦

ومن الطريف أن أبرهة وصف في نقشه سفيري النجاشي والقيصر بوصف « محشكت » وسفير كسرى بوصف « تنبت » وسفيري ملكي غسان والحيرة بوصف « رسل » حيث يدل هذا على ما كان يراعى من اعتبارات أو آداب سياسية متناسبة مع قوة وسيادة أصحابها [١] .

ونقش أبرهة يشير الى حادث تصدع جديد في سد مأرب ومسارعته إلى ترميمه باهتمام بالغ وما كان من مساعدة أهل البلاد على ذلك وما أنفقه من أموال وطعام . وهكذا تسجل النقوش توالي تصدع هذا السد العظيم في فترات متقاربة مما جعل بعض الباحثين يعلون ذلك بأثر زلازل أرضية تكرر حدوثها في القرنين السابقين للبعثة النبوية [٢] . وأبرهة هذا هو صاحب الفيل على ما ذكرته الروايات العربية . ولقد اهتم لنشر النصرانية في اليمن ولبناء الكنائس على ما يستفاد من كتاب رحلة رحالة اسمه قزما الذي زار اليمن في أيامه [٣] وأشار الى كثرة الكنائس في بلاد العرب السعيدة (وهذا الوصف هو الذي كان كتاب اليونان والرومان يصفون به بلاد اليمن على ما ذكرناه في مناسبة سابقة) وكثرة الاساقفة والمبشرين . ولقد أنشأ كنيسة عظمى في صنعاء التي اتخذها عاصمة —وهي مدينة قديمة اسمها العربي القديم « صنعو » وقد ورد في نقش حميري يرجع إلى عهد الملك الشرح يحضب وهذه الكنيسة هي التي تسميها الكتب العربية القديمة « القليس » وأخذ يدعو الناس الى حجها بدلا من كعبة مكة التي غدت في تلك الظروف محج العرب على اختلاف مواطنهم ومذاهبهم وغدت أسواق حجها أسواقاً عربية عامة . فلم تلق دعوته الاستجابة الكافية ونجس أحد العرب القليس فغضب أبرهة فقيل له ان العرب غضبوا لبيتهم المقدس فأقسم لينقضنه حجراً على حجر ثم سار بجيش لجب فيه بعض الافيال وحاصر مكة فسلط الله عليه طاعوناً بواسطة أبابيل من الطير (ومعنى الأبابيل الجماعات) فهلك هو ومعظم جيشه وصان الله بيته وحرمه على ما روته الروايات العربية [٤]

وقد قال المفسرون والرواة ان سورة الفيل التي جاء فيها « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٧ — ١٩٩

(٣) المصدر نفسه ١٨٢

(٤) انظر الطبري ج ١ ص ٥٥٠ — ٥٥٨

من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول [1] » قد احتوت إشارة إلى غزو أبرهة لمكة ونتائج ذلك .

ويلحظ من اسلوب السورة ان الحادث المذكور فيها كان ماثلا للعيان قائماً في الاذهان فكان وسيلة من وسائل تذكير كفار العرب بنبوة النبي عليه السلام وإنذارهم . ومع انه لم يعثر على نقوش تشير إلى هذا الحادث ولم يذكره أحد من كتاب الاعاجم القدماء فانه ليس في الرواية العربية ما يمنع تصديقها اجمالا أو على الاقل ما يمنع أن يقال ان أبرهة أراد توسيع نطاق المسيحية ونطاق سلطانه في الجزيرة وانه غزا الحجاز ومكة بسبيل ذلك فأصابه مع جيشه طاعون أدى إلى هلاكه وهلاك معظم جيشه وإخفاقه في مقصده .

وتروى الروايات العربية [2] ان الذي حكم بعد أبرهة ابنه يكسوم ثم ابنه الثاني مسروق ، وان اليمن ثارت في عهد هذا ثانية ضد الحكم الحبشي بزعامة أحد أقيالها سيف بن ذي يزن ومساعدة الفرس وتحررت من هذا الحكم .

وهذه الروايات تروي حركة سيف بن ذي يزن بشيء غير قليل من الصنعة ولكنه على كل حال يحتوي شيئاً من الحقيقة .

والخلاصة التي يمكن ان تكون حقيقة هي ان سيف بن ذي يزن الذي كان ابوه أوجده ممن اشتركوا في الثورة ضد أبرهة كما ذكر في نقش هذا ذهب الى المنذر ملك الحيرة ليستعين به على تحرير بلاده من الاحباش أو على جعل كسرى الفرس يساعده على ذلك مستغلا ما بين الفرس والروم حلفاء الاحباش من عداء ونزاع ، وان النعمان قدمه الى كسرى انو شروان الذي تردد في بدء الامر ثم استجاب اليه او الى ابنه معد يكرب من بعده على اختلاف الروايات فسير حملة بقيادة قائد اسمه وهرز تمكنت بمساعدة أمراء وأذواء اليمن من التغلب على الاحباش وتقويض سلطانهم ، وحينئذ نادى سيف أو معدي كرب بنفسه ملكاً بموافقة كسرى على أن يؤدي اليه خراجا ويكون خاضعاً لسيادته .

وهكذا عاد حكم اليمن إلى أبنائها وان لم تتخلص من السيادة الاجنبية . على ان هذا لم يدم مع ذلك . فان بعض الاحباش اغتالوا الملك وحينئذ فرض قائد الحملة نفسه

---

(١) انظر تفسير السورة في تفسير ابن كثير مثلا . والعصف المأكول بمعنى ورق الشجر المضوغ .

(٢) الطبري ج ١ ص ٥٥٨ - ٥٧٠

حاكما على اليمن كوال لانو شروان فغدت ولاية اليمن تابعة للدولة الفارسية . وظل الامر كذلك الى ان بعث النبي عليه السلام ، ثم هاجر الى المدينة ، ثم قوي أمر الاسلام وسلطانه فسير النبي حملة على اليمن حررتها من سلطان الفرس وأحلت السلطان العربي الاسلامي محله في السنة التاسعة للهجرة عوداً على بدء .

وقد استمر سلطان الفرس في اليمن نحو ثلاثين عاما وتولى الولاية عليها عنهم وهرز القائد ثم المرزبان ابنه ثم خدا خسرو ثم باذان الذي انتهى سلطان الفرس في عهده والذي اعتنق الاسلام استجابة لدعوة النبي عليه السلام .

ومما ترويه الروايات العربية [1] أن زوال سلطان الاحباش وعودة السلطان العربي في شخص ذي يزن قوبل بابتهاج عظيم في اليمن والحجاز معاً وان وفداً من قريش قدم عليه للتهنئة وكان على رأسه عـــبد المطلب بن هاشم جد النبي عليه السلام فقـــال في خطبة التهنئة : ان الله ايها الملك احلك محلا رفيعاً صعباً منيعاً باذخاً شامخـــاً . وأنبتك منبتاً طابت أرومته وعزت جرثومته ونبل أصله وبسق فرعه في أقدم معدن وأطيب موطن . فأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي به تخصب وملكها الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها الذي يلجأ اليه العباد . سلفك خير سلف . وأنت لنا بعدهم خير خلف . ولن يهلك من أنت خلفه . ولن يخمل من أنت سلفه . نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته . انهجنا اليك الذي انهجك لكف الكذب الذي فدحنـــا ، فنحن وفد التهنئة .

ومدة حكم الاحباش هذه المرة سبعون عاماً كما يروى أي من سنة ٥٢٥ ب م الى سنة ٥٩٥ وفي هذا التاريخ كان عبد المطلب متوفياً . والصنعة واضحة على الخطبة . ولكن هذا لا ينفي بطبيعة الحال ابتهاج أهـــل الحجاز ومسارعة قريش سدنة بيت الله وسادة مكة الى ارسال وفد الى الملك اليمني وتهنئته بل من المعقول جداً انهم فعلوا ذلك لأن غزوة الاحباش لمكة أثارتهم فجعلتهم يشاركون أهل اليمن في العداء للاحباش والابتهاج بالتحرر منهم . ولعل في خبر الوفد والخطبة ترديداً لذكرى ذلك . ولقد اخذ النبي ﷺ بعد ان هاجر الى المدينة وتوطد مركزه يكاتب أقيال اليمن وزعماءهـــا ويدعوهم الى الاسلام وكاتب من جملة من كاتبه باذان والي الفرس . وقد تلقى من كثير منهم الاجابة

---

(١) انظر العقد الفريد ج ١ ص ١٧٥ — ١٧٦

الايجابية وانضموا إلى الدين الجديد ومن جملتهم باذان ووفد كثير منهم عـلى النبي ﷺ وصار يرسل معهم الفقهـاء والجباة . وفي السنة العاشرة من الهجرة سير سرية إلى اليمن فحررتها نهائياً فعاد السلطان العربي اليها عوداً على بدء تحت الراية الاسلامية ممـا يدخل تفصيله في منهج الجزء التالي .

نظام الحكم المحلي في المملكة الحميرية

ولقد كان نظام الحكم المحلي الذي يتمثل بحكم الزعماء وأصحاب العصبيات ورؤساء القبائل لمناطقهم في نطاق الاستقلال الذاتي جارياً في زمن هذه المملكة امتداداً لما كان عليه الأمر في عهد المملكة السابقة على ما ذكرناه في سياق سيرتها ثم في العهود التي قبلها على ما شرحناه في الجزء الاول . وقد استمر جاريا بعد زوال السلطان الحميري وإبان انبساط حكم الاحباش ثم الفرس على هذه البلاد إلى زمن النبي ﷺ .

ويستفاد هذا من اسماء العدد الكبير من الامارات والامراء التي وردت في نص أبرهة الذي ذكرنا خبره قبل منسوبة إلى الارومات والمناطق مثل : ذي سحر وذي مرة وذي تمامه وذي حنش وذي مرثد وذي خليل وذي يزن والقيل معدى كرب بن سميدع وذي زنبور وذي جدن وذي معافر وذيذرنح وذيعدل وذي فيش وذي شولمان وذي شعبان وذي رعن وذي همدان وذيالكلاع وذيمهد وذي ثت وذي علم وذي ذيبان وذيفرنت وكبير حضرموت والسميذعاشوع ويزيد بن كبشت وذو معاهر ومرجزف [1]

وننبه على ان نص أبرهة لم يكن بسبيل احصاء الأذواء والاقيال والامارات بسبيل حكاية ثورة قام بها بعض هؤلاء ضد الحكم الحبشي وحكاية وقوف بعض آخر إلى جانب أبرهة ضد الثائرين .

ولقد ذكر ابن سعد في طبقاته [2] التي عقدها على السيرة النبوية أسماء عدد من الاذواء والاقيال والمخاليف والزعماء منها ما ورد فينص أبرهة ومنها ما لم يرد مثل ذي يزنومعافر وهمدان ورعين والكلاع وبني عبدكلال وذي عمرو الحميري وذي مرحب الحضرمي وذي

---

(١) علي جواد ج ٣ ص ١٩٦ - ٢٠٣

(٢) ج ٢ ص ٢٩ وبعدها

زرعة وبني عمرو من حمير وخولان وبني وليعة ملوك حضرموت وأقيالها وبني فهد والبسي والبحيري وربيعة وحجر وذلك في سياق الوفود التي وفدت على النبي عليه السلام أو كتب الدعوة التي أرسلها حيث يؤيد هذا ما قلناه من أن نظام الحكم المحلي ظل مستمراً خلال الحكم الحبشي والفارسي . وفي صيغ الاسماء دلالة على ما قررناه من شمول طور اللغة الفصحى النهائي للأقسام الجنوبية من الجزيرة أسوة بأقسامها الشمالية قبل البعثة النبوية .

وفي الجزء الاول من تاريخ اليعقوبي[1] ومؤلفه من رجال القرن الثالث الهجري عدد كبير من أسماء المخاليف فيها ما لم يذكر في النص وفي الطبقات . ولمحة القدم بادية عليها حيث يسوغ القول انها امتداد لما كان عليه الامر قبل الاسلام وهي هذه :

اليحصبين ، بكلا ، ذمار ، طمؤ ، عيان ، طهام ، همل ، قدم ، خيوان ، سنحان ، ريحان ، جرش ، صعدة ، الاخروج ، مجبج ، حراز ، هوزن ، قناعة ، الوزيره ، الحجر ، المعافر ، عنه ، الشوافي ، جيلان ، وصان ، السكون ، شرعب ، الجند ، سور ، الثبجة ، المزدرع ، حيران ، مأرب ، حضور ، علقان ، ريشان ، جيشان ، النهم ، بيش ، خنكان ، قربي ، قنونا ، رنيه ، زنيف ، العرش ، الحصوف ، الساعد ، بلجه ، المهجم ، الكدراء ، المعقر ، زبيد ، رمع ، الركب ، تبو ، مجيد ، لحج ، أبين ، الواديين ، اهان ، حضرموت ، مقرى ، حنس ، حرض ، الحقلين ، عنس ، بنو عامر ، مأذن حملان ، ذو جرة ، خولان ، السرو ، الدثينة ، كبيبه ، تباله ، عون ، صنعاء ، المندب ، غلافقة ، الحردة ، الشرجة ، الحضة ، عثر السرين ، وجدة .

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي اسماء عدد كبير من مخاليف اليمن منها ما ذكر في المصادر السابقة الذكر ومنها ما لم يذكر . ومع ان المتبادر انها كانت قائمة أو مسموعة الذكر في زمن المؤلف الذي كانت وفاته عام ٦٢٦ ﻫ فان لمحة القدم البادية على كثير مما لم يذكر في المصادر السابقة تسوغ القول انها هي الاخرى امتداد مما قبل الاسلام . وهي هذه ننقلها مرتبة حسب حروف الهجاء من اجزاء الكتاب الثمانية على ما جرى عليه المؤلف :

اين ، الاحور ، الاخروج ، اعلاق انعم ، امول ، املول ، املط ، بعدان ، بقران ، بكيل ، بوشان ، بيحان ، تيمن ، ثات ، جابان ، جبلان ، جدن ، جرش ، جريب ،

---

(١) ص ١٦٣

جعفر ، الجسرة ، الجند ، جيشان ، جهران ، حازة ، حراز ، حكم ، جبه ؛ حضور ، خشب ، خناس، خولان ، خيوان ، ذمار ، الرحابة ، رعين ، ردمان ، رداع ، ريحان ، رتيان ، رتيمة ، زبيد، سحول ، سرحه ، السكاسك ، سنحان ، شهاب ، شيبه ، اوشبوه ، شحاط ، شاكر ، صداء ،الصدف، صعده ، صعب ، عصار ، عصفان ، عنس ، عنه ،عود ، علق ، غطيف ، قدم ، قبيظان ، كحلان، لحج ، لتوان ، لمعية ، ماجن ، مرحض، مادن، مرسل ، مصانع ، معافر ، ملحان ، معزى ، يهساع ، مأرب ، نافع ، وحده ، وداعه ، واضع ، نهد ، نطروح ، همدان ، الهان ، يام ، يحصب .

ولنشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ قصيدة طويلة في ملوك حمير وأقيال اليمن . وقد ذكر فيها اسماء عدد كبير من أقيال اليمن منها ما ورد في المصادر السابقة ومنها ما لم يرد . واليك ابيات القصيدة التي جاء فيها ذكر ذلك [1]

أين المثامنة الملوك وملكهم	ذلوا لصرف الدهر بعد جماح
ذو ثعلبان وذو خليل ثم ذو	سحر وذو جدن وذو صرواح
أو ذو مقار قبل أو ذو حزفر	ولقد محا ذا عثكلان ماح
تلك المثامنة الذرى من حمير	كانوا ذوي الافساد والاصلاح [2]
أو ذو مراثد جدنا القيل ابن ذي	سحر ابو الأدواء رحب الساح
وبنوه ذو قين وذو شقر وذو	عمران أهل مكارم وسماح
والقيل ذو ذنبان من أبنائه	راح الحمام اليه في الرواح
خدمتهم جن الهواء وسخرت	لمقاول بيض الوجوه صباح
أم اين ذو الرمحين أو ذو ترخم	سقيا بكأس للمنون ذباح
أم أين ذو بهر وذو يزن وذو	بؤس وذو بيسح وذو الأنواح
أم أين ذو فينان أو ذو أصبح	لم ينبج بالامساء والاصباح
أم أين ذو الشعبين أصبح صدعه	لم يلتئم كمشعب الأقداح
أو ذو حوال حيل دون مرامه	أو ذو مناخ لم ينخ بمراح
أم أين ذو غمدان أو ذو فائش	أو ذو رعين لم يفز بفلاح

(١) كتاب ملوك حمير واقيال اليمن وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب اخبار الملوك التبابعة تحقيق وتعليق علي المؤيد واسماعيل الجرافي المطبعة السلفية ص ١٥٦ — ١٨٧
(٢) يظهر من هذا ان الاقيال الثانية كانوا هم اصحاب البروز والدرجة الاولى بين الاقيال

أوذو الكباس وذو الكلاع ويحصب	أضحوا وهم للنائبات أضاحي
والقيل أبرهـــة بن صباح فتى	نجباً وأبرهـــة أبو الصبـــاح
والصعب ذو القرنين أدركه الردى	قصداً ولم يضرب له بقـــداح
وسطا على الصيفي هاتـك عرشه	وعلى أخيه جذيمة الوضاح
وجذيمة الوضاح غير جذيمة الزباء	عن علم وعن اصحاح
والحرة الزباء سيق لهـــا الردى	بيدي قصير الخسر لا الأرباح
قتلت جذيمة وهو خاطبهـــا ولم	تفعل كفعل نضيرة وسجاح [١]
أم أين ذو أقيـــان أو ذو أقرع	أو ذو الجناح هزبر كل جناح
أو ذو العبير وذو ذرانح خـــانه	دهر يعيد النسر كالذراح
أو أين ذو بينون أو ذو مز على	وبنو شراحيـــل وآل شراح
أم اين ذو شهران أم ذو ماور	أضحت زنادهما بـــلا قداح
أم أين فهـــد أو هال وابـــنه	زيد عفاهم دهرهم بمساح
أم أين ذو ثات وذو هكر وذو	غمر وذو صـــبر وذو المشراح
أم أين ذو غيمان أوذو شوذب اللاهي	ببيض في النساء ملاح
أم أين ذو نبع وذو سخط معاً	أو ذو الملاحي لات حين ملاح
أم أين ذو أوسان أو ذو مأذن	ام اين ذو التيجـــان والابراح
وعباهل من حضرموت من بني	احماد والاشبال وآل صباح
والغر من جدن وابنا مرة	وبني شبيب والاولى من شاح
وبنو المريل وآل فهـــد منهم	من كل هش للفـــدى مرتاح

وقد أورد الشارح بيانات عن كل واحد من المذكورين في القصيدة بأسمائهم وذراريهم وسيرتهم ليس فيها شيء هام ووثيق يجدر نقله في صدد تاريخ هذه الحقبة .

وفي العدد الكبير من مخاليف وامارات اليمن صورة مـــن صور النظام الاجتماعي والسياسي الذي كانت تقوم عليه الدولة الحميرية والذي كان ممتداً إلى ماقبلها على ما شرحناه في الجزء الأول .

وإذا كان في الاسماء ما يفيد ان منها ما كان نسبة الى المواطن والاماكن والعواصم والمدن فان منها ما يفيد انه نسبة الى القبائل والجماعات التي كانت المخاليف والامارات

---

(١) والمتبادر ان بيت والحرة الزباء والذي يليه جاءا من قبيل الاستطراد

تقوم عليها مثل بكيل وبوشان وجيشان وجهران وخولان وخيوان وردمـان ورداع وريحان ورتمان وشهاب وشاكر وصداء وصدف وعصفان وعنس وقيظان ومعافر وملحان ونهد وهمـدان ويام ويحصب والشوافي والسكون والسكاسك وريشان وخنكان ومرة وثمامة وحنش ومرثد وحنيف وشعبان ومهد وذبيان وزرعـة وبني عمرو وبني وليعة ومرهب .

ومن تحصيل الحاصل ان نقول ان هذه القبائل والجماعات ليست كل ما كان موجوداً في اليمن في عهد الدولة الحميرية .

ولقد احتوت كتب السيرة اسماء عدد آخر من القبائل والجماعات القحطانية اليمنية خلاف من ذكر قبل في سياق اسماء وفود العرب على النبي ﷺ . ومنها مـا هو اسماء قبائل كبرى ينطوي فيها فروع كثيرة كل منها قبيلة برأسها . وصيغ الاسماء فصحى مما فيه دلالة على شمول اللغة الفصحى لمختلف انحاء الجزيرة . وهذه الدلالة قائمة في صيغ اسماء المخاليف والامارات أيضاً كما هو المتبادر. وهذه جملة من الاسماء وردت في كتاب طبقات ابن سعد [1] :

طي ، تجيب ، مراد ، كنده ، خشين ، بلي ، بهراء ، بجيلة ، عذر ، سلامان ، جهينة ، جرم الازد ، غسان ، غامد ، النخع ، خثعم ، أشعر ، غافق ، عك دوس .

وفي معجم القبائل لعمر رضا كحالة اسماء كثير مـن فروع القبائل اليمنية الكبرى مثل الاسد وطي وبجيلة وبلي وجهينة لم نر محلا لذكرها هنا لأنها تمثل حالتها في التاريخ الاسلامي وان كان من المحتمل ان يكون كثير منها ممتداً إلى ما قبل الاسلام .

الحالة الدينية في المملكة الحميرية

استمرت الحالة الدينية في الشطر الاول من عهد هذه المملكة على ما كانت عليه في العهود السابقة حيث كان هناك اله رئيسي وهو المقه الذي يرمز الى القمر والى جانبه عثتر التي هي الزهرة مع آلهة محلية أخرى . أما في الشطر الثاني الذي يمكن ان تكون بدايته أواخر القرن الرابع بعد الميلاد وبعد تمكن الحميريين من تقويض حكم الاحباش عـن

(١) ج ٢ ص ٨٦ وبعدها

بلادهم فقد صار يذكر رب السماء حيناً (بعل سمين) ورب السماء والأرض حيناً (بعل سمين وأرضين) دون ذكر معبودات أخرى والرجح ان ذلك كان بتأثير وتسرب المسيحية التي كان يدين بها الأحباش الذين استمر سلطانهم على البلاد نحو سبعين عاماً والتي قد غدت في هذا الظرف دين غالبية بلاد الشام ومصر التي كانت تحت سلطان الرومان . ومن الممكن أن يضاف إلى ذلك تأثير وتسرب اليهودية التي انتقلت مع الذين نزحوا من بني اسرائيل عن فلسطين الى الحجاز في القرون الاولى بعد الميلاد المسيحي . وفي النقوش اليمنية ما يؤيد هذا التسرب وإن كان لا يساعد على تعيين بدايته . فقد وجد نقش هذا نصه [1] : « تبرك سم رحمنن ذ بسمين ويزرال والههو رب يهـــد ذهرد عبد همو شهرم وامهمو وحشتكهو شمسم وأولادهو » الذي معناه «تبارك اسم الرحمن الذي في السماء والهاسرائيل رب اليهود الذي ساعد عبده شهر وامه وزوجته شمس واولاده » وفـــيه دلالة كما هو واضح منه أن كاتبه يهودي الدين . وقد وجد نقش آخر [2] ورد في مطلعه « نفس قدس سمينع اشوع ملك سبأ » وفي آخره « باسم رحمنن وبنهو كريستش غلبن » وكريستش اسم المسيح في اليونانية وفي النص دلالة على ان كاتبه مسيحي الدين .

وهذا بالاضافة الى ما هو ثابت متواتر من دينونة جماعـــات من أهل اليمن بالديانتين قبل الاسلام .

وفي الكتب القديمة اليونانية والرومانية والحبشية والسريانية والعربية بيانات حول اليهودية والمسيحية في اليمن وانتشارهما وآثارها مؤيدة لذلك . والمستفاد منها [3] ان المسيحية طرأت على اليمن في القرن الرابع قبل اليهود بواسطة مبشر اسمه ثيوفيلوس ارسله الامبراطور قسطنطين الثاني في سنة ٣٥٤ أو ٣٥٦ ب م الى الحبشة واليمن ، وانه استطاع ان ينشر المسيحية في اليمن وأن ينشىء كنيسة في عدن واخرى في ظفار وثالثة في هرمز وان ينصب اسقفاً في ظفار ليشرف على شؤون المسيحيين . وهـــذا الوقت يصادف ظرف غزو الاحباش لليمن واحتلالهم لها فترة من الوقت على ما ذكرناه قبل حيث يحتمل أن يكون المبشر الذي أرسله الامبراطور قد أصاب نجاحاً في مهمته في الحبشة ثم اغتنم فرصة الغزوة الحبشية لليمن فانتقل اليها وبذل نشاطاً تبشيرياً فيها كان له حظ من النجاح أيضاً .

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٧٣
(٢) نفس الجزء ص ١٩٤
(٣) هذه النبذة مقتبسة من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٥٠ — ٢٧٣

ولقد عثر على مقربة من خرائب ظفار على أعمدة عليها نقوش صلبان يحتمل أن تكون من آثار تلك الكنيسة وتروى كتب النساطرة أن تاجراً من نجران اسمه حنان رحل إلى القسطنطينية رحلة تجارية في أواخر القرن الرابع واعتنق النصرانية ولما عاد بشر بها وتمكن من نشرها في نجران . وهناك رواية حبشية اخرى عن انتشار النصرانية في نجران على يد قديس اسمه ازفير وقد قتله اليهود ، ورواية عربية عن انتشارها على يد راهب اسمه فيميون .

وعلى كل حال فمن الممكن ان يقال بشيء من الوثوق ان النصرانية اخذت تتسرب الى الدولة الحميرية في القرن الرابع بعد الميلاد ثم استمرت قائمة الى بعثة النبي عليه السلام ومستقرة بنوع خاص في نجران على ما عرف معرفة تكاد ان تكون يقينية .

أما اليهودية فليس هناك روايات تدل على تاريخ تسربها غير الروايات العربية . ومما رواه الطبري في صدد ذلك ان تبان اسعد ابو كرب احد تبابعة اليمن حينما اعتزم غزو بلاد المشرق ترك ولداً له في يثرب فوجد ابنه قد اغتيل فيها فقرر الانتقام من أهلها ووقعت بينه وبينهم معارك الى ان جاءه حبران من احبار يهود بني قريظة فكلماه ونهياه عن الاستمرار في انتقامه وقد اعجبه عقلهما فانتهى وأخذهما معه الى اليمن واتبع دينهما ودعا قومه الى ذلك فأبوا عليه حتى يحتكموا الى النار حيث كان في اليمن نار تخرج من كهف يتحاكمون عندها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم فوافق فخرج قومه بأوثانهم وخرج الحبران ومصاحفهما في أعناقهما فخرجت النار وأكلت الأوثان وأصحابها وخرج الحبران ومصاحفهما والعرق يتصبب من جباههما فحينئذ اتفقت حمير على دينه

وعلى كل حال فمن الممكن أن يقال كذلك بشيء من الوثوق ان اليهودية تسربت الى المملكة الحميرية بعد تسرب المسيحية . ومن ثم اخذ رجال الديانتين يتنافسون على كسب الاتباع والكيد لبعضهم نتيجة للعداء الذي كان مشتداً بين الفريقين إذ ذاك . وفي عهد الملك الحميري ذي نواس اتسع نطاقها من جهة واشتد اضطهاد النصارى نتيجة لتحريض أحبار اليهود من جهة اخرى حتى لقد روت الروايات العربية [1] ان ذا نواس أمر بحفر أخدود طويل وتأجيج النيران فيه والقاء الذين يصرون على النصرانية وان آيات سورة البروج التالية قد احتوت اشارة الى ذلك :

---

(١) انظر سورة البروج في تفسير ابن كثير مثلا

« والسماء ذات البروج . واليوم الموعود . وشاهد ومشهود . قتل اصحاب الاخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »

وقد أورد يوحنا الافسسي في تاريخه الكنسي وثيقة مهمة عن حادث تعذيب نصارى نجران . وهي رسالة وجهها مار شمعون اسقف بيت ارشام المعاصر إلى رئيس دير جبلة يصف فيها ما سمعه وما قصه عليه شهود عيان من اهل اليمن عن تعذيب نصارى نجران وما لاقوه من اصناف العذاب . وقد جاء في الرسالة ان ذلك العذاب كان في سنة ٥٢٤ب م وهو يصادف لحكم ذي نواس كما جاء فيها ان ملك حمير وجه الى ملك الحيرة يطلب منه انيفعل بنصارى بلاده ما فعله هو بنصارى نجران [١] .

وقد جر هذا على اليمن غزو الاحباش انتصاراً لبني دينهم انبسط سلطانهم نتيجة له نحو سبعين سنة على الدولة الحميرية على ما ذكرناه قبل فكانت على الأرجح فرصة لكسب النصرانية الجولة على اليهودية .

ولقد انبسط السلطان الفارسي على اليمن في أواخر القرن السادس الميلادي على ما ذكرناه قبل أيضاً فأدى ذلك إلى تسرب المجوسية وعبادة النار الى فريق من اهل اليمن بالاضافة الى الجيش الفارسي الذي توطن في اليمن وصار انساله يعرفون بالابناء مع التنبيه الى ان نطاقها ظل ضيقاً جداً .

على ان من الحق ان ننبه الى ان نطاق المسيحية في عهد حكم الاحباش ونطاق اليهودية في عهد حكم ملوك حمير الذين دانوا بها وان اتسعا فانهما لم يشملا قسما كبيراً من أهل البلاد . ولقد أدى استيلاء الاحباش على اليمن إلى زوال اليهودية تقريباً بدليل ان كتب السيرة والتاريخ لم تذكر وجود يهود في اليمن في عهد النبي عليه السلام ولا في عهد خلفائه الراشدين . ونرجح بل نجزم ان اليهود الذين كانوا في اليمن في العهود الاسلامية والذين هاجر معظمهم الى فلسطين في قرننا الحاضر هم طراء بعد الاسلام ومن المحتمل جداً ان يكونوا من اليهود الذين نزحوا من الاندلس بعد زوال السلطان الاسلامي العربي عنها وتشتتوا في انحاء البلاد العربية . ولقد أدى انهيار حكم الاحباش وقيام السلطان الفارسي المجوسي الدين الذي كان على عداء مع الروم حماة النصرانية في الشرق العربي الى انكماش النصرانية وانحصارها في نجران الى ان كان عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجلى نصاراها من اليمن الى العراق لأنهم اشتغلوا بالربا وقد أمر والي العراق واهله بنصرهم

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٨٦

وحمايتهم واقطاعهم الارض واعفائهم سنتين من الجزية على ما ذكره ابن سعد في طبقاته [1] .

— ٥ —

مقتبسات من الكتب اليونانية والرومانية القديمة

عن عهد الدولة الحميرية [2]

ولقد ورد في كتب اليونانيين والرومانيين القديمة اسماء كثير من المدن والقبائل التي كانت موجودة في ظروف كتابة كتبهم وفي زمن الدولة الحميرية كما جاء فيها اخبار وصور سياسية وحربية لم ترد في النقوش المكتشفة .

فقد ذكر المؤرخ والجغرافي الروماني بلينوس شعباً سماه Gebbanitae الجبائيين وقال عنه ان له ملكاً يأخذ لنفسه ربع غلة المر ويحصر بيع القرفة في يده وان ميناء مملكته هو مدينة Acilia التي عربها الباحثون بلفظ « عُقيل » . ولقد ذكر الهمداني اسم مدينة يقال لها جبأ وقال عنها انها مدينة المفاخر وهي لآل الكرندي من بني ثمامة آل حمير الاصغر . فمن المحتمل ان تكون هذه المدينة مركز تلك المملكة وان المؤلف الروماني سماها باسم هذا المركز . والمتبادر ان هذه المملكة كانت في نطاق سيادة الدولة الحميرية متمتعة باستقلال ذاتي على الطريقة التي كانت تجري في اليمن قبل عهد هذه الدولة ايضاً على ما ذكرناه في مناسبات سابقة .

ولقد ذكر بلينوس شعوباً وقبائل ومدناً اخرى بلهجته الرومانية التي لا شك في ان فيها تحريفاً للاسماء جعلها بعيدة عن اللمحة العربية قليلا او كثيراً كما جعل الاثريين يحارون في تخريجها وتطبيقها على ما هو مدون لهم من معالم جغرافية ويختلفون في ذلك اختلافاً كثيراً شغل استعراضه صحائف كثيرة ولم نر طائلا في ايراد شيء منه ولا ضرورة ورأينا ان نكتفي بايراد الاسماء على علاتها .

---

(١) ج ٢ ص ١١٩—١٢١

(٢) مرجع هذه النبذة العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٩٨ و ٣٨٤ و ج ٣ ص ٢٩٣—٤٢٢

فمن القبائل او الاقوام التي ذكرها Plont التي يمكن ان تكون ثواني و Actaei التي يمكن ان تكون اقتابي او اقطـــاوي و Tenabaei التي يمكن ان تكون و Autiadali التي يمكن ان تكون عنتادي و Lexionae التي يمكن ان تكون الكساني او لحياني و Cerbani التي يمكن ان تكون قراني و Sabaei التي يمكن ان تكون السباعي و Autaridae التي يمكن ان تكون العطاردي و Larendani التي يمكن ان تكون الراندانى وقال عنها انها من اشهر القبائل لامتلاكها العطور الزكية وان اراضيها تقع بين البحر الاحمر والبحر العربي — اي البحر المحاذي للساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة العرب، ثم قال ان من اشهر مدن هذه القبائل الساحلية Marma التي يمكن ان تكون مرمى و Coralia التي يمكن ان تكون كورة و Cardava الـــتي يمكن ان تكون خردقة او قردفـــة و Naesus التي يمكن ان تكون نقس و Tomala التي يمكن ان تكون طوملة وان العاصمة الملكية لجميع هذه القبائل هي Marelabata التي يمكن ان تكون مارلبا او مأربة وهي تقع عـــلى خليج يبلغ محيطه اربعة وتسعين ميلا ويتصل بالجزر التي تنتج الافاوية والعطور . ثم انه يجاور Atramita التي يظن انه يقصد بها حضرموت من البر قبيلة Minaei التي يمكن ان تكون منيه . اما على الساحل فيقطن قبيلة اسمها Elamitau التي يمكن ان تكون العلاميتي ولهم مدينة تسمى باسمهم ويجاورهم قبيلة اسمها Chaculatae التي يمكن ان تكون شقلاتي اصحاب مدينة Sbuis التي يمكن ان تكون صبية ثم قبائـــل Arsi التي يمكن ان تكون عرسي او عرشي و Codani التي يمكن ان تكون كداني . ولهم مدينة كبيرة اسمها Barasasa التي يمكن ان تكون برصه او برصاصة .

ومما ذكره بيلنوس انه كان في سواحل جزيرة العرب الغربية مراكز تقيم فيها جاليات يونانية منها انبلونه Ampelane وارتيوسا Aretusa ولاريسا Larisa وشالي Chlici ثم قال انها تخربت قبل ايامه بأمد ما . ومن المحتمل ان يكون بعض اليونانيين قد انشأوا بعض المراكز في عهد دولة البطالسة اليونانيين في مصر التي قامت سنة ٣١٢ ق م وظلت الى سنة ٣١ ق م على ما ذكرناه في الجزء الثاني . وقد ايد هذا غير واحد من الكتاب القدماء ايضاً .

ومما ذكره بلينوس ولسترابون خبر زحف حملة رومانية على جزيرة العرب في سنة ٢٤ ق م بأمر القيصر اوغوستوس بعد ان استتب له السلطان على بلاد الشام ومصر بقصد

الاستيلاء على هذه الجزيرة وثرواتها وغلاتها التي طار صيتها في الآفاق حتى تكمل حلقات السلطان الروماني على الشرق العربي . وكانت الحملة بقيادة أوليوس غالوس والي مصر وفيها كتائب مصرية ونبطية ويهودية بالاضافة الى الكتائب الرومانية . وقد نزلت في ميناء Nera فيه عيون عذاب غزيره وخمنه الباحثون انه الينبع المعروف اليوم ثم سارت نحو الجنوب واستطاعت ان تفتح بعض مدنه مثل نجران Negrani ومارسيابا Marsiaba غير انها عادت من حيث أتت دون فتح كبير وتوطيد سلطان بسبب ما لاقته من مشاق وصعاب .

وقد ذكر بلينوس اسم Cedanon كميناء تابع للملك السبئيين والحميريين وقال ان القيصر تغلب على هذا الميناء وخربه . وفسر جواد علي وبعض الاثريين بأن هذا الميناء هو ميناء عدن كما خمنوا ان القيصر هو كلود الاول الذي كان حكمه بعد قليل من القيصر اوغوستوس حيث يبدو من هذا وذاك ان الرومانيين حاولوا مد سلطانهم وسيطرتهم على هذه البلاد منذ ان توطد سلطانهم في الشرق العربي .

وقد ذكر مؤلف كتاب الطواف حول البحر الايتري وهو مجهول الاسم اشياء كثيرة عن جغرافية واحداث بلاد العرب . ومن جملة ما ذكره مما يتصل بالدولة الحميرية اسم Afar وقال انها عاصمة Charibael ملك السبئيين وحمير وهو الملك الذي أرسل القيصر اليه سفارة تحمل هدايا وألطافاً . وفسر جواد علي افار بظفار التي اتخذها ملوك سبأ وريدان ثم حمير عاصمة بعد مأرب وقد فسر اسم الملك بأنه كرب ايل وتر ينعم . وهذا من أواخر الدولة ملوك السبئية السابقة للدولة الحميرية والذي كان حكمه في القرن الثاني قبل الميلاد مع انه خمن ان القيصر المقصود هو كلود الذي كان حكمه في أواسط القرن الاول والذي ذكر بلينوس انه تغلب على ميناء CendaMan وخربها على ما أوردناه قبل ومع ان ظفار لم تكن عاصمة دولة سبأ التي من ملوكها كرب ايل وانما كانت مأرب هي العاصمة وهذا ما يجعلنا نتوقف في تفسير جواد علي ونرجح ان المقصود غير كرب ايل . وفي قائمة ملوك حمير الاولى اسماء شرح يحمل وشرح يحصب وحكمهم يصادف حكم القيصر كلود فاحتمال ان يكون الملك الذي هاداه هذا القيصر احدهما هو الاقوى حيث رأى هذا ان الصلات الودية تضمن للرومان مصالحهم اكثر من العنف الذي اخفقوا فيه .

ولقد ذكر مؤرخ آخر اسمه فيلوستور خيوس من القرن الخامس بعد الميلاد ان ميناء عدن كانت تحت سيطرة الروم في أوائل القرن الرابع وان قسطنطين الامبراطور المنتصر

أنشأ فيه كنيسة كما أنشأ في الوقت نفسه كنيستين واحدة في ظفار وأخرى في هرمز . فمن المحتمل ان يكون هذا قد تم في ظروف استيلاء الاحباش على بلاد اليمن في القرن المذكور على ما شرحناه قبل .

ومما ذكره هـذا المؤلف اسم مدينة برية وهو Saue الذي يمكن ان يكون صوى وقال انها تبعد عن ميناء مخا بمسافة ما وانها عاصمة للملك Chobelus الذي يحتمل ان يكون جبلة ملك بلاد Mapharitea التي فسرها جواد علي ببلاد معافر وان اهـل الساحل الافريقي المقابل كانوا يدفعون له الجزية وانه كان يختار الموظفين والجباة من اناس لهم علم بأحوال هذا الساحل وألسنة اهله وممن لهم صلات رحم وقربى بهم . ومعافر من مخاليف او امارات اليمن المعروفة ، ويظهر ان المعافريين كانوا يمارسون استقلالا ذاتيا واسعاً في الدوله الحميرية حتى صار أمراؤهم يتلقبون بلقب الملك ، وقد توسعوا في التبسط حتى صار لهم السلطان على أهل الساحل المقابل . وفي هذا صورة من صور النظام الاستقلالي المحلي في الدولة الحميرية .

وهناك كتاب مشهور وهو كتاب المجسطي لبطليموس مـن رجال القرن الثاني بعد الميلاد . وهو مترجم الى العربية قديماً ومثل الكتابين السابقين ذو صفة جغرافية . وقد احتوى شيئاً كثيراً عن جغرافية جزيرة العرب واطرافها غير انه لا يوجد فيه شيء هام متصل بتاريخ الدولة الحميرية على مايستفاد من الفصل الاستعراضي الذي لخصه الدكتور جواد علي في الجزء الثالث من كتابه فاكتفينا بما اقتبسناه من كتابه نقلا عن الكتابين السابقين .

روايات الكتب العربية

عن المملكة الحميرية

في كتاب تاريخ العرب قبـل الاسلام لجرجي زيدان قائمتان . سمى ملوك أولاهما « الطبقة الاولى » وأورد أسماءهم تحت عنوان ملوك سبأ وذو ريـدان . وسمى ملوك ثانيتهما « الطبقة الثانية » وأورد أسماءهم تحت عنوان ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت وغيرها . وواضح انـه قصد بالاولى ملوك مملكة سبأ وريدان وبالثانية ملوك المملكة الحميرية . وقد عين مدة حكم الطبقة الاولى بين سنة ١١٥ ق م وسنة ٢٧٥ ب م وحكم

الطبقة الثانية بين سنة ٢٧٥ ب م وسنة ٥٢٣ ب م . وقال انه رتب قـائمتيه [١] نتيجة لدراساته واستنتاجاته مـا ورد في كتب اليونان والنقوش التي اكتشفها ودرسهـا الاثريون .

وهذه هي القائمة الاولى مع سني حكم كل من الملوك التي فيها :

علهان نهفان	١٠٥ ق م — ٨٠ ق م
شعر اوثار بن علهان نهفان بريم ايمن بن علهان نهفان	٨٠ — ٥٠ ق م
فرع ينهب	٥٠ — ٣٥
الشرح يحضب وابنه يزل بيبن	٣٥ — ١٥
الشرح يحمل بن يزل بيبن	١٥ — ٥ ب
وثار	٥ — ٣٥
كرب ايل وثار يهنعم	٣٥ — ٧٠
ذمر علي ذرح بن كرب ايل	٧٠ — ٩٥
هلك امر بن كرب ايل	٩٥ — ١٢٠
ذمر علي بيبين	١٢٠ — ١٤٥
وهب ايل يحز	١٤٥ — ١٧٠
(ملوك مجهولون)	١٧٠ — ٢٥٠
ياسر انعم	٢٥٠ — ٢٧٥

وهذه هي القائمة الثانية :

شمر يرعش	٢٧٥ — ٣٠٠ ب م
ذو القرنين او افريقس الصعب	٣٠٠ — ٣٢٠
عمرو زوج بلقيس	٣٢٠ — ٣٣٠
بلقيس وتسمى الفارعة	٣٤٠ — ٣٤٥
المدهاد اخو بلقيس	٣٤٥ — ٣٧٤
ملكي كرب يهنعم	٣٧٤ — ٣٨٥
ابو كرب بن اسعدد بن كرب	٣٨٥ — ٤٢٠

(١) ص ١٥٣ — ١٤٤ طبعة جديدة

حسان بن أسعد	٤٢٠ — ٤٢٥ ب م
شرحبيل يعفر بن أسعد	٤٢٥ — ٤٥٥
شرحبيل ينوف	٤٥٥ — ٤٧٠
معدي كرب ينعم وابنه طيعة	٤٧٠ — ٤٩٥
مرثد اللات ينوف	٤٩٥ — ٥١٥
ذو نواس الذي يسميه اليونانيون ذميانوس	٥١٥ — ٥٢٥
ذو نواس	٥١٥ — ٥٢٥
ذو جدن	٥٢٥ — ٥٣٢

ومع ان جرجي زيدان قال الاسماء مستقاة من دراسة الاثريين والمدونات القديمةفان هناك مباينات عديدة بينها وبين ما أورده جواد علي استقاء مـــن تلك الدراسة أيضاً . وقد أورد جواد علي نصوص النقوش التي ذكرت فيها الأسماء بحيث يمكن القول إن ما أورده هو الأصح . ولقد مر بين المؤلفين نحو أربعينعاماً ونيف . والمتبادر انالدراسات الأثرية قد تقدمت واتسعت في هذه المدة . وفي قائمتي زيدان أسماء لم ترد في نقوش وانما هي مقتبسة من الروايات العربية وبعضهـــا غريب مثل ذي القرنين الصعب وعمرو زوج بلقيس وبلقيس التي تسمى الفارعة والهدهاد اخو بلقيس . وذو جدن آخر القائمة الثانية [١] والمستفاد من النقوش ان الذي ملك بعد موت ذي نواس هو اسميشوع الحميري الذينصبه النجاشي تحت سيادته والذي كان نصرانياً على ما ذكرناه قبل .

ولم يورد جرجي زيدان من سيرة الدولة الحميرية شيئاً مستنداً إلى الآثار . ويفيـــد كلامه [٢] أنه لم يطلع على المنقوشات التي استند اليها جواد علي والتي عرف منهـــا أسماء ملوك الدولة وشيئاً من سيرتهم . وقد ذكر بعض ما كتبته الكتب العربية مـــن سيرة بعض ملوكها ووصفه بالمبالغة مع قوله إن هذه الدولة أقرب إلى الدول الفاتحة من الدول التي سبقتها . وعقد نبذة بعنوان العصر الحبشي في اليمن وقال ان العرب لا يعرفون من سيادة الاحباش على اليمن إلا غزوتهم الاخيرة في أيام الملك ذي نواس الذي يسميه كتاب اليونان دميانوس مع ان الصلات بين الحبشة واليمن قديمة، ثم ذكر عزواً إلى المصادر اليونانية

---

(١) انظر جواد علي ج ٣ص ١٦٩ ومروج الذهب ج ٢ ص ٣ ١٤٠

(٢) ص ١٤٤-١٥١

والرومانية غزوات الحبش لليمن مختلفةبعض الشيء عما أوردناه قبل من روايات جوادعلي حيث ذكر غزوة حبشية لليمن في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد عرف خبرها من نقش وجد في أدوليس في بلاد الحبشة ، وغزوة ثانية في أواخر القرن الثالث ، وغزوة ثالثة بعد خمسين سنة اكتسح الحبش بها اليمن كلها وتسمى ملوكهم باسم (ملك اكسوم وحمير وريدان وأثيوبيا وسبأ وزيلع وغيرها) وباسم (ملك اكسوم وحميروريدانوسلحين). وممن واقف الحميريين من ملوك الأحباش ملك اسمه (العلى اسكندى) حارب الهدهاد ملك حمير سنة ٣٤٠ ب م وخلفه (العلى عميده من سنة ٣٤٠ الى ٣٤٨) وحارب الهدهاد وبلقيس وفتح اليمن سنة ٣٤٥ بمساعدة قيصر الروم قسطنطيوس رغبة في نشر النصرانية التي كانت دخلت الحبشة من عهد قريب على يد كاهن رومي اسمه فرومنتوس ساموه اسقفاً عليها سنة ٣٥٤ في اكسوم . وولى الحبشة واليمن بعد العلى عميدة أولاده وهم (عيزاناس = اذينه) وحكم من سنة ٣٤٨ الى ٣٦٥ و (سازاناس = شاذان) من سنة ٣٩٥ - ٣٧٤ وهو آخر من تولى اليمن من هذه العائلة فعادت الى اصحابها الحميريين وتولاها سنة ٣٧٤ ملكيكرب يوهنعم وظلت في قبضتهم حتى فتحها الاحباش المرة الأخيرة سنة ٥٢٥ التي عرفها العرب وذكروها .

وقد ذكر أسباب هذه الغزوة الأخيرة عزواً إلى الكتب العربية وإلى الكتب اليونانية وقال ان الاولى ذكرت ان اسبابها اضطهاد ذي نواس ملك حمير للنصارى وتحريض قيصر الروم للنجاشي للانتقام لهم . أما الثانية فانها ذكرت ان السبب هو المنافسة التجارية بين الروم والفرس . وقد حرض هؤلاء الحميريين على عرقلة نشاط تجار الروم فحرض قيصر الروم ملك الاحباش هداد فاجتاز البحر وحارب الحميريين وقتل ملكهم دميانوس (ذا نواس) ثم انسحب إلى بلاده فعاد الحميريون إلى عرقلة التجارة الرومية فغزا ملك الحبشة اليسباس اليمن ثانية بحملة كبيرة وغلب الحميريين وولى على اليمن أميراً مسيحياً من أمرائه اسمه اسيافيوس (السميفع) وأوعز اليه ان يحمل اهلها على النصرانية استنجاداً بالدين على السياسة ولكن حكم هذا الملك لم يطل حيث ثار عليه الحميريون وخلعوه فأرسل اليسباس جنداً لاخضاعهم فانضم الجند إلى العصاة مما جعل الملك الحبشي ييأس من إذلال الحميريين ويعقد الصلح معهم .

والنهاية لا تتفق مع ما عرف يقيناً من استمرار حكم الاحباش تحت سلطان أبرهة ، وقد نبه جرجي زيدان إلى ذلك وأورد ترجمة نقش ابرهة الطويل الذي ذكره جواد علي

وأوردناه قبل ، وحاول أن يعلل التناقض بالخلاف الذي وقع بين أرياط وبين أبرهة والذي ذكرته الروايات العربية . ثم ذكر خبر قيام الامير الحميري سيف بن ذي يزن لمناضلة الحكم الحبشي وقال انه استنصر بقيصر الروم فرده فاستنصر بكسرى الفرس فنصره بجند تحت قيادة وهرز تمكن من قهر الحبشة واحتلال مكانهم وكتب بذلك لكسرى فأمره بتسليم الملك لسيف ابن ذي يزن الذي أوغل في الانتقام من الاحباش مما جعلهم يغتالونه ولم يقم من الحميريين ملك بعده حتى كان الاسلام ودخلت اليمن في حوزة المسلمين . وقد ذكر نقلا عن الكتب العربية ان حكم الاحباش استمر ٧٤ عاماً منها ٢٠ سنة لارياط و ٢٣ لابرهة و ١٩ ليكسوم و ١٢ لمسروق وكانت العاصمة صنعاء وكان الملك يجلس في قصر غمدان .

ولقد احتوت الكتب العربية القديمة روايات كثيرة عن أسماء ملوك هذا العهد وسيرتهم ومآثرهم اختلط فيها الغث بالسمين بل كان الغث والخيال بل والخرافات فيها هي الأكثر .

ففي مروج الذهب للمسعودي قائمتان بأسماء ملوك هذا العهد ومدة حكمهم . وهذه احداهما التي يلحظ فيها الصيغة الفصحى للاسماء مما هو ليس معقولا اجمالا : [1]

سبأ بن يشجب واسمه عبد شمس	مدة حكمه	٥٤٤ سنة
حمير بن سبأ	«	٥٠ «
كهلان بن سبأ	«	٣٠٠ «
ابو مالك بن عمرو بن سبأ	«	٣٠٠ «
الرائش الحرث بن ذي سدد	«	—
جبار بن غالب بن افريقس	«	١٤٠ «
وله اسم ثان هو ابرهة ذو المنار		
الرائش بن شداد	«	١٢٥ «
أبرهة بن الرائش	«	١٨٠ «
المعبد بن أبرهة ذو الاذعار	«	٢٥ «
الهدهاد بن شرحبيل	«	١٠ «
تبع الاول	«	٤٠٠ «
بلقيس بنت الهدهاد	«	١٢٠ «

(١) ج ٢ ص ٣-٦

ناشر النعم بن عمرو بن يعفر	مدة حكمه	٣٥	سنة
كليكرب بن تبع	«	٣٢٠	«
حسان بن تبع	«	٢٥	«
عمرو بن تبع	«	٦٤	«
وليعة بن مرثد	«	٣٩	«
ابرهة بن الصباح بن وليعة	«	٩٣	«
عمرو بن ذى قيمان	«	١٧	«
ذو شناتر	«	٣٠	«
يوسف ذو نواس	«	٢٦٠	«

وهذه ثانيتها [١] وفيها أسماء من القائمة الاولى وصيغة الاسماء فصحى . ودخل فيها سليمان ابن داود وابنه رحبعم ملكي بني اسرائيل . والمبالغة في مدد الحكم موجودة ولكنها أقل منها في سابقتها . وبعض الاسماء مدة حكم اكثر أو أقل .

سبأ بن يشجب	ومدة حكمه	١٨٤	«
الحرث بن شداد	«	١٢٥	«
أبرهة بن الرائش ذو المنار	«	١٣٣	«
افريتس بن أبرهة	«	١٦٤	«
الهدهاد بن شرحبيل	«	١	«
بلقيس بنت الهدهاد	«	٧	«
سليمان بن داود	«	٢٣	«
رحبعم بن سليمان	«	٤	«
ناشر النعم بن يعفر ذوالاذعار	«	٣٥	«
عمرو بن شمر بن افريتش	«	٥٣	«
كليكرب بن تبع وهو تبع	«	٨٤	«
ابو كرب اسعد	«	٧٤	«
كلال بن سويب	«	–	«
تبع بن حسان بن تبع	«	٣٧	«

(١) ج ٢ ص ١٣ – ١٤

مرثد	مدة حكمة	٧٣	سنة
أبرهة	»	٨٩	»
ذو شناتر بن زرعا	»	—	»
حنيفة	»	٨٤	»

وقد أورد جرجي زيدان [١] نقلا عن حمزة الاصفهاني هذه القائمة بعنوان التبابعة عند العرب :

	مدة حكمه		مدة حكمه
الحارث الرائش	١٢٥	اسعد ابو كرب	١٢٠
ابرهة ذو المنار	١٨٣	حسان بن تبع	٧٠
افريتس بن ابرهة	١٦٤	عمرو بن تبع	٦٣
العبد ذو الادغار	٢٥	عبيد كلال	٧٤
هداد بن شرحبيل	٧٥	تبع بن حسان	٧٨
بلقيس بن هداد	٢٠	مرثد بن عبيد	٤١
ناشر ينعم	٨٥	وليعة بن مرثد	٣٧
شمر يرعش	٣٧	ابرهة بن الصباح	٠
ابو مالك	٥٥	صهبان بن محرث	١٥
تبع بن الاقرن	٥٣	حسان بن عمرو	٥٧
ذو جيشان	٧٠	ذو شناتر	٣٧
الاقرن بن ابي ملك	١٦٣	ذو نواس	٢٠
كليكرب	٣٥	ذو جدن	٨

ومما يرويه الطبري مثلا [٢] ان الحارث بن عمرو الكندي الذي ملك الحيرة لفترة قصيرة في أوائل القرن السادس بعد الميلاد ارسل يحرض ملك اليمن تبعاً فزحف على العراق ثم وجه ابن اخيه شمرا ذا الجناح الى قباذ فقاتله فهزمه حتى لحق بالري ثم أدركه بها فقتله . وقد أمره بالتوجه نحو خراسان ثم نحو بلاد الصغد في التركستان ، ووجه ابنه حساناً إلى الصين وكان كل من القائدين في جيش عظيم عدده ستمئة الف واربعين ألفاً !

---

(١) العرب قبل الاسلام ص ١٢٣

(٢) ج ١ ص ٥٢٣ — ٥٢٤

وبعث ابن اخيه يعفر الى الروم فسار حتى اتى القسطنطينية فأعطوه الطاعة والاتاوة ثم مضي الى رومية فحاصرها واصاب من معه جوع ووقع فيهم طاعون فضعفوا وقل عددهم فوثب عليهم الروم فقتلوهم ولم يفلت منهم أحد . وسار شمّر ذو الجناح حتى اتى سمرقند فحاصرها ثم افتتحها بحيلة وقتل أهلها وحوى ما فيها ثم سار نحو الصين فوجد حساناً بن تبع قد سبقه اليها بثلاث سنين ! .

ومما أورده الهمداني [1] ان الملك مالك ناشر النعم كان مـــن عظماء التبابعة بلغ البحر المحيط في غزوه ثم سار بنفسه غازياً نحو المغرب فدوخه ووطئه حتى بلغ وادي الرمل ولم يبلغ ذلك الوادي ولا تلك الأرض من اهل بيته غيره . وانه لما اتى الوادي الذي يسيل رمله لم يجد مخرجاً ولا مجازاً حتى جاء يوم السبت فلم يجر اذ لم يجده يسير . وامر رجلا من اهل بيته بعبور الوادي بأصحابه فعبروه فلم يرجع منهم احد ، فكف ناشر عن العبور وأمر بصنم من نحاس فنصبه على صخرة وكتب على صدره بخط المسند .. صنع هذا الصنم الملك الحميري ناشر النعم اليعفري : ليس وراء هذا مذهب فلا يتكلف احد المضي متغلغلا فيعطب . ثم بعث عساكره الى الافرنج والبشكنس وارض الصقـــالبة فغنموا الاموال وسبوا الذراري وبعث عسكره الى ارض الروم فافتتحوها وبلغ طبرستان وباب الابواب وبلاد الصغد الى ارض الكرد والزط والخزر وفرعان فغلب عليهم ثم مضى يريد ارض التبت الى الصين وارض الهند ولما صار بنهاوند ودينور مات فدفنه شمر يرعش ابنه هنالك وملك الملك بعده وعمر عليه ولده قبة لم يكن في الدنيا مثلها وهي من نوادر الدنيا باقية الى يوم القيامه .

ومما أورده عن شمر يرعش انه هو تبع الاكبر الذي ذكره الله في القرآن لأنه لم يقم للعرب قـــائم قط احفظ لهم منه يتجاوز عن مسيئهم ويحسن الى محسنهم . فـكان جميع العرب بني قحطان وبني عدنان شاكرين لأيامه وكان أعقل من رأوا من الملوك واعلاهم همة واشد مكراً لمن حارب . فضربت به العرب الامثال وهو عندهم تبع الاكبر وان كان قبله تبابعة عظماء لكن ذلك لمحبتهم اياه وعظمته في قلوبهم . ملك الارض جميعها ودانت له وكان قد خدم سليمان بن داود حتى قبض فلما رجع من غزو بلاد الصين وغيرها نزل قصر غمدان وجمع ابناء ملوك حمير ووجوه العرب فأوصاهم فقال :

---

(١) ج ٨ ص ٢٤٧-٢٥١ الاكليل

« معاشر العرب ، عندنا علم مصون مكنون ، نعمل بأمره ، ونزدجر لنهيه . ونتبع
« الاثر ويهجم علينا الامر . وقد غيب عنا القدر . فحيناً نخطيء وحيناً نصيب ، وكل الى
« غاية ومدة . وقد جاريت الدهر وقضيت ولم يقض لي . وحا كمت فحكم علي ، فاذا
« كان ما هو كائن فان ابني صينياً هو تبع فان رأيتم خيراً منه فلكم . وان رأيتم شراً
« فالامر للعامة لا للخاصة وقدموا عليه من هو أفضل منه ثم قال :

سرت على الآفاق كالشمس ... بين طلوع السعد والنحس
اجوب غور الأرض في اثره ... بمارج للعلم عن أس
أوجفت بالخلق فلم انتظر ... أسير في رفق وفي همس
انقل من ارض الى ارضها ... اصبح في ارض ولا امسي
كنت على الارض كشمس بدت ... تشرق للناس بلا حس
حتى اذا عادت الى افقها ... عاد ضياء الشمس في طمس
حفظت ما خولت حتى اذا ... سلبته امهل عن نفسي
من ذا يرجى العيش من بعد من ... حاط جموع الجن والانس
افصح ذو القرنين يوماً على ... ترجمة العالم في طرس
لا يصحب الايام الا امرؤ ... غاد وان خلد كالأمس
والدهر يحدو اهله مسرعاً ... عن زهرة الدنيا إلى رمس

ومما يرويه المسعودي [1] ان تبعاً بن حسان زحف على الحجاز وكان له مع الاوس والخزرج حروب . وانه اراد هدم الكعبة فمنعه من كان معه من احبار اليهود فامتنع وكساها بالقصب اليماني . وقد روى علي جواد [2] عن كتابي التيجان والطبري ان تبان اسعد ابو كرب حين قفل من المشرق الى اليمن مر بيثرب وكان خلف فيها ابناً له فقتل غيلة اثناء غيابه فقرر الانتقام من اهلها وتخريبها فجاءه حبران من احبار اليهود من قريظة فكلما معه فأعجب بهما ورأى ان لهما علماً فعفى عن المدينة وامر باعمار ما دمر منها واتبع دين الحبرين واخذهما معه حينما رجع الى اليمن ، وهناك دعا قومه الى الدخول فيما دخل

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٥
(٢) العرب قبل الاسلام ج٣ ص ١٧٢

فيه فأبوا عليه حتى يحتكموا إلى النار حيث كان في اليمن نار تخرج من كهف يتحاكمون عندها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم فوافق، فخرج قومه بأوثانهم وقرابينهم وخرج الحبران ومصاحفهما في أعناقهما فخرجت النار وأكلت الأوثان والقرابين وأصحابها من الحميريين وخرج الحبران بمصاحفهما والعرق يتصبب من جباههما فحينئذ اتفقت حمير على دينه .

وفي قصيدة نشوان بن سعيد الحميري التي ذكرناها في مناسبة سابقة وأوردنا ما فيها من أسماء الأقيال أسماء عدد كبير من ملوك حمير . وقد جمعت القصيدة مع شرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة الغث والسمين كذلك والغث فيها هو الأكثر . واليك هذه المقتطفات من القصيدة [1] :

وملوك حمير ألف ملك أصبحوا	في الترب رهن ضرائح وصفاح
آثارهم في الأرض تخــبرنا بهم	والكتب من سير تقص صحاح
أنسابهم فيهــا تنير وذكرهم	في الطيب مــثل العنبر النفاح
ملكوا المشارق والمغارب واحتووا	ما بين انقرةٍ ونجــد الجاح
ملكت ثمود وعاداً الأخرى معاً	منهم كرام لم تكن بشحــاح

ومنها : [2]

والحادث الملك المسمى رائشاً	إذ راش من قحطان كل جناح
وحباهم بغنــائم الفرس التي	فاضت عــلى الجندي والفلاح
وغزا الاعاجم فاستباح بلادهم	ملك حماه كان غير مبــاح
ركب السفين إلى بلاد الهند في	لجج يسير بها عــلى الألواح
وبنى بأرضهم مدينة راية	فيها الجباة لعامل جراح
والترك كانت قد أذلت فارساً	لم يستروا من شرهم بوجــاح
فشكوا اليه فزارهم بمقــانب	فيهــا صراح ينتمي لصراح
تركوا سبايا الترك فــيما بينهم	للبيع تعرض في يــد الصياح
وغدا منو شهر يمت بطاعـــة	وولاية مــن منعم مناح

---

(١) ص ١٩ (٢) ص ٦١

ومنها [1]

أو ذو المنار بنى المنار إذا غزا ... ليبدله في رجعة ومراح
ألقى بمنقطع العمارة بركه ... في الغرب يدعو لات حين براح
والعبد ذو الادغار إذ ذعر الورى ... بوجوه قوم في السباء قباح
قوم من التسناس مذكورون في ... أقصى الشمال شمال كل رياح
واخوه افريقيس وارث ملكه ... حتف العدو وجابر الممتاح
ملك بنى في الغرب افريقية ... نسبت إليه بأوضح الايضاح
وأحل فيها قومه فتملكوا ... ما حولها من بلدة ونواح

ومنها [2] :

أم أين بلقيس المعظم عرشها ... أو صرحها العالي على الأصراح
زارت سليمان النبي بتدمر ... من مأرب ديناً بلا استنكاح
في الف الف مدجج من قومها ... لم تأت في ابل اليه طلاح
جاءت لتسلم حين جاء ... كتابه بدعائها مع هدهد صداح
سجدت لخالقها العظيم وأسلمت ... طوعاً وكان سجودها لبراح

ومنها [3] :

أم أين شمر يرعش الملك الذي ... ملك الورى بالعنف والاسجاح
قد كان يرعش من رآه هيبة ... ورنا اليه بطرفه اللماح
وبه سمرقند المشارق سميت ... لله من غاز ومن فتاح
وأتى بمالك فارس كيقاوس ... في القيد يعثر مثخناً بجراح
فأقام في بئر بمأرب برهة ... في السجن يجأر معلناً بصياح
فاستوهبت سعدى أباها ذنبه ... فعفى وسيره بحسن سراح

ومنها [4] :

والاقرن الملك المتوج تبع ... عرك البلاد بكلكل فداح

---

(١) ص ٦٩–٧١ (٢) ص ٧٧

(٣) ص ٩٢–٩٣ (٤) ص ٩٥–٩٦

وغزا بــلاد الروم يبغي وادي ... الياقوت صاحب عزة وطـماح
فقضى هنالـــك نحبه وأتى إلى ... أجل معد للحمام متاح

ومنها[1] :

والرائــد الملــك المتوج تبع ... ملــك يرود الارض كالمساح
فتح المدائن في المشارق وانتحى ... للصين في برية وبراح
فأذاق يعبر حتفه فدحى بــه ... في قعر لحد المنية داحي
واحل مـــن يمن بتبت معشراً ... أضحوا بهـا عنـا من الـنزاح
والترك قبل الصين كان لهم به ... يوم شتيم الوجه والاكلاح

ومنها[2] :

والكامل الملك المتوج أسعـد ... فـيه تقـصر مدحــة المـــداح
كم قاد من جيش أجش لبابل ... وكتيبة تغشى البــلاد رداح
حتى استباح بلاد فارس بالقفا ... وبكل أجرد في الجياد وقاح
والترك والخزر اشباح بلادهم ... والروم مـــنه تتـــقي بالراح
والصين تجبي خرجها عماله ... في بكرة مـــن دهرهم ورواح
نطح الاعاجم في جميع بلادهم ... بأحد قرن في الوغـــى نطاح
وأذاق موليس الحمام وجوذراً ... ونجى قباذ كثعلب صياح
حتى أتاه ذو الجنــاح برأســه ... من أرض بلخ ونهرهـا المنساح
وأتى بقطسطنطين في أغــلاله ... وبهرمز في قيــده المماح
وغزا إلى ارض الشمال فخلص في ... ظلماتها بمنـــارة المصباح
وكسى البنية ثم قرب هديــة ... سبعين الفاً مـــن بنات لقاح

ومنها[3] :

أم أين عمرو وصنوه المردي له ... فأصاب صفقة خـــاسر كداح
لم يستمع من ذي رعـــين عزله ... والحين لا يثنـــيه لحي اللاحي
فبدت ندامته وجانبه الكرى ... فرأى السلو بغير شرب الراح

---

(۱) ۱۱۳–۱۱٤ (۲) ۱۱۷ (۳) ص ۱٤٥

أفنى رجالا شاركوه فأصبحوا ككباش عيـد في يدي ذباح
أو تبـع عمر بن حسان الذي سفح الدمـاء بسيفه السفاح
قتل اليهود بيثرب وأراهم أنياب ثغر للمنية شاح

ومنها [1] :

أم أين عبد كلال الماضي على دين المسيح الطاهر المساح
أو ذو معاهر غلقت أبوابـه فأتى لها الحدثان بالمفتاح
أو ذو نواس حافر الاخدود في نجران لم يخش احتمال جناح
ألقى النصارى في نيار أججت بوقود حمير مضرم لفاح
فدعا له ذو ثعلبان أحابشاً منهم بقاع الارض غير ضواح
فتقحم البحر العميق بنفسه وسلاحه وجواده السباح
فغدا طعامـاً بعـد عز باذخ للحوت من نون ومـن تمساح
وأتى ابن ذي يزن بابنا فارس لما تغرب وانثنى بنجاح
فغدا الأحابش للاعارب أعبداً يشرونهم بخسارة ورباح

ولقد وقف الشارح عند ذكر كل ملك يشرح بإسهاب طويل الاشارات الخاطفة الواردة في القصيدة ويذكر العجيب الغريب المتناسب مع هذه الاشارات والمماثل للنماذج التي نقلناها عن الطبري والمسعودي من سيرته وما قيل فيه من شعر وما اثر عنه من اقوال فلم نر طائلا في ايراده لأن جله إن لم نقل كله بعيد عن العقل موغل في الخيال والتخريف . وكل ما فيه بعض اسماء واحداث متطابقة مع ما ورد في النقوش والمدونات القديمة ومما هو عائد الى الحقبة الأخيرة من عهد الدولة الحميرية مثل اسماء شمر يرعش واسعد وذي رعين وذي نواس ، وما كان من اضطهاد هذا للنصارى وغزوة الاحباش لليمن بسبب ذلك وبدعوة من امير اسمه ذو ثعلبان واستنجاد ذي يزن بالفرس ونجاحه في تقويض حكم الأحباش .

على ان من المحتمل ان تكون هذه الروايات عن نشاط ملوك الدولة الحميرية مكبرة تكبيراً خرافياً عن نشاط بدا منهم في مجال الفتح والتبسط استطاعوا به أن يفرضوا سلطانهم على الحجاز وغيرها من انحاء الجزيرة الشمالية .

---

(١) ص ١٤٧-١٤٩

ولعل في قصة تبان اسعد ابي كرب التي رواها الطبري عن غزوة الحجاز وتهوده بتأثير احبار اليهود في يثرب وأخذه اثنين منهما معه الى مملكته وغدو اليهودية دين ملوك حمير ورعاياهم شيئاً من الحقيقة لأن آثار ذلك مما تأيد ببعض النقوش وبروايات الكتاب القدماء الرومان والسريان والنساطرة الذين كتبوا كتبهم قبـل البعثة النبوية على ما ذكرناه قبل .

قصور اليمن وسدودها القديمة

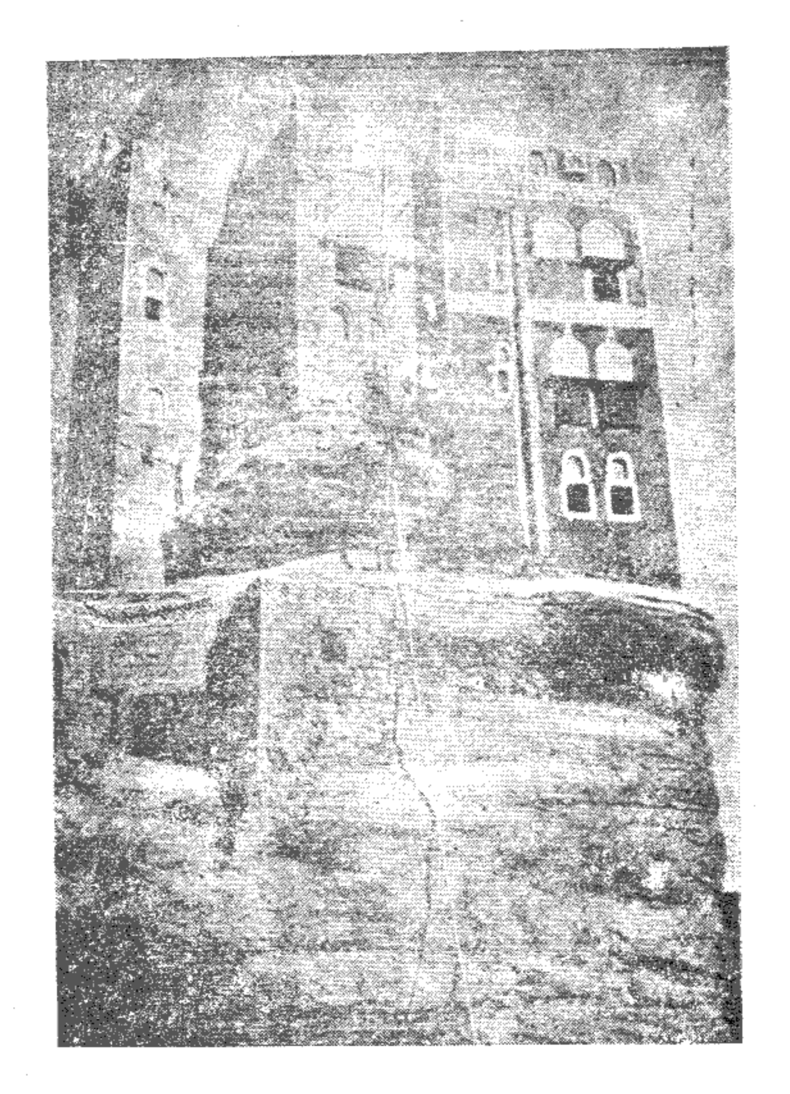
على ان في الكتب العربية الاسلامية القديمة أشياء كثيرة تدخـل في نطاق الحقائق والوقائع .

من ذلك قصور اليمن وسدودها القديمة التي شاهدها الهمداني ووصفها وذكر أسماءها في الجزء الثامن من كتابه الاكليل [1] الذي ألفه في القرن الهجري الرابع . وفي وصفه ما يثير الدهشة من الفخامة والضخامة والاناقة والفن والزخرفـة التي كانت عليها القصور بخاصة ويشهد بما بلغه الجنس العربي في هذا الدور من براعة وفن وترف .

ففي همدان مثلا قصر اسمه قصر ناعط مؤلف من عدة قصور وهو قصر الملك . وفي هذه المدينة ما يزيد عن العشرين قصراً أخرى كانت لكبار رجـال الدولة . وفي صنعـاء قصر غمدان الذي ما تزال آثاره قائمة إلى اليوم وشاهدة على عظمته . وكان عشرين سقفاً أو

---

(١) كتاب الاكليل عشرة اجزاء. طبع منه الثامن والعاشر . والعاشر في انساب ملوك ورجال وقبائل اليمن في القرون الثلاثة الهجرية الاولى وما قبلها . وفيه الغث والسمين . والجزء الاول والثاني موجودان على ما يستفاد من مقدمة كتاب ملوك حمير واقيال اليمن الذي سبق ذكره والذي فـيه قصيدة نشوان الحميري وشرحها . والجزء الثامن ايضاً فيه الغث والسمين كمعظم الكتب العربية وقد احتوى كثيراً من الغرائب والعجائب والمبالغات بل والمفارقات . ولقد احتوى فيما احتواه كلاماً فصيح العبارة من منظوم ومنثور للملوك واقيال ورجال قدماء عاشوا قبل البعثة بقرون عديدة قد تبلغ العشرة مما لا يصح قطعاً فضلا عن ما احتواه من مأثورات عن شعر الجن في قصور اليمن ومحافدها . والشيء المفيد فيه وصفه العيـاني لكثير من آثار واطلال قصور اليمن ومدنها وسدودها واسمائها مما فيه الدلالة على ما كان في اليمن من عمران ومدنية ضخمة في أدوارها القديمة . ومع ان هذا الجزء معقود فيما هو معقود عليه على خطوط المسند فانه لم يحتو الا جملة حميرية او سبئية واحـدة بخط المسند كتب عبارتها بالحروف العربية وهي « او سله رقشان وبنهو في عسر يطاع ويارم » ثم حروف الابجدية المسندية . وما عدا هذا من المسائد كتبت بالحروف العربية والصيغة الفصحى ولا ندري هل ترجمت عن اللغة القديمة أو افتعلت افتعالا .



قصر من قصور اليمن
نقلا من الجزء الثامن من تاريخ العرب قبل الاسلام
للدكتور جواد علي

طابقاً بعضها فوق بعض ومـا بين كل سقف وسقف عشرة اذرع . وفيه يقول الهمـداني وصفاً لفخامته وضخامته [1] :

١) الاكليل ج ٨ ص ١٦

من بعد غمدان المنيف واهله	وهو الشفاء لقلب من يتفكر
يسمو الى كبد السماء مصعداً	عشرين سقفاً سمكها لا يقصر
ومن السحاب معصب بعمامة	ومن الرخام منطق ومؤزر
مثلا حكى بالقطر منه صخرة	والجزع بين صروحه والمرمر
وبكل ركن رأس نسر طائر	أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمناً في صدره قطارة [1]	لحساب اجزاء النهار تقطر
والطير واقفة عليه وفودها	ومياهها قنواتها تتهدر
ينبوع عين لا يصرد شربها	وبرأسه من فوق ذلك منظر
برخامة مبهومة فمتى ترد	أربابه مدخوله لم يعسر [2]

وفي صدر قصر عظيم مؤلف من أربعة عشر بناء أو قصراً قال الهمداني في وصفها أن منها ما هو متصدع متشعب ومنها ما هو عامر وانه دخل العامر منها وهو بواجهة من الحجارة البلاطية داخلا وخارجاً لا ترى فيها فصلا ما بين الحجرين وفيه اعمدة طول الواحد منها بضعة عشر ذراعاً . وفي مسجد القصر أساطين ليس في المسجد الحرام مثلها . وقبالة قصر الملك بلاطة مستقبلة للشرق عليها صورة الشمس والقمر .

وفي ظفار قصور عديدة منها قصر ريدان الملكي وقصر شوحطان وقصر كوكبان . وهذا مؤزر الخارج بالقصة وممنطق بالفسيفساء والجزع .

وفي مأرب قصور عديدة منها قصر سلحين وقصر الهجر وقصر القشيب التي ما تزال آثارها موجودة . واعمدة العرش السفلي في قصر سلحين ما تزال قائمة ولو اجتمع جيل على أن يصرعوا وحداً منها ما قدروا لأن كل عمود له ثقوب في الصفا ثم القم أسفله وصب بينها القطر .

وقد ذكر الهمداني بالاضافة الى القصور التي وصفها بهذه الاوصاف اسماء عدد كبير من القصور مثل صرواح ويينون واضرعة والسيد وبراقش وروثان وشبام وريام واحور وذو فائش وشحرار والنضد والديل ودامغ وضهر وغيمان وسحمر واعطام وسنحار وتوفان وحمر وديعان وشهر وتلغم وأحلب ومعين وحدقان واردع وبلقيس وموكل . والظاهر

---

(١) قالوا انها ساعة مائية والوصف يفيد صحة القول

(٢) ان للهمداني شعراً وصفياً لكثير من القصور والسدود والاحداث نكتفى منه بهذا النموذج من الاشارة الى المهم منه .

أن هذه القصور قصور الاقيال والادواء حيث بينها بعض اسماء المخاليف التي أوردناها قبل . ويقول الهمداني عن قصر غيمان ان فيه حائطامدورا كوى ـ نوافذ ـ على جنبات مشارق الشمس ومغاربها مرتبة حسب سيرها لتشع الشمس في كل يوم في كوة منها كما أن فيه مقبرة عظماء حمير وملوكها .

وقد ذكر الهمداني فيما ذكره انه كان في منطقة مخلاف يحصب وحدها ثمانون سداً مما يدل على كثرة السدود التي انتشرت في مختلف أنحاء اليمن وأدت الى ازدهار الزراعة والعمران منذ الازمنة القديمة . ومما ذكره من اسماء السدود التي ما زالت قائمة قليلا أو كثيراً قصعان وديوان وشحران وطحمان وعباد ولحج وسحر وذي شهال ونتاطه وذي ربيع ونضار وهران والشعبان والمليكي والنوأس والمهباد والخانق وسيان وخيرة وبيت كلام وشبام .

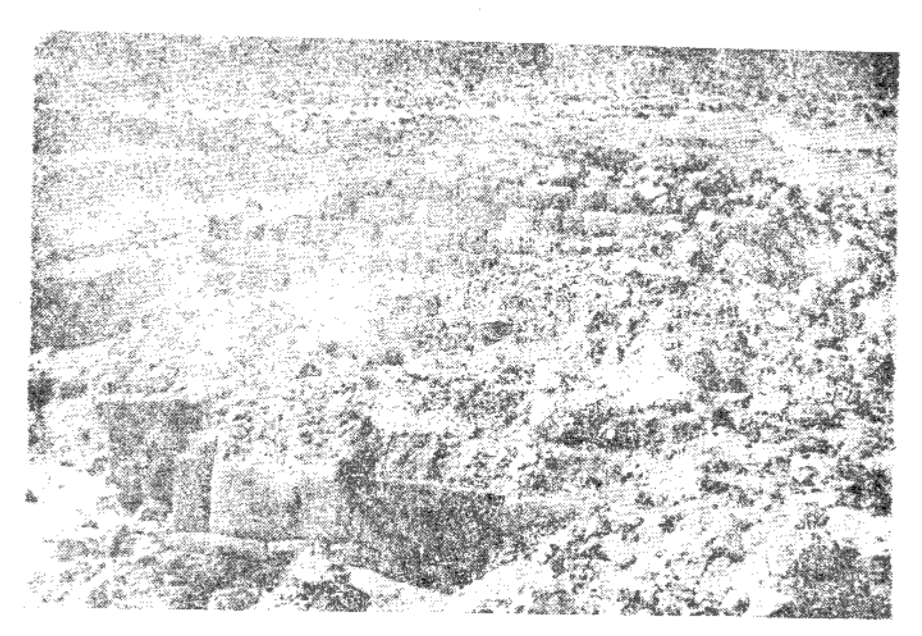
ويتوج السدود سد مأرب الاعظم الذي يبلغ طوله من الشرق الى الغرب ٨٠٠ ذراع وعرضه ١٥٠ وارتفاعه بضعة عشر . ولا تزال جبهته الغربية اليسرى قائمة الى الآن . وقد انشىء في العهد السبئي على ما شرحناه في الجزء الاول ، فظل الحميريون يتعهدونه وينتفعون به ، وأخذ في أواخر عهد هذه الدولة ثم في زمن حكم الاحباش يتصدع فيثير الرعب في سكان منطقته . ولعل السيل العرم الذي ذكر في القرآن والذي قالت الروايات العربية ان كثيرا من قبائل اليمن نزحت عن مواطنها بسببه كان نتيجة لتصدع كبير طرأ على السد فكان منه شبه طوفان حمل الناس على الفرار والنزوح . وفي نص ابرهته ما يفيد ان التصدع كان يثير الفزع في الناس ويحملهم على الفرار على ما ذكرناه قبل .

واسم السد الأعظم من اسم العاصمة السبئية الاولى الذي ورد في النقوش القديمة بصيغة مريبو ثم تطور في العهد الحميري الى لفظ مأرب نتيجة لتطور اللغة في طريقها الى الفصحى .

واسماء السدود والقصور عربية فصيحة . ومع احتمال تعديلها قبيل الاسلام أو بعده حينما شاعت اللغة الفصحى وعمت فإنها تحمل طابع القدم وطابع العروبة الصريحة معاً مما يسوغ القول إنها منشأة أو مجددة أو مرممة في عهد الدولة الحميرية وفي دور العروبة الصريحة .

المدن والحصون اليمنية القديمة

ولقد احتوى معجم البلدان لياقوت الحموي اسماء عـــدد كبير من المدن والحصون والقصبات والقرى المهمة اليمنية التي كانت قائمة في القرن السابع الهجري عليها لمحة القدم التي تسوغ القول إنها أو على الاقل ان كثيراً منها قد قام قبل الاسلام . ومنه ما يحتمل يكون قد قام في زمن الدولة الحميرية ومنه ما يحتمل أن يكون قد قام قبلها واستمر الى عهدها ثم استمر مع ما قام في عهدها الى ما بعد . ولعلها أو لعل كثيراً منهـــا مستمر الى اليوم .



خرائب حصن أو مدينة الاخدود في نجران اليمن
نقلا عن الجزء الرابع من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

وفيها دلالة على ما كان من استبحار العمران في ذلك العهد العربي الصريح قبـــل الاسلام يمتد بعضه الى ما قبل هذا الطور . وهذه هي مرتبة حسب حروف الهجاء جرياً

على ترتيب المؤلف مع التنبيه على ان المؤلف نسب كثيراً منها الى مخاليف اليمن ومدنها القديمة التي كانت سابقة يقيناً على العهد الاسلام كما انه نبه عـــلى قدم كثير منها أيضاً[1] .

أب ، إب ، ابيده ، انتلاء ، أثافت ، أعـــلى ، أرتل ، أرحب ، أرياب ، أسيل ، أشعار ، أفرعة ، أضوح ، اعلاق ، اعيار ، اعين ، اقناب دثر ، الامراء ، انسب ، انور ، بئر الشعوبي ، باصر ، باور ، بايات ، بجتو ؛ بدس ، براش ، براقش ، برع ، بَوْك القهار ، البروّية ؛ بطان ، بعدانية ، بكر ، بوار ، بوس ، بوصان ، بَوْن ، بيت الخردل ، بيت ردم ، بيت ريب ، بيت عذران ، بيت العذن ، بيت عز ، بيت فايش ، بيت محرز ، بيت نقم ، بيت بوام ، بيشة ، بينوه ، تباله ، ترابه ، تعكر ، تعشر ، التلبع ، التنن ، التوْ ، التويرة ، ثربان ، ثرْيد ، ثقبان ، ثلا ، ثماد ، ثمر ، الثومه ، جبأ ، جبار ، جيلان ، جدرين ، الجرادى ، الجربتان ، جُرْت ، جرّش ، جُريب ، الجوءة ، جوبة صبيا ، حوزان ، الُحبوّه ، حبيله ؛ حازة ، حباوه ، حمافد ، الحال ، خجبة ، حُجر ، حجور ، حجة ، حجيان ، الحدّة ، حديله ، حرده ، حرص ، حُرير ، حُريم ، حزمان ، حُزيز ، حُصير ، حضارة ، حضوراء ، الحقيبة ، حُلبه ، حلْى ، حماك ، حميزان ، حمصه ، حَمُل ، حُناك ، حولان ، حياده ، حيس ، الحيْق ، الخيمه ، الخارف ، الخبائر ، خبان ، خبج ، خدار ، خدد ، خيمة ، خشعان ، خيوه ، الخصوف ، خَلّة ، خماجن ، دبَر ، دثر ، الدثينه ، داسر ، الدعادح ، دفا ، الدماوه ، الدوعة ، ذبوب ، ذحل ، ذراح ، ذراة ، ذروان ، ذمار ، ذمرمر ، ذموران ، ذروه ، الراحه ، راخ ، راس وريسان ، راسة ، الرُحبه ، راع ، رعان ، رُزيق ، الرْصد ، رعافه ، رماده ، ريْده ، ريدان ، ريشان ، ريحه ، زاحد ، زبران ، زبيد ، الزحر ، الزراقب ، الزعلاء ، زفار زمار ، سائبة ، سابُس ، سازه ، ساعد ، ساقه ، سانه ، سحتله ، السُدّ ، سقال وذوسقال ، سنع ، سلحـــين ، سكعان ، سلوق ، سحامة ، سحْدان ، السمعانية ، سناج ، سنبان ، سهل ، سهـــين ، سهنة ، سير ، شاحط ، شار ، شبام ، شبوه ، الشّجان ، شُجـــان ، شحاط ، الشحر ، شعب ، الشذف ، شروم ، شريبج ، الشزْب ، شعبين ، الشنم ، شلالنين ، شواحطه ،

(١) لم نر ضرورة الى ارقام الصحف لان الرجوع اليها سهل بسبب ترتيب المؤلف كتابه على ترتيب حروف الهجاء .

شوكان ، شهاره ، شيعان ، الصاد، الصبرات ، صبيا ، الصردف ، صرر ، صرواح، صمأم ، صنعاء ، صنعة ، صهر ، الضجاع ، ضراس ، ضراعة ، الضُريْوه ، ضميم ، ضوران ، طبا ، الطاوية ، طمام ، ظفار ، ظفران ، الظفر ، الظفير ، ظهور ، عاثين ، عبدل ، العـبره ، عتم ، عتمه ، عثر ، العجرد ، العجلة ، عدفان ، عدن ، عُدينـة ، عديقة ، العروس ، العروسين ، العرّوَنـد ، عزات خبت ، العسله ، العشقان ، عصنان ، عصم ، عضوان ، عقار ، العلانه ، علمان ، علوس ، العماكر ، عميقان ، العنبره ، عندل ، العوادر ، عوادن ، عيان ، عُيانه ، غابر ، الغبره ، الغرابي ، غربان ، فشال ، الفص ، فعن ، الغقتين ، الغلق ، الغليق ، غفر ، فرغان ، القائمـة ، قبتان ، القحمه ، قدقداء قرواد ، قراضه ، قراف ، قرانع ، قرنب ، قرظان ، قرعد ، قرن بقل وقرن باعر ، القزّيه ، القطائط ، قطين ، القسعمه ، القفاعة ، قُفل ، قلانخ ، القمعه ، قملان ، قنبه ، قنقـل ، قنفذه ، قوارير ، قياض ، قيقان ، قين قيله ، الكبيبه ، كسبين ، كدواء ، كدم ، كرعـه ، الكسر ، كشر ، كشور ، كلالى ، كوث ، الكونه ، كومل ، كهال ، لاحج ، لاعة ، اللؤلؤه، لسيس ، الليمة ، ماجد ، ماجن ، مثوب ، محالب ، المحلة ، محواش ، مخا ، محـدره ، مخرقه ، المخرفين ، مدام ، مـدر ، المذنجره ، المراحصة ، مرخة ، مرمر ، المزهـد ، مسور ، مشاصيح ، مشخرة ، المشقر ، المشوكة ، مصنعة بني بداء ، مصنعة بني حبيش ، مصنعة بني قيس ، المصنعتين ، المضمار ، مطر ، مطّه ، مَعين ، مُعيْن ، معينة ، المقرانه ، مقرية ، مقوله ، المكتب ، الملة ، مسند ، منزر ، منهـات ، منيف ، المواقر ، موْر ، موْرع ، موهبه ، المهجم ، مهجرة ، مهرات ، الورقة ، ورْور ، وساع ، وعل ، وعلان، وفن ، وقش ، الهام ، الهجران ، المداكة ، هران ، ذوهزيم ، هكر ، الهليه ، هنن ، نقْو ، النواية ، نواده ، النواش ، نوب ، والاي جنان ، وادي الشزب ، والنه ، نباح ، النبلة ، نجاويز ، النجير ، النجيمة ، نخلان ، ندّ ، النـدى ، الهويت ، هيْويه ، يازل ، يحير ، يراخ ، يريم ، يقاع ، يغو ، يُمين ، اليُمنين .

انساب القبائل القحطانية وتفرعاتها في الكتب العربية

ولقد احتوت الكتب العربية روايات كثيرة عن أنساب القبائل القحطانية وتفرعاتها فرأينا من تمام الفائدة ان نفرد مبحثاً خاصاً لذلك في آخر هذا الفصل .

وننبه قبل كل شيء الى ان ما جاء في هذه الكتب مزيج كالعادة من الغث والسمين والضتارب والتداخل والتخمين والخيال . ولقد جاءت جميع الاسماء والمسميات بالصيغة الفصحى مع ان منها ما يعود الى قرون عديدة قبل الاسلام أي في ظرف لم تكن اللغـة العربية قد وصلت الى طورها الفصيح الاخير الذي نزل به القرآن الكريم بـل والى ما يقرب من ذلك .

ومع هذا فإنه يلوح أن ما ذكرته هذه الكتب من ذلك يمثل واقع الحال في القرن السابق للبعثة النبوية وما يرويه رجاله ونسابوه باللغة الفصحى التي صارت لغتهم بالنسبة لما هو أقدم حيث يرجح أن الاسماء والمسميات كانت متداولة وقائمة في هذا القرن وظلت موجودة الى زمن البعثة النبوية ثم في العهود الاسلامية التالية لها بما يسوغ للمؤرخ ان يأخذه بعين الاعتبار .

والكتب العربية تجعل حمير وكهلان ابني سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان رأس القبائل القحطانية ومردها حيث تذكر اسماء أولادهما ونمو ذريتهما وغدوهما قبل الاسلام قبائل وبطوناً لا تـكاد تحصى منها من بقى في اليمن ومنها من نزح قبل الاسلام الى شمال الجزيرة وبلاد العراق والشام وجزيرة الفرات ومنها من نزح الى هذه البلاد والى وادي النيل وبقية شمال أفريقية بعده .

واليك الآن ملخصاً عن هذه الاسماء والمسميات[١] .

١ – يروى الرواة ان حمير اولد تسعة اولاد هم الهميع ومالك وزيد وعريب ووائل ومسروح ومعدى كرب وأوس ومرة، ومن هؤلاء تكونت أصول القبائل الحميرية وهي حسب رواياتهم :

بنو مرة وبنو الاملوك وبنو خيران وبنو رعين وبنو هوزن والاوزاع وبنو شعبان وبنو عبد شمس وبنو شرعب وبنو زيد الجهور وبنو الصوار . وبعض الرواة يزيـدون في الاسماء وبعضهم ينقصون . وقد اعتمدنا ما اورده جواد علي

---

(١) هذه الاسماء والمسميات مقتبسة من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٢٣٤ – ٢٨٢ والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٤٢ – ٢٧٠

٢ ـ من القبائل الكبرى التي ينسبها بعضهم الى حمير وبعضهم الى معدبن عدنان أو يعتبرها بعضهم جذماً قائماً بذاته وأصلا من اصول قبائل اليمن « قضاعة » . والذين ينسبونها الى حمير يذكرون نسبها هكذا . قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير . وقد روى النسابون أنه كان لقضاعه ثلاثة أولادهم عمرو وعمران وأسلم ومنهم تفرعت قبائل وبطون قضاعة فمن عمرو تفرعت قبائل حيدان وبلى وبهراء، ومن عمران تفرعت قبائل حلوان ومن أسلم تفرعت قبائل سعد هذيم وجهينه وتهد .

ثم تفرعت من حيدان بطون أو قبائل يزيد وعريب وعربده وجناده . ومن بلى بطون أو قبائل فران وهني . ومن بهراء بطون أو قبائل بني قاسط وعبده وأهود ومبشر وهنب وفائش وشبيب ومطرود وغاله وعكرمه ومغلبة وبنى سعد . وتفرعت من حلوان قبائل تغلب وربان أو علاف (اسم آخر لها) ومزاح وعمرو أو سليح (اسم آخر) وعابد وعائذ ويزيد . وتفرعت من تغلب قبائل بني وبره وأسد والنمر وكلب والبرك وثعلب . ومن ربّان تفرعت قبيلة جرم الكبرى . ومن سليح تفرعت قبائل بني حماطة أو بني ضجعم (اسم آخر بني حماطه) وأشجع وعمرو والابصر والعبيد . ومن بني أسد تفرعت قبائل يتم الله وشيع اللات . ومن يتم الله تفرعت قبائل فهم أو تنوخ (اسم آخر لفهم) . ومن تنوخ تفرعت قبائل فهم ونزار ولوث . ومن شيع اللات تفرعت قبيلة بنى القين . ومن بنى القين تفرعت بطون جشم وزعيزعه وأنس وثعلبة وفالج وكعب وكنانه ومالك ومعاوية . ومن قبيلة بنى وبرة تفرعت بطون التيم وجعثمة ووائل وقتبة وغاضرة

٣ ـ ولقد غدت كلب قبيلة كبرى تفرع منها بطون كثيرة استقرت في أنحاء تبوك ودومة الجندل واطراف الشام . ومن هذه البطون قبائل رفيدة وعرينه وصحب وبنو كنانة . ومن قبيلة بنى كنانه هذه بطون بنى عدى وبنى زهير وبني عيلم وبني جناب .

٤ ـ وقد غدت جهينه المتفرعة من أسلم قبيلة كبرى بدورها تفرع منها قبائل قيس ومودعته . وتفرع من قيس قبائل غطفان وغيان . التي لها اسم آخر هو رشدان .

٥ ـ وغدت قبيله سعد هزيم بدورها قبيلة كبرى وقد تفرع منها بنو عذرة . وتفرع من قبيلة بني عذره بنو ضنة وبنو بلهمة وبنو زقرقه وبنو الجلحاء وبنو حردش وبنو مدلج

وبنو رفاعة وبنو كثر وبنو صرمه وبنو حرام وبنو نصر .

وقد نزح بطون عديدة من سليح الى بلاد الشام . وكان لهم فيها ملك قبل ملك الغساسنة . وقد نزح بطون عديدة من بلي وجهينة الى شمال الجزيرة . وقد نزح بعض بطون من بني عذره الى الحجاز أيضاً .

٦ - اما كهلان اخو حمير فإنه خلف كذلك ثلاثة ابناء وهم مالك وعريب وغالب .

وخلف مالك خياراً ونبتاً . وخلف عريب يشجب الذي له اسم آخر هو عمر . وخلف خيار ربيعة وخلف ربيعة أو سله أو سلة زيداً وزيد مالكا وسبيعاً وساعاً وتبسعاً وعبداً . وخلف مالك حمدان والهاناً . وخلف همدان نوفاً وخلف نوف حاشداً وبكيلا . وخلف عريب يشجب أو عمر . وخلف يشجب عمرو أو الهميع الصعب وزيداً. وإلى هؤلاء تنسب القبائل الكهلانية .

٧ - ولقد كان من أبناء بن مالك القوت ومن القوت عرو والازد الذي تنسب اليه قبيلة الازد الكبرى . وقد خلف الازد مازناً ونصراً وعمراً وعبدالله ووقدان والاهبوب وخلف مازن عمراً وعدياً وكعباً وثعلبة . وخلف ثعلبة عامراً وكرزاً وامرىء القيس . ومن امرىء القيس حارثة ومن حارثة عامر المعروف بماء السماء وعدي .

ومن هؤلاء تكونت قبائل وبطون الازد . ويضيف النسابون قبائل الازد اربعة أصناف حسب الاماكن التي تكشفت فيها . فهناك أزد عمان الذين تكشفوا في السواحل الشرقية ومنهم بنو الجلندي حكام عمان وبنو عبـــد القيس حكام البحرين . وهناك أزد السراة الذين أقاموا في سراة اليمن . وهناك أزد شنوده الذين ظلوا مقيمين في اليمن قبل الاسلام .

وهناك أزد غسان وهم الذين نزحوا ونزلوا عـــلى مـــاء غسان في شمال الجزيرة كمرحلة أولى .

وأسماء القبائل المتفرعة من الازد وبنين والتي ذكرها جواد علي هي : جفنه وغسان

والاوس والخزرج وخزاعة ومازن وزهران وبارق والمع والحجر والعقيك وراسب وعامد ووالبة وثماله وطب ودهمان وخدان وشكر وعك ودوس وفهم والجهاضم وعوف والاشاقر والقسامل والفراهيد وبنو زمان وعدنان وقرن وبنو طريف وربيعه وامريء القيس وسعد والضيق . وزاد مؤلف العقد الفريد على هذه الاسماء اسماء بني ماسخه وبني معاوية — ومن هؤلاء آل الجلندي في عُمان — وبني خشمعة .

وقد نزح من هؤلاء جفنة وغسان الى الحجاز ثم الى بلاد الشام والأوس والخزرج الى يثرب وفهم الذين منهم تنوخ الى بـــلاد الشام والعراق وبعض بطون بني معاويـــة الى السواحل الشرقية وسعد والضيق الى البحرين ودخلوا في عبد القيس وربيعه وامريء القيس الى الشام ودخلوا في غسان : وبنو طريف الى الحجاز وخزاعة الى الحجاز أيضاً وكان لهم الحكم فيه . وممن ينتسب الى خزاعـــة في الحجاز بطون كعب ومليح وسعد وبنو سلول وبنو قمير وبنو المصطلق .

٨ — أما الابن الثاني للقوت بن مالك بن نبت وهو عمر فقد تكونت من ذريته قبيلة انمار الكبرى مع التنبيه الى أن بعض النسابين نسبوها الى نزار .

وقد أُولد انمار خشعم وخزيمه ووادعة وعبقراً والقوت وصهية وأشهل وشهلا وطريفاً وسنيه وخذعة . وأم خذيمة ومن ذكر بعده بجيلة وقـــد سميت البطون التي تكونت من أبنائها باسمها وهكذا يرجع النسابون قبائل أنمار الى أصلين خشعم وبجيله . وقـــد أولد خشعم ولداً اسمـــه خلف ومن نسله عفرس ومن عفرس ناهش وشهران وناهب ونهش وكودو وربيعة ومن ناهش ناهس واجرم وأوس مناة وعنه وقحافه. وكل هؤلاء صاروا قبائل وبطوناً . وكانت منازل خشعم في الهضبة الممتدة من الطائف الى نجران عند طريق القوافل الممتد من اليمن الى الحجاز . ومنها بطون في تهامه وعسير .

وقد تفرعت عن بجيله بطون عديدة أيضاً من أشهرها قسر وعلقمه وبنو أحمس وقيس كبه وبنو عرينه وبنو دهن .

٩ — وأعرق قبائل المجموعة الثانية من قبائل كهلان هي قبيلة همدان . وكان لها شأن خطير في الجاهلية والاسلام . وقد أولد همدان نوفاً وعمرا ورقاشاً . ومن نوف

حمران أو خيوان . ومنه جشم وزيد . وقد أولد حاشد جشما وعوصاً . وأولد جشم مالكاً ومعد يكرب وعمروا وأسعد وعريباً وزيدا ومرتدا وضماماً ويريم الاكبر وعامرا وربيعة . وأولد مرثد ناعطا والحارث وأولد ناعط مرثدا وشراحيل وعامرا وشرحبيل وأولد شرحبيل أفلح وولد أفلح عميرا . وقد تكون من كل من هؤلاء القبائل الهمدانية التي كان أشهرها قبيلتا حاشد وبكيل . ثم قبيلة مرشد التي تنتسب الى مرشد بن جشم بن حاشد . ومن البطون المتفرعــة بكيل بنو لعوة وبنو جذلان وتعلان وبنو دومان والشقيون وبنو صعب وبنو مرهبة وبنو أرحب وبنو عليان وبنو حجور وبنو قــدم وبنو فائش وبنو شاحذ وبنو حجون وبنو أبزن وبنو شبام وبنو جعمران وبنو حدان وبنو ناعط وبنو المشعار .

١٠ ــ وأشهر قبائل مجموعة عريب بن زيد بن كهلان قبائــل الأشعر وطى ومذحج وبنو مرة ، والاشاعرة ينسبون الى بنت بن أدد . ومنازلهم في شمال زبيد ومن بطونهم الجماهر وجدة والانعم والارغم ووائل وكاهل وغاسل وناجيه والخنيك والركب وتنسب طي الى جلهمة بن أدد . وقد نزعت الى الحجاز ثم الى نجد واستولى على جبلى اجأ وسلمى وصارا يعرفان بجبلي طي . ومن البطون التي تفرعت من طى جديــلة ويتم الله وحبش والاسعد وبنو بحتر وبنو نبهان وبنو هنى وبنو ثعل والثعالب وسلامان وجرول وبحتر ومعن وربيعة ولوذان والاخزم والنجد . وكانت مذحج أيضاً قبيلة ضخمة ومن البطون أو القبائل المتفرعة منها مراد وسعد العشيرة وعنس . وجلد . وقد تفرع من مراد بطون ناجية وزاهر ومالك وكنانه ويشكر وردمان وغطيفه وتفرع من ردمان بطون قرن وناجية وتفرع من زاهر بطون بني الحصين والصفايح . وتفرع من قبيلة سعد العشيرة بطون الدئل وأسلم وجعفى وبنو صعب ومران وعائذ ومن بني صعب بطون أدد ومنبه الذي يسمى زبيدا . ومن زبيد بطن مازن . وتفرع من خبلة جلد بن مذحج بنو علة والنخع وبنو الحارث ورهاء وصداء . وتفرع من النخع بطون صهبان ووهبل وجسر وجذيمــة وقيس وحارثة وصلاءة ورزام والازن . وقد تفرع من بني مرة حولان ومعافر ولخم وجذام وعامله وكنده ؛ وقد نزحت لخم وجذام وعاملة الى بلاد الشام والعراق كما نزح بطون من كنده الى العراق وبادية الشام . وتفرع من قبيلة جذام بنو خبيب وبنو مخرمه وبنو بعجة وبنو فنانه . ومعظم هؤلاء نزحوا الى الحجاز والشام . وتفرع من

كنده بطون السكون والسكاسك . وتفرع من السكون بطون بنو عدى وبنو سعد وتجيب .

ولقد عقد الهمداني الجزء العاشر من كتابه الاكليل الذي نشرته المطبعة السلفية بتحقيق صاحبها السيد محي الدين الخطيب عام ١٣٦٨ هـ على أسماء الاصول والارومات والبطون الكهلانية دون الحميرية مع ان عنوان الكتاب (الاكليل .من اخبار اليمن وأنساب حمير) . وقد وقف عند أسماء كثير من مشاهير المنتسبين والمتفرعين عن تلك الارومات والبطون في عهد الجاهلية والاسلام معاً شارحاً سيرتهم بأسلوب مزيج كالعادة من الغث والسمين والحقيقة والمفارقة .

وبين أسماء الاصول والفروع من الانساب والبطون وبين ما حققناه في الصحف السابقة تطابق كبير. ولما كان ما عدا ذلك ليس من منهج هذا الجزء فقد رأينا أن نكتفي بهذا التنويه .

الفصل الثالث

تاريخ ومآثر العرب في شمال الجزيرة

في هذا الدور

تمهيد

وكما هو شأن شمال الجزيرة العربية قبل دور العروبة الصريحة في عدم قيام دول شاملة السلطان قوية النشاط فيه على ما نبهنا اليه في آخر الجزء الاول كان شأنه في دور العروبة الصريحة حيث لم يقم فيه دول شاملة السلطان قويـــة النشاط لأن الأمر متصل بالطبيعة الجغرافية التي كان يتسم بها هذا الشمال على ما ذكرناه في الجزء الاول . وكل ما كان من أمر قيام أمارات ومشيخات ودول محلية محدودة السلطان والنطاق .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يعثر في هذا الشمال على نقوش يمكن الاستدلال منها عـــلى هذا ايضاً اذا استثنينا النقوش اللحيانية والثموديه التي اشرنا اليها في الجزء الاول ؛ والتي كان معظمها مقتضباً ومشوهاً في نفس الوقت ؛ والتي يمكن أن تفيد انه كان في المناطق التي وجدت فيهاوهي في أعالي الحجاز على طريق بلاد الشام مما هو معرف بمنطقتي العلا ومداين صالح حكم عربي يقوم عليه امراء من اهل البلاد مستقلين حيناً وتابعـين لدولة الانباط في البلقاء أو دولة المعنيين في جنوب الجزيرة على ما شرحناه في الجزء الاول ايضاً . ولم يرد كذلك في المدونات اليونانية والرومانية القديمـــة شيء ذو بال في هذا الباب . ولذلك فسيكون المعول في عرض ما قام في شمال الجزيرة العربية على المصادر العربية التي قلنا في مطلع هذا الجزء انها بالنسبة لهذا الدور اجدربالاعتماد منها بالنسبة الى دور ما قبل العروبة الصريحة وإن من الحق أن نقول ان ما ورد فيها من ذلك قد شيب بكثير من الخلط . ومع ذلك فإن ما ورد في هذه المصادر قليل مقتضب ايضاً لا يمكن أن يساعد على عرض صور وافية وكثيرة من صور الحكم والسلطان .

أما صور الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية فقد تكون أحسن حالا لأن هذه المصادر قد احتوت أشياء كثيرة من ذلك ولو انها قدشيبت هي الاخرى بكثير من الخلط .

على ان في القرآن الكريم صور كثيرة عن هذه الحياة وان كان جاء بأسلوب الوعظ والتذكير لا بأسلوب التاريخ والقصص . وسيكون عليه مع ذلك تعويلنا في ايراد هذه الصور مع الاستئناس بالمصادر العربية .

١ – المملكة الكندية [١]

لقد تحدثت الروايات العربية عن كنده وملوكها واحداثها اكثر من حديثها عن أي دولة أو امارة قامت في شمال الجزيرة في هذا الدور . ومع ذلك فقد تعددت الروايات واختلفت بل وتناقضت واختلطت فصار من العسير تبين الحقيقة من خلالها بوضوح وثقة .

واول خلاف في الروايات في قحطانية وعدنانية كنده او هل هي من قبائل جنوب الجزيرة او شمالها ؛ حيث يقول بعض الرواة انها جنوبية وانها كانت تقطن في منطقة حضرموت فنزحت إلى نجد بسبب خلاف ونزاع نشب بينها وبين بعض القبائل نالها منه الأذى والضرر ، وحيث يقول بعض آخر انها شمالية في أصلها . وقد ذكرها مؤلف قديم اسمه نونوس بصيغة Irndnlna ·madaynai اي كندية المعدية وقال إنها أشهر القبائل عددا ومكانة وان لها ملكاً اسمه kauisos (قيس) ومع ان معداً من عدنان فان كلام هذا المؤلف لا يصح أن يؤخذ حجة . فالملك الذي ذكره وقبيلته كانوا أصحاب الحكم والغلبة في ارض معد وعلى قبائل معد . وهذا لا يتعارض مع احتمال كونها جنوبية الأصل نزحت الى الشمال واستطاعت أن تفرض نفسها وحكمها على منطقة منه . وفي روايات السيرة ذكر لكنده كقبيلة من قبائل اليمن ارسل النبي ﷺ إلى زعمائها بني معاوية رسالة يدعوهم بها إلى الاسلام كما أرسل إلى زعماء الجنوب واقياله . ووفد عليه منها وفد على رأسه الأشعث بن قيس [٢] . وهذا قد يرجح انها من اصل جنوبي او قحطاني ويفيد في الوقت نفسه ان القبيلة لم تنزح جميعها الى الشمال وانما نزح بعض فروعها وبقي فروع اخرى في موطنها الاصلي ؛ بل ربما كان دليلا حاسماً ، لأنه لم يذكر أحدا ان قبيلة ثانية كانت تسمى باسم كنده .

وثاني خلاف في الروايات أولية ملك كنده . فقد روى بعضهم ان كنده حينما حلت في ارض معد واستطاعت ان تغلب عليها ملكت زعيما من زعمائها اسمه مرتع بن معاوية بن ثور ثم ملك بعده ابنه ثور ثم معاوية ابن ثور ثم الحارث بن معاوية ثم وهب ابنه ثم حجر بن عمرو الشهير بآكل المرار في حين روى بعضهم أن حجراً هذا هو

---

(١) معظم هذه النبذة مقتبس من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٢١٥ – ٢٧٣

(٢) انظر طبقات ابن سعد ج٢ ص ٢٩ و ٩٣

اول ملوك كنده وأن الذي ولاه الملك هو حسان بن تبع او تبع بن كرب ملك حمير حينما دوخ بلاد العرب ثم خلفه ابنه عمرو ثم الحارث بن عمروهو جد امرىءالقيس الشاعر الجاهلي المشهور .

ولا يستبعد أن تكــون كثرة الروايات والاقاصيص الكندية بسبب امرىء القيس وشهرته وشاعريته ولا نرى طائلا من استعراض الروايات وتمحيصها لأن الخلط والمفارقة تبدو عليها كلها . ولكنا نقول إن الملك الكندي يبدو على كل حال وخاصة منذ حجر بن عمرو من الحقائق التاريخية مهما اتسم بالخيال والاقاصيص .

ومن الروايات التي قد تكون فيها بعض الحقيقة انه حدث خلاف بين ملك الفرس قباذ وبين المنذر بن النعمان ملك الحيرة أدى الى غضب الاول على الثاني ومطاردته له ؛ فاغتنم الحارث بن عمرو الفرصة وكان ينافس المنذر في السيادة على عرب الشمال فتقرب الى قباذ فقلده ملك الحيرة ، وساعده فاتسع سلطانه حتى شمل معظم شمال الجزيرة ثم اطرافها ممـــا يلي باديتي الشام والعراق ، واتخذ الحيرة عاصمة له ؛ وقلد اولاده حكم القبائل كنواب عنه حيث عين حجراً — والد امرىء القيس — على اسد وكنانه وشرحبيل على طي والرباب وغنم ، وسلمه على تغلب والنمر بن قاسط ومعدي كرب على قيس . وهناك اختلاف في توزيع الولايات والقبائل مع اتفاق بالنسبة لولاية حجر على أسد وكنانة .

على أن الدهر قد قلب للحارث واولاده ظهر المجن حينما مات قباذ وتولى العرش الفارسي انو شروان ، حيث سعى المنذر الذي كان تشرد عن الحيرة ايام قباذ حتى حصل على رضاء الملك الجديد ثم قدم عليه فأكرمه وأعاده الى ملكه . وكان اكبرهمه ان يبطش بالحارث بن عمرو فطارده حتى ظفر به فقتله وقتل عدداً كبيراً من أنصاره ، ثم اخذ يدس الدسائس بين ابنائه ويحرض القبائل عليهم فأدى هذا الى قتل حجروشرحبيل ، وحاول امرىء القيس أن يثأر لأبيه ولكنه مات دون ذلك وانتهى ملك كنده إلى الانهيار . وقد رأينا أن نكتفي بهذه النبذة من قصة المملكة الكندية دون استعراض الاقاصيص والروايات الشعرية والادبية لأن المقام ليس مقامها .

ويمكن القول ان الملك الكندي بدأ ضيقاً ثم اتسع ثم ضاق وانه امتد نحو مئة سنة وانتهى في اواسط القرن السادس بعد الميلاد .

٢ ـ ممالك البحرين والسماوه وعُمان واليمامه

ذكرت كتب السيرة النبوية هذه الممالك الاربع في سياق ذكر رسل النبي عليه السلام الى ملوك العرب والعجم وامرائهم . وهذه اسماء ملوكها التي ذكرتها هذه الكتب [١] .

١ ـ هوذه بن علي وثمامة بن أشال الحنفيين ملكي اليمامة
٢ ـ المنذر بن ساوى العبدى امير البحرين [٢]
٣ ـ نفاثة بن فروة الدئلي ملك السماوه
٤ ـ جيفر وعباد ابن الجلندي الأزديين ملكي عمان

وقد اسلم بعضهم وحسن إسلامه وامتنع بعضهم حيث يسوغ أن يقال ان ملكهم أو حكم في المناطق التي ذكرت حقائق تاريخية : ومن المحتمل جداً أن يكون ذلك امتداداً تاريخياً أو أسروياً لما قبل البعثة النبوية بأمد ما بل ولعله امتداد تاريخي لما كان يقوم في هذه المناطق من ملك عربي الجنس منذ القديم وقبل دور العروبة وفي اثنائه لأن طبيعتها الجغرافية مساعدة على ذلك .

والغالب ان نطاق هذا الحكم هو ما نبهنا اليه في آخر الجزء الاول بالنسبة لشمال الجزيرة والذي يتسق مع طبيعتها الجغرافية اي ملك محدود النطاق يقوم على رأسه زعماء الاسر أو القبائل القوية وانه كان بمثابة دول مدن في المناطق التي يتوفر فيها الماء .

ومن المؤسف أن لا نستطيع ذكر شيء ذي بال عن اولية هذه الاسماء والألقاب التي وردت في كتب السيرة . وجواد علي الذي لم يكد يفلت منه شيء مما كتبه كتاب العرب وغير العرب ومما عثر عليه الاثريون لم يذكر شيئاً ذات بال عنها . بل لم يذكر اكثرها والذي ذكره منها بكلمات عابرة لأن الكتاب لم يكتبوا شيئاً هاماً والاثريين لم يعثروا على شيء على ما يبدو .

ومما ذكرته هذه الكتب ان بني عبد القيس احدى قبائل تهامة ارتحلت عن مواطنها بسبب حرب وقعت بين ابناء ربيعة الى البحرين وغلبت من كان فيها من قبائل إياد

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٥ ـ ٥٠ وابن هشام ج ٤ ص ٢٤٣ و٢٧٩
(٢) لا تعني كلمة البحرين في القديم ما تعنيه اليوم من الجزر الواقعة امام الساحل الغربي من الخليج العربي بل تعني ايضاً الساحل الممتد من الكويت الى قطر .

وبكر بن وائل وتميم ؛ وان المنذر بن ساوى بن تميم [1] وكان والياً من قبل الفرس ، وان بني عبد القيس ظلوا مع ذلك يحتفظون بمركزهم القوي في البحرين حيث ذكر ابن سعد [2] ان النبي ﷺ كتب الى أهل البحرين طالباً منهم إرسال عشرين رجلا منهم فقدم عليه عشرون بإسم وفد عبد القيس وعلى راسهم عوف بن عبد الله الاشج .

ومن ذلك ان صلات هوذة بن علي بن ثمامة الحنفي بكسرى الفرس كانت حسنة وانه وفد على كسرى . وان كسرى كان يرسل العير الى اليمن (القافلة التجارية) بواسطته فيرسلها في حمايته إلى بني تميم مقابل جعالة يتقاضاها من كسرى وكانت تميم توصل العير الى اليمن مقابل جعالةبدوها . فطمع هوذة بجعالة تميم وتعهد لكسرى بايصال العير الى اليمن فحقدت عليه تميم وكمنت له وتمكنت من الاستيلاء على العير وأسر هوذة ولم تطلقه إلا بفدية ثلاثمئة بعير . وذهب هوذه الى كسرى فحرضه على تميم فقطع عنهم الميرة ثم سير عليهم قوة فتكت فيهم في يوم من أيام العرب عرف بالمشقر نسبة إلى سوق كانت تقام في هذا المكان جاء اليه بنو تميم [3] فكأنهم جاؤوا إلى حتفهم .

مقتبسات من النقوش والمدونات القديمة

عن هذه المناطق

إذا كانت الكتب العربية لم ترو شيئاً قديماً ذا بال عن هـــذه المناطق ففي النقوش وكتب الرحلات والجغرافية التي كتبها كتاب يونانيون قبل الميلاد وبعده بعض أشياء من ذلك .

---

(١) هذا ما ذكره جواد علي ج ٤ ص ٣٠٢ ولكن نعته بالعبدي في كتب السيرة قد يدل على انه من بني عبد القيس اصحاب الغلبة في البحرين .

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٧٨ ولقد ذكر جواد علي ج ٤ ص ٣٠٢ ان المنذر كان من وفد عبد القيس دون ان يذكر مصدراً مع ابن سعد لم يذكر ذلك . ولقد ذكر جواد علي ايضاً ان المنذر كان والياً على البحرين لكسرى في حين ان ابن هشام نعته بملك البحرين دون ذكر علاقـــته بكسرى وذكره ابن سعد بصيغة تدل على انه صاحب البحرين ولم يذكر بدوره علاقة له بكسرى .

(٣) جواد علي ج ٤ ص ٤١٠–٤١١

وقد عرف من النقوش العراقية [١] ان نارام سين الملك الاكادي الذي حكم العراق في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد أو قبل ذلك أو بعده حسب اختلاف الباحثين قد غزا منطقة Magan واخضعها واسر ملكها Mannu dannu وقد خمن الأثريون منطقة مجان او مغان هذه انها منطقة عمان كما قالوا ان كلمة Dannu تعني انها المقتدر اي انها وصف للملك مانو الذي يمكن ان يكون اسمه محرفاً عن معنو أو معن . والملحة العربية القديمة بادية على اسم الملك والمنطقة حيث يفيد هذا ان الجنس العربي قد أنشأ الممالك في هـــذه المنطقة منذ تاريخ سحيق في القدم بالنسبة لما عثر عليه من تسجيلات في جنوب الجزيرة .

كذلك عرف [٢] من النقوش التي سجلها سرجون وآشور بانيبال الملكين الآشوريين اللذين حكما في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد على ما شرحناه في الجزء الثالث انها غزوا واخضعا بلاد Dilmun او Tilmon المشهورة بتمرها ونحاسها واشجارها . وقدخمن الأثريون انها جزر البحرين والسواحل المقابلة لها . حيث يفيد هذا كذلك انالجنس العربي قد سكن فيهذه المنطقة وأقام فيها الممالك وكان منه نشاط حضاري عظيم.

أما كتب الرحلات والجغرافية التي كتبها كتاب من اليونانيين وغيرهم قبل الميلاد المسيحي وبعده فقد احتوت اسماء عدد غير يسير من المدن والقبائل في هذه المناطق جاءت مشوهة بسبب التهجئة والحروف الأعجمية وهذه خلاصة لها :

١ — اسم [٣] Tylus كجزيرة أمام الساحل الذي يسكنه الجرهائيون . وقد خمنهـــا الأثريون انها احدى جزر البحرين . وقد وصفها الكاتب القديم بأنهـــا مشهورة باللؤلؤ وقال أن فيها مدينة باسمها وانه عثر فيها على عدد كبير من المقابر القديمة وجد فيهـــا مصوغات ذهبية وخرز وحجارة الزينة وعظام بشرية مع عظام حيوانات يظن انها دفنت مع أصحابها حية حسب تقاليد القوم ، وأن قواد الاسكندر الكبير نزلوا فيهـــا حينما ارسلهم الاسكندر لاستكشاف جزيرة العرب . ولقد رأى الباحثون تماثلا بين المقـــابر القديمة المكتشفة في هذه الجزيرة وبين مقابر الفينيقيين الكنعانيين في سواحل بـــلاد الشام واستنتجوا منها ان الموجة الكنعانية اقامت في هذه المنطقة قبل نزوحها أو قبل نزوح من نزح منها الى بلاد الشام في القرن الثلاثين قبل الميلاد .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٨٩—٢٩٦

(٢) نفس الجزء ص ٢٩٤—٢٩٥

(٣) ج٣ ص ٢٩٣—٢٩٦ و ج٢ ص ٢٩٤—٢٩٥

٢ – اسم Amani الذي خمنه الاثريون منطقة عمان . وقد قال الكاتب ان لها ملكاً اسمه Goaesus الذي يمكن أن يكون محرفاً عن جاس أو قيس أو أصلها وان عاصمتها تتمتع بشهرة واسعة في عالم التجاره وان التجار الرومانيين يقصدونها أكثر من أي ميناء آخر يقع على ساحل البحر الكبير .

٣ – اسم مدينة [٢] Charax الذي يمكن ان يكون محرفاً عن شارقة . وقد وصفت بأنها مدينة تجارية تقع على الخليج . ويوجد اليوم امارة بهذا الاسم على الخليج .

٤ – اسم [٣] Gaulopes واسم Gattaei اللذين يمكن أن يكونا محرفين عن جلوب وخطى كاسمي قبيلتين كانتا تنزلان في شواطىء الخليج .

٥ – اسم [٤] Gapeus الذي يمكن ان يكون محرفاً عن القطيف كمدينة قائمة على خليج بنفس الاسم .

٦ – اسم [٥] Gerra الذي يمكن ان يكون محرفاً عن الجرعاء أو اصل اسم مدينة هجر كمدينة على خليج صغير باسمها . وقد قال الكاتب ان محيطها خمسة اميال وفيها ابراج مشيدة بحجارة مربعة .

٧ – اسم [٦] Cattarrei كبلاد واسماء Noclaet و turezi و Borgad كقبائل ساكنة فيها . وقد خمن الاثريون الاسم الاول بأنه بلاد قطر التي تحمل هذا الاسم اليوم وخمنوا اسماء القبائل الثلاث محرفة عن كلمات نخيطي وزارة وبرجد

٨ – اسم [٧] Ic arum الذي يمكن ان يكون محرفا عن شرارة او شارمة كجزيرة في الخليج . وقد قال الكاتب ان فيها ضريحاً مزاراً يؤدي سكان الجزيرة فيه عباداتهم اليومية وانها مغطاة بالغابات الكثيفة .

٩ – اسم [٧] Abucaei كقبيلة من القبائل النازلة على ساحل الخليج وقد خمنها الاثريون أنها محرفة عن عبد القيس وهي قبيلة كانت قبل الاسلام تنزل في منطقة البحرين على ما ذكرناه قبل .

---

(١) الجزء الثالث من كتاب جواد علي ص ٢٧٦ (٢) ص ٢٧٧
(٣) نفس المصدر ج ٢٩٧ (٤) ٢٩٣ (٥) نفس الصفحة والجزء (٦) ٢٩٤–٢٩٥
(٧) ج ٣ ص ٢٩٦

١٠ – اسم[١] Nareitae كاسم قبيلة من القبائل كانت نازلة على نهر اسمه Lar قرب منطقة عمان . ويمكن ان يكون اسم القبيلة محرفاً عن نمر او نمير .

١١ – اسم[٢] Attana واسم Batrasavave كمدينتين كانتا في آخر الخليج . وقد خمن الاثريون الاسم الاول محرفاً عن الخط او الخطيين والثاني عن بيت رصابة او بيت رصافة .

١٢ – اسم[٣] Moscha كثغر على ساحل البحر بعد الخليج . وقد خمن الاثريون ان الاسم محرف عن كلمة مسقط الثغر العربي المشهور في منطقة عُمان .

١٣ – اسم[٤] Bathymi واسم Cadaei اللذين يمكن ان يكونا محرفين عن بطيمي وقاضي كقبيلتين نازلتين على ساحل الخليج .

١٤ – اسم Jenra واسم Bhemea كاسمي جزيرتين قريبتين من الساحل . وقال الكاتب ان هناك جزيرة ثالثة بجاورة لها فيها اعمدة حجرية عليها كتابة بأبجدية غير معروفة[٥] .

١٥ – اسم[٦] Coboea كميناء من موانيء الخليج . ويمكن ان يكون محرفاً عن قبة او كبة .

١٦ – اسم[٧] Arsa كميناء وراءها جبل باسمها على الخليج ايضاً . ويمكن ان يكون محرفاً عن قرصة او عرسة .

١٧ – اسم[٨] Salonades واسم Cahima كجزر قريبة من الساحل في الخليج اهلها صيادون .

١٨ – اسم[٩] Mamaeum كموقع على الساحل فيه مناجم من الذهب . ويمكن ان يكون محرفاً عن ميمون او معمون .

١٩ – اسم[١٠] Apitami واسم Casani واسم Darae كقبائل نازلة على ساحل

---

(١) ٢٩٩ (٢) ٣٠٠ (٣) ٣٠١ (٤) ٣٠١ (٥) ص ٣٠١ (٦) ٣٠١
(٧) ٣٠١ (٨) ٣٠٢ (٩) ٣٠٣

البحر . ومن الممكن ان يكون الاسم الاول محرفاً عن ابي طامه والثاني عن كيسان والثالث عن داري .

٢٠ ــ اسم [١] Bathynae كشعب من ساحل عمان ويمكن ان يكون الاسم محرفاً عن سكان ساحل الباطنة .

٢١ ــ اسم [٢] Sconitae كقبيلة موزعة في جزر عديدة لها مركز او سوق تجاري في موقع اسمه Acila . ويمكن ان يكون الاسم الاول محرفاً عن سقنة والثاني عن عقيل او اصيل .

٢٢ ــ اسم [٣] Agyris كجزيرة تابعة لعمان . وقال الكاتب ان فيها ثلاثة معابد يتعبد فيها الصيادون سكانها وقد خمنها الاثريون انها جزيرة مصيرة الواقعة بين رأس الحد ورأس فوكة .

٢٣ ــ اسم [٤] Organa كجزيرة مجاورة للجزيرة السابقة يسكنها صيادون ايضاً وفيها معبد . ويمكن ان يكون الاسم محرفاً عن غانه او غرانه .

٢٤ ــ اسم [٥] Sacalitae واسم Syagros كقبيلتين من القبائل النازلة على الساحل . ويمكن ان يكون الاسم الاول محرفاً من سخالية والثاني من صواقرة .

٢٥ ــ اسم [٦] zenobas كقبيلة تسكن بين حاشك ورأس الحد . وقد خمن الاثريون ان الاسم محرف عن بنو جنبه .

٢٦ ــ اسماء [٧] Apatae و Al..rita و Maisaimanes و Udenoi و Asteni و Jalisitae وهي قبائل خمن الباحثون انها كانت تسكن عارض اليمامة ومن الممكن ان تكون الاسماء محرفة عن عباطة وعتريتا وميسمان واستينة وجولية

٢٧ ــ اسماء [٨] Malangitae و Dahareni و Bluilae وهي قبائل خمن الباحثون انها كانت تسكن في جنوب اليمامة . ويمكن ان تكون الاسماء محرفة عن مالان وداهرية وبيلة .

---

(١) ٣٠٢ (٢) ص ٣٠٣ (٣) ٣٠٦ (٤) ايضا (٥) ص ٣٠٧ (٦) ٣٤٥
(٧) ص ٣٧١ (٨) ٣٧٢

٢٨ ـ Asab [١] وهو اسم مدينة يمكن ان يكون عصب قال الاثريون انها عند جبال عصيون في منطقة عمان ومن المحتمل ان يكون هي ما يعرف اليوم بالجبل الاخضر .

٢٩ ـ Degma [٢] وهو اسم مدينة بعد مضيق هرمز ورأس الخيمة في جنوب الخليج العربي على ما قدره الباحثون ومن المحتمل ان يكون الاسم هو رجمة

٣٠ ـ Kabana [٣] وهو اسم مدينة في جنوب رأس الخيمة يخمن بعض الأثريين انها مدينة قشم او كلبة او ام الكوين او ام الجوين

٣١ ـ Gerraie و Katara وهما اسما مدينتين على ساحل الخليج العربي الغربي خمنها الأثريون الجرعاء وقطر

٣٢ ـ Makai [٤] اسم قبيلة كانت تسكن في جنوب مضيق هرمز خمنها الاثريون مكاكة .

٣٣ ـ Thaemai وهو اسم قبيلة بني تميم على ما خمنه الباحثون وكانت تقيم على خليج اسمه Maorum وقرب نهر اسمه Asatom

٣٤ ـ Kabie أسم قبيلة كانت تنزل قرب مدينة Caramanis وقد خمن الباحثون ان القبيلة هي قبية وان المدينة هي القرين[٦]

٣٥ ـ Adoukaison اسم قبيلة كانت تسكن البحرين وقد خمنها الباحثون انها قبيلة بني عبد قيس [٧]

٣٦ ـ Jueara اسم قرية خمنها الباحثون انه جهرة وهي قرية في منطقة الكويت [٨].

٣٧ ـ Satula وAina وLugana وGaisa وArakame و Digema و Safta و Figia وAttale وGorda وMarata وJbirta وMasta'a وDomana وAttia وbebana وCapuatee وهي اسماء مدن في البر الشرقي من الخليج العربي [٩] ومن المحتمل ان تكون محرفة من سطيلة وعينه ولجنة ودكمة وسفطة وفجة وعطيلة وقردة ومرطة وعبيرتة ومسطلة ودمنة وعطية وربتة وقبوطة

٣٨ ـ Tonoie وهو اسم قبيلة [illegible] الباحثون انها قبيلة طي [١٠]

(١) ٣٧٤ (٢) ٣٧٦ (٣) ٣٧٧ (٤) ٣٧٨ (٥) ٣٧٩ (٦) ٣٨٠ (٧) ٣٨١ (٨) ٣٨١
(٩) ٣٨٤ (١٠) ص ٣٨٧ (١١) ص ٣٨٧

اسماء مدن وقرى في هذه المناطق في معجم البلدان

ودلالة ذلك

ولقد احتوى معجم البلدان لياقوت أسماء مدن وقرى كثيرة جداً في مناطق البحرين وعُمان واليمامة والسماوة عليها طابع القدم الذي يسوغ القول انها او ان كثيراً منها مما كان قائماً في هذه المنطقة في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام وقد يكون منها ما قام فيها قبل هذا الدور حيث يمكن أن يكون في ذلك مظهر من مظاهر النشاط الحضاري لأهلها في الادوار القديمة . وهذه هي مرتبة على حروف الهجاء وفق ما جاءت في أجزاء المعجم :

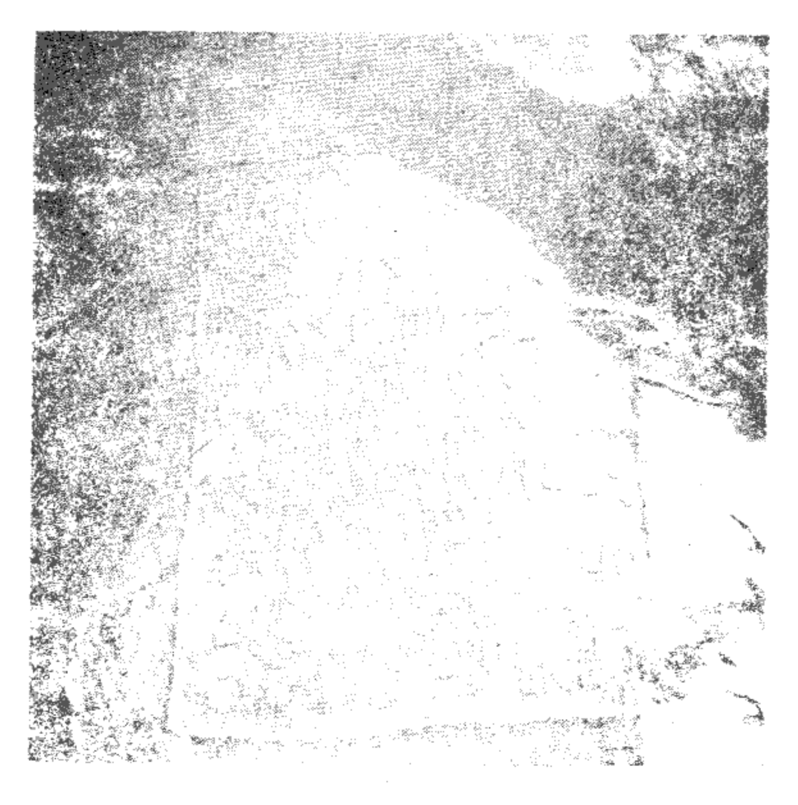
آبه من قرى ساوه ، آره بلدة في البحرين ، آفاز قرية في البحرين ، أباض قريـة في اليمامة ، أبام قرية في اليمامة ، أبان قرية في اليمامة فيها نخل وماء ، أبرين قرية كثيرة النخل والعيون بحذاء الاحساء ، إبط قرية في اليمامة ، أبير قرية في ناحية هجر البحرين ، اثيفية قرية في اليمامة ، أجأ احد جبلي طي في نجد وفيه قرى كثيرة ، أجراذ قرية في نجـــد ، أجرب قرية في نجد ، اجرعين قرية في اليمامة ، إجله قرية في اليمامة ، احدث بلد في نجد ، الاحساء جمع حسى وهو الماء الذي تنشقه الارض وتحفره الآبار. وبلاد الاحساء المشهورة التي يقوم فيها اليوم مدينة كبيرة بنفس الاسم سميت بذلك لأنها من هذا النوع ، أحسن قرية في اليمامة ، أحوس موضع فيه نخل كثير في اليمامة ، الأرخ قرية في أجأ ، أرض نوح قرية في البحرين ، ارك مدينة تسلمى أحد جبلي طي في نجد ، الاشاءة قرية فيهـا نخل في اليمامة ، أشقر قرية في اليمامة ، الاشيقر قرية باليمامة ، أفاحيص في اليمامة ، أفـكان مدينة ذات ارحية وحمامات وقصور باليمامة ، أطواء باليمامة ذات نخل وزرع ، اكمة باليمامة ، اوال جزيرة من جزر البحرين فيها بساتين نخل وليمون ، اوجار في البحرين ، البادية في اليمامة ، اود في نجد ، اهدى من قرى هجر البحرين ، الباقرة من قرى اليمامة ، براقة مثلها ، اليسرة في نجد ، بطن العتك في اليمامه ، بريك مثلها ، بقعاء مثلها ، بلاد مثلها ، بنات قين في السماوة ، بنان في نجد ، بنبات في اليمامة ، بنيان مثلها ، البوبأة مثلها ، بهدى مثلها ، بهرة مثلها ، بهلا بلد في ساحل عمان ، بينونة قرية بين عمان والبحرين ، البنية في اليمامة ، ثرمد في نجد ، ترم مدينة جزيرة أوال في البحرين ، تصلب في نجـــد ، تعشر في اليمامة ، تعمر

مثلها ، تلعة مثلها ، تمر مثلها ، تمرة مثلها ، تمير مثلها ، تنهاة في نجد ، توام قصبة عمان وحولها قرى كثيرة ، توضح في اليامة ، تيرب مثلها ، تاوة مثلها ، تاج في البحرين ، ثقل في نجد ، الثقب في اليامة ، الجدار مثلها ، الجردة مثلها ، جرزة مثلها ، جرعاء مالك في الدهناء ، جرفار مدينة بناحية عمان ، جريب من قرى هجر ، الجفران في اليامة ، الجفير في البحرين ، جغب في اليامة ، جواثاء في البحرين ، المشقر مثلها ، الجوفاء في اليامة ، الجون مثلها ، الجو مثلها ، جيار في البحرين ، الحاتمية مثلها ، الحاذ في نجد ، الحائط في اليامة ، حائل في اليامة قديمة جاهلية وهو اليوم من مدن نجد الكبرى ، الحت في عمان ، حجر مدينة اليامة وأم قراها ، حصن عاصم في اليامة ، الحظائر مثلها ، الحفيرة مثلها ، حفر الرباب في الدهناء ، الحمادة مثلها ، حوارين بلدة في البحرين ، الحيار مثلها ، الحوف في عمان ، خباش في اليامة ، خف من مدن عمان ، الخرج واد في اليامة فيه قرى عديـــدة ، الخرصان في البحرين ، الخضارم في اليامة ، خضراء مثلها ، الخضرمة مثلها ، الخطامة مثلها ، الخط كورة مـــن من قراها القطيف والعقير وقطر على سيف البحرين وهو كثير النخل ، الخلصاء في الدهناء ، خزرة في نجد ، خنفس في اليامة ، خور فكان من بلدان عمان ، خور بروص مثلهـــا ، خوض الثعلب في ناحية هجر ، الخيس في اليامة ، درآء في ناحية البحرين ، دارين مثلها ، دبا في ناحية عمان ويقام فيها سوق وكانت مدينة قديمة مشهورة ، الدبـــيرة في البحرين ، دخلة مثلها كثيرة التمر ، درنا في اليامة ، دغوث في ناحية عمان ، دقلة في اليامة ، دما في ناحية عمان وكان يقام فيها سوق كبير ، دوان في ناحية عمان ، الدهالـــك في الدهناء ، الرمادة في اليامة ، الرس مثلها ، الردم في البحرين ، الريب ناحية في اليامة فيهـــا قرى ومزارع لبني قشير ، ريوت في ناحية عمان ، ريمان في البحرين ، زارة في البحرين ، ذوزيد في اليامة ، زهيرية مثلها ، الزعابة مثلها ، الزغيلة مثلها ، الزيدي مثلها ، السائية مثلها ، الستار ناحية في البحرين فيها قرى تزيد عن المئة ، الستارة مثلها ، السحيمية في اليامـــة ، السعائم في الاحساء ، سعد في اليامة ، السنوح مدينة عرض اليامة وما حولها ، السليت في في البحرين ، سوار مثلها ، سوقة في اليامة ، السهلة في البحرين ، سهي في بلاد تميم ، السيوح في اليامة ، الشركة في نجد ، شطان في اليامة ، الشظبتان مثلها ، شط مثلها ، شنار جزيرة في بحر البحرين فيها قرى كثيرة ، الشموس في اليامة ، الشمسين مثلها ؛ الصادر في البحرين ، الصبغاء في اليامة ، صحار قصبة عمان ، الصدارة في اليامة ، الصريف في نجد ، صعفوق في اليامة ، صعبني مثلها ، الصفا في البحرين ، الصقرة في اليامة ، صفور مثلها ، صلاصل مثلها ، صماغ مثلها ، الصياعة مثلها ، ضبيعة مثلها ، ضرية في نجد ، ضمير في عمان ، الضيق في اليامة ،

طاب في البحرين ، الظاهرة في اليمامة ، ظلامة في البحرين ، الظهران في البحرين ، إلطريبيل من قرى هجر ، العامرية في اليمامة ، العتيد مثلها ، عدولي في البحرين ، العرض واد في اليمامة فيه قرى ومياه ، العرقة مثلها ، العروش مثلها ، عريق بين البصرة والبحرين ،عقرباء في اليمامة ، العقير من قرى هجر ، العقيق واد في اليمامة فيه عيون وقرى ونخل ، العمارية مثلها ، عُنك في البحرين ؛ عنيزة مثلها ؛ العويند في اليمامة ، الغابة في البحرين ، غبيب في اليمامة ، غبير في نجد ، غرقة في اليمامة ، غسل مثلها ، غناظ مثلها ، الغوارة قرب الظهران ، فردوس مثلها ، الفقّاد مثلها ، فلج في الدهناء ، الفوارة بجانب الظهران ، الفور في اليمامة ، فيشان مثلها ، القدامى مثلها ، القرحاء في البحرين ، قرما في اليمامة ، قران مثلها ، قريّ مثلها ، القريَّة مثلها وهي أخصب قرى اليمامة ، القصبات مثلها ، القصيم في نجد ، قطر بين عمان والبحرين ، القطرية في اليمامة ، القلتين مثلها ، قلهات في ساحل عمان ، قمادى في البحرين ، قميع في اليمامة ، قنيّ مثلها ، القويلية في نجد ، كبيسة في السماوة ، كتيب في البحرين ، الكثيب مثلها ، الكرس في اليمامة ، كرمة مثلها ، كمزار على ساحل عمان ، كنبوت في البحرين ، كنزة واد فيه نخل وماء وقرى ، لافت جزيرة في بحر عمان فيها قرى وعيون ، لحاء واد في اليمامة كثير الزرع والنخل ، لقاع مثله ، المحرقة مثله ، محضر في نجد ، مخرقة في اليمامة ، مذنب مثلها ، مرآة مثلها ، مرداء في البحرين ، المرزي مثلها المريداء مثلهـــا ، مريفق في اليمامة ، المزيرعة في البحرين ، المسفلة في اليمامة ، مشرد مثلها ، المصانع مثلها ، مصيرة جزيرة عظيمة في بحر عمان فيها عدة قرى ، المطلع في البحرين ، المعلاة في اليمامة ، معنق مثلها ، مقامي مثلها ، المقترب مثلها ، المقراة مثلها ، المقنعة قرب الظهران ، ملحوب ومليحيب في اليمامة ، ملهم مثلها ، منبجس مثلها ، المنتهب في طرف جبل سلمى ، المنفطرة في اليمامة ، منفوحة مثلـــها ، الموفق في جبل أجأ ، مهشمة في اليمامة ، نبطاء في البحرين ، نبهانية في نجد ، نجبة في البحرين ، نحوة مثلها ، نطاع في اليمامة ، نعام واد في اليمامة كثير النخل والزرع ، نقب في اليمامة ، نقيد مثلها ، نقية في البحرين ، النميلة في اليمامة ، نها في البحرين ، نهيّ بين اليمامة والبحرين ، وادي الحل في اليمامة ، الواخجة مثلها ، والع مثلها ، وبرة مثلها ؛ وجر في البحرين ، هجر قاعدة البحرين ، هزمة في اليمامة ، الهزيم واد في اليمامة فيه قرى ونخيل ، يثرب مثلها .

وهكذا يبدو من هذه القائمة الطويلة مدى ما كان مـــن عمران ونشاط حضاري في هذه المنطقة .

ومن الجدير بالذكر ان مؤلف المعجم نسب كثيراً من هذه القرى إلى قبائل وعشائر واشخاص كانوا موجودين قبل الاسلام كما وصف كثير منها بوصف القديم الجاهلي وأورد ما ورد في شعر الشعراء الجاهليين في بعضها وقال ان كثيراً منها وقت تأليفه المعجم في أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع (والمؤلف توفي سنة ٦٢٨هـ) خرباً ، وننبه الى اسماء عديدة منها بأن الجيوش الاسلامية قد فتحتها في سياق حركات الردة التي بدأت في أواخر حياة النبي ﷺ واتسع نطاقها في عهد خليفته الاول ابي بكر الصديق رضي الله عنه في هذه المناطق وبخاصة في اليمامة مركز بني حنيفة ومتنبئهم الكذاب مسيلمة حيث ينطوي في كل هذا ثم في صدد الأسماء التي يبدو على كثير منها ان لم نقل أكثرها لمحة القدم والجاهلية تأييد لما رجحناه من أن أكثر هذه القرى والمدن كانت موجودة في هذه المنطقة قبل البعثة النبوية .



(كتابة لحيانية)

نقلا عن الجزء السابع من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي



كتابة ثمودية وجدت في معبد الصنم « اللات » في خرائب « رم »
نقلا عن الجزء الخامس من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

٣ ــ ممالك لحيان وثمود وتيماء والجرهاء

لقد ذكرنا في الجزء الاول من الكتاب هذه الممالك التي كانت في شمال الجزيرة وما عرف من أحوالها من النقوش والمدونات القديمة لأن ظروفها الأولى متصلة بشكل ما بظروف دور ما قبل العروبه الصريحة مع ان ما قرىء من النقوش والمدونات القديمة من اسماء زعمائها وملوكها وأفرادها وآلهتها تحمل لحة العروبة الصريحة بقوة وتسوغ سلكها في سلك دور هذه العروبة .

ولما كان ما يحسن ايراده عنها قد أوردناه في الجزء المذكور فاننا نكتفي هنا بهذا التنويه والتنبيه .

٤ — نظام الحكم في مكة

في الكتب العربية شيء غـير قليل في صدد الحكم والسلطان في مكة وإن لم يكن شافياً . وهو من جهة أخرى لا يخلو من تعدد وتناقض وخلط ومفارقة . ويلمح فيه أثر الافتعال والصنعة نتيجة للتنافس القبلي والاسروي الذي كان بعد الاسلام ٠ غير انه على كل حال لا يخلو من الحقائق فيما نعتقد التي شيبت بالخيال والخطط لأنها ظلت في الصدور تتداولها الالسنة إلى عصر التدوين العربي في القرن الثاني للهجرة وما بعد . وليس هناك مصدر آخر يمكن الاستناد اليه ولا مناص من تلخيص ما ورد في هذه الكتب من ذلك مع الحذر والتحفظ .

وخلاصة ما ورد في هذه الكتب [١] ان أول من حكم مكة والحجاز هم العمالقة . ثم جاءت قبيلة جرهم من اليمن فنزلت على قطورا بأسفل وادي مكة وكان الملك في قطورا حينئذ للسميذع بن هوثر . ثم لحق بجرهم بقية قومهم وعليهم مضاض بن عمرو بن الرقيب بنت نبت بن جرهم فنزلوا بقيقعان بأعلى وادي مكة وصار ملكاً له ؛ فكان السميذع يعشر الداخلين الى مكة من ناحية ومضاض يعشرهم من ناحية ثم تناحر الزعيمان واقتتلا فغلب المضاض وقتل السميذع وانفردت جرهم في الحكم والسلطان . وفي عهدهم أتى ابراهيم عليه السلام بابنه اسماعيل وامه واسكنهما في جوارهم . وتزوج اسماعيل امرأة منهم اسمها حرا ثم طلقها وتزوج بأخرى اسمها السيدة وكانت حفيدة مضاض . وقد أدى ذلك الى استعرابه هو وذريته .

وذكرت هذه الكتب ان الذي ملك بعد مضاض ابنه عمرو ثم الحرث بن عمرو ثم عمرو ابن الحرث ثم مضاض بن عمر .

وفي هذه الاثناء طرأت على وادي مكة قبيلة قحطانية جديدة اسمها خزاعة .وتحالفت مع بعض قبائل كانت في الوادي سماها بعض الرواة بني كنانة وبعضهم بني بكر وتصدى

---

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص٣٥٨ وبعدها و ج ٢ ص ١٦٤ وبعدها وج ٣ ص٣٦٦ وبعدها وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٤٦ وبعدها وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٤ وبعدها وتاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ١٨٧ وبعدها .

الحلفاء لجراهمة وتصاولوا معهم وغلبوهم وانتزعوا الملك منهم . وكان أول من تولاه من خزاعة عمرو بن لحي . وكان دين أهل الوادي دين ابراهيم التوحيدي فأخل عمرو به حيث احضر من بلاد الشام الصنم هبل ووضعه في الكعبة وحمل الناس على عبادته ، وكان من عقيق احمر كسرت احدى يديه فصنعوا له يداً من ذهب ...

وقد امتدت ولاية خزاعة ثلاثمئة سنة وكان آخر ملوكهم ملك اسمه مليك او حليل . وكانت ولايتهم تشمل فيما تشمله الاجازة بالناس من عرفة يوم الحج الاكبر حيث ما كان لأحد من الحجاج ان ينصرف الا بعد ينادي منادي صاحب الاجازة منهم بالاذن بذلك. وكانت تشمل كذلك الافاضة بالناس غداة يوم النحر من المزدلفة الى منى ، والنسء للشهور الحرام حيث كان يعلن المتولي له منهم تقديم الاشهر الحرام شهراً أو تأخيرها شهراً في العام القابل .

ولم يعقب آخر الملوك الخزاعيين إلا بنتاً تزوجها قصي بن كلاب الذي ينتسب إلى معد ابن عدنان ثم الى اسماعيل على رأي الرواة والنسابين . وقد عهد الملك عند وفاته بولاية البيت لشيخ من قبيلة خزاعة اسمه ابو غبشان . وبعد قليل من موت الملك طمح قصي الذي كان قد برز كزعيم في قومه بالولاية فساوم ابا غبشان واشتراها منه .

وغضبت خزاعة مما جرى فتصدت لمنع قصي من مباشرة الولاية : واستنصر هذا بأخواله بني ربيعة من قضاعة ثم بقبيلة كنانة واقتتل الفريقان قتالا شديداً ثم اتفقا على تحكيم زعيم عربي معروف اسمه يعمر بن عوف فقضى بأولوية قصي ورضي الناس فكان قصي أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكاً وأطاعه قومه . وجمع في يده (الحجابة) وهي حراسة باب الكعبة ومفتاحها و (الرفادة) وهي الاشراف على تهيئته للطعام للحجاج المحتاجين و (الندوة) وهي رآسة اجتماع شيوخ القوم و (اللواء) أي عقد لواء الحرب أو قيادتها فحاز بذلك شرف مكة كله .

وقد قطع مكة بين قومه الذين عرفوا باسم قريش المختلف في اصله ومعناه ، وانزلهم منازلهم التي كانوا عليها عند بعثة النبي عليه السلام حيث سكن هو وعشيرته الاقربين ثم بنو زهرة وبنو مخزوم وبنو تيم وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدي وبنو عتيك في بطاح مكة مكة فسموا باسم (قريش البطاح) واسكن بني محارب وبني الادرم وبني هصيص وبني الحارث في ظاهر مكة فسموا باسم (قريش الظواهر) وقد تيمن العرب به وسموه مجمعاً

لأنه جمع أمرهم وفي ذلك يقول الشاعر :

أبوكم قصي كان يدعى مجمعاً ... به جمع الله القبائل من فهر

وكان لا يعقد نكاح ولا لواء ولا يتشاور قريش في ما ينزل بهم من أمور ولا تدرع فتاة ويعلن بلوغ فتى إلا في داره . وقد اتخذ داراً سماها دار الندوة لتكون مركز الولاية والاجتماعات الشورية وجعل بابها الى مسجد الكعبة . وكان يعشر - اي يتقاضى الرسوم - ممن دخل مكة من غير اهلها . وظل مطاعاً محترماً ميمون النقيبة إلى أن كبر ورق فجعل حكم مكة لابنه عبد مناف وكان انبه أولاده ، وجعل الرفادة والسقاية - وهي تجهيز الماء اللازم للحجاج - واللواء ورآسة الندوة لبكره عبد الدار الذي كان ضعيفاً فأراد ان يقويه ويشرفه بهذه المناصب على ما رواه الرواة .

ولما مات الاخوان تنازع أبناؤهما وتحزب جماعة من قريش لأبناء عبد مناف وجماعة لأبناء عبد الدار وعقد كل فريق مع أنصاره حلفاً . وسمي حلف عبد مناف بحلف المطيبين لأنهم اخرجوا جفنة فيها طيب فغمسوا فيها أيديهم ومسحوها بالكعبة توكيداً على أنفسهم فسموا بالمطيبين . واخرج بنو عبد الدار جفنة فيها دم فغمسوا فيها أيديهم مع انصارهم ومسحوها بدورهم بالكعبة فسموا بلعقة الدم !! واستعد الفريقان للقتال ثم تداعوا الى الصلح وتراضوا بأن يكون لبني عبد الدار الحجابة واللواء ورئاسة الندوة ولبني عبد مناف الرفادة والسقاية . وظل الامر كذلك الى زمن البعثة النبوية . وكان ابو سفيان ابن امية من بني عبد الدار (واسمه حرب) صاحب اللواء والقيادة والندوة وكان عباس بن عبد المطلب من بني عبد مناف صاحب الرفادة والسقاية . وكان الاول هو صاحب البروز والتفوق .

وقد كان الى هذه المناصب الرئيسية مناصب أو مهام اخرى يتولاها البارزون من البطون القرشية الاخرى منها (الاموال المحجرة) اي الاوقاف المحبوسة للالهة و(الحكومة) اي التحكيم في الخلافات و (الاعنة) اي قيادة الفرسان و (الاشناق) أي تدبير شؤون الديات والمغارم و (السفارة) أي القيام بمهمة الاتصال بالقبائل الاخرى في سبيل حل الشؤون المتنوعة الهامة وقد كان عمر بن الخطاب فى زمن بعثة النبي ﷺ يتولى مهمة السفارة وخالد بن الوليد مهمة الاعنة وابو بكر مهمة الاشناق .

ومهما يكن من أمر هذه الروايات التي لا تخلو من الشوائب بالنسبة للقديم ثم من أثر المنافسات الاسروية والعشائرية بعد الاسلام فإنها فيما نعتقد لا تخلو من حقيقة كما قلنا قبل بحيث يمكن أن يقال ان الحكم في مكة كان يتسم بسمة مزدوجة من النظر في الشؤون الدينية والمدنية معاً مما كان جارياً في جنوب جزيرة العرب قبل القرن السادس قبل الميلاد ومتمثلا في الرؤساء الأعلين للممالك المعينية والحضرموتية والقتبانية والسبئية الذين كانوا يتلقبون بلقب مكرب الذي ينطوي فيه معنى الصفة المزدوجة علـى ما شرحناه في الجزء الأول . وقد أوردنا في الجزء المذكور اشارة ديودور الصقلي من رجال القرن الأول قبل الميلاد إلى الكعبة في قوله ان وراء أرض الأنباط بلداً فيه هيكل يحترمه العرب كافـة احتراماً كبيراً حيث يفيد هذا قدم هذا الاحترام واحتمال كون الصفة المزدوجة للحكم في مكة متصلة به أو ناشئة عنه . وهذا الاحتمال وارد أيضاً من ناحية اسم مكة إذا صح ما خمنه الاثريون بأن اسم مكروبا الذي ذكره بطليموس كاسم مدينة في شمال الجزيرة هو اسم مكة وان الاسم الجديد هذا هو متطور عنه . وبين الاسم القديم وبين كلمة مكرب التي كانت تعني الزعامة الدينية والمدنية تجانس ظاهر .

والروايات تفيد على كل حال ان الحكم في مكة قبل القرن الخامس الميلادي كان في يد غير قرشية وليس هناك ما يمنع أن يكون في أيد أرومات قحطانية نزحت من الجنوب كما تفيد الروايات . ثم ظهر من قريش زعيم حكيم طموح هو قصي بن كلاب فتمكن مـن الأستيلاء على مقاليد الأمور وأحسن تنظيمها في نطاق الازدواج الديني والمدني معاً مما قد يكون فيه دلالة على صحة الاصل ومنشأه الذي نوهنا بها . ثم تطور الامر بعده حتى غدا الحكم في عهدة مشيخة أعيان وزعت فيها المناصب الدينية والمدنية بين الأسر القرشية البارزة مع احتفاظ صاحب منصب اللواء ورئاسة الندوة بالبروز والزعامة بالنسبة لغيره ممـا يفسره تزعم ابي سفيان المنحدر من عبد الدار وصاحب هذا المنصب لمناوأة الدعوة المحمدية وتعصب بني هاشم المنحدرين من عبد مناف لها حيث اعتبرها الفريقان مظهراً من مظاهر التنافس على الحكم والبروز ولو لم يؤمن في بدء الأمر كثرة بني هاشم بها دينياً .

ولقد احتوى القرآن الكريم بعض دلالات مؤيدة لمـا روي وصحت أخباره حيث ذكرت في بعض الآيات سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بأسلوب يدل على أنها من المهام الشريفة كما ترى في الاية التالية .

« أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في

سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين »

سورة التوبة ١٩

وحيث جاء في سورة العلق عبارة تلهم أنها تقصد جماعة دار الندوة وهي تنـــدد بزعيم من زعمائها تصدى للنبي ﷺ في أوائل بعثته من الصلات الاسلامية ومن الدعوة إلى الله كما ترى فيها :

« أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى . أرأيت إن كان على الهدى . أو أمر بالتقوى . أرأيت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية . ناصية كاذبة خاطئة . فليدع نادية سندعو الزبانية . كلا لا تطعه واسجد واقترب »

سورة العلق ٩ — ١٩

ولقد سمى القرآن مكة باسم أم القرى كما ترى في هذه الآية :

« وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فية فريق في الجنة وفريق في السعير » ..

سورة الشورى ٧

والتعبير يفيد كونها عاصمة يتبعها قرى أخرى . والقرية في القرآن قـــد عنت المدينة أيضاً كما ترى في هذه الآية :

« واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا وإنها لصادقون »

سورة يوسف ٨٢ [١]

وفي معجم البلدان لياقوت اسماء عدد كبير من القرى التي كانت موجودة في منطقة مكة وما يزال كثير منها موجودة وعليها لحة القدم مما يسوغ القول انهـــا أو إن كثيراً منها مما كان موجوداً قبل الاسلام كما ترى في ما يلي مرتبة على حروف الهجاء وفقـــاً لترتيب المعجم :

آره وهو جبل شامخ تخرج من جوانبه عيون ويقوم على كل عين قرية منها الفرع

---

(١) كانوا يعنون مصر او عاصمتها .

وأم العيال والمضيق والمحضة والوبرة وفي كل منها نخيل وزدع وواديها يصب في الأبواءثم في ودان . الأبواء وفيها دفنت آمنة أم النبي عليه السلام وهي في طريق عودتها من المدينة إلى مكة [1] . أجناب ، الاعراض وفيها قرى عديدة ، الاساسان وهما قريتان لبني سليم ، الافواع ، الومه ، اين ، بطن انف ، بليد ، تثليث ، نعمن ، التناهي ، تنصب ، التنعيم ، جبلة ، أم حجوم ،الجحفة ، الخريس ، جونة ، حرض ، خبزة ، الخصاصة ، خلص ، خليص ، دوران ، دوّه ، الزي ، السويرقية ، سوكه ، شرمساح ، عربة ، عسفان ، عشم ،عشرة ، عقل ، عكاظ ، القاحة ، قبر ، قديد ، قعر ، قيقعان ، كلية ، ذو المجاز ، المجنة ، من الظهران ، مسلح ، المحمل ، منى ، ألنجل ، وبعان ، ودان ، يبته .

واقد وصف صاحب المعجم كثيراً من هذه القرى بالقدم ، ونسب كثيراً منها إلى أشخاص وقبائل قبل الاسلام ،ولقد ذكر كثير منها في كتب السيرة النبوية حيث ينطوي في كل هذا تأييد لما قلناه كما ينطوي فيه مظهر من مظاهر النشاط الحضاري في منطقة مكة قبل الاسلام .

والمتبادر أن حكم حكومة مكة التي وصفناها ونفوذها كان يشمل هذة القرى كما كان يشمل القبائل التي كانت تعيش حولها . أما منطقتا الطائف ويثرب فهناك ما يفيد انهما لم يكونا داخلين في نطاقه على ما سوف نشرحه بعد وان كان هناك ما يفيد أنه كان تعاون بينهما .

٥ ـ نظام الحكم في الطائف

ليس في الروايات العربية ما يساعد على معرفة تاريخ قديم للطائف . والاسم فصيح . ولكنه لا يعني كما نرجح انها نشأت في دور نضوج اللغة الفصحى الذي كان خلال القرنين السابقين للبعثة النبوية . وليس ما يمنع أن تكون موجودة قبل ذلك بأمد ما وأن يكون اسمها متطوراً عن اسم آخر أو بديلا عنه . بل هذا ما نرجحه . ولقد كانت محصنة مسورة ، وكانت غالبية سكانها وما حولها من قبيلتي ثقيف وهذيل اللتين تنسبهما الروايات

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ج ١ ص ٩٦-٩٧

الى قيس بن عيلان ثم إلى معد بن عدنان مع تفوق ثقيف مركزاً وعدداً . ويمكن أن يقال استنتاجاً من الروايات انها كانت تحتفظ بشخصيتها المستقلة .

وفي معجم البلدان لياقوت أسماء عدد من المقاطعات التي وصفت بأنها مخاليف الطائف مثل ثرور والحكورة والخدود وسوانه والشديق والفليق وفاوة ونطروح . ولمحة القدم بادية على الأسماء والمتبادر انه كان لكل مخلاف مركز باسمه . وبالاضافة الى ذلك ففي المعجم اسماء قرى عديدة وصفت بأنها تابعة للطائف مثل تنا والجعرانة والسلامة وفتق وكوثر ومطار ومعدن ، بحيث يمكن أن يقال ان الطائف كانت بمثابة أم القرى .

ولم يرد في الكتب العربية شيء محدد عن نظام الحكم فيها ولكنها ذكرت ان ثقيفاً كانوا متحالفين مع قريش وانهم جاؤوا الى نصرتهم حينما زحف النبي ﷺ على مكة ثم علموا بخبر فتحها قبل وصولهم فعادوا ورمموا حصونهم وسورهم ، وان النبي ﷺ زحف على الطائف بعد فتح مكة وهزيمة هوازن التي جاءت هي الأخرى لنصرة قريش في وادي حنين وحاصرها واستعصت عليه فعين من يزعجها بالغارات وعاد إلى المدينة وحينئذ مشى رجالها إلى عبد ياليل الذي يظهر انه كان كبير الزعماء وائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى رسول الله ﷺ نفراً منهم فخرج عبد ياليل وابناه كنانة وربيعة وشرحبيل بن غيلان بن سلمة والحكم بن عمرو بن وهب بن معتب وعثمان بن ابي العاص وأوس بن عوف ونمير بن خرشة بن ربيعة على رأس سبعين رجلا الى يثرب للمفاوضة مع النبي عليه السلام على الاسلام [١] حيث يمكن ان يفيد ان هؤلاء الستة كانوا بمثابة مشيخة أعيان تتولى شؤون الطائف وما حولها كما كان الأمر في مكة ممتداً ذلك إلى ما قبل البعثة بأمد ما.

وفي القرآن الكريم آية ذات دلالة تأييدية وهي آية سورة الزخرف هذه :

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ٣١

حيث انطوى فيها على ما ذكره المفسرون [٢] استناداً إلى الروايات حكاية تعجب زعماء مكة من نزول القرآن على محمد ﷺ الذي لم يكن زعيما نافذاً مطاعاً من دونهم وقولهم من قبيل الاعتداد والقياس على مقياس العادة الجارية انه كان من المعقول لو كان القرآن من عند الله أن ينزل على زعيم عظيم من زعماء احدى المدينتين مكة والطائف .

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٧٦-٧٨ و ج ٣ ص ٢١٠-٢١٢

(٢) انظر تفسيرها في تفسير ابن كثير مثلا

وقد ذكرت الروايات انهم كانوا يعنون بالزعيم الطائفي ابن عبد ياليل أو عمرو بن مسعود أو حبيب بن عمرو بن عمير أو كنانة بن عبد عمرو بن عمير .

٦ ـ نظام الحكم في يثرب
(المدينة المنورة)

لقد ذكرت يثرب بلفظ يثربو في بعض النقوش الاشورية العائدة الى القرن السابع قبل الميلاد ومعنى هذا انها قديمة وربما يرجع انشاؤها الى نحو الف سنة قبل الميلاد أو أكثر . وليس هناك ما يمكن ان يلقى ضوءاً على تاريخها في ذلك العهد البعيد . غير ان في الكتب العربية بيانات تتصل بتاريخ سكانها من اليهود والعرب بعد الميلاد المسيحي ولو لم تكن وافية أو خالية من الشوائب التي تشوب الروايات العربية القديمة ، يمكن أن يستفاد منها ان حالة الحكم فيها قبيل البعثة النبويـة كانت كالحالة في مكة والطائف ، وانها كانت تحتفظ بشخصيتها المستقلة مثلها ، ولعل ذلك هو الذي شجع النبي ﷺ على الهجرة اليها بعد أن بلغت المناوأة ضد دعوته إلى حد التآمر عليه حيث تعهد له وفـد يثرب بالمنعة والدفاع والحرية والتعضيد ضد مناوئيه الذين كانت مكة وقبائلها والطائف وقبائلهـا من أشدهم .

ولقد احتوى معجم البلدان اسماء عدد كبير من القرى التي كانت حول المديـنة وفي منطقتها نوردها فيا يلي مرتبة حسب ترتيب حروف الهجاء :

الاثيل ، اجان ، أدامى ، أرينة ، الافراق ، أمج ، أوان ، بدر ، بطن نخلة ،بعاث ، بنو فعاله ، تربة ، تعتق ، ثمر ،الجار ، الجماء ، الجوانية ، ذو الحليفة ، الدبة ، خيبر ، زعبل ، سفان ، سوبقة ، شعب ، شق ، صيدوح ، عرب ، عرينة ، عظم ، العقيق ، الغابة ، فدك الفرع كورة فيها عدة قرى ، قبا ، وبرة ، وخدة ، وادي القرى منطقة فيها عدة قرى ، الهمج ، يليل ، ينبع .

ولحة القدم بادية عليها . وقد ذكر كثير منها في كتب السيرة مما يسوغ القول انها او ان كثيراً منها كانت موجودة قبل الاسلام ، وان يثرب كانت هي الاخرى بمثابة أم القرى بالنسبة لما حولها من القرى مثل مكة والطائف .

اليهود في يثرب والقرى المجاورة لها

ولقد ذكرت الكتب العربية فيما ذكرت مما اختلط فيه الغث بالسمين ان اليهود جاؤوا من فلسطين الى منطقة يثرب دون تعيين وقت مجيئهم الذي يخمن انه القرنان الاول والثاني بعد الميلاد على اثر الضربة الشديدة التي أنزلها الرومان فيهم سنة ٧٠ ب م ، ونزلوا في المدينة وأماكن أخرى في طريق يثرب الشام مثل وادي القرى وخيبر وفدك ومقنا وتيماء . ولم تذكر هذه الكتب ما إذا كانت هذه الاماكن كانت خالية من السكان ولكن يظهر من مجرى الاحداث وخلال الروايات انها كانت شبه خالية لأن اليهود كانوا وظلوا غالبية السكان في معظم هذه الاماكن . وقد امتلكوا الارضين فيها وفي ضواحي يثرب واستثمروها وأنشأوا كثيراً من بساتين النخل والعنب بالاضافة الى الزراعات الموسمية . واشتغلوا بالتجارة والصناعة والربا . وصاروا نتيجة لذلك أصحاب أموال وأملاك طائلة ومركز اقتصادي واجتماعي وطيد . وقد شادوا الحصون والقلاع ليكون لهم بها منعة في الوسط الجديد الذي حلوا فيه والذي كان مباءة تجوال القبائل العربية . ولا يبعد أن يكونوا أنشأوا مع ذلك صلات ودية مع هذه القبائل وقدموا اليهم أنفسهم كأبناء عم قدماء لهم وقالوا لهم انتم ابناء اسماعيل ونحن ابناء اسحق وكلانا أبناء ابراهيم وشهدوا لهم ان الكعبة والحج هي من التقاليد التي أنشأها ابراهيم فنالوا بذلك ثقتهم .

وفي القرآن آيات قد تدل على ان بعض بني اسرائيل قد تسربوا الى مكة وأقاموا فيها . ففي سورة الاحقاف المكية آية تذكر ايمان احدهم بالنبي عليه السلام والقرآن وفي سورة الشعراء المكية آيات فيها استشهاد بعلماء بني اسرائيل على صحة القرآن . وعدا ذلك ففي سور عديدة مكية استشهاد بأهل العلم وأهل الكتاب الذي يمكن ان يكون شاملا لليهود والنصارى معا ، ثم ان قصص بني اسرائيل وموسى وفرعون وانبياء بني اسرائيل تكررت وأسهب فيها أكثر من غيرها في السور المكية ، حيث يؤيد كل هذا ما قلناه آنفاً .

غير ان القرآن المكي قد خلا من الحملات الشديدة على بني اسرائيل المعاصرين خلافاً

للقرآن المدني وليس فيه اشارة ما إلى احتكاك واصطدام أو حجاج ولجاج بينهم وبين النبي عليه السلام حيث يفيد هذا ان الذين كانوا في مكة منهم كانوا أفراداً. وهذا بالاضافة الى احتمال تردد بعضهم من آن لآخر عليها من المدينة واحتمال وجود صلات بينهم وبين أهلها مما يصح أن يعد طبيعياً ولايتحمل ريباً.

وفي القرآن آية تندد باليهود لانهم آمنوا بالجبت والطاغوت وقالوا للكافرين انهم اهدى من المؤمنين [1] (النبي عليه السلام والمسلمين) وكان ذلك على ما ذكرته الروايات على لسان وفد يهودي ذهب الى مكة وحرض زعماءها على استئصال شأفة المسلمين في يثرب وتحالف معهم مما أدى إلى زحف قريش وحلفائهم على المدينة بجمع عظيم . وكان ذلك سبباً لما عرف في تاريخ السيرة النبوية بوقعة الخندق [2] . وفي هذا دلالة على ما قلناه من قيام صلات بين يهود يثرب وأهل مكة كما هو المتبادر .

مملكة اليهود واصطدامهم مع الأوس والخزرج

والروايات تذكر ان اليهود أنشأوا مملكة كانت يثرب عاصمة لها . وتعاقب عليها ملوك لم تذكر هذه الروايات إلا اسم آخرهم « الفيطون »

وتذكر كذلك ان الاوس والخزرج الذين هم من جد واحد اسمه ثعلبة بن حارثة والذين ينتسبون إلى قبيلة الأزد القحطانية قد جاؤا من اليمن إلى يثرب بعد اليهود بسبب سيل العرب في وقت لا يعرف على اليقين ولكنه قبل البعثة ببضعة قرون على كل حال فنزلوا في جوارهم واشتغلوا في مزارعهم وبساتينهم وخضعوا لحكمهم وصبروا على الشدة التي كانوا يعاملونهم بها الى ان كان عهد الفيطون الذي كان عاتياً فظاً فنفد صبرهم فوثب به شخص منهم اسمه مالك بن العجلان فقتله ثم فر إلى أبي جبلة ملك غسان في رواية وتبع الاصغر بن حسان ملك حمير في رواية اخرى فقص عليه ما يقاسيه قومه من اليهود فجاء إلى يثرب فنكل بهم تنكيلا شديداً ذلوا من بعده وزال ملكهم وقوي الاوس والخزرج عليهم وصاروا هم اصحاب الشأن في يثرب واضطر اليهود الى التزلف لهم والدخول معهم

---

(١) سورة النساء الآية ٥١

(٢) انظر طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٠٨-١١٦ وابن هشام ج ٣ ص ٢٢٩-٢٧٤

في محالفات ليضمنوا لأنفسهم الحماية والامن .

وكان الخزرج أكثر عدداً وأقوى شكيمة فكان لهم التفوق والبروز حتى لقد روت الروايات ان الحكم والسلطان في يثرب صار الى ملك منهم اسمه عمرو بن الاطنابة الخزرجي اتسع نطاق سلطانه وسمي ملك الحجاز ، وحتى لقـد روت الروايات ان الخزرج كانوا يصنعون تاجاً لزعيمهم عبد الله بن ابي لينادوا به ملكاً علهم إبان البعثة النبوية ثم اتصلت وفود الاوس والخزرج بالنبي ﷺ وانتهى الاتصال الى اعتـناق بعض زعمائهم الاسلام واتفاقهم مع النبي عليه السلام على الهجرة اليهم فأدى هذا الى توقف ذلك المشروع وكان من اهم أسباب حقد عبد الله على النبي عليه السلام والاسلام حتى كان رأس المنافقين على ما هو معروف يقيناً من الروايات المتواترة . ومما قد يكون دلالة تأييدية ما تواترت فيه فيه الروايات عما جرى بعد وفاة النبي ﷺ حيث اجتمع الانصار (الأوس والخزرج) في بيت سعد بن عبادة زعيم الخزرج وتشاوروا في أمر خلافة النبي عليه السلام فترشح سعد لها . ولما جاء ابو بكر وعمر وأبو عبيدة رضي الله عنهم الى سقيفة بني ساعدة مكان الاجتماع وأعلن أبو بكر ان الخلافة لقريش اعترض سعد وجماعته ومنهم من طلب المناوبة في الامارة ولما تمت البيعة لأبي بكر حرد ولم يبايع أو بايع مكرها [1]

بيانات عن اليهود في الحجاز

ومع الزمن تعلم اليهود العربية واعتنقوا كثيراً من عادات العرب وتقاليدهم وتسموا بأسمائهم فرقاً وافراداً . واستطاعوا في الوقت نفسه أن يؤثروا في العرب وان يحتفظوا بمركز ممتاز بينهم وان يجعلوهم يحترمونهم ويهابونهم بما كان لهم من ثقافة ومعارف وبما كانوا يمتلكونه من أرضين وحقول وبساتين وأموال ويتعاطونه من أعمال الربا والسحر ويمارسونه من اعمال تجارية وصناعية وبما يحوزونه من سلاح ويحيطون به أنفسهم مـن حصون واسوار وآطام ، عـلى ما روت الروايات . وفي القرآن الكريم آيات عـديدة مؤيدة لذلك [2] وكان من أهم آثار نشاطهم استطاعة بعض احبارهم حمل بعض ملوك

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٢ص ٤٤٥-٤٦٣

(٢) اقرأ رسالتنا القرآن واليهود ص ٧-٣٢

اليمن على التهود وانتشار اليهودية في المملكة الحميرية نتيجة لذلك علــى ما شرحناه في الفصل السابق .

وكانت فرق اليــهود الرئيسية في يثرب هي بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة . وكان هناك فرق صغيرة أخرى ملحقة بها مثل بني زعوراء وبني بهدل وبني ثعلبة وبني القصيص وبني محمر وبني عوف [1] .

ولقد جاء في بعض الروايات أن بني قريظة وبني النضير قبائل متهودة تنسب إلى جذام من قضاعة [2] . ونعتقد ان هذا غير صحيح . فالقرآن خاطب يهود المدينة بوصفهم بني اسرائيل في آيات كثيرة من القرآن المدني منها هذه الآية :

« يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهــدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون » البقرة ٤٠

وهذه الآية بداية سلسلة طويلة تمتد إلى الآية (١٢٣) في سياق تكرر مخاطبة اليهود فيه بوصفهم بني اسرائيل وربط فيه بين معاصري النبي عليه السلام الموجودين في يثرب من اليهود وبين بني اسرائيل القدماء ووصف هؤلاء بأنهم آباء اليهود المعاصرين . وفي سورة آل عمران والنساء والمائدة والجمعة آيات عديدة وصف اليهود في يثرب ببني اسرائيل وربط بينهم وبين بني اسرائيل القدماء في التاريخ والاخلاق والانحرافات والتعجيزات .

وفي سورة الانعام آيات مؤيدة لذلك من ناحية ثانية وهي هذه :

وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون . أن تقولوا انمــا أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين . أو تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظــلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون »

(١٥٥-١٥٧)

أي إن الله أنزل للعرب كتاباً عربياً لئلا يقولوا إن الكتب المنزلة لليهود والنصارى ليست بلغتهم وليس لهم إلمام بها وانه لو أنزل لهم كتاب عربي لكانوا أهــدى منهم .

---

(١) جواد علي ج ٦ ص ١٣

(٢) نفس المصدر ص ١٥٢

وهذا يعني ان اليهود كانوا يقرأون كتبهم بلغتها الاصلية . ولا يعقل ذلك لو كان أكثرهم عرباً متهودين لأن بني قريظة وبني النضير هم الكتلة اليهودية الكبرى في الحجاز .

وعلى هذا فكل ما يمكن أن يكون أن بعض أفراد من عرب الحجاز قد تهودوا وان بعض اليهود والعرب قد تصاهروا . وهذا غير ما كان من تأثير بعض أحبار اليهود على بعض ملوك حمير وتهودهم وتهود بعض أهل اليمن نتيجة لذلك على ما ذكرناه في الفصل السابق .

ولم يكن اليهود متماسكين فيما بينهم حيث روت الروايات المتواترة على انهم كانوا مختلفين ، وفي القرآن ما يدل على ذلك بل ما يدل على انه كان يقع بينهم قتال وسفك دماء وأسر وإخراج كما ترى في الآيات التالية :

١ ـ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون .

البقرة ٨٤ ـ ٨٥

٢ ـ لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون .

سورة الحشر ١٤

ولقد كان يقع بين الأوس والخزرج نزاع وقتال وكانت فرق اليهود تتحالف مع هؤلاء أو هؤلاء تبعاً لما بينهم أنفسهم من خلاف ونزاع وكانت كل جبهة تقاتل مع الجبهة الثانية خصيمتها نتيجة لذلك . وكان بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء للخزرج وبنو قريظة حلفاء للأوس [١] .

ومن الوقائع الحربية التي وقعت بين الجبهتين قبل البعثة الحروب التي عرفت بأيام سمير وحاطب والرازة وفارع والربيع والبقيع ومعبس ومغرس والبعاث لأسباب شخصية أو حلفية متنوعة لسنا نرى ضروره لشرحها [٢] .

---

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٦٨ و ٩٩ و ١١٨

(٢) أنظر تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٣٠٤ـ٣٠٥

وكانت الهدنة تنعقد بينهم بعد كل حرب ثم تنقض بالحرب التالية . وكانت الهدنة قائمة بينهم في ابّان البعثة . وكانت الوفود التي اتصل بها النبي عليه السلام في السنتين الاخيرتين من العهد المكي والتي تم الاتفاق بها بين الوفود وبين النبي عليه السلام على الهجرة إلى يثرب مؤلفة من زعماء الأوس والخزرج معاً على ما ذكرته كتب السيرة [1] .

ولقد كان لليهود على ما تلهمه آيات القرآن كيان طائفي وكان لهم معابدهم ومدارسهم وأحبارهم وربانيوهم . وكانت كتبهم باللغة العبرانية التي كانوا يدرسونها ويتدارسونها ، وكان أحبارهم وربانيوهم قضاتهم وذوي أثر كبير في توجيههم .

ولقد كان لهم على ما تلهمه آيات القرآن وروايات السيرة أثر كبير في ما صار عند العرب من معارف دينية ودنيوية وفي تطورهم الديني والدنيوي معاً وفي ما دخل اللغة العربية من أسماء ومصطلحات عبرانية كثيرة .ولا شك في انهم عرفوا من طريقهم مفهوم النبوة ووحدانية الله وما في أسفارهم من قصة الخليقة والطوفان ونوح وأبنائه وابراهيم وأبنائه وموسى وفرعون ومعجزاته وخروج بني اسرائيل من مصر بقيادته وسيرتهم في شرق الأردن وفلسطين وما كان بينهم وبين غيرهم من احداث متنوعة وما ارتكسوا فيه من انحرافات أشارت اليها الفصول القرآنية العديدة اشارة تدل على ذلك . ولقد جاء في سورة فاطر هذه الآية في معرض التنديد بالمشركين « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم » [2] وفي سورة الانبياء في نفس المعرض هذه الآية « بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون » [3] وفي سورة القصص هذه الآية « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى » [4] . ولقد استشهد القرآن اكثر من مرة في معرض الحجاج مع المشركين بأهل الذكر والكتاب الذين يدخل اليهود فيهم وبالكتب السماوية وبصحف موسى وابراهيم وبالاسرائيليين وعلمائهم مما لا تكون الحكمة فيه إلا حالة اعتراف المشركين بأهليتهم للاستشهاد والشهادة لما عندهم من كتب ومعارف ، حيث يقوم في كل هذا دلالات حاسمة على ما قلناه .

ومما تلهمه الآيات أيضا انهم كانوا يعتقدون بأن العزير ابن الله وانهم كانوا يجهرون

---

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٣٧—٤٠

(٢) الآية ٤٣ (٣) ٥ (٤) ٤٨

بقذف السيدة مريم . ويتبجحون بقتلهم المسيح وانهم كانوا يبشرون ببعثة النبي العربي ويذكرون ما في كتبهم من بشارات واشارات عنـــه وان احبارهم وربانييهم كانوا يسكتون عن مخالفة بني دينهم لشريعة التوراة وعلى ارتكاسهم في الاثم واخـــذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل . ويحرفون الكتب المنزلة وينسبون الى الله اشياء ليست مما أنزل الله [1] .

اما بالنسبة لاخلاقهم فقد وصفهم القرآن بالكفر والجحود والحجاج واللجاج والانانية والترفع عن الغير واعتبار انفسهم فوق مستوى الناس وعدم الاندماج الصادق مع احد حتى مع من يوالونهم ويوادونهم ويتحـــالفون معهم والتضليل والدس والتدليس والشره الشديد إلى ما في ايدي الناس ومحاولة الاستيلاء على كل شيء والتأثير بكل شيء واللعب على كل حبل وفوق كل مسرح واستحلالهم لما في ايدي الغير وعدم اعتبارهم انفسهم مسؤولين عن شيء امام الغير وضنهم بأي شيء للغير اذا ملكوا وقدروا وعدم مبادلتهم الغير في ود وبر وولاء ومحبة . وحسدهم لكل نعمة عـــلى كل احد ولو كانوا على احسن حـــال واندماجهم في كل موقف مهما دنؤ وفجر وكان فيه كفر وفسق وخيانة وغدر في سبيل النكاية بمن يناوئونه ونقضهم لمبادىء دينهم في سبيل مكايدته وعدم تقيدهم بأي عهد ووعد وميثاق وحق وعدل وواجب وامانة وتشجيعهم لكل حاقـــد وفاسد ومنافق ودساس ومتآمر في سبيل التهديم وشفاء لداء الحسد والحقد والخـــداع المتأصل فيهم إلا النادر منهم .

وكانت هذه الاوصاف مؤيدة بواقع ما كان يصدر منهم من افعال واقوال ذكرتها فصول القرآن [2] . وقد ربطهم القرآن فيها بآبائهم الاولين بقصد تقرير كونها جبلة اصيلة يتوارثها الابناء عـــن الآباء وتظهر في كل جيل منهم من لدن موسى إلى زمـــن محمد عليهما السلام .

ولقد كان تقرير القرآن لهذه الجبلة في اليهود تقريرا معجزاً حقاً لانها استمرت فيهم بعد النبي عليه السلام الى يومنا هذا بحيث يراهم الناس في اخلاقهم اليوم عـــلى اختلاف منازلهم وبيئاتهم صورة طبق الاصل لما وصفهم به من اخلاق لم تزدهم الايام فيهـــا الا

---

(١) انظر كتابنا عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ص ١٠٥–١٢٢ و ٤٣٦–٤٥٢ وتاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٦ ص ٢٤٧–٢٨٤

(٢) اقرأ رسالة القرآن واليهود للمؤلف ص ٣٦–٥٤

رسوخاً . وقد شرحنا في بحث العبرانيين في الجزء السابق اسباب ذلك وملابساته .

ولقد اصطدم النبي عليه السلام باليهود بعد هجرته الى المدينة وادى ذلك الى القضاء عليهم في المدينة والأماكن الاخرى ولم يلبث من بقي منهم محقنود الشوكة في يثرب والقرى الاخرى ان رحلوا او أسلموا مما يدخل تفصيله في منهج الجزء التالي .

٧ ـ نظام الحكم في القبائل الشمالية
واسلوب حياتها وبعض احداثها

والمستفاد من الكتب العربية ان شيوخ القبائل العربية الشمالية كانوا هم اصحاب الحكم والسلطان في قبائلهم بالتوارث ابناً عن اب وبالاستقرار على الاغلب في بيوتات معروفة . وانهم هم الذين كانوا يقودونها في الحروب ويمثلونها في المناسبات السياسية وينظمون شؤونها وحلها وترحالها . وقد كان بعضهم يتسمى باسم الملك حيث ذكرت الروايات العربية عدداً غير يسير منهم مثل زهير بن جذيمة العبسي وابنه قيس واخوه شاس، ومثل حارثة بن عمر بن ابي ربيعة وحذيفة بن بدر الفزاري ومعاوية بن الجون الكندي وابنه حسان وزهير بن جناب الكابي ومالك بن خالد بن صخر الشريد السيلمي وكليب بن ربيعة التغلبي وعدي بن حاتم الطائي [١] .

وكان سلطان بعضهم يتجاوز قبيلته ويجعلة يفرض الاتاوات ويجبيها من قبائل اخرى ذكرت الكتب العربية منهم زهيراً بن جذيمة الملك العبسى الذي كان يتقاضى الاتاوة من هوازن [٢] . وكان الملك يأخذ المرباع بحق منصبه وهو ربع الغنائم التي تكسبها قبيلة او القبائل التابعة له [٣] .

ولقد كان الى هذا اسر مشهورة بالقبائل وصفت في الكتب العربية ببيوتات العرب منها بيت عبد الله بن دارم من تميم ومركزه بنو زرارة وبيت قيس فزارة ومركزه بنو

---

(١)و(٢)و(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٢٨٣-٤١٦ والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٢١- ٢٢٢ وج ٣ ص ٣١٠-٣٨٦ وبلوغ الارب للالوسي ج ٢ ص ٦٨-٧٤ وص ١٨٩

بدر وبيت بكر بن وائل ومركزه بنو ذي الجدين وبيت زرارة بن عدس وبيت بهدلة بن عوف بن كعب . وبيت بني سعد في آل الزبرقان . وبيت بني ضبة في بني ضراروبيت بني عدي بن عبد مناة في آل شهاب . وبيت التيم في آل النعمان بن جساس . وبيت قيس في آل عمر بن الطرب العـدواني ثم في غـنى في آل عمرو بن يربوع ثم تحول الى بني بدر [1] .

وكان لهم قضاة وحكام يرفعون اليهم قضاياهم ويحكمونهم فيها اشتهر منهم اكثم بن صيفي التميمي وحاجب بن زرارة بن عدس التميمي والاقرع بن حابس ابي عيينة التميمي وربيعة بن مخاشن التميمي وضمره بن ضمرة التميمي وعامر بن الظرف العدواني وغيلان بن سلمة الثقفي وربيعة بن حـذار الاسدي ويعمر المشداخ الكناني وسلمى بن نوفل الكناني ومالك بن جبير العامري وعمرو بن حممة الدوسي والحـارث بن عباد الربعي والقلمس الكناني (ومعنى القلمس البحر) وذو الاصبع العدواني [2] .

ولقد كانت بوادي شمال الجزيرة تعج بالقبائل العربية البدوية . وكانت شريعة الحكم والسلب لمن غلب والقوة للكاثر هي السائدة في البادية . فكان الضعفاء مـن القبائل يعمدون الى الدخول في القبائل القوية على طريقة الولاء او الى عقد المحالفات مع بعضهم ليتمكنوا من صد العدوان عليهم واخذ ثأرهم ممن يعتدي عليهم . فكانت هذه الوسيلة من الوسائل التي تحفظ التوازن في كثير من المواقف والظروف .

ايام العرب

على ان هذا لم يكن يمنع التصادم بينها لأسباب متنوعة . حيث روت الرواياتاخبار كثير من الحروب التي وقعت بينها والتي عبر عنهـا بكلمة ايام العرب ، لأسباب حلفية وشخصية ونسائية او نتيجة لغارات يشنها بعض على بعض . وقد احصاها بعض الرواة القدماء فبلغت الفاً وسبعمئة يوم [3] اي وقعة . واغلب الايام او الوقائع كانت تسمى باسم

---

(١) انظر العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢١–٢٢٢ وبلوغ الارب ج ٢ ص ١٨٩–١٩٠

(٢) بلوغ الارب ج ١ ص ٣٠٨–٣٤٤

(٣) بلوغ الارب ج ٢ ص ٦٨

المكان الذي وقعت فيه ، ولم يصل الينا إلا اشهرها . وقد لعبت الصنعة والخيال والمنافسات التي قامت بين القبائل العربية بعد الاسلام دوراً فيها وان كانت من الأرجح غير خالية من الحقيقة .

وفي العقد الفريد لابن عبد ربه من رجال القرن الرابع الهجري قصص اشهر هذه الايام تحت عنوان حروب قيس في الجاهلية وهو يعني حروب القبائل التي تجتمع في الابوة العليا في قيس وبكلمة ثانية معظم القبائل العدنانية وقد بلغت نحو تسعين يوماً [1] . ومن هذه الايام ما هو مهم حقاً ومشهور ومنها ما هو ثانوي واليك ما رايناه من الفائدة ذكره لأهميته او شهرته او اسبابه مع التنبيه الى اننا سوف نكتفي بذكر اسماء الايام والقبائل التي نشبت بينها وسببها المباشر دون تفصيل لأن في ذلك تطويلا يخرج الكتاب عن الحد المرسوم له ولأن في التفصيل كثيراً من الخيال والصنعة واثر المنافسات والمفاخرات القبيلية بعد الاسلام يحمل على الشك [2] .

١ – يوم منعج : وقع بين قبيلتي غنى وبني عبس بسبب اغتسال شاس بن زهير زعيم عبس وملكها في الماء عارياً على مرأى من زوجة غنوي فثارت نخوة هذا ورشق شاساً بسهم فقتله فتداعت القبيلتان للقتال وكان النصر في هذا اليوم لغنى على عبس

٢ – يوم النفراوات : بين بني عامر وبني عبس . ولقد كانت هوازن تؤدي الاتاوة او الخراج للملك عبس زهير بن جذيمة فجاءته عجوز من هوازن تعتذر اليه من المحل وتقدم له قربة من السمن فذاقه فلم يستطيبه فرماها بسهم فارتمت على قفاها مكشوفة فثارت نخوة زعيم عامري فحرض قومه وهاجم عبساً وكان النصر لعامر وقد كان الملك في جملة القتلى .

٣ – يوم الرحرحان : بين بني عامر وبني تميم . فان بني تميم اجاروا زعيما يطلبه خصوم اقوياء له من بني عامر فثاروا بذلك بني عامر فأغاروا عليهم ، وكان النصر لهم وان لم يظفروا بغريمهم حتى استطاع ان يفلت .

٤ – يوم شعب جبلة : بين بني عامر وعبس في جبهة وذبيان وتميم في جبهة . وهذا

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٣١٠–٣٨٦

(٢) ان جواد علي في الجزء الرابع من كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام عقد نبذة على ايام العرب ايضاً ص ٢٢٠–٢٣٢ غير انها في العقد الفريد اوفى واكثر تسلسلا .

اليوم امتداد لليوم السابق حيث أراد بنو تميم الذين كانوا تحت زعامة لقيط بن زرارة أحد مشاهير زعماء العرب أخذ ثأرهم وتحالفوا مع عبس وتحالف بنو تميم مع ذبيان وكان النصر للأولين في هذا اليوم .

٥ - حروب داحس والغبراء . وداحس والغبراء اسما فرسين لزعيمي عبس وذبيان قيس بن زهير وحمل بن بدر . وقد تراهنا على السبق واحتال حمل بحيلة تساعد فرسه على السبق فثار قيس واتسع الخرق فتداعت القبيلتان إلى الحرب تعصباً لزعيميهما. واستمرت أربعين عاماً وتكررت وقائعها أو أيامها . وكانت قبيلة ذبيان حليفة وشريكة لفزارة فيها . ومن أيامها :

أ - يوم المريقيب بين عبس وفزارة . وكان النصر لعبس

ب - ويوم ذي حسان بين عبس وذبيان . وكان النصر لذبيان

ت - ويوم اليعمرية بين عبس وذبيان . وكان النصر لعبس .

ث - ويوم الهباءة بين عبس وذبيان . وكان النصر لعبس .

وقد قتل رجال عبس في هذا اليوم حذيفة بن بدر وأخاه حملا زعيمي ذبيان . وكان وقع ذلك عظيما على غطفان التي لم تكن عبس وذبيان وفزارة إلا بطوناً منها فرأت عبس أن لا تقام لها في أرض غطفان فنزحت الى اليمامة فنزلت عند بني حنيفة ثم رحلت فنزلت عند بني سعد زيد بن مناة .

ج - يوم الفروق بين عبس وذبيان . حيث عادت الى منازلها فبادرت اليها ذبيان ثم تدخل بعض الوسطاء فأصلحوا بينهما ولم تقع حرب .

ح - يوم قطن : برغم الصلح الذي تم فان بعض بني ذبيان قتل زعيما من بني عبس ثأراً بأبيه فانتقض الصلح وبادرت القبيلتان الى الحرب . وتدخل خارجة بن سنان احد زعماء العرب المشهورين فأوثق الصلح بين الطرفين . وفي هذا يقول زهير بن أبي سلمى مادحاً خارجة ورفيقاً له شاركه في سعيه :

تداركتما عبساً وذبيان بعد ما ... توافوا ودقوا بينهم عطر منشم

٦ - يوم الرقم : بين قبائل غطفان وقبائل عامر بن صعصعة . وسببه غارة أغارها بعض بني عامر على بعض بطون غطفان فجمعت غطفان جموعها وغزت بني عامر وأخذت ثأرها حيث كان النصر لها .

٧ ـ يوم النتأة : بين عبس وعامر . وهــذا اليوم امتداد لليوم السابق حيث أراد العامريون أخذ الثأر فغزوا بنو عبس ولكن هؤلاء ردوهم وانتصروا عليهم .

٨ ـ يوم شواحط : بين بني محارب وبني عامر . حيث أغار فرسان عامريون على بني عامر واستاقوا إبلا لهم . فلحق بهم فرسان محارب وقتلوا منهم عــدداً واستردوا إبلهم .

٩ ـ يوم حوزة : بين سليم وغطفان بسبب ملاسنة بين زعيم سليم معاوية بن الشريد وزعيم غطفاني اسمه هاشم بن حرملة في عكاظ . فلما عاد معاوية حرض قومه وغزاعشيرة الغطفاني وأوقع بها وشفى بذلك ما في نفسه .

١٠ ـ يوم حوزة الثاني : وهو امتداد للأول لأن غطفان بادرت الى اخذ ثأرها فغزت سليم وقتلت بعض رجالها وشفت بذلك ما في نفسها .

١١ ـ يوم ذات الاثل : وهو أيضاً امتــداد لسابقيه حيث غزت غطفان سليما للمرة الثانية بقيادة زعيمها صخر بن الشريد فاكتسحت ابلهم . وقتلت بعض رجالهم . غير ان صخراً أصيب بطعنة مات منها بعد قليل . وصخر هو اخو الخنساء الشاعرة الشهيرة وفيه قالت مراثيها الرائعة المأثورة .

١٢ ـ يوم الهوى : بين غطفان وهوازن بسبب غزو فريق من هوازن لفريق مــن غطفان واكتساحه ابل هذا الفريق . وقد لحق فرسان الفريق الغطفاني بالغزاة واستردوا ابلهم وقتلوا بعضهم ومن جملتهم عبد الله بن الصمة زعيمهم وجرحوا اخاه دريداً احــد مشاهيرفرسان العرب .

١٣ ـ يوم الصلعاء : بين هوازن وغطفان . وهو امتداد لسابقه حيث أراد دريــد أخذ الثأر فغزا هوازن ولكن هؤلاء تمكنوا من رده .

١٤ ـ يوم الكديد : بين سليم وكنانة . ولم يقع اشتباك كبير بين الطرفين وانما قتل بنو سليم فارساً كنانياً مشهوراً اسمه ربيعة بن مكدم . وكان العرب يعقرون على قبره ولم يعقر على قبر أحد غيره .

١٥ ـ يوم برزة : بين القبيلتين حيث أراد بنو كنانة اخذ ثأرهم فأغاروا على سليم وقتلوا ملكهم مالك بن خالد بن صخربن الشريد .

١٦ – يوم الفيفاء : وكان أيضاً بين القبيلتين حيث هاجم بنو سليم كنانة وانتصروا عليهم وقتلوا وسبوا .

١٧ – يوم السريان : بين بني عامر وبني تميم بسبب غارة أغارها بنو عامر على بني تميم حيث قتلوا وسبوا .

١٨ – يوم أقرن بين بني عبس وبني دارم بسبب غارة أغارها بنو دارم على بني عبس واستاقوا ابلهم . وقد لحق بهم فرسان بني عبس فاستردوا الابل وقتلوا بعض المغيرين [١] .

١٩ – بين تميم وبكر : وقعت أيام عديدة بين القبيلتين بسبب غارة أغارهـا بعض فرسان بني بكر على بني تميم . وتداولت الايام بينهما حيث أغار بنو تميم بقصد أخذ الثأر وأغار بنو بكر بسبيل الرد . ومن الايام المشهورة من هذه يوم الوقيط ويوم النباح .

٢٠ – بين بني يربوع وبكر : وقعت أيام عديدة بينهما للسبب نفسه وكان البادىء بنو تغلب أشقاء بنو بكر . وتداولت الايام بينهما كذلك ومـن الايام المشهورة يوم زرود ويوم ذي طلوع ويوم الحائر ويوم ملهم ويوم القحقح ويوم رأس عين ويوم العظالى ويوم الغبيط ويوم جدود ويوم مخطط ويوم الجبابات ويوم زرود الثاني . وكان النصر فيها جميعاً لبني يربوع .

ولقد كان مجال هذه الحروب جزيرة الفرات لأنها مواطن القبائل المتدلولة بينها غير ان هذه القبائل عدنانية مـن جهة وكانت تمتد الى أطراف شمال الجزيرة مـن جهة أخرى .

٢١ – أيام بكر وتميم : وقعت الحروب بين القبيلتين بسبب ما كان يفعله بنو بكر في أرض بني تميم حينما كانوا ينجعون اليها في أيام الجدب حيث كانوا لا يظفرون بشيء الا اكتسحوه وهم عائدون الى منازلهم . فصمم بنو تميم على منعهم من هذا الفساد بالقوة وأدى ذلك الى وقائع عديدة بين الطرفين كان النصر في معظمها لبني بكر ومن أيامهـا المشهورة أيام الشيطين وصعنوق ومبايض وفيحان والحاجر والشقيق .

٢٢ – حرب البسوس : وهذه الحرب مثل حرب داحس والغبراء امتد أمدها واشتهر خبرها . وكانت بين قبيلتي بكر وتغلب وهما أبناء جد واحد هو وائل . وكان سببها

---

(١) هذا النوع من الايام قد تكرر كثيراً فاكتفينا بالنموذجين المذكورين في ١٧–١٨

ناقة اسمها سراب لامرأة اسمها بسوس خالة جساس بن مرة احد فرسان بني شيبان من قبيلة بكر . وكانت هذه الخالة نازلة عند ابن اختها فشردت ناقتها مع نياق كليب بن ربيعه زعيم قبيلة تغلب الذي يذكر الرواة عنه ان جميع قبائل معد قد اجتمعت عليه وجعلت له قسم الملك وتحيته وتاجه ، وانه كان معتداً بنفسه وقوته وبلغ من ذلك انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى احد حماه ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويعلن حمايته لنوع من الوحش أو الطير فلا يصاد ولا يهاج وضرب به المثل فقيل اعز من كليب. وقد كان من امره حينما جاءت ناقة البسوس مع نياقه ان رماها بسهم فعادت تنزف وترغو فلما رأتها بسوس قذفت خمارها وصاحت واذلاه واجاراه. فتحمس جساس وذهب الى كليب فعاتبه فاشتدت الملاسنة بينهما فما كان من الأول الا ان طعن الثاني فأرداه قتيلا . فأهاج العمل الحرب بين القبيلتين وتكررت وقائعها وامتدت طويلا . ومن أيامها يوم النهى ويوم الذنائب ويوم واردات ويوم عنيزة ويوم الحنو ويوم القويرضات ويوم أنيق ويوم ضرمه ويوم العصيبات . وكانت اكثرها لتغلب على بكر واضعفت الحرب الطرفين فلجآ الى ملك كندة الحارث بن عمرو بن معاوية آكل المرار فأصلح بينهما ثم استعان بهما على تحقيق مطمحه في ملك الحيرة ، وفي هذه الحرب قال المهلهل قصائده في رثاء اخيه كليب .

٢٣ ـ يوم تياس : بين بني سعد وبني عمرو من تميم . وسبب ذلك ان رجلا من بني عمرو قطع رجل رجل من بني سعد فاجتمعت عشائر الطرفين واقتتلت وكان النصر لبني سعد .

٢٤ ـ ايام الفجار : وهي اربعة . وكانت بين كنانة وحلفائها قريش وبين هوازن . وسميت بالفجار لأنها وقعت في منطقة حرم مكة وفي الاشهر الحرم وكان القتال فيها محرماً .

أ ـ وكان سبب اليوم الاول ان احد زعماء كنانة كان في مجلس له في سوق عكاظ فقال انا اعز العرب فمن زعم انه اعز مني فليضرب رجلي ومد رجله . فبادره احد رجال هوازن فضرب رجله وقطعها وتبادرت قبيلتا الرجلين الى القتال ولكن الناس حجزوا بينهم .

ب ـ كان سبب اليوم الثاني ان فتية من قريش تحرشوا بامرأة من هوازن تحرشاً قبيحاً حيث طلبوا منها ان تسفر عن وجهها فأبت فشكوا ثوبها بشوكة الى ظهرها فلما

قامت انكشفت عورتها فصاحت يا آل عامر فبادر الحاضرون مـــن قومها الى نصرتها واشتبكوا مع الحاضرين من هوازن ثم تدخل حرب بن امية فأصلح بينهم .

ت ـ وكان سبب اليوم الثالث ان رجلا من كنانة كان مديناً لرجل من هوازن فماطله فقتله فهاجت كنانة واستعد الفريقان للقتال ثم سعى الناس فأصلحوا بينهما .

ث ـ وكان سبب اليوم الرابع ان المنذر بن النعمان ملك الحيرة اعتاد ان يبعث كل قافلة تجارية الى سوق عكاظ في جوار شريف من العرب فلما جهزها في احدى السنين سأل اشراف العرب الذين عنده عمن يجيرها له منهم فقال زعيم هوازني اسمه البراض انا اجيرها على بني كنانة . فقال النعمان انا اريد شريفاً يجيرها على اهل نجـــد وتهامة فتقدم زعيم هوازني اسمه عروة واعلن استعداده لذلك فاغتاظ البراض وسار في عقب القافلة حتى اذا كانت في فدك انتهز غفلة من عروة فقتله واستاق القافلة الى خيبر . ثم قتل رجلين مـــن غطفان وغنى اعتراضاه .وكان بين بني كنانة وقريش حلف فأدى الامر الى دخول قريش في الحرب ضد هوازن الى جانب كنانة وجمع كل من الطرفين جموعها وحلفاءهما واخـــذا يشتبكان في القـتال الذي تكررت ايامه حيث اشتبكا مرة في موقع اسمه نخـــلة ثم في موقع اسمه شمطة ثم في موقع اسمه العبلاء ثم في موقع اسمه شرب، ثم في موقع اسمه الحريرة وقد تداولت بينهما الايام ثم تداعوا الى الصلح واصطلحوا .

٢٥ ـ حرب ذي قار : نسبة الى ماء بين الكوفة وواسط . وهي آخر مـــا ذكره مؤلف العقد من ايام العرب . وسيأتي تفصيله في سياق سيرة مملكة اللخميين في العراق .

انساب القبائل العربية

في شمال جزيرة العرب واسماؤها وتفرعاتها

ان الكتب العربية التي تروي روايات انساب القبائل العربية في شمال الجزيرة واسمائها وتفرعاتها احتوت كالعادة الغث والسمين والتناقض والتضارب . عدا ان الاسماء الاصول الاولى قد جاءت بالفصحى مع ان المفروض انها كانت موجودة قبل البعثة بقرون عديدة اي في ظرف لم تكن اللغة العربية قد بلغت طورها الفصيح .

ومع ذلك فنقول هنا ما نلناه في صدد روايات هذه الكتب عن اصول القبائل العربية

في جنوب الجزيرة واسمائها حيث يلوح ان الاسماء والانساب التي وردت فيها تمثل واقع حال القبائل في القرنين السابقين للبعثة وما يرويه رجالها ونسابوها بلغتهم الفصحى بالنسبة لما هو اقدم من ذلك من اسماء وانساب وحيث يرجح ان الاسماء والمسميات كانت متداولة وموجودة في القرنين المذكورين . وقد ظلت موجودة الى زمن البعثة ثم في العهود الاسلامية مما قد يكون فيه تأييد لما قلناه . ويسوغ هذا المؤرخ ان يأخذه بعين الاعتبار .

ولقد كانت هذه القبائل من اصول شمالية وجنوبية ولذلك سوف نذكر كلا منها على حدة .

١ـ القبائل التي ترجع اصولها الى الشمال

ان الاصل الاول الذي ترجع اليه الروايات هذه القبائل هو نزار بن معد بن عدنان ، وترجع عدناناً الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام كجد اعلى . وقد علقنا على هذا في سياق ذكر عرب الشمال في دور ما قبل العروبة الصريحة في الجزء الاول من الكتاب فلا نرى ضرورة للاعادة . وسنقف عند نزار الذي يعتبره النسابون الاصل المباشر الذي تفرعت منه القبائل التي تنعت بالعدنانيين .

ولقد ذكر اسم نزار بصيغة نزرو في حجر قبر امرىء القيس الذي كتب سنة ٣٢٨ ب م والذي اوردنا نصه في النماذج . والكتابة تفيد ان هذا الاسم كان يمثل قبيلة او مجموعة قبائل . وهذا هو المعقول اذا اخذنا بروايات نسب النبي ﷺ التي تجعل بينه وبين نزار ثمانية عشر أباً [١] حيث يقتضي هذا أمداً اطول بكثير من الامد الذي بين كتابة حجر امرىء القيس وعام ٥٧٠ ب م الذي ولد فيه النبي ﷺ .

وكتابة حجر امرىء القيس تذكر معدو ايضاً بصيغة تفيد كذلك انه اسم يمثل قبيلة

---

(١) هذه سلسلة آبائه عليه السلام : عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

أو مجموعة قبائل . والروايات العربية تذكر انه كان لمعد بن عدنان ابناء غير نزار[1] حيث يسوغ هذا القول اذا صحت رواية النسب ان ابناء معد غير نزار كانوا ينتسبون الـيه فذكر اسمه في الحجر ليمثل مجموعة قبائلهم ، وان كانت الروايات لم تكد تذكر قبائل معينة تنتمي اليه رأساً وتذكر نزاراً وحده اصلا تفرعت منه جميع القبائل العدنانية .

وهذه خلاصة موجزة لما روته الكتب العربية من الانساب والاسماء[2]

١ ـ ان نزاراً خلف اربعة بنين هم مضر وربيعة وانمار واياد .

أ ـ وقد خلف مضر ولدين هما الياس وعيلان .

ب ـ اما الياس فانه خلّف مدركة وطانجة وقمقة .

الذين تسمى اعقابهم باسم خنرف نسبه الى اسم أمهم . وخلف مدركة هزيلا وخزيمة وخلف طانجة أدّاً ومزينة . ولم تذكر الروايات خلفاً لقمقة وخلف هزيل لحياناً وخزاعة وحريثاً وكاهلا . وخلف خزيمة كنانة وأسداً والهون . وقد صار كل من هؤلاء جـداً لقبائل وبطون عديدة تنتمي اليه ويتسمى بعضها باسمه

ت ـ وخلّف كنانة النضر الذي تقول بعض الروايات ان قريشاً اسم ثان له[3] ، ثم مالكاً وملكاناً وملكاً وغزواناً وعمرواً وعامراً وحدالا وسعداً وعوفاً ومجوبة وعـبد مناة . وقـد صار من كل من هؤلاء جـداً لقبائل وبطون تتسمى بعضها باسمه وتنتمي اليه .

ث ـ وخلف النضر مالكاً ومخلد وصلتا . وخلف مالك فهراً ـ الـذي تقول بعض الروايات ان اسم قريش هو الاسم الثاني له ـ وحارثاً ومحارباً وجندله . وخلف غالب لؤياً وتيما . وخلف لؤي كعباً وعامراً وسامة وعائدة وحارثاً وسعداً وعوفاً : وخلف

---

(١) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٢٨٥

(٢) انظر الجزء الرابع من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ص ٢٨٣ـ٣٤٤ والعقد الفريد ٣ ص ٢٢٥ـ٢٤٢

(٣) اختلف الرواة في معنى قريش . وفي الجزء الثاني من اساس البلاغة للزمخشري في مادة قرش . تقارشت الرماح بمعنى تشاجرت (اي اختلطت واحتكت) وسمعت للرماح قرشة . وفلان يقرش لعياله ويقترش ويتقرش (اي يتكسب) والقرش اسم لدابة عظيمة من دواب البحر صغرت للتهويل . فاما ان ان تكون قريش من المعنى الاول او الثاني او الثالث . وقد سمي به احد احفاد النضر وهو قريش بن بدر بن يخلد بن النضر

كعب مرة وهصيصاً وعدياً . وخلف مرة كلاباً وتيا ويقظه . وخلف كلاب قصياً وزهرة وخلف قصي عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى . وقد صار كل من هؤلاء جداً لبطون وعشائر تتسمى بعضها باسمه وتنتمي اليه . وبنو هاشم عشيرة النبي عليه السلام من عبد مناف . وبنو أمية من عبد الدار .

ج ــ وممن ينتمي الى الهون بطون عائدة المشهورة بالرمي والتي سميت القارة بسبب ذلك . وممن ينتمي الى هزيل بطون هزيل ولحيان وخزاعة وحريث وكاهل وصاهلة وصبح وكعب . وممن ينتمي الى كنانة بطون قريش وبكر بن عبد مناة وجندع بن ليث وغفار ومدلج وبني مالك وبني الحرث والاحابيش وبني ضمرة . وممن ينتمي الى اسد بطون دودان وبني حلمة وبني القعين وبني الصيداء وبني حجران وبني سعد وبني غنم وبني مخدج وبني ثعلبة . وبعضهم ينسب الى الهون بطون ديش وبني عضل ثم بطون الحيا والمصطلق ، وينعت البطنان الاخيران على رأي الرواة بأحابيش قريش .

ح ــ وينسب الى اسد بنو حلمة وبنو الصيداء وبنو فقعس وبنو قعين وبنو حجران وبنو سعد وبنو غاضرة وبنو غنم . وينسب الى طانجة وابنه أد بطون ضبة التي منها بنو سعد وبنو السيد وبنو كوز وبنو ذهل وبنو زيد وبنو عائذة وبنو مر ثم بطون عدي وتميم وثور وعسكل التي تسمى الرباب ثم بنو الغوث الذين يسمون صوفة . وينسب الى تميم بطون الشقرات وبني العنبر والحبطات وبني سعد وغيلان وأسلم وحرب والاحازب وبني عطارد وبني بهدلة وبني مقاعس .

خ ــ وجميع من ذكرهم من نسل الياس بن مضر . اما عيلان بن مضر فانه خلف قيساً . وقد تفرع منه قبائل وبطون كثيرة جداً منها قبائل وبطون عدوان وغطفان ــ التي ينضوي فيها بنو عبس وبنو فزارة وبنو ذبيان ــ واشجع وباهلة وبنو الطفاوة وبنو خصفة وبنو هلال وبنو سليم وبنو عامر وبنو ذكوان ومحارب وهوازن وثقيف وبنو عقيل وبنو معاوية . وكل من هؤلاء متفرع الى فروع كثيرة جداً ، ومن هذه القبائل ما كان كبيراً جداً مثل بنو هلال وغطفان وبنو عامر وهوازن .

د ــ ولقد خلف ربيعة الابن الثاني لنزار أسداً وضبة . وتفرع من كل منها قبائل وبطون . وممن ينسب اليها قبائل وبطون مراد وعمرو وعامر والكلاب وعنزة وبني حلان وبني هزان وبني الديل وبني يقدم وبني خزيمة وبني حنظلة وبني عجل والنمر بن

ساقط وبني وائل الذي ينضوي فيها بنو بكر وبنو تغلب ـ وبني ثعلبة وبنو جشم وبنو معاوية وبنو الحرث وبنو حرقة وبنو عدي وبنو يشكر وبنو حنيفة وبنو ذهل واللهازم . ومنها ما كان أو صار كبيراً جداً مثل عنزة وبني وائل وبني حنيفة . وكل منها قد تفرع إلى فروع كثيرة بدوره

ذ ـ ولقد خلف اياد الابن الثالث لنزار زهراً ودعمياً وغاوة وثعلبة . وتفرع من كل منهم قبائل وبطون . وينسب اليهم بنو الطماح وبنو زهر وبنو حذافة كقبائل رئيسية متفرعة إلى بطون كثيرة .

ر ـ ويقول الرواة ان انمار الابن الرابع لنزار لا عقد له إلا ما يقال في بجيلة وخثعم حيث يقال انها متفرعتان من ابنين لانمار بهذا الاسم . والقبيلتان لا تعترفـــان بذلك . وتنتميان إلى الارومات القحطانية الازدية الكهلانية .

٢ ـ القبائل القحطانية في شمال الجزيرة

ذكرت الروايات العربية عدداً من القبائل والبطون القحطانـــية التي كانت في شمال الجزيرة العربية . ولا تخلو من تضارب وتناقض حيث يذكر بعضها بعض القبائل والبطون كقحطانية بينما يذكرها بعض آخر كعدنانية ؛ ومع ذلك فان الروايات لا تخلو من حقيقة وإليك خلاصة لما ورد فيها في هذا الباب [١] :

١ ـ خزاعة التي تذكر الروايات نزوحها من اليمن في عهد قديم وممارستهـــا الحكم والسلطان في الحجاز . ومما ينسب اليها بطون كعب ومليح وسعد وبني سلول وبني جليل وبني المصطلق ، مع ان بعض تذكر بني المصطلق في عــــداد من ينتمي الى الهون بل وتذكر اسم خزاعة في عداد هؤلاء أيضاً على ما مر بيانه .

٢ ـ الأزد : كان من هذه القبيلة قبائل وبطون عديدة في انحاء مختلفة مـــن شمال الجزيرة . منها بطون بني عبد القيس في البحرين . وبطون مالك بن فهم والجلندي في عمان وبطن بني طريف في الحجاز . وبطون الأوس والخزرج في يثرب . وبطون من خثعم

---

(١) جواد علي ج ٤ ص ٢٣٣ـ٢٨٢ والعقد الفريد ج ٣ ص ٢٤٣ـ٢٦٦

وبجيلة في نواحي الطائف على طريق اليمن . ومن فروع خثعم خزيمة ووادعـــة وأشهل وخذعة . ومن فروع بجيلة قسر وعلقمة وبنو أحمس وقيس وبنو عرينة وبنو دهن .

٣ ـ طي : وهي القبائل القحطانية الكبيرة التي نزحت الى شمال الجزيرة وتفرقت في مختلف انحائها ثم في العراق والشام ولعبت أدوارا كبيرة في تاريخها وخاصة في العهـــد الاسلامي [١] . وكانت أولى مراحل نزوحها بلاد نجد حيث نزلت عند جبلي أجأ وسلمى فصارا يدعيان جبلي طي . ومن القبائل والبطون التي تنتسب الى طي جديلة وتيم اللهوبنو نبهان وبنو هني وبنو ثعل والثعالب وبنو الغوث وبنو سلامان وبنو جرول وبنو بجتر وبنو معن وبنو ربيعة وبنو لوزان وبنو أخزم .

٤ ـ بلى : كان في أعالي الحجاز بطون من قبيلة بلى التي ينسبها النسابون الى قضاعـــة الكبرى . ومن هذه البطون بنو العجلان وبنو وائلة .

٥ ـ جهينة : وهذه القبيلة تنسب الى قضاعة أيضاً . وقد نزح بطون منها الى نجدأولا ثم انتقلت الى الحجاز على مقربة من المدينة بين ساحل البحر ووادي القرى، ومن فروعها بنو قيس ومودعة .

٦ ـ جذام . وهي تنتسب الى قضاعة ايضاً . وكان منها بطون نازلة في جهات يثرب وممتدة الى ينبع . ومنها بطون بني ضبيب وبني مخرمة وبني بعجة وبني كنانة وبني نفاثة .

٧ ـ كلب : وهي كذلك تنسب الى قضاعة . وكانت منتشرة بين الحجاز والشام وخاصة في جهات تبوك ودومة الجندل . وهي قبيلة كبيرة . ومن فروعها بنو كنانة ورفيدة وعرينة وصحب وبنو عدي وبنو زهير وبنو عليم وبنو جناب .

٨ ـ بنو عذرة : الذين ينتمون الى قبيلة نهد القحطانية . وقد كانوا في أعالي الحجـــاز أيضاً . وفروعهم كثيرة منهابنوضنة وبنو جلهمة وبنو زقزقة وبنو الجلخاء وبنو جروش وبنو حن وبنو مدلح وبنو رفاعة وبنو كثر وبنو صرمة وبنو حزام وبنو نصر .

٩ ـ عاملة : لقد نزح بطون عديدة من هذه القبيلة الى الشمال . منها من أقام في نجد

---

(١) انظر كتابنا العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي ج ١ ص ١٢٢ ـ ١٤٥ وج٢ ص١٢٧ ـ ١٣٤ و٣٩٦ و٤٢١ ـ ٤٢٢ و٥١٧ ـ ٥٢١ و٦٠٦ ـ ٦١١

وأعالي الحجاز ومنها ما رحل واستقر ببعض انحاء الشام

١٠ ـ كندة : من هذه القبيلة بطون نزحت الى الشام . منها من انتشر في اعــالي الحجاز الى تبوك ودومة الجندل . وكان منها حكام دومة من فرع يقال له السكون ؛ ومنها ما انتشر في جهات نجد الى جزيرة الفرات .

١١ ـ بطون قحطانية اخرى : والى ما تقدم بطون قحطانية اخرى نزحت الى الشمال ونزلت في جوار قبائل عدنانية في جهات الحجاز ونجد تنسب الى قبــائل مذحج ومراد وسعد العشيرة وبني رمان والنخع وبني الصداء وبني جنب وبني حبابة وسدوس .

هذا وقد تمكن ان يستدل بالاسماء الفصحى للقبــائل والبطون القحطانية التي كانت موجودة في شمال الجزيرة في دور العروبة الصريح قبل الاسلام على ان نزوحها قد وقع في القرنين السابقين للبعثة أي في ظرف تكامل التطور العربي واللغة العربية . غير ان مما لا شك فيه عندنا ان حركة النزوح من الجنوب الى الشمال كانت تجري منذ أقدم الازمنة نتيجة للعوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت تدفع بالموجة بعد الموجة من الجنوب الى الشمال ثم من الشمال الى الهلال الخصيب من ناحية ومن الجنوب الى السواحل الافريقية الشمالية الشرقية ثم الى وادي النيل على ما شرحناه في مقدمة الكتاب في الجزء الاول وفي الاجزاء التالية له .

والمتبادر ان حركة النزوح في طور العروبة الصريحة الى الشمال والاستقرار فيه قد وافقها شعور بوحدة الجنس ثم واقع وحدة اللغة التي كان يتكلم بها الجنوبيون والشماليون وان اختلفت لهجاتها . وان هذا وذاك كان من الاسباب الحافزة للنزوح والاستقرار .

الحالة الاقتصادية والاجتماعية والعقلية والدينية

في شمال الجزيرة

في القرآن آيات كثيرة في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والعقلية والدينية يمكن ان يستلهم اشياء كثيرة فيما كانت عليه هذه الشؤون عند العرب في شمال الجزيرة في دور العروبة الصريحة قبل الاسلام .

وفي الكتب العربية بيانات كثيرة متممة وموضحة لما جاء في القرآن او زائدة عليه لأن ما احتواه القرآن هو ما اقتضته حكمة التنزيل لتحقيق الهدف المقصود وحسب .

واليك الآن ما أمكن اقتباسه منها .

اولا — الحالة الاقتصادية

١ ـ النشاط التجاري

كانت منطقة مكة جدباء ومياهها شحيحة مما يفيده وصف القرآن لها بأنها (واد غير ذي زرع) [١]

وقد جعل هذا أهلها يستعيضون عن ذلك بالضرب في مناكب الأرض وشد الرحال للاسفار التجارية في الصيف والشتاء والبر والبحر . يتوسطون في نقل السلع ومبادلتها في الاصقاع الجنوبية والشمالية والشرقية والغربية أي اليمن والشام والعراق وفارس ومصر والحبشة وسواحل افريقية من جهة ، ويشترون ما تحتاج اليه أسواقهم من السلع والغلات من جهة أخرى . وكان هذا امتداداً لما كان قبل هذا الدور لأنـــه متصل بطبيعة المنطقة الجغرافية . وقد نوهنا بما كان من نشاط أهل المنطقة في هذا المجال في الجزء الأول مـــن هذا الكتاب .

ولقد كثر في القرآن ذكر البحر وأسفاره وأخطاره والفلك وتيسير جريانه بأسلوب يتضمن [٢] معنى توطد ذلك بممارسته من قبل أهل مكة الذين كانوا المخاطبين به قبل نزوله بمدة طويلة . ولقد ورد فيه كذلك آيات تتضمن تقرير طروق السامعين ـ أهـــل مكة أو الحجاز ـ بلاد عاد في جنوب جزيرة العرب وبلاد ثمود في طريق الشام ثم بلاد البلقاء وفلسطين التي فيهـــا خرائب قوم لوط [٣] . ولقد وصف فرعون بذي الاوتاد في بعض الآيات [٤] وهذا الوصف يعني على ما نعتقد الاهرام وبالتالي يتضمن اشارة ما الى ان من

---

(١) سورة ابراهيم الاية ٢٧

(٢) إقرأ مثلا آيات الانعام ٩٧ ويونس ٢٢ والنحل ١٤ والاسراء ٦٦ - ٦٩ والعنكبوت ٣٨ والروم ٩ ويس ٤١ - ٤٦ والصافات ١٣٠ - ١٣٨ والشورى ٣٢ - ٣٣ والجاثية ١٣

(٣) اقرأ آيات سورة العنكبوت ٣٨ والصافات ١٣٢ - ١٣٨

(٤) اقرأ آية سورة ص ١٢ والفجر ١٠

عرب الحجاز من عرف الاهرام معرفة عيانية وبعبارة أخرى من زار بلاد مصر . وكل هذا يدل على ما كان أهل مكة أو الحجاز يقومون به من رحلات تجارية برية وبحرية الى مختلف انحاء الجزيرة ثم الى مختلف الاقطار المجاورة لها ثم على ما كان لهم من نشاط اقتصادي واسع .

ولقد ذكرت الروايات [1] ان هذا النشاط كان عاماً عند أهل مكة وان الذين لا يرحلون بأنفسهم كانوا يشاركون الراحلين أو يستأجرون من يسافر لحسابهم مع القوافل ويتجر لهم ؛ وان الحركة لم تكن قاصرة على الاغنياء بل كان يساهم فيها المتوسطون أيضاً . وسورة قريش [2] على ايجازها تنطوي على تقرير ما كان من نشاط اهل مكة التجاري وشموله اذا انعم النظر فيها . ولقد كان أهل مكة يحتفون حفاوة كبيرة بالرحلتين الموسميتين فيودعونها بحفاوة ويستقبلونها بحفاوة ويكون سفرهما وايابهما من ايام مكة المشهودة . وكانوا يهرعون الى آلهتهم فيدعون عندهم لهما بالنجاح ويشكرونهم ويقربون لهم القرابين ايابها حتى لقد كان من التقاليد ان يكون اول عمل يقوم به رؤساء القافلة الذهاب الى الكعبة والقيام بطقوس دينية شكرا لآلهتهم [3] .

ولعل من مؤيدات اتساع الافق والنشاط التجاري البحري الهجرة الاولى التي هاجرها المسلمون السابقون من مكة الى بلاد الحبشة بطريق البحر الاحمر . فانه ليس من المعقول ان يهاجر المكيون الى بلد لم يكن معروفاً عندهم . وهذا يدل على ان بلاد الحبشة كانت من البلاد التي يصل اليها المكيون في اسفارهم التجارية البحرية .

ولقد ذكرت الروايات العربية [4] ان السفينة التي هاجر عليها المهاجرون الاولون من المسلمين الى الحبشة كانت سفينة حبشية كما ذكرت [5] ان اهل مكة سقفوا الكعبة بخشب سفينة يونانية تحطمت عند الساحل . وقد رأينا جواد علي يستنتج من ذلك [6] ان الحجازيين كانوا يخشون البحر ويتحاشون من ركوبه واكتفوا بالاسفار التجارية البرية . وقد أراد

---

(١) انظر وصف قافلة ابي سفيان التي كانت سبباً في وقعة بدر الكبرى ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٣ وبعدها وجواد علي ج ٥ ص ١٥٠ وبعدها

(٢) لايلاف قريش ايلافهم . رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)

(٣) جواد علي الجزء والصحف المذكورة آنفاً

(٤)و(٥)و(٦) جواد علي ج ٨ ص ١٢٣

أن يستدل على صحة استنتاجه بما كان من نهي عمر بن الخطاب عن ذلك وتحسبه من عواقبه .

غير ان الآيات القرآنية العديدة الموجهة إلى أهل مكة في الدرجة الاولى تؤيد بقوة ان اهل الحجاز وأهل مكة بالذات كانوا يقومون كثيرا بالاسفار البحرية [1] .

ومن السلع التي كان تحملها قوافل مكة التجارية من الحجاز الجلود والزبيب والتمر والصوف والوبر ومن السلع التي كانت تجلبها الزيت والثياب والسلاح والأواني البيتية المتنوعة الزجاجية والمعدنية .

ولقد كان أهل مكةفي الاجمال يتمتعون برغد من العيش بفضل هذا النشاط أشارت اليه آيتان اشارة وجيزة وبليغة [2] . ولا شك في ان هذا نتيجة لما كانوا يجنونه مـــن

---

(١) تمعن في الايات التالية :

١ – قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا لنكونن من الشاكرين.

الانعام ٦٣

٢ – هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين .

يونس ٢٢

٣ – الله الذي خلق السماوات والارض وانزل من السماء ماء فأخرج به الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار.

ابراهيم ٣٢

٤ – وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون

النحل ١٤

٥ – ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما

الاسراء ٦٦

٦ – أأمنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا .

الاسراء ٦٩

وهذه الايات ليس كل ما ورد ووجه الخطاب فيه الى سامعين قريبين . اقرأ ايضاً آيات سورة البقرة ١٦٤ والحج ٦٥ والشورى ٣٢ والجاثية ١١ والروم ٤٦ والمؤمنون ٢٢ ويس ٤١ وفاطر ١٢

(٢) ١ – وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان النحل ١١٢.

٢ – اولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا القصص ٥٧

ومما لا ريب فيه ان تقليدي الاشهر الحرم والحرم الامن وهما ما سوف يأتي شرحهما في بحث آخر كانا ذا أثر عظيم فيما كان من اتساع النشاط التجاري الحجازي عامة والمكي بنوع خاص . وقد كان يقوم في موسم الحج أسواق تجارية كبرى في ثلاث أماكن قريبة من مكة وهي عكاظ والمجنة وذو المجاز . وكان السوق في المكان الاول يستمر عشرين يوماً من ذي القعدة . ثم يبدأ السوق في المكان الثاني فيستمر ثمانية عشر يوماً ثم يبدأ في المكان الثالث فيستمر في أيام الوقفة والعيد [1] . فكان من الطبيعي ان يجد أهل مكة في هذه الاسواق التي كان يفد اليها العرب من كل صوب من داخل الجزيرة وخارجها في ظل ذينك التقليدين مجالا واسعاً للتجارة وأن يستعدوا لها في سائر شهور السنة فيضربوا في مناكب الأرض برا وبحرا شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً صيفاً وشتاء ويغتنموا الفرصة فيحملوا من بعض البلاد ما يروج في البلاد الأخرى مـــن السلع ويجلبوا الى بلادهم ما تقتضيه حياة أهلها من بدو وحضر .

وليست مكة هي المدينة الوحيدة في شمال الجزيرة بطبيعة الحال . فقد كان أولا في منطقتها قرى ومدن عديدة ذكرنا طائفة من أسمائها في مبحث نظام الحكم في مكة . والمتبادر ان يكون لها مساهمة في النشاط التجاري الذي كانت مكة مركز انطلاقه لأن ذلك من مقتضيات الحياة الحضرية .

ولقد كان في يثرب جالية كبيرة من اليهود . ولا يمكن إلى ان يكون لهم نشاط تجاري كبير . وكان في قصبة يثرب سوق كبيرة لبني قينقاع . والمتبادر ان عرب يثرب لم يبقوا في معزل عن هذا النشاط ولا سيما ان قوافـــل مكة التجارية كانت تمر بطريق يثرب . وقد كانت سوق بني قينقاع التي ذكرناها آنفاً سوقاً تجارية عامة [2] . وكان يقام في بدر أيضاً سوق عامة وهي أقرب الى يثرب منها الى مكة [3] . ولقد كانت الطائف على طريق القوافل الذاهبة الى اليمن والآيبة منها وكانت مشهورة بجلودها المدبوغة وتمرها وزبيبها فكان من الطبيعي ان تكون لها مساهمة فعالة في هذا الميدان [4] . وقد كان يقام في منطقة تهامة القريبة منها سوق تجارية عامة تعرف بسوق حباشة نسبة الى

---

(١) انظر تفسير آية البقرة (١٩٨) في تفسير الخازن

(٢) و(٣) و(٤) انظر جواد علي ٥ ص ٢٥٢ وبعدها

المكان . وفي الجزء الأول من الكتاب ذكرنا ددان عاصمة بني لحيان ونشاطها التجاري الذي ذكره سفر حزقيال من أسفار العهد القديم . والمتبادر ان هـذه المدينة التي كانت طريق قوافل التجارة كانت ذات نشاط تجاري في هذا الدور امتداداً لما كان من ذلك في الدور السابق .

ويقال هذا أيضاً بالنسبة للسواحل الشرقية والغربية من شمال الجزيرة . ولقد كان في السواحل الغربية ثغر جده الذي كان ثغر الحجاز وبخاصة مكة ثم ثغر الينبع الذي كان ثغر يثرب . وكلتاهما مدينة قديمة . ومن الطبيعي أنهما كانتا تشتركان مع أهل مكة ويثرب في النشاط التجاري البحري بنوع خاص . ولقد كان في السواحل الشرقية ثغور عديدة أيضاً مثل هجر ومسقط وقطر وقطيف وغيرها بالاضافة الى عدد كبير من المدن والقرى التي أوردنا أسماءها قبل فكان من الطبيعي كذلك أن يكون لها نشاط في المجال التجاري وقد ذكرت الروايات [1] انه كان يقام في هذه الانحاء أسواق تجارية عامة عديدة منهـا سوق عمان وسوق هجر وسوق المشقر . وقد أوردنا في مبحث ممالك البحرين والسماوة واليمامة وعمان ما ذكره مؤلفو اليونان والرومان عن مدينة شارقة Charax الواقعة على الواقعة على الخليج العربي ووصفها بأنها مدينة تجارية وعن Amani الواقعة عـلى البحر الكبير والتي هي على الأرجح مملكة عمان ووصف عاصمتها بأنها تتمتع بشهرة واسعة في عالم التجارة وان التجار الرومانيين كانوا يقصدونها أكثر من أي ميناء آخر يقع على ساحـل هذا البحر . وعن مدينة جرها الواقعة على ساحل الاحساء التي قالوا انها ثغر تجاري هام وان أهلها كانوا من أنشط الناس في التجارة البرية والبحرية [2] وكلامهم وصف لما كان الامر عليه قبيل الميلاد المسيحي وبعده بقليل . والمتبادر ان هذا النشاط كان امتداداً لما قبل ثم استمر . ولقد كان في منطقة اليمامة التي كانت تشمل بلاد نجد والاحساء كثير من المدن والقرى وكان فيها ممالك على ما ذكرناه قبل . فمن الطبيعي أن يكون أهلهـا اشتغلوا بالتجارة استيراداً وتصديراً لأن ذلك من مقتضيات الحياة الحضرية . وقد ذكرنا قبل ان هذه المنطقة كانت طريق القوافل التجارية التي كانت تسير بين اليمن مـن جهة والعراق وفارس من جهة أخرى . فلا بد من أنها قد تأثرت بذلك وشاركت فيه .

---

(١) جواد علي ج ٨ ص ١٥٩

(٢) جواد علي ج ٨ ص ٧٣ وبعدها و ٩٩ وبعدها

٢ ـ الربا

الربا مظهر من مظاهر الحركة الاقتصادية وبخاصة الحركة التجارية حيث يتداين بعض الناس من آخرين مالا أو طعاماً أو متاعاً على ان يرده أو يرد ثمنه بعد وقت معين بزيادة متفق عليها . والربا هو هذه الزيادة .

وفي القرآن آيات عديدة يمكن الاستدلال بها :

١ ـ على ان اغنياء مكة وتجارها ويهود يثرب كانوا يتعاملون بالربا ويأخذون على ما يداينونه للناس كتاباً أو رهناً .

٢ ـ على ان الربا كان شائعاً وشديد الرسوخ ومعولا عليه تعويلا كبيراً في قضاء الحاجات وتنمية الثروات .

٣ ـ على ان الذين يتعاملون به كانوا يعتبرونه حلالا سائغاً كالبيع والشراء ؛

٤ ـ على ان المرابين كانوا يزيدون الربا إذا ما تعسر على المدينين رد دينهم في الوقت المعين حتى يبلغ أضعافاً مضاعفة .

ومن تحصيل الحاصل أن يقال ان هذه الصورة ليست قاصرة على أغنياء مكة العرب ويهود يثرب . وانها كانت في مختلف مدن الشمال البرية والساحلية لأنها متصلة بطبيعة ونشاط الحركة التجارية والاقتصادية التي تتسم به المدن عامة .

والمتبادر أن القرآن حرم الربا لما كان يؤدي اليه من إرهاق الفقراء وأصحاب الحاجات نتيجة لقسوة أصحاب المال وشدتهم وجشعهم .

٣ ـ النقد

والنقد من وسائل النشاط التجاري . وقد ذكر القرآن اسمين للنقد هما الدينار والدرهم بأسلوب يدل على انهما كانا دارجين في الحجاز . والروايات متواترة الى درجة اليقين على انهما كانا اسمين لعملتين مضروبتين في بلاد الشام ومصر وفارس والروم .

وأولاهما ذهبية وثانيتهما فضية [١] . والكلمتان معربتان قبل الاسلام بدون ريب وهذا يعني ان العملتين كانتا دارجتين قبل الاسلام . وليس هناك ما يدل على انه كان للحجاز نقد خاص مع ان ملوك العرب في اليمن والشام والعراق قد ضربوا نقدا خاصاً في دور ما قبل العروبة الصريحة وفي دور العروبة الصريحة على ما عرف من النقود السبئية والأوسانية والقتبانية والحيرية والنبطية والتدمرية التي عثر عليها .ومرد ذلك على ما هو المتبادر الى انه لم يكن في الحجاز ملك وممالك بالمعنى الذي كان في هذه البلاد . وعلى كل حال فان رواج العملة الرومية والفارسية على السواء في الحجاز دليل على سعة الصلات التجارية بين الحجاز وبلاد الشام ومصر والعراق وفارس .

وقد ذكرت الروايات أسمي عملتين أخريين كانتا دارجتين أيضاً في الحجاز هما الدانق والفلس . والكلمتان معربتان عن الفارسية والرومية [٢] . وهما من النحاس .

ولم تذكر الروايات انه كان للملوك اللخميين في العراق والغسانيين في الشام والامراء وملوك الشمال الشرقي من الجزيرة الى اليمامة والبحرين وعمان والسماوة نقد خاص ولم يعثر على شيء من ذلك أيضاً . ومن المحتمل أن تكون العملة الرومية هي الدارجة في بلاد الشام والعملة الفارسية هي الدارجة في العراق والممالك الشرقية المذكورة لأن هذه كانت تحت نفوذ الفرس وتلك تحت نفوذ الروم .

ولقد كان الاغنياء منذ القديم اعتادوا ان يستصنعوا لحسابهم في دور الضرب الدراهم والدنانير يقدمون ذهبها وفضتها واجرة ضربها ويكون لهم من ذلك ربح ما . وقد ذكرت روايات التاريخ الاسلامي ان هذا مما كان جاريا في عهد الأمويين والعباسيين والفاطميين . فليس من المستبعد ان يكون هذا امتدادا لما كان يجري قبل الاسلام وأن يكون أغنياء مدن شمال الجزيرة وملوك العرب كانوا يستصنعون كذلك لحسابهم في دور الضرب الرومية والفرسية الدراهم والدنانير لتكون وسيلة تبادلهم التجاري .

٤ ـ الذهب والفضة

كان هذان المعدنان مظهرين من مظاهر الثروة والحركة التجارية أيضاً . ولقد ذكرا

---

(١) جواد علي ج ٨ ص ٢٠٦
(٢) جواد علي ج ٨ ص ٢١٠

في القرآن في مناسبات عديدة منها ما جاء على سبيل الاشارة اليهما كثروة محببة محروص عليها [1] ومنها ما جاء في معرض استعمالها حلياً وآنية في الدنيا والآخرة [2]، حيث يدل هذا وذاك :

١ — على ان بيئة النبي عليه السلام كانوا ينظرون الى هــذين المعدنين كمقياس للثروة ومظهر للغنى والترف .

٢ — على ان منهم من كان يكنز منها مقادير وفيرة .

٣ — على ان منهم من كان يستعملها حلياً وآنية .

والمتبادر ان هذا لم يكن قاصرا على مكة او الحجاز بل كان كذلك بالنسبة للانحاء الاخرى من شمال الجزيرة وخاصة المدن منها شأن سائر البيئات المتحضرة والمــدن في جنوب الجزيرة وخارجها .

ولقد كان في مختلف انحاء شمال الجزيرة مناجم عديدة من الذهب والفضة كان العرب قبل الاسلام يستخرجون منها المعدنين الكريمين عــلى ما يستفاد من الكتب العربية . ولرشدي الصالح ملحس رسالة مطبوعة جمعت ما ذكرته هذه الكتب مرتبة على حروف الهجاء ننقل منها ما يلي من أسماء المناجم ومواقعها ونوعها :

١ — ابرق خترب	معدن فضة	في نجد
٢ — الاحسن	معدن ذهب غزير وفي الموقع معدن فضة أيضاً	في اليمامة
٣ — البثر	معدن ذهب	في نجد
٤ — بحران	« «	في الحجاز
٥ — البرام	« «	بين مكة والطائف
٦ — البرم	« «	بين ضرية والمدينة
٧ — بيشة	« «	في تهامة
٨ — تياس	« «	في اليمامة

---

(١) آيات سورة آل عمران ١٤ والتوبة ٣٤ مثلا

(٢) آيات سورة الكهف ٣١ والزخرف ٧١و٣١ والانسان ١٥و٢١ مثلا

٩- ثنية ابن عصام	معدن ذهب	في اليمامة
١٠- الحراضة	« «	في جهة الينبع
١١- حرة سُليم	« «	في نجد
١٢- الحز	» لأزورد	في تهامة
١٣- الحفير	» ذهب غزير	في ناحية عماية
١٤- حليت	« «	في ديار بني كلاب
١٥- خزبات دو	« «	في اليمامة
١٦- خصلة	معدن ذهب	في نجد
١٧- ذهلول	« «	
١٨- الرضراض	» فضة لا مثيل له	اودية في جبال السر
١٩- السود	معادن	في اليمامة
٢٠- شمام	» فضة ونحاس	في جبل باهلة
٢١- الضبيب	معدن	في بلاد بني قشير
٢٢- ضنكان	» ذهب غزير	في جبال السراة
٢٣- العبلاء	» نحاس	في بلاد قيس
٢٤- عراقيب	«	قرب حمى ضرية
٢٥- عشم	«	بين الحرمين
٢٦- العقيق	» ذهب	في اليمامة
٢٧- العوسجة	» فضة	في بلاد باهلة
٢٨- العيصان	«	في اليمامة
٢٩- فران بني سليم	«	في طريق نجد من اعمال المدينة
٣٠- القبيلة	معادن	جبل بين المدينة وينبع
٣١- قساس	معدن حديد	في نجد
٣٢- الماوان	معدن ذهب	في اليمامة
٣٣- المروة	« «	في وادي القرى
٣٤ منضح	«	في الحجاز

٣٥- موزر	معدن ذهب	في ديار بني كلاب
٣٦- النجادي	» » غني لا يعلم في الارض مثله	جبل اسود في ارض الضباب في الحجاز
٣٧- نخب	» »	في ديار بني كلاب بنجد
٣٨- ذات النصب	» »	قرب المدينة
٣٩- النقرة	»	بين مكة والمدينة
٤٠- المجيرة	» »	في اليمامة
٤١- المردة	» »	في نجد

ولقد زعم بعض المستشرقين وجاراهم فيليب حتي [١] بأن العرب لم يكونوا يعرفون الذهب او ان معرفتهم بالفضة كانت اوسع . وما أوردناه من اسماء المناجم الذهبية التي كان العرب يستخرجون منها الذهب قبل الاسلام والتي كانت في مختلف انحاء شمال الجزيرة ناقض لهذا الزعم . ولم نر حاجة الى ذكر ذهب اليمن القديم فله من الشهرة التي استفاضت بها كتب اليونان والرومان ما يغني عن ذكره .

٥ ــ الاعداد والحساب

في القرآن آيات عديدة احتوت انواع الاعدادمن مضاعفات وكسور وآحادوعشرات ومئات والوف وعشرات الوف ومئات الوف والنصف والثلث والربع والخمس والسدس والعشر الخ [٢] مما يدل على ان عرب شمال الجزيرة كانوا يعرفون قبل نزول القرآن ماورد في الايات وتماتها وسائر حلقاتها ويستعملونه في معاملاتهم التجارية وغير التجارية .

والمتبادر ان هذا منتهى ما كان معروفاً في العالم اذ ذاك . وفي هذا دلالة على سعة العمل وافق الصلات كما فيه نقض لما حاوله بعض الباحثين ومنهم فيليب حتي من تعميم

---

(١) تاريخ العرب المطول الترجمة العربية

(٢) انظر مثلا آيات سورة البقرة٢٢٦–٢٣٤و٢٥٩–٢٦١ وآل عمران ١٢٤ والنساء ٣–١٢ والمائدة ٢٦ والانفال ٢٤و٦٥ والصافات ١٤٧ والمعارج ٤

جهل العرب لما فوق الألف بسبب رواية متهافتة في حد ذاتها [١] .

٦ — المكاييل والمقاييس

وهذه أيضاً متصلة بالحركة التجارية . وفي القرآن آيات عديدة ورد فيها أسماء بعض المكاييل والمقاييس منها القنطار ومنها الصواع ومنها المثقال ومنها الحبة [٢] وقد ورد كذلك في بعض الآيات ذكر الميزان والقسطاس المستقيم [٣] وصفة المستقيم هذه تدل على انه كان هناك موازين مضبوطة وأخرى غير مضبوطة وأن بعض التجار كانوا يعمدون أثناء الكيل والوزن إلى حيل معروفة مشهورة لضمان ربحهم على كل حال مما نبهت آيات أخرى على مخالفته للحق واستحقاق فاعله عقوبة الله ونهت عنه [٤] .

والقنطار والقسطاس كلمتان معربتان . ولا ريب في أنهما كانتا مما يستعمله العرب قبل الاسلام . وقد ذكر في القرآن الذراع كمقياس للطول وهو قدر ما بين المرفق الى طرف الاصبع الوسطى على ما حدده علماء اللغة .

ولقد ذكرت الروايات العربية كثيراً من المقاييس والمكاييل التي كانت مستعملة قبل الاسلام [٥] وما يزال كثير منها مستعملا مع التنبيه على أن هناك اختلافاً في مقادير

---

(١) الجزء الاول من تاريخ العرب المطول الترجمة العربية . اما الرواية فهي ان احد المسلمين سمع النبي عليه السلام يبشر بفتح العراق فاستوهبه بنت عظيم الحيرة وكانت مشهورة بجمالها فوهبها له . فلما فتحت الحيرة جاء الرجل الى القائد واشهد على هبة النبي عليه السلام فنفذ القائد وصية النبي . ولما دخل الرجل عليها وجدها عجوزاً فقالت له وما تريد من عجوز فدعني أشتري نفسي فقالت له اطلب ما تريد فقال الف درهم فنقدته المبلغ وتركها . ولما لاموه قال لهم ما علمت فوق الالف شيئاً . وتهافت الرواية واضح من ناحية عدم احتمال جهل رجل لما فوق الالف مع انه يبدو انه ساح وتقلب في مختلف البلدان ثم من ناحية ان القرآن ذكر الخمسين الفاً والمئة الف . ولا بد من ان يكون الرجل قد قرأ القرآن . ولو فرضنا المستحيل وصدقنا ان الرجل يجهل لما فوق الالف لما جاز ان يصدر المؤرخ حكما عاماً والرواية التي يستند إليها تقول ان رفاق الرجل لاموه اي انهم كانوا لا يجهلون ما فوق الالف .

(٢) انظر آيات سورة آل عمران ٧٥ وسورة يوسف ٧٢ وسورة الانبياء ٤٧

(٣) سورة الرحمن ٨ والشعراء ١٨٠—١٨٢

(٤) انظر آيات سورة الانعام ١٥٢ والاسراء ٣٥ والمطففون ١—٣

(٥) جواد علي ج ٨ ص ٤١٠ وبعدها

ما تسعه من جامد أو سائل أو تكون عليه من ثقل وزن .

فمنها (القنطار) الذي يزن ٤٠ أوقية من الذهب أو مايقدرقيمته بألف ومئتي دينار. و (الاوقية) وهي ٤٠ درهماً و (الرطل) وهو جزء واحد من القنطار و (المنّ) وهو ضعف الرطل وزناً و (الصاع) لما يكال وهو أربعة أمداد و (المـــد) وهو ملء كفي الانسان المعتدل و (القسط) ويسع نصف صاع و (الفرق) وهو ستة أقساط و (الوسق) وهو ستون صاعاً و (القفيز) وهو عشرون صاعــاً و (الجريب) وهو عشرة أقفزة و (الملوك) وهو صاع ونصف و (المثقال) وهو وزن اثنتين وسبعين شعيرة أو عشرون قيراطاً و (القيراط) ولم تذكر الرواية التي ذكرته وزنه وهو ظاهر عند حساب الشعيرات التي تقابل وزن المثقال و (الكسر) وهو ستون قفيزاً و (الميل) للابعاد ويتراوح طوله بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف ذراع أو خطوة معتدلة و (الفرسخ) ويتراوح تقديره بين ستة آلاف واثني عشر ذراعاً أو خطوة .

٧ — النشاط الزراعي

ويمدنا القرآن بكثير مـــن مظاهر النشاط الزراعي في الحجاز ، حيث احتوى آيات عديدة [١] فيها تنويه بما يتنزل الله من الأمطار ويفجره مـــن العيون والينابيع والأنهار وينبتة من الزروع والاشجار المتنوعة ويحيي الأرض بعد موتها ويجعلها تهتز وتربو وتخرج من كل الثمرات ومن كل زوج بهيج و كريم موجهاً فيهـــا الخطاب إلى مخاطبين قريبين يذكرهم بنعمة الله وآياته التي يرونها ويتمتعون بمنافعها وهم اهل مكة وما جاورها مـــن القرى والمدن ثم أهل الحجاز ، وحيث احتوت الدلالة على انه كان في الحجاز مناطق تجود فيها التربة وتكثر الأمطار وتتفجر العيون والينابيع والأنهار وينبت فيها أزواج وأنواع من الزروع والأشجار ، واحتوت الدلالة بالتالي على أن أهل المدن والقرى الحجازيـــة كانوا ينشطون في المجال الزراعي أيضاً .

---

(١) انظر آيات سورة ابراهيم ٣٢ والنحل ١٠—١١ والكهف ٣٢—٣٣ والحج ٦٢ والمؤمنون ١٨—١٩ والشعراء٧والنمل ٦٠—٦٤والروم٢٤و٤٦—٥١ ولقمان١٠ والسجدة ٢٧ ويس ٣٣—٣٦ والزمر ٢١ وفصلت ٣٩ والجاثية ومن ٧—١١ والنبأ ١٣—١٦ وعبس ٢٤—٣١

ومما ورد ذكره في الآيات الزرع وحب الحصيد والحب المتراكب والسنابل مما ينصرف الى الحبوب الموسمية ، ثم النخيل والأعناب والزيتون والرمان والتين مضافاً اليه كلمات (من كل الثمرات) و (الفواكه) و (الفاكهة) . وفي سورة البقرة آية [١] حكت قول بني اسرائيل لموسى بأن يدعو ربه ليخرج لهم من الأرض بقلا وقثاء وثوماً وعدساً وبصلا . وفي سورة الصافات آية [٢] ذكرت شجرة اليقطين التي أنبتها الله لاستظلال يونس عليه السلام بها . وفي سورة الواقعة آيات [٣] ذكر فيها السدر والطلح في سياق ذكر منازل أهل اليمين في الآخرة . وفي سورة سبأ آية [٤] ذكر فيها السدر والاثل في سياق ذكر سبأ .

ومما لا شك فيه ان سامعي القرآن من أهل الحجاز كانوا يعرفون هذه الاسماء ومسمياتها وبكلمة أخرى كانت هذه الاشجار مما تنبت في بلادهم وينتفعون بها .

وفي القرآن آيات [٥] قد تفيد ان العرب كانوا على حظ غير يسير في الزراعة حيث احتوت تنويهاً بما يسره الله لهم من انشاء جنات الاعناب المحفوفة بالنخل والتي يزرع بينها زرع موسمي أو خضار على الأرجح ، ومن إنشاء جنات معروشات وغير معروشات فيها النخيل والأعناب والزيتون والرمان المتشابه وغير المتشابه أي المتنوع الاصناف والمذاق ومن انشاء حدائق ذات بهجة ومن انشاء جنات النخيل والاعناب التي تفجرت فيها العيون وحيث يدل كل هذا على ما كان لهذه النعم الربانية على أهل البلاد من خطورة في حياتهم الاقتصادية والمعاشية .

وفي الكتب العربية [٦] بيانات كثيرة في صدد النشاط الزراعي قبل الاسلام وفي دور

---

(١) آية البقرة ٦١
(٢) آيات الصافات ١٤٦
(٣) آيات الواقعة ٢٨-٢٩
(٤) آية سبأ ١٦
(٥) انظر آيات سورة الكهف ٣٢-٣٣ والانعام ٩٩ و١٤١ والرعد ٤ والنحل ١٠-١١ والمؤمنون ١٨-٢٠ والنمل ٦٠-٦١ والروم ٤٨-٥٠ ولقمان ١٠ والسجدة ٢٧ ويس ٣٣ والزمر ٢١
(٦) انظر الفصل الرابع الزرع والمزروعات في كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ص٢١٣ ومعظم ما يأتي مقتبس منه لأنه جامع لما ذكرته هذه الكتب

العروبة الصريحة الذي نحن في صدده منصرف اكثرها أو كلها إلى بلاد الحجاز وانحاء الجزيرة الشمالية الاخرى متممة وموضحة لما جاء في القرآن وزائدة عليه لأن القرآن إنما احتوى ما اقتضته حكمة التنزيل وحسب .

ولقد أوردنا في مباحث ممالك البحرين وعمان واليمامة والسماوة ثم في مباحث نظام الحكم في مكة والطائف ويثرب أسماء مئات القرى التابعة لتلك الممالك وهذه المدن نقلا عن معجم البلدان . وعدد كبير منها وصفت بالقدم وبأنها ذات مياه غزيرة وفي بعضها ينابيع وفي بعضها عيون وآبار وفي بعضها وديان وانها ذات نخيل وعنب وزروع متنوعة . والمتبادر ان صاحب المعجم انما فوه بالمهم المحظي أكثر من غيره في ذلك وأن في غير ما اختصه بالتنويه منها أيضاً مياهاً وزراعة لأن ذلك هو مناط وجود القرية وحياة أهلها . وهذا بالاضافة الى الطائف ويثرب وعواصم البحرين وعمان واليامة والسماوة التي كانت هي الاخرى ذات مياه وبساتين وزراعة على ما ذكرته الروايات .

وينطوي في هذا توضيح لما أجمله القرآن وتقرير لعمومية النشاط الزراعي وشموله لسائر مناطق شمال الجزيرة .

والمستفاد من الروايات العربية [1] بل والآيات القرآنية ان النخيل في الدرجة الاولى والعنب في الدرجة الثانية من الأشجار والشعير في الدرجة الاولى من الحبوب الموسمية مما يحظى بالغزارة لأنها تتوافق مع مناخ البلاد . وكان الرطب والتمر والزبيب والشعير هي المواد الغذائية لاهلها على ما تفيده الكتب العربية.

وكان البلح والعنب أنواعاً عديدة . فمن أنواع البلح والتمر التي ذكرتها هذه الكتب الشدن والهنم والهيرون والجعر ــ وهذا نوع رديء ــ والعجوة والبلعق والسهريز والبرني والتبي والجذامى والسكري والسنة ــ وهذا من تمر المدينة ــ والفرض ــ وهذا من أجود تمر عمان ــ والخضرية والاطيرق ــ وهذا أبكر نخل الحجاز تمراً ــ والقدام ــ وهذا أبكر نخل عمان ــ والمشواء ــ وهذا مما يتأخر ثمره ــ والباهين ــ وهذا من تمر هجر المشهور ــ والتعضوضة ــ وهذا رطب أصفر لذيذ من جيد رطب هجر وحمله كبير ــ والعذائم ــ وهذا من رطب المدينة ــ والعرف ــ وهذا من رطب البحرين ــ . اما ما ذكرته الكتب

---

(١) جواد علي ج ٨ ص ٢٠٢ وبعدها هو مرجع للبيانات المذكورة في هذا البحث

العربية من أنواع العنب فهو الجرشي والكلافي والتربي - نسبة إلى تربة - والحمنان والرمادي والغربيب من عنب الطائف . - وقد وصف الرمادي بأنه اغبر اربد ووصف الغربيب بأنه من أشهر الأنواع وكان يصنع منه نبيذ مشهور أيضاً واسمه يدل على انــه أسود - والتبوكي نسبة الى تبوك والكشمشي .

وقد كانوا يحيطون بساتين النخل والعنب بحائط ويسمونها بهذا الاسم . وكانوا يصنعون من البلح والتمر والعنب والزبيب الخمور والانبذة والخل . وكان لهم معاصر لعصرهـا يستعملون فيها أحجار الرحى التى كانوا يثقبونها بمثقاب حديدي غليظ يسمى الصاقور : وكانوا يحفرون في أرض البساتين أقنية للري كما كانوا يحفرون أقنية يجري فيها المــاء إلى البساتين من الأماكن البعيدة .

وكان من أشجار الفاكهة التي يغرسونها التين والرمان . والروايات لا تذكر بوضوح ان الزيتون مما كانوا يزرعونه . ومع أن في سورة المؤمنون آية [1] وردت فيها اشارة الى ان الزيتون ينبت في طور سيناء فان هناك آيات عديدة يلهم مضمونها بقوة انه مما كان يزرع ويستغل في بعض أنحاء الحجاز [2] . ومــن المحتمل أنه لم يكن كافياً لحاجتهم وأنهم كانوا يجلبونه حباً وزيتاً من بلاد الشام .

وقد انتفعوا من لحاء الشجر وقشره وأليافه حيث استعملوا قشر الرمان والسدر في الدباغة ولحاء النخل والخزم في صنع الحبال وخوص الدوم والنخل والاثل في صناعــة الحصر والاوعية التي تنقل بها الحبوب والثمار أي القفف والزنابيل .

ومما تفيده الروايات انهم كانوا يزرعون البطيخ ويسمونه الخربز ولعله مما كانت تعنيه الآيات بالفاكهة في سياق ذكرها العنب والنخل .

ولقد كان ينبت في أرض الحجاز وغيرها من شمال الجزيرة نباتات وأشجار برية كثيرة

---

(١) « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين » (٢٠)

(٢) « وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه حباً متراكباً ومــن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » الانعام ٩٩

« وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » الانعام ١٤١

ذكرت الروايات اسماء طائفة منها وذكرت ان العرب عرفوا خواص كثير منها واشغفوا به أكلا وصناعة . ومن ذلك الكمأة التي كانت تنبت بوفرة وكان لها أنواع كثيرة مثل العرجون والطرثوث والطرنوت والصيفوس .ومن ذلك نباتات وأشجار الشوحط والقرظ والرتف والضهياد والسرح والعرعر والضبيان والابدع والبشام والعشرق والدلب والسدر والتنضب والشبهان والدوم والاثل والسماق والخزم والشعب والاثوار والمرخ والآراك والثمام والعقار والنشم والتالب والسهام والنبع والحماط والشقاح والارطى والعشر والطلح والعرفـــط والحثيل والغرق والشت والمظ والرتف والشوحط والصبر والسراء والغريف والعتم والضر والتريم والعباب والاثاب والاشكل . ومما ذكر مـن خواص بعضها أن للتنضيب ثمراً يقال له الهمقع يشبه المشمش ويؤكل طيباً وان للسرح ثمر يقال له الألاء يشبه الموز وأطيب منه وأن للخزم ورقاً يشبه ورق البردي وله ساق كساق النخلة وكان يصنع منه أرشية الجياد وأن للشعب أساريع كان يتخذ منها القسى وأن الاثوار يقدح ناره بسرعة حينما يجف وانه يستخرج مـــن الاثوار والعرعر القطران وان للتالب عناقيد إذا عصرت بعد تجفيفها خرج منها زيت المصابيح أجود من زيت الزيتون .

وكان كثير من الجبال والهضاب مكسوة بالاشجار الحرجية . ومن هذه الاشجار السلم والسمر والوهـــط والسرح والعوسج والعيص والنبع والايك والرمـــخ . وكانوا يصنعون من بعضها الفحم وينتفعون من بعضها انتفاعات أخرى . وقد انتفعوا ببذر القرطم في عصفرة الثياب أي صبغها بالاصفر . ولقد زرعوا القطن والقنب واستخرجوا منهـــا خيطانا كانوا يحيكون منها الثياب .

ولقد زرعوا القمح . ولكنهم لم يكونوا ينتجون منه ما يكفي فكانوا يجلبون حاجتهم منه من بلاد الشام واليمن . وكانت الطائف مشهورة بنوع جيد منه يحكى اللؤلؤ في لونه . وكان الشعير عندهم أوفر وكان هو المستعمل في الاكثر في صنع الخبز . وكانوا يزرعون الاذرة أيضاً ويصنعون منها الخبز كذلك . وكان هناك نوع من الحبوب ينبت بالطبيعة اسمه العلس فإذا أجدبوا طحنوه وأكلوه . وقد زرعوا السمسم واستخرجوا زيته بواسطة الارحية التى كانوا يطحنون بهـــا حبوبهم ويعصرون رطبهم وتمرهم وعنـــبهم وزبيبهم أيضاً .

وكانت الارض على الاكثر ملكاً للزعماء والاغنياء فكانوا يؤجرونها للفـــلاحين

مقابل نصيب من الغلة يتراوح بين الربع الثلث واحياناً مقابل مقدار معين من أوسق التمر والزبيب والقمح والشعير والادرة ، وهذا النوع كان يسمى المواكرة .

ومن طرائقهم الزراعية المساقاة . وهى السماح لصاحب الارض أو فلاحها بأخذ ماء من ماء يملكه آخرون مقابل قدر معين من الغلة . ومنها المخاضرة وهى بيع غلة الارض من تمر وحب سلفاً وقبل أن تطعم . وكان هذا يجري أيضاً بالنسبة لما كان مغيباً في باطن الارض كالكرات والبصل . ومنها المزابنة وهى بيع مقدار من العنب بمقدار من الزبيب أو بيع مقدار من الرطب بمقدار من التمر .

وكانوا يستخدمون الثيران والحمير والخيل والجمال في الحراسة والدياسة . ومن آلاتهم الزراعية الرفوش والمساحي التى تشبه المجرفة والمخدة وهى حديدة تخد الارض بها والفؤوس والحجارة المدببة وقطع الاخشاب ، والمعزقة والحنوان وهما اداتان خشبيتان للبذار . والملقة وهى خشبة عريضة يجرها الثور لدوس السنابل واخراج حبه والمروحة والمذراة وهما أداتان خشبيتان لتذرية الحب وتخليصه من التبن . وكانوا يسمون مكان تجميع الحب جرنا وجرنياً وبيدراً ومربداً والاخير هو لمكان تجميع التمر .

٨ — النشاط الصناعي

ويمدنا القرآن كذلك بصور شتى من النشاط الصناعى عند العرب قبل الاسلام حيث احتوى آيات كثيرة [١] فيها مسميات عديدة متنوعة مما لا يتم عادة إلا بالصناعة لمساكن والصياصي والبيوت والغرف والحجرات، والابواب والسقوف والحصون والقواعد والمعارج والاسرة والارائك والنمارق والغزل والزرابي والخيام والفرش والقدور والجفان والصحاف

---

(١) انظر آيات سورة النساء ١٠١ والمائدة ٩٧و١١١ والبقرة ٢٨٢-٢٨٤ والانعام ٧ والاعراف ٤٠ ويوسف ١٨و٣١ والنحل ٢٦و٦٧و٨٠-٨١ والكهف ٣١ وطه ١٢ والحج ٢٩ و٢٥و٤ والنور ٣٥-٣٦و٦٠ والنمل ٣٨ ولقمان ٣٧ والاحزاب ٥٩ وسبأ ١١-١٣ والزمر ٢ وغافر ٧١ والزخرف ٣٤و٧١ والفتح ٢٧ والحجرات ٤ والطور ١-٥ والرحمن ١٤ و ٣٧ و ٥٤ و٧٢ والواقعة ١٥-١٨ والحديد ١٣و٢٥ والحاقة ٣٢ والانسان٢٦ والبروج ٢٢ والغاشية ١٢-١٦ ويونس ٢٥ والنحل ٥-٩ ثم الايات التي فيها ذكر للزراعة والتجارة والمكاييل والموازين والمقاييس والدراهم والدنانير التي اشرنا اليها في المباحث السابقة

والاكواب والاباريق والكؤوس والمصابيح والاسرجة والمشاكي والزجاج والقوارير والحلي المتنوعة في المادة والشكل من لؤلؤية ومرجانية وذهبية وفضية والثياب المتنوعة الحريرية والقطنية والوبرية والشعرية والصوفية والجلابيب والخُمُر والسرابيل والقمصان والنعال والرماح والسكاكين والدروع والسلاسل والقرطاس والاقلام والمداد والرقوق والحديد والنحاس ، وبأسلوب يدل على ان كل هذا مما كان مألوفا ومستعملا عندسامعي القرآن قبل نزوله ، وهذا بالاضافة الى ما تكرر ذكره في القرآن من الخيل والبغال والحمير والجمال والسفن والفلك والزراعة والتجارة التي لا بد ان يكون نشأ عنها صور شتى من صور النشاط الصناعي التي تستلزمها .

وكل هذا يدل بطبيعة الحال على انه كان للعرب قبل الاسلام وبنوع خاص لسكان المدن والقرى منهم نشاط غير يسير في المجال الصناعي على تعدد نواحيه . ويدل كذلك على وجود محلات صناعية وعمال صناعيين لهم أدواتهم وآلاتهم للقيام بهذه الصور الصناعية المتنوعة الكثيرة من حدادة ونجارة وخياطة وحياكة ونسج وعقادة وعمارة ونحاتة ولبانة (صناعة اللبن) ونحاسة وسروجية وحذائية وحبالة (صناعة الحبال) وصياغة وغيرها وغيرها وما يتفرع عنها من صناعات اضافية .

وإذا كان من المحتمل ان العرب الشماليين قبل الاسلام كانوا يجلبون بعض حاجاتهم مصنوعة جاهزة من البلاد التي كانت أرقى منها حضارة وصناعة والتي كانوا يصلون اليها في رحلاتهم التجارية فالمتبادر ان ذلك قاصر على ما لا يمكن لصناعهم المحليين اجادته وعلى أدوات وحاجات الترف الكمالية الدقيقة الصنع من زخارف وزينة ونسيج وآنية وسلاح . وهذا قليل بالنسبة الى ما يحتاج اليه السواد الاعظم من اهل المدن والقرى والبادية من اعمال ومصنوعات لا تتم عادة الا محليا وبأيدي صناع محليين .

وفي معاجم اللغة مئات من الاصطلاحات الصناعية واسماء الادوات والآلات الصناعية المتنوعة من حجرية وخشبية ومعدنية مما يرجح ان كثيراً منه ان لم يكن أكثره كان شائعا ومفهوما ومستعملا قبل الاسلام . وقد أوردنا طائفة من ذلك في سياق البحوث السابقة . وفي كتاب بلوغ الارب [1] اصطلاحات واسماء صور وآلات وأدوات كثيرة عائده الى صناعة البناء والنجارة والحدادة والحياكة نرجح ان كثيراً منها ان لم يكن

---

(١) ج ٣ ص ٣٨٥-٤٠٦

أكثرها مما كان شائعاً ومفهوماً ومستعملا قبل الاسلام . مما جاء في هذا الكتاب من اسماء أدوات الحياكة والنسج واصطلاحاتها (الحف) وهو الذي يلقم اللحمة للسدى أو هو المنسج والمنوال حسب اختلاف تفسير علماء اللغة و (الوشيعة) وهي قصبة في طرفها قرن يدخل الغزل في جوفها وتسمى السهم أيضاً و (المشيعة) وهي ما يلف عليه الغزل و (الثنايه) وهي ما يثنى عليه الثوب و (العدل) وهو خشبة لها اسنان كالمنشار يقسم بها السدى ليعتدل و (الصيصة) وهي عود من الطرفاء كلما رمى بالسهم فألحه أقبل بالصيصة وأدبر بها و (النير) وهو الخشبة المعترضة فيها الغزل . و (المداد) وهو عصا في طرفيها صنارتان يمدد بها الثوب و (الصنارة) هي رأس المغزل و (الكفة) هي الخشبة المعترضة في أسفل السدى و (الحماران) وهما خشبتان لرفع السوى من الأرض و (المبرم) وهو الحبل الذي يفتل عليه الخيطان العديدة ليكون منها حبل و (الشفشقة) هي قصبة تشق وتوضع في السدى عرضاً و (الدعائم) وهي خشبات تنصب ويمد عليه السدى .

ومما جاء فيه من أسماء أدوات الحدادة (القرزم) وهو السندانة و (المطرقة) وهي آلة يضرب بها الحديد و (الفطيس) وهي مطرقة كبيرة وتسمى أيضاً (الميقعة) و (المبرد) الذي يبرد به الحديد و (الفسالة) و (البرادة) وهما ما تناثر من الحديد عند الضرب و (المشحذ) وهو مبرد كبير وخشن و (المفرص والمفراص) هو ما يقطع به الفضة و (المنفاخة) هي أداة للنفخ في الكير و (الكير) هو زق أو جلد غليظ ينفخ فيه بالمنفاخة على النار و (الكور) وهو الموقد الذي توقد فيه النار و (المشرجع) وهو مطرق لا حروف لنواحيه و (العسقلان) أصغر مطارق الحداد و (الغداف) الحديدة التي يدخل الحداد في أحد طرفيها الخاتم ويركزها على الخشبة التي أمامه وتسمى هذه الخشبة (الجبأة) .

ولقد كان الحداد يسمى قيناً وجمعها قيون وكان الحدادون أصنافاً منهم صنف متخصص في صناعة لجم الدواب . واللجام مؤلف من عدة قطع منها (الشكيمة) وهي الحديدة المعترضة في الفم و (الفأس) وهو الحديدة المنتصبة من الشكيمة و (الفراشتان) وهما جانبا الشكيمة ويربط بها (العذاران والخطافان) و (الشاكلتان) وهما حديدتان معقفتان للعنان و (الكلوبان) وهما خرقان يدخل فيهما طرفا العنان و (الحكمة) وهي الحديدة التي تستدير حول الأنف والحنك الأسفل وهما اثنتان و (المسحلان) وهما حديدتان تكتنفان الشدقين و (الصدغ) وهو الحديدة التي تقع على الصدغ و (الطرف) وهو ما

يكون في أطراف السيور .

ومن الحدادين صنف متخصص في صنع السيوف ويسمى الذي يصقلها الصيقل ويقال لنصل السيف حديدة ولسنخه القائم السيلان ولظهره المتن ولصدره المقدمة ولبطنه وظهره معاً صفحتا السيف ولحديه الذلقان والذبابان والغراران والشفرتان ولطرفه ظبة ولطرف الظبة شباة الخ .

ومن أدوات النجارة (الفأس) و (الحضين) وهي فأس ذات خلف واحدو (الحدأة) وهي فأس ذات رأسين و (الصاقور) وهو الفأس العظيمة ذات الرأس الدقيق ويسمى (المعول) أيضاً و (الكرزن) وهو فأس عظيمة لقطع الشجر و (القدوم) وهو فأس صغيرة . ويقال لخشبة الفأس نصاب وفعـــالَ ولثقبها خرت و (المنشار) و (المحفرة) و (المنقار) و (المسحل) وهو مبرد أخشن من مبرد الحديد و (المثقب) و (الكلبتان) و (العتلة) .

وكانت بيوت القرى والمدن تبني باللبن النيء حيناً وباللبن المشوي الذي يسمى الآجر حيناً وبالحجارة حيناً . وكان للبيوت أسماء عديدة حسب سعتها وشكلها وارتفاعها مثل الدوارة والمغنى والمثوى والمربع . وتسمى الغرف العالية (علالي) ومفردها علية . ومن طرائق البناء (الرهص) وهو تنضيد الطين بعضة فوق بعض ويقال للبيت المسقوف بالخشب المغمى وللحائط المرتفع الذي يوضع عليه السقف الأزج وللسطح الاجار وكانوا يصنعون للبيوت طنفاً وتفاريج لمنع المطر من السيل على الجدران ويسمون خشب اعالي الجدران (الهرادة) والسقيفة الخشبية (النجيرة) وصانع اللبن (اللبان) والاداة التي يضرب بها اللبن (ملبن) والتي ينقل عليها (السابل) والخشبات التي يصنع منها السابل (الاسمقة) وصانع الآجر أي الطوب المشوي (طواب) وأتون الطوب (الأطيمة) وكانوا يجصصون جدران البيوث بالكلس ويسمون عامل الجص (جصاصاً) ويسمون الذي يطين الجدران والسطوح (طياناً) ويسمون الأداة التي يسوون بها الطين والجص (مالجاً) والخيط الذي تقاس به الابعاد (المطر) وكانوا يفرسون بيوتهم بحجارة مربعة رقيقة يسمونها (البلاط)

وكان بعضهم يزودون بيوتهم بالكنف التي يسمونها أيضاً (الأحشاش) و(المستراحات) ويزودونها بأماكن للاغتسال ويسمونها (بالمرحاض) وبالتنانير لصنع الخبز ويسمونها أيضاً (مسعراً وساعوراً) وكان يسمون البناء المرتفع المجدل والفدن والعقر والصرح وما

ينشئونه للحصانة يسمونه حصوناً وأطما وأجماً . وكانوا ينشئون الحمامات ويسمونها دياساً ويسمون موقد نار الدياس أتوناً . وكانوا يبيعون ويشترون في أماكن يسمونها الحوانيت أمامها مصطبة أو عضادة تسمى الحانوت الصغير .

وكانت بيوت البدو تصنع من الصوف ويسمى خباء ومن الوبر ويسمى بجاداً ومن الشعر ويسمى فسطاطاً ومن القطن ويسمى سرادق ومن الجلد ويسمى قشعاً.ومن عيدان الشجر ويسمى خيمة .

هذا واقد ذكرت الروايات انه كان في مكة ويثرب بعض الحدادين والنجارين الغرباء ومن تحصيل الحاصل أن نقول إن وجودهم ليس من شأنه نفي وجود حدادين ونجارين من العرب الصرحاء في المدينتين وغيرهما فضلا عن العمال والصناع في الصناعات الأخرى . لأن الحاجة أوسع من أن يسدها أفراد من الغرباء فهي حاجة مئات من القرى وعشرات من المدن والقصبات .

كذلك من تحصيل الحاصل أن ينسحب ما قلناه من مظاهر وصور النشاط الصناعي المتنوعة وما يستلزمه ذلك من وجود صناع وعمال صناعيين على مدى الأنحاء الأخرى من شمال الجزيرة وقراها في الساحل والداخل لأن ذلك من مستلزمات الحياة الحضرية التي كان أهلها يحيونها .

ولقد ذكرنا قبل عدداً كبيراً من أسماء المعادن الذهبية والفضية والنحاسية والحديدية الموجودة في مختلف أنحاءشمال الجزيرة والتي عرفها العرب قبل الاسلام واستغلوها.والمتبادر انه صار لهم خبرة في ذلك بحيث يصح ان يقال ان صناعة التعدين من جملة ما مارسوه من صناعات .

٩ — الملاحة

لقد نبهنا في مبحث النشاط التجاري إلى ما احتواه القرآن من آيات عديدة ذكر فيها البحر وأسفاره والسفن والفلك والجواري وما كان يعود على الناس من ذلك من منافع ورزق وما كانوا يتعرضون له من أخطار . وقد استنتجنا من ذلك ان سامعي القرآن من

أهل الحجاز كانوا يمارسون قبل نزوله الاسفار والتجارة البحرية . وينطوي فيه في الوقت نفسه ان من عرب الشمال من كان يمتهن صناعة السفن وتسييرها كما هو واضح . وهو ما يحسن ذكر شيء عنه في هذا المقام لان ذلك متصل بالنشاط الصناعي .

ويديهي ان هؤلاء انما يكونون من أبناء الثغور الساحلية في حين ان الذين يمارسون الأسفار والرحلات التجارية كانوا من أهل الداخل والساحل على السواء .

وسواحل شمال الجزيرة شرقية وغربية . وفي الأولى سواحل الخليج العربي ثم البحر الكبير الذي عليه سواحل مملكة عمان . وفي الثانية سواحل الحجاز التي كانت جدة وينبع من أشهر ثغورها .

واقد ذكرت الكتب العربية [١] انهم كانوا يصنعون مراكب كبيرة ومتوسطة وصغيرة حسب الحاجة . وفي القرآن هذه الآية (وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام) حيث تشير إلى المراكب الكبيرة التي كانت تشبه الجبال في ضخامتها [٢] .

ومن أسماء المراكب الكبيرة التي ذكرتها الكتب العربية [٣] (الفلك) و (الجارية) و (القرقور) و (الخلية) و (العدولي) و (الخليج) و (الصلغة) و (الزبزبة) و (البارجة) . والمتبادر ان الاسماء اختلفت لاختلاف الاحجام والاشكال . وليس في الكتب ما يساعد على معرفة الفروق . وقد ذكرت ان الخلج دون العدولية في الحجم . وان العدولي نسبة الى ثغر في البحرين بهذا الاسم اشتهر في صنع نوع كبير من السفن عرف باسمها . وفي القرآن ذكر (الفلك) و (الجارية) . والاسم الاخير كني به عن سفينة نوح عليه السلام [٤]. وقد ذكرت الخلية والعدولي في شعر لطرفة بن العبد البكري الشاعر الجاهلي المشهور يشبه فيه سير هودج حبيبته بسير العدولية والخلايا في البحر ، وهذه هي أبيات شعر طرفة :

كأن خدوج المالكية غدوة	خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية ام من سفين ابن يامن	يجور بها الملاح طوراً ويهتدي

---

(١) جواد علي ج ٨ ص ١٠٦ وما بعدها وبلوغ الارب ج ٣ ص ٣٦٤ وبعدها

(٢) سورة الرحمن ٢٤ انظر تفسيرها في تفسير ابن كثير مثلا

(٣) جواد علي ج ٨ ص ١٢١ — ١٢٢

(٤) سورة الحاقة ١١ وسورة يونس ٢٢

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد [1]

والبيت الثاني يفيد ان ابن يامن هو صاحب سفن عديدة كبيرة يؤجرها أو يسيرها لحسابه .

وقد قال بعض علماء اللغة [2] ان البارجة اسم لسفينة كبيرة تتخذ للقتال كما قال بعضهم ان القراقير والخلايا مما كان يستعمل للقتال .

ومن أسماء المراكب الصغيرة المذكورة في الكتب (القوارب) و (الزورق) و (الركوة) و (البوص) و (الرمث) و (الطوف) و (العمائم) [3] .

وقد ورد اسم البوص في شعر للشاعر الجاهلي المخضرم الاعشى حيث قال :

مثل الفراتي إذا ما طمى يقذف بالبوصي والماهر [4]

والثلاث الاخيرة هي نوع بدائي . فالرمث خشبات مشدودة الى بعضها والطوف قربة أو قرب منفوخة مشدودة إلى بعضها والعمائم عيدان مشدودة الى بعضها [5] .

ومما قاله علماء اللغة [6] ان اسم السفينة يطلق على كل مركب بحري وانه من سفنه بمعنى قشره لأن المركب يقشر وجه البحر وان صانع السفينة يسمى السفان ومهنته السفانة

وكانت السفن تجهز بالاشرعة التي كانت تسمى قلعا أيضا كما كانت تجهز بالمجاذيف وتشرع الاشرعة للاسفار الطويلة وتستعمل المجاذيف للابعاد القصيرة وكان صدر السفينة يسمى جؤجؤاً وذيلها كوثلا . وكانت تزود بحبال ضخمة من الليف والخوص تسمى القلس وبخشبة تدفع بها تسمى المردي . وكانت الآلة التي ترسي بها تسمى المرساة (بفتح الميم) والمكان الذي ترمي فيه المرساة (بكسرها) والرئيس يسمى الربان والعامل

(١) بلوغ الاب ج ٣ ص ٣٦٥
(٢) جواد علي ج ٨ ص ١٢١
(٣) المصدر نفسه
(٤) بلوغ الارب ج ٣ ص ٣٦٧ والبوصي نسبة الى المركب المسمى بوص والماهر كناية عن السباح الجيد
(٥) جواد علي ج ٨ ص ١٢١–١٢٢
(٦) بلوغ الارب ج ٣ ٣٦٧

يسمى الملاح والنوتي والعركي . وكانوا يسمون اجرة الركوب او الحمل نولاً [1] .

وكانوا يصنعون السفن الكبيرة من أخشاب قوية صلبة . وكان خشب الساج من جملة ذلك . وكانوا يستوردونه من الهند . وكانوا يسمون ألواح خشب السفن سقائف وقوادس وما بين كل خشبتين أو لوحين طائقاً . وكانوا يخرزون ألواح الخشب بحبال الليف ويدخلون المسامير بينها ويجعل خلالها القار والزفت . وقد تطلى جميعها بالقار أيضاً وقدتستعمل الشحوم والزيوت لسد الثقوب والخروق وطلاء الاخشاب لمنع تأثرها بالماء . وقد فسر المفسرون كلمة (دسر) الواردة في آيـــة في سورة القمر في سياق الاشارة الى سفينة نوح عليه السلام بالمسامير .

وفي كتب اللغة العربية ألفاظ عديدة متصلة بالشؤون البحرية فيها دلالة على أن العرب قبل الاسلام كانوا يعرفون مسمياتها مثل البرزخ والقاموس (للبحر أو وسطه) والخليج والخور والجزيرة واللجة والمد والجزر والشحن والمخر والرسو والمرفأة والفرضة والثغر الخ الخ

والمتبادر ان مجال السفن العربية في السواحل الشرقية هو ممتد ما بين الخليج بسواحله الشمالية والشرقية والغربية وبين سواحل الجزيرة الواقعة على البحر الكبير غرباً وجنوباً مع الجزر العديدة المجاورة لها .

وفي الكتب العربية واليونانية اسماء عدد من الموانيء الواقعة في هذا المجال الطويل والتي كانت ترمي فيها السفن للتزود منها ونقل سلع بلاد أخرى اليها ونقل سلع منها الى البلاد الاخرى وحمل الركاب منها وإليها . مثل جرها وهجر وخليج القطيف وخليج ابي كيوهن ومسقط وعقيلا وقطر والابـــلة ولويكة وبيت رصافة وخطى ورأس الخيـــمة والشارقة وعمانه . وقد قال مؤلف يوناني ان الاخيرة اشتهرت ببناء سفن كانت تسمى (مادارانة) تصنع من ألواح مشدودة بالليف . وقد خرّج الباحثون الكلمة بمدرعـــة وقالوا ان من المحتمل انهم كانوا يصنعون للسفن درعاً من شجر النخل ومما ذكر عـــن الابلة انها كانت ثغراً تجارياً هاماً وكان يقام فيها سوق تجارية كبيرة . وكان يصدر منها الى الهند حاصلات بلاد العراق والشام ويرد اليها من الهند الابنوس والعاج والتوابل والمنتجات الهندية الاخرى . ولا يذكر الواصفون ما اذا كانت السفن العربية هي التي

---

(١) نفس المصدر

كانت تتولى نقل هذه السلع من موانيء الهند الى الابلة ومن هذه الى موانيء الهند وان كان ذلك غير مستبعد . والمعروف أن اهل سواحل الخليج وبقية سواحل الجزيرة الشرقية كالحضرموتيين والكويتيين والعمانيين كانوا الى عهد قريب يقومون بأسفار بحرية بين بلادهم وسواحل الهند وغيرها على متن سفنهم الشراعية ، مما يمكن أن يكون هذا امتداداً لما كان من مثله في القديم .

أما مجال السفن العربية في السواحل الغربية فهو على ما يتبادر سواحل البحر الاحمر الشرقية والغربية من خليج العقبة شمالا الى باب المندب جنوباً .

وفي هذا المجال موانيء عديدة في الساحل الشرقي [1] مثل جدة وينبع والايلة والشعبية والجار وغيرها . وليس من المستبعد ان تصل هذه السفن الى سواحل الحبشة والصومال . فالمهاجرون الاولون من المسلمين ما كانوا ليهاجروا الى الحبشة لو لم يكن منهم من يعرفها قبل أو لم يكن العرب الحجازيون قد اعتادوا على التردد عليها . وليس من سبيل إليها إلا البحر . ولقد ذكرت روايات السيرة [2] ان زعماء قريش أرسلوا عمرواً بن العاص إلى الحبشة ليحرض ملكها على المهاجرين وكان يحمل إليه هدية من الادم . وفي هذا تأييد لذلك .

وبيت الاعشى الذي أوردناه قبل قليل قد يدل على ان العرب كانوا يسيرون سفنهم في البحار والانهار . وفي آية في سورة ابراهيم ما قد يؤيد ذلك حيث جاء فيها « وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الانهار » (٣٢)

ومهما يكن من ثغرات فانه يتضح مما تقدم ان مهنة الملاحة أو السفانة وجميع ما يتفرع عنها من مهن كانت من المهن التي مارسها عرب شمال الجزيرة قبل الاسلام . ولقد كانت هذه المهنة ممارسة في سواحل الجزيرة الجنوبية في عهد المعينيين والسبئيين والحميريين أيضاً وهو طبيعي مستمد من وجود السواحل في جزيرة العرب من شرقها وغربها وجنوبها .

---

(١) جواد علي ج ٨ ص ٨٨ وبعدها

(٢) انظر تاريخ ابي الفداء ج ١ ص ١١٨ والجزء الاول من سيرة ابن هشام

١٠ — الانعام

وفي القرآن آيات كثيرة حول الانعام [١] التي يدخل في نطاقها الابل والبقر والضأن والمعز فيها اشارات الى اشعارها وأوبارها وأصوافها وجلودها وألبانها ، وإلى ما كان العرب يجنون من فوائدها ومنافعها والى حاجتها الى الماء والمرعى بحفاوة كبيرة وبأساليب متنوعة مما يدل على ما كانت تشغله من حيز مهم في حيـــاة العرب قبل الاسلام جعلهم يعنون بها عناية فائقة ويعولون عليها تعويلا كبيراً .

ولقد كانت منافع الانعام وفوائدها شاملة للبدو والحضر على السواء . فكان البدو يستخدمون الابل في تنقلاتهم المستمرة ويتغذون بلحومها وألبانها وكذلك بلحوم وألبان الانعام الاخرى . ويصنعون من اوبارها واشعارها واصوافها وجلودها ثيابهم وحبالهم وخيامهم ويبيعون ما فضل منها لأهل المدن والقرى مقابل حاجاتهم الاخرى من سلاح وثياب وماعون . وكان سكان المدن والقرى يستخدمون الابل والبقر في الزراعة والابل في رحلاتهم التجارية وغير التجارية ويتغذون بلحوم الانعام وألبانها ويصنعون بدورهم من اصوافها واوبارها واشعارها الثياب وغير الثياب . وكانت جلودها مادة رئيسية من تجارتهم حيث كانوا يدبغونها ويصدرونها الى البلاد المجاورة .

وهكذا يصح ان يقال ان الانعام كانت جزءاً مهما من كيان العرب الاقتصادي قبل الاسلام بدوهم وحضرهم على السواء .

ولقد كان للعرب قبل الاسلام عادات في الانعام مصبوغة بصبغة دينية وقد اجلنا الكلام عن ذلك الى فصل الحالة الدينية .

---

(١) انظر آيــات الانعــام ١٣٦—١٤٤ والنحل ٥—٨ و ٦٥ و ٨٠ والمؤمنون ٢١ — ٢٢ والسجدة ٢٧

١١ ـ الصيد

وفي القرآن بضع آيات [١] في الصيد بأسلوب يلهم أنه كان كذلك من وسائل معايش العرب وجزءاً من اقتصادياتهم .

وبعض الآيات [٢] تلهم أنهم ساروا في فنون صيد البر شوطاً غير يسير حيث كانوا يستعينون عليه بالطيور الجارحة والكلاب . وكانوا يعلمون هذه الحيوانات تعليما لتقوم بمهمتها على وجه مرض .

ونص الآية التي تذكر ذلك [٣] قد تلهم أن العرب كانوا يرشقون الصيد بالنبل من بعيد ثم يطلقون الكلاب والجوارح وراءه ولقد جاء في آية سورة المائدة (٩٤) جملة (لنبلونكم بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم) حيث تفيد أنهم كانوا يصطادون بالرماح أيضاً .

وكان صيد البحر بخاصة مما يعولون عليه تعويلا كبيراً على ما تلهمه بعض الآيات [٤] . ولقد كان هذا الصيد داخلا في نطاق حظر الصيد في الأشهر الحرم على ما سوف نشرحه بعد فأحله القرآن تيسيراً للناس مما فيه دلالة على ما كان من شديد الحاجة اليه والتعويل عليه .

ولقد كان العرب يأكلون السمك طرياً على الغالب وهو ما ذكره القرآن . كما كانوا على ما ذكرته الروايات [٥] يملحونه ويجففونه أو ينقعونه في الخل ليأكلوه في أوقات ومحلات أخرى : ومما ذكرته الروايات انهم كانوا يطحنونه ويعلفون به دوابهم . وكانوا يسمون السمك الطري (القريب) والمملح (النشوط) والمنقوع (المنر) وكان هنالك نوع من

---

(١) آيات المائدة ١ ـ ٢ و ٤ و ٩٤ ـ ٩٦
(٢) المائدة ٤
(٣) نفس الاية السابقة
(٤) المائدة ٩٦
(٥) جواد علي ج ٨ ص ١١ وبعدها

السمك اسمه الحساس يسمون مجففه (القاشع) .

ولقد عرفوا أنواعاً عديدة من السمك فسموها بأسماء مختلفة . منها القرش وهو ضخم كبير وخطر . والحوت وكانوا يسمون بهذا الاسم السمك الكبير . والبياح وهو ضرب من الحيتان . والزجر وهو الحوت العظيم . والجوفي وهو كذلك ضرب من الحيتان . واللخم وهو سمك عظيم الحجم . والتامور والنكيع والسابوط والقبع والدعموص وهي دواب بحرية لا تشبه السمك العادي . ومن أسماء السمك الخرشف والكنعد وعنز الماء . وكانوا يصنعون من عظام بعض الأسماك والحيتان أدوات متنوعة [1] .

ولقد ذكر في آية في سورة الرحمن [2] خروج اللؤلؤ والمرجان من البحر وفي آيتين في سورتي فاطر والنحل إشارة إلى استخراج السامعين ـ العرب ـ من البحر الحلى التي يلبسونها بالاضافة الى اللحم الطري حيث يفيد هذا ان العرب قبل الاسلام كانوا يستخرجون اللؤلؤ والمرجان من البحر . وهذا أمر يقيني ما يزال مستمراً الى عهدنا وبخاصة في سواحل الخليج العربي وكان من الامور المعول عليه كثيراً في حياة أهله الاقتصادية إلى وقت قريب امتداداً لما كان من ذلك في الازمنة القديمة . وقد ذكرت الروايات [3] ان العرب كانوا يستخرجون اللؤلؤ من سواحل البحر الاحمر ولا سيما قرب جدة وجنوبها غير ان الشهرة والجودة كانتا للؤلؤ الخليج . ومما ذكرته الروايات ان العرب كانوا يستخرجون العنبر أيضاً من سواحل البحر الاحمر والبحر العربي وكانوا يجنون منه ربحاً عظيما . ولم نطلع على رواية تذكر المرجان . غير ان ذكره في القرآن مع اللؤلؤ دليل حاسم على ان العرب كانوا يستخرجونه أيضاً .

وهكذا يصح ان يقال ان الصيد وبخاصة صيد البحر ولؤلؤه ومرجانه وعنبره كان جزءاً هاماً من الكيان الاقتصادي والمعاشي للعرب في شمال الجزيرة قبل الاسلام وبنوع خاص لسكان السواحل الشرقية والغربية منهم .

---

(١) المصدر السابق

(٢) الاية ٢٢

(٣) جواد علي ج ٨ ص ١١٥

١٢ — الثروة والترف

ويبدو ان هذا النشاط الاقتصادي على مختلف مناحيه قد أوجد طبقة ذات ثراء طائل ففي القرآن آيات كثيرة جداً[1] تذكر الاغنياء واصحاب الاموال وكنزهم الذهب والفضة وحبهم المال حباً جماً وبذلهم الجهد في جمعه وتعديده وانفاق الكثير المتلبد منه على الشهوات ومفاخرتهم به واعتدادهم وتنافسهم وتكاثرهم فيه وتكبرهم ومواقفهم من الدعوة النبوية التي كانت تدعو الى البر بالفقراء والمساكين والانفاق في سبيل الله وتندد بالبخل والبخلاء وكنز الذهب والفضة والتكاثر والتباهي بالمال .

ومن الطبيعي ان تكون الاسفار والرحلات قد يسرت لأهل المدن من العرب الشماليين الاتصال بالعالم الذي كان أرقى حضارة وأكثر استمتاعاً بحياة الترف والنعيم ولا بد من ان يكونوا قد اقتبسوا من مظاهر ووسائل تلك الحضارة وهذه الحياة وان يكون ما نما وتكاثر في أيديهم من أموال نتيجة للنشاط الاقتصادي مما ساعد على ذلك .

ولقد احتوى القرآن أوصافاً كثيرة لما في الجنة من نعيم الحياة وأسباب الترف ولذائذ النفوس والمتع المشتهاة[2] . ومن المعقول ان يكون الذين خوطبوا بهذه الاوصاف لأول مرة أي اهل بيئة النبي قد عرفوا المسميات والوسائل والمظاهر الموصوفة . ومن المرجح ان يكون طبقات منهم قد عاشوا عيشة ترف ونعيم وعرفوا معرفة ممارسة واستعمال واستمتاع الغرف العالية والقصور والحرير على انواعه من سندس واستبرق والسرر الموضوعة والفرش المبطنة بالحرير والارائك والنمارق والزرابي والحلي الذهبية والفضية واللؤلؤية والمرجانية والدرية والياقوتية وأواني الذهب والفضة من صحاف وأكواب

(١) انظر مثلا آيات سورة آل عمران ١٤ والتوبة ٣٤—٣٥ و٥٥ و٧٤ وطه ١٣٢ والمؤمنون ٥٥—٥٦ وسبأ ٢٥ ومحمد ٣٦—٣٨ والذاريات ١٩ والحشر ٧ والمنافقون ٩—١٠ والتغابن ١٥—١٦ والقلم ١٠—١٥ والمدثر ١١—١٢ والبلد ٤—٧ والتكاثر ٢—٣ والهمزة ١—٢ والحديد ٢٠

(٢) انظر آيات الكهف ٣١ والحج ٢٣ والزخرف ٧١ والدخان ٥٣ والطور ١٧—٢٤ والرحمن ٤٦—٧٨ والواقعة ١٥—٢٩ والحاقة ٢١—٢٤ والانسان ٥—٢٢ والنبأ ٣١—٣٦ والمطففون ١٨—٢٨ والغاشية ٨—١٦

وأباريق والزجاج والمصابيح والمشاكي والقوارير والزخارف المتنوعة التي ذكرت ووصفت في مختلف الآيات القرآنية .

ولقد احتوت بعض الآيات[1] الترف والمترفين من الكفار ونددت بهم حيث ينطوي في ذلك الدلالة على انه كان هناك طبقة مترفة في حياتها مستمتعة بنعيم الحياة ولذائذها

ومن تحصيل الحاصل ان يقال ان ما ذكر ينسحب على أهل المدن الاخرى من الشمال الشرقي والشمال الغربي من الجزيرة لأن نشاطهم الاقتصادي واتصالهم بمن هم أرقى حضارة لم يكن أقل من نشاط أهل الحجاز واتصالاتهم ان لم يكن أكثر لأنهم اقرب الى البيئات المتحضرة . ولقد كان هذا عاماً بالنسبة للطبقة الرفيعة من العرب قبل الاسلام . ومما يؤيد ذلك ما روته روايات السيرة[2] عن الاكيدر بن عبد الملك ملك دومة الجندل حين قدومه على رسول الله عليه السلام في المدينة حيث كان يلبس قباءً من الديباج ويحمل صليباً من الذهب وقد اخذ المسلمون يلمسون القباء ويتعجبون منه فقال لهم رسول الله عليه السلام أتعجبون من هذا فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن منه. وما روته روايات السيرة[3] كذلك عن وفد نجران حين قدم على رسول الله عليه السلام حيث كانوا يلبسون ثياباً من الحبر وأردية مكفوفة بالحرير .

---

(١) اقرأ آيات سورة المؤمنون ٦٣–٦٤ وسبأ ٣٤–٣٥ والواقعة ٤٥–٤٦

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٥ وابن هشام ج ٤ ص ١٨١

(٣) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ١١٩

ثانياً الحالة العقلية والثقافية

ويمدنا القرآن بدلالات مهمة ومتنوعة على ما كان عليه العرب قبل الاسلام في هذا الدور وبخاصة اهل بيئة النبي عليه السلام من قوة عقلية ومعارف علمية وفنية .

١ — الكتابة والقراءة

لقد وردت كلمة الكتابة ومشتقاتها في القرآن نحو (٣٠٠) مرة وكلمة القراءة ومشتقاتها نحو (٩٠) مرة وقد ذكرت أدوات الكتابة والقراءة من كتب وقرطاس ورق وصحف واقلام ومداد وسجلات واستنساخ في آيات كثيرة [١] .

فهذه الحفاوة الكبيرة بالقراءة والكتابة وهذه الآيات الكثيرة التي ذكر فيها وسائلها وأدواتها ومظاهرها دليل قوي على ان العرب وفي بيئة النبي عليه السلام بخاصة قبل الاسلام قد عرفوا تلك الوسائل والادوات واستعملوها ، وعلى ان القراءة والكتابة فيهم كانتا منتشرتين بنطاق غير ضيق . فكثرة الترديد تدل على الالفة وهذه لا تكون الى حيث يكون المألوف ذائعاً ذيوعاً غير يسير . وإذا لاحظنا ان اولى آيات القرآن نزولا على ما عليه الجمهور ويلهمه المضمون هي آيات سورة العلق الأولى التي نوه فيها بالقراءة والكتابة والتعليم بالقلم بأسلوب يدل على حفاوة عظيمة ، وان ثانية الآيات نزولا هي آيات سورة القلم التي اقسم الله فيها بالقلم والكتابة (ن . والقلم وما يسطرون) ازداد قولنا قوة وتأييداً .

وفي سورتي الانعام والاسراء آيات جاءت في معرض التحدي والتنديد وبصيغة الجمع

---

(١) اقرأ آيات الانعام ٧ و ٩١ والاسراء ٥٨ والانبياء ١٠٤ وطه ١٣٣ والكهف ١١٠ والاعلى ١٨ والمدثر ٥٢ والبينة ١٠ والقلم ١ — ٢ والعلق ١ — ٥ ولقمان ٢٧ والطور ١ — ٣ والجاثية ٢٨

وبأسلوب يدل على إلفة القراءة والكتابة وشيوعها [1] وآيات الاسراء خاصة تفرض ان جميع الناس يقرأون ويكتبون . وإذا كان هذا مما يتصل بمشاهد الآخرة فان فيه قرينة قوية على الشيوع . وفي سورة المدثر آية فيها نفس هذه القرينة القوية بالنسبة للدنيا ايضاً وهي « بل يريد كل منهم ان يؤتي صحفاً منشرة » حيث تقول ان كل واحد من الكفار يريد ان ينزل عليه صحف خاصة به من السماء يقرأها حتى يصدق[2].

هذا من جهه ومن جهة اخرى فان مكة كانت مدينة تجارية وكانت رحلات تجارها متوالية الى بلاد كانت على حظ غير يسير من الحضارة كالشام ومصر والعراق وفارس واليمن . ومن المعقول ان يكون الغادون الرائحون منهم قد تأسوا بما رأوه هناك من الكتابة والقراءة ووسائلها فشجعوا على اذاعتها في بيئتهم . هذا الى ما كانت طبيعة مشاغلهم التجارية تقضي به من القراءة والكتابة والاعمال الحسابية وتحملهم على التشجيع والاذاعة ايضاً . وفي آية في سورة البقرة قرائن قوية حيث امرت بكتابة الديون والاعمال التجارية وحثت عليها بأسلوب قوي يلهم ان البيئة التي نزل فيها القرآن كانت مستعدة لذلك اليفة له وانه كان فيها طبقة تحترف الكتابة والتسجيل وكتابة العقود التجارية مما فيه دلالة على ان الكتابة والقراءة كانتا منتشرتين بنطاق غير ضيق .

ثم ان القرآن المكي ضعف القرآن المدني تقريباً . وكانت آياته تكتب في الصحف ويتداولها المسلمون في بيوتهم يقرأونها وينسخونها . فاذا كان من المحتمل ان اكثر المسلمين في مكة او ان كثيراً منهم كانوا يقرأون ويكتبون [3] وهم اقلية ضئيلة بالنسبة لأهل مكة وكان اكثرهم فقراءفيكون من المعقول ان عدد الذين يقرأون ويكتبون في مكة

---

(١) ١ – ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم .

الانعام ٧

٢ – وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ..

الاسراء ١٣ – ١٤

٣ – او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه ...

الاسراء ٩٣

(٢) الاية ٢٨٢

(٣) في قصة اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي رواها ابن هشام ج ١ ص ٣١١ ان عمر وجد صحيفة قرآنية في يد شقيقته حيث يدل هذا على ان المسلمات او بعضهن ايضاً كن يقرأن ويكتبن

كان كبيراً ولا سيما ان اكثرية الطبقة من زعماء ووجهاء واغنياء لم تكن من المسلمين وهؤلاء اوا كثرهم فطنة القراءة والكتابة .

وعلى هذا يمكن أن نقرر أن ما ذكره بعض المؤلفين القدماء ونقله عنهم المستشرقون والكتاب العرب المحدثون [١] على علاته من ان الاسلام جاء ولم يكن يقرأ ويكتب في مكة إلا سبعة عشر رجلا وانه لم يكن في جميع اليمن من يقرأ ويكتب وان الحروف العربية لم تخترع إلا قبيل البعثة وان الافراد القلائل التي تعلموها من أهل مكة لم يتعلموها إلا في هذه الظروف وان وسائل الكتابة في بيئة النبي عليه السلام وعصره كانت على الاكثر لحاء الشجر وأكتاف العظام وقطع الجلد ورقائق الحجارة وهي ما كان يكتب عليها القرآن هو قول جزاف لا يثبت أمام التمحيص والتدبر وقد نقضته الحقائق العلمية الراهنة [٢].

وإذا كان جل ما قلناه قد انصب على أهل مكة فلا يعني هذا ان أهل يثرب والطائف وغيرهما من المدن والقرى الحجازية لم يشملهم الكلام والدلالات القرآنية . فلغة القرآن هي لغتهم وملهاته تنسحب عليهم بطبيعة الحال . وأهل الطائف تجار وصناع . ويجاور عرب يثرب جاليات يهودية كثير من افرادها يقرأون ويكتبون . ويمكن تشميل القول إلى الانحاء المتحضرة الاخرى في شمال الجزيرة مثل بلاد ثمود ولحيان في الشمال الغربي وبلاد ساوه واليمامة والبحرين وعمان في الشمال الشرقي . ففي هذه البلاد عدد غير قليل من المدن وعدد كبير من القرى . وكانت الحركة التجارية والصناعية نشيطة فيها . فمن المعقول ان تكون الكتابة والقراءة منتشرتين فيها بنطاق غير ضيق ايضاً . ولقد عثر على آلاف من النقوش اللحيانية والثمودية في أنحاء مداين صالح والعلاء في الشمال الغربي العائدة الى الحقبة الممتدة من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الخامس بعده مما فيه دليل

---

(١) الاسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي ج ١ ص ٤٠ ١٢ والالوسي في بلوغ الارب ج ٣ ص ٣٧٠ من المحدثين والعقد الفريد ج ٣ ص ٣ من القدماء وغيرهم وغيرهم

(٢) ان آلاف النقوش السبئية والمعينية والحضرموتية والقتبانية والحميرية والثمودية واللحيانية والصفوية فضلا عن النبطية والتدمرية التي اكتشفت في جنوب جزيرة العرب وشمالها واطرافها والتي يعود كثير منها إلى دور العروبة الصريح الذي يبدأ قبل الميلاد المسيحي بعدة قرون شاهد مادي على خرافة القول . وفي احد فصول تاريخ الاسلام للمستشرق الطلياني كاتياني بحث مسهب في نشأة الخط العربي اثبت فيه انه قديم الوضع والذيوع في مختلف انحاء جزيرة العرب والشمالية منها خاصة استدلالا من النقوش التي عثر عليها فيها . وعدم العثور على نقوش وكتابات حجازية تعود الى ما قبل البعثة لا ينفي هذه الحقيقة .

قاطع على ذلك .

اما البدو او الاعراب فاننا نميل الى القول ان الكتابة والقراءة فيهم لم يكن لهما نصيب من الشيوع . ولا يمنع هذا ان يكون بعض افراد في انحاء الحجاز وغيره منهم قد ألموا بها . وفي روايات السيرة ما يستأنس به على صحة هذا القول حيث ذكرت ان بعض ناجي الاعراب قابل النبي عليه السلام في احد المواسم وكان معه ما سماه مجلة لقمان [1] وحيث ذكرت ان النبي عليه السلام ارسل رسائل عديدة الى قبائل عديدة . وهذا غير ما روي من ارساله الكتب الى كثيرين من امراء اليمن ثم الى امراء ساوه وعمان والبحرين واليمامة .. [2]

ونود ان نتساءل عما اذا كانت القراءة والكتابة في المدن العربية تعلمان للصبيان في مدارس او كتاتيب . وليس في القرآن ما يثبت هذا او ينفيه . غير اننا نميل الى الايجاب في الجواب . فان عدداً من شباب المسلمين المكيين عرفوا بأنهم يقرأون ويكتبون . وهذا يعني ان هذه الطبقة تعلمت الكتابة والقراءة في سن الحداثة . وليس من المستبعد ان تكون تعلمتها على يد معلمين بصورة جمعية وهذا معنى الكتاب او المدرسة مهما كان الشكل .

ولقد ذكرت كتب السيرة ان والد الحجاج بن يوسف امير العراق كان معلم كتاب في الطائف [3] . والحجاج ولد في اواخر عهد الخلفاء الراشدين . وربما كان ابوه معلما قبل ان يولد بأمد ما . وليس من التجوز ان يقال انه لم يخترع الكتّاب وانما هو مما كان موجوداً قبل البعثة . حتى ولو لم تصح الروايــة في ذاتها واريد بها غمز اصل الحجاج وارومته فانها تدل على ان هذا النوع من الكتاتيب كان موجوداً ومعروفاً في عهد ابي الحجاج . ومما لا ريب فيه ان الكتاتيب والمدارس كانت شيئاً معروفاً ذائعاً في بلاد الشام ومصر . وليس من المستبعد ان يكون تجار الحجاز وزعماؤها قد اقتبسوها منهم . ونرجح ان الجالية اليهودية الكبيرة في يثرب قد انشأت لصبيانها مدارس وكتاتيب استمراراً لما كان مألوفاً لها من قبل في فلسطين . وندعم ترجيحنا بجملة جاءت في احدى آيات سورة آل عمران خطاباً لليهود : « ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب

---

(١) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٤ ص ٤٨

(٢) انظر طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٢ وبعدها

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ٢٧–٢٨

وبما كنتم تدرسون » (٧٩) حيث تلهم انه كان لليهود نوع من المدارس يعلم احبارهم وربانيوهم فيها الكتاب . وليس من المستبعد والحالة هذه أن يكون عرب يثرب قد حذوا حذو اليهود في إنشاء كتاتيب يتعلم فيها أبناؤهم .

وما قلناه يمكن أن يشمل المدن الأخرى في الانحاء الاخرى من شمال الجزيرة كما هو المتبادر .

٢ — المعارف التاريخية

في القرآن قصص كثيرة عن الأمم الغابرة في جزيرة العرب وخارجها فيها أشياء كثيرة عن حالة هذه الامم وبلادها . ومضامين الفصول القصصية القرآنية توحي بأن الذين كانوا يسمعونها كانوا يعرفون شيئاً عن أحوال هذه الامم وتسوغ القول انهم كان لهم وبخاصة لأهل بيئة النبي عليه السلام وعصره قبل البعثة حظ من المعارف التاريخية ، وان من المعقول أن لا يكون هذا قاصراً على ما وردت اشارة مجملة عنه في القرآن لأن ما ورد هو ما اقتضته حكمة التنزيل للعظة والتذكير .

ومن الادلة على هذا ان علماء الاخبار والرواة والمفسرين أوردوا كثيراً من الشروح والبيانات لما جاء في القرآن من القصص معزوة إلى علماء الصحابة من عرب وغير عرب [١] ولا يعقل أن يكون كله مصنوعاً بعد الاسلام ويحتمل كثيراً أن كثيراً منه كان متداولا بين الناس في عهد النبي عليه السلام امتداداً لما قبله . واتساقه مع ما ورد في القرآن اجمالا مما يؤيد ذلك .

وفي سورة الانفال آية فيها دلالة قوية على ذلك وهي هذه « وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين » (٣١) حيث تضمنت ترديد قول بعض الكفار من انهم يعرفون كثيراً من القصص التاريخية القديمة التي كان

---

(١) انظر كتب تفسير الطبري وابن كثير والخازن والطبرسي والقرطبي وغيرهم في تفسير القصص القرآنية في سورة الاعراف وهود وابراهيم والحجر ومريم والانبياء وطه والشعراء والقصص والنمل والعنكبوت والصافات ...

القرآن يذكرها على سبيل التذكير والتمثيل والوعظ .

وقد روي في صدد هذه الآية [1] ان النضر بن الحرث كان يخلف النبي عليه السلام في مجالس دعوته ويقص على الناس أخبار رستم واسفنديار ويقول والله ما حديثه بأحسن حديثاً مني وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها وقد نزلت الآية لتحكي قوله منددة منذرة .

وهذه الرواية المتسقة إجمالا مع فحوى الآية القرآنية قد تدلنا على شيء مهم آخر وهو انه كان عند العرب كتب وصحف ورقوق دونت فيها الاخبار والقصص والمعارف التاريخية قبل البعثة ولم يقتصر تناقلها على الالسنة والصدور ولو لم يصل الينا منها شيء . وفي آية في سورة الفرقان دلالة ما على ذلك وهي « وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليهم بكرة وأصيلا » (٥) حيث تضمنت حكاية قول الكفار عن القصص والفصول القرآنية انها قصص الاولين وأساطيرهم استكتبها النبي عليه السلام وحفظها من كثرة ما كانت تتلى عليه صباحاً ومساء . وحيث تدل على انه كان هناك مدونات تحتوي قصص الأولين وأساطيرهم .

وتعبير « أساطير » وإن كان يطلق على الاقاصيص فانه ينطوي على ما نرجح على معنى مدونات الاولين ان لم نقل ان هذا هو المقصود في هذه الآية وأمثالها التي ورد فيها كلمة أساطير الاولين . وهي عديدة . وأساطير من سطر . وقد استعمل القرآن هذه الكلمة بمعنى الكتابة كما ترى في الآيات التالية :

١ — والطور . وكتاب مسطور : في رق منشور .. — الطور ١—٣

٢ — ن والقلم وما يسطرون .. — القلم ١

وكل هذا يجعلنا نقول ان سامعي القرآن كانوا يعرفون القصص التي وردت في القرآن إجمالا وتفصيلا وكان عندهم مدونات تحتوي شيئا من ذلك قليلا أو كثيراً سواء أكانت القصص التي وردت في أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد أي الاناجيل وملحقاتها أم القصص الاخرى من عربية وغير عربية كقصص قوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وأصحاب الرس من العربية وذي القرنين وأصحاب الكهف والرقيم من غير العربية . والاولى كانت

---

(١) ابن هشام ج ١ ص ٣٢٣

مكتوبة ومتداولة عند الكتابيين الذين كان كثير منهم في الحجاز وغير الحجاز من جزيرة العرب والثانية كانت متداولة من الآباء للابناء أو كان العرب يسمعونها في رحلاتهم وأسفارهم الى البلاد الاخرى أو من الكتابيين الاجانب . والحكمة القرآنية في القصص القرآنية هي هذه المعرفة لأن السامع انما يتأثر بما يعرفه من قصص [1] ؛ ولو لم يسمع العرب بذي القرنين لما سألوا عنه على ما حكاه القرآن . ولو لم يسمعوا ويعرفوا قصة يوسف لما سألوا عنها . وقد حكت آيات كثيرة طلبهم من النبي عليه السلام الاتيان بآيات كما كان يأتي الرسل من قبله بالآيات مما يدل على معرفتهم ذلك .

بل ونقول ان سامعي القرآن كانوا يعرفون كثيراً من تاريخ الروم والفرس، وبلاد الشام والعراق ومصر والحبشة وغيرها مما لم يرد عنه قصص في القرآن ما داموا يعرفون ما ورد في القرآن اجمالا وتفصيلا . ورواية ابن هشام عن النضر بن الحرث تدل على ذلك حيث كان يقص على سامعيه قصص رستم واسفنديار ولم يرد ذلك في القرآن .

ونرى هذا طبيعياً ومتفقاً مع المنطق . فالعرب لم يكونوا قبل الاسلام في عزلة عن الامم الاخرى وبلادها حيث كانوا يقومون بالرحلات الى بلاد عديدة وحيث كان بين ظهرانيهم جاليات أجنبية .

٣ ــ اللغة العربية الفصحى وفنونها ودلالتها

على قوة العرب العقلية

لا مراء في أن لغة أمة ما في حقبة من حقب تاريخها هي من مقاييس قواهـا العقلية والذوقية والفنية في تلك الحقبة . لأن اللغة وسيلة للتعبير عما يكون في ذهن الانسان من أفكار ومعان وما يشعر به من حاجات ومشاعر مختلفة . فاذا كانت أمة ما في حقبة من حقبها ضعيفة المادة اللغوية والاداء اللغوي كان ذلك برهاناً على ضيق أفقها وضعف معارفها وتجاربها وقواها العقلية. وعلى العكس من ذلك إذا كانت غزيرة المادة دقيقة الاداء تتسع لشتى الافكار والمعاني غنية في المفردات مرنة في الاقتباس والاشتقاق حيث يكون هذا

---

(١) انظر كتابنا القرآن المجيد ص ١٦٦ــ١٨٥ حيث شرحنا هذا الامر واوردنا شواهد قرآنية على صحته .

دليلا على نشاط ذهن الامة وسعة افقها وقوة أفكارها وتجاربها وحيويتها العقلية .

وليس في يدنا صوره للغة العرب قبل الاسلام في دور العروبة الصريحة وبخاصة في أواخره أصدق ولا أوثق ولا أغزر مادة من لغة القرآن . فهو من جهة فوق كل مظنة أو شبهة في أنه وصل الينا كما بلغه النبي عليه السلام وهو من جهة ثانية الكلام الوحيد الذي وصل الينا مدوناً وسليما من كل شائبة وشك من ذلك العصر في حين اننا لا نستطيع أن نقول هذا القول بهذه القوة والحزم عن أي كلام مما روي من كلام ذلك العصر لأنـــه لم يدون إلا بعد مدة طويلة . وظل طول هذه المدة تتناقله الالسن وعرضة للتبديل والتحريف والزيادة والنقص والتلفيق والصنع والاهواء والاعراض . وما وجـــد مدوناً في النقوش الصفوية والنبطية واللحيانية والثمودية والحميرية والتدمريـــة مقتضب ومبتور بحيث لا يستأهل الأستثناء بالنسبة للغرض المقصود من البحث .

وقد انتهينا في الفصل الاول استناداً الى النصوص القرآنية والادلة المنطقية الى تقرير كون لغة القرآن غدت قبل الاسلام بمئة سنة عـــلى الاقل لغة مشتركة لجميع العرب في مفرداتها ومصطلحاتها وتراكيبها ومجازاتها وتشابيهها وضوابطها الصرفية والنحوية مـــن حيث الاجمال .

وقد قيدنا الكلام بالعبارة الاخيرة لانه لا بد من أن يوجد في كل بيئة حتى في أرقاها تفاوت بين أفرادها في قوة الفهم والتعبير باللغة وحسن الاداء والتلقي ودقـــة الاستعمال وحسن السبك والاسلوب وغزارة المادة . وهذا التفاوت مظهر مـــن مظاهر التفاوت الطبيعي في قوى العقل والذكاء والاطلاع والتجارب والعلم والمعرفة . وما قاله بعضهم من أن لغة القرآن كانت فوق مستوى عقول الناس ومتناولهم لا يتفق مع الوقائع مـــن جهة ولا مع طبيعة مهمة الرسول وهي الاتصال بجميع الناس ومختلف فئاتهم ومخاطبتهم بلغة القرآن والتي كانت حتما هي لغة النبي عليه السلام وتلاوة القرآن عليهم من جهة أخرى . وقد شرحنا ذلك في الفصل الاول شرحاً يغني عن الاسهاب في هذا المقام .

ولقد كتب العلماء والادباء واللغويون قديماً وحديثاً عن طبقة لغة القرآن السامية وما هي عليه من قوة البيان وروعة الاسلوب وبلاغة التعبير ونفوذ المعنى ودقة الاداء ونصاعة الحجة وسعة المتناول وغزارة المادة وفنونها والبعد عن التنافر والتعقيد ما لا مزيد عليه الا ان نقول ان كل ذلك يصح ان يعتبر مصوراً لناحية من النواحي العقلية العربية قبيل

الاسلام . فجيل تصل مادة التعبير عن ما في ذهنه من معان وحاجات وما يدور في رأسه من أفكار بمثل هذه اللغة القوية في بيانها الرائعة في أسلوبها البليغة في ادائها النافـدة في معانيها الناصعة في حجتها الواسعة متناولها الغزيرة في مادتها وفنونها لا يمكن إلا أن يكون من حيث الاجمال على حظ غير يسير من رقي العقل وحدة الذكاء واضطرام الذهن ونشاطه واتساع الافق والتجربة والمعرفة .

ولقد يقول قائل ان القرآن كلام الله وانه لا يصح ان تقاس به قوى العرب العقلية وانه تحدى الكفار بأن يأتوا من مثله بحديث أو سورة أو سور فعجزوا . ونقول ان هذا لا يتعارض مع ما قررناه من كون لغة القرآن بمادتها ومفرداتها وتراكيبها هي لغة العرب قبيل الاسلام وبخاصة لغة بيئة النبي عليه السلام وانها كانت اللغة المأنوسة المفهومة من الناس بوجه عام واللغة المفهومة المأنوسة المستعملة في الحديث والكتابة من الطبقة النيرة بوجه خاص مما يسنده تقريرات القرآن الصريحة التي شرحناها في الفصل الاول . ولقد حكى القرآن كثيراً من اقوال المسلمين والمنافقين والمشركين بأسلوب يوحي بأن ما جاء في هذه الحكاية هي نفس ما جاء على ألسنة الذين حكيت اقوالهم وهو من نفس لغة القرآن . وقد جاء منسجما كل الانسجام معها [1] .

ولقد رويت احاديث لا تحصى عن النبي عليه السلام واصحابه ودونت في عهود مبكرة . ولا تكاد تفرق من حيث مفرداتها وتراكيبها وأساليبها عن مفردات وتراكيب واساليب القرآن . وكل هذا يقوم أدلة لا تتحمل مراء على صحة ما قررناه .

ولقد قلنا ان لغة القرآن قد غدت لغة العرب بوجه الاجمال قبل البعثة بنحو مئة سنة أو أكثر قليلا . وهذا من حيث دور نضوجها الصرفي والنحوي . اما من حيث مادتها ومعانيها فالمتبادر ان ذلك يرقى الى مدة غير يسيرة اخرى وان ما قلناه من دلالة اللغة ومعانيها على قوة العرب العقلية يصح ان يشمل هذه المدة ايضاً .

---

(١) انظر آيات سورة البقرة ١٨٨و٢٠١ و ٢١٧–٢٢٢–٢٨٥–٢٨٦ وآل عمران ١٧٣ و١٩١–١٩٤ والانعام ١٢٤ والاعراف ٢٨ والانفال ٣١–٣٢ والتوبة ٤٩ ويونس ١٥ والرعد ٧ ومريم ٧٧ والانبياء ٥ والمؤمنون ٨٢–٨٣ والفرقان ٤–٥ والمنافقون ٧–٨ وهذه الايات ليست كل ما حكي فيها من أقوال المسلمين والمشركين والمنافقين فهناك آيات كثيرة اخرى

والقرآن يمثل الاسلوب النثري في اللغة الفصحى إبان بلوغها ذروة بلاغتها . ويلهمنا ان هذا الاسلوب كان فنونا . منها السجع . وهو الكلام المقفى الذي لا يشترط فيه وزن ولا بحر . وفي القرآن امثلة كثيرة ورائعة منه . منها الطويل ومنها القصير [1] . ومنها المرسل الذي لا يتقيد بقافية ولا وزن . وهو أسلوب معظم السور الطويلة والمتوسطة .

ومنها الامثال . وهي في القرآن على نوعين احدهما تمثيل ومقارنة وفيه بعض الاسهاب وفي القرآن من هذا النوع امثلة في غاية السمو والروعة وقد تضمنت من الحكم الاجتماعية والعظات الاخلاقية ما يتناسب مع اسلوبها السامي الرائع [2] . وثانيهما أمثال قصيرة مع التنبيه على انها لم ترو كأمثال قبل القرآن ولم ترد فيه كذلك وانما تداولها الناس أمثالا بعد نزولها لما فيها من الحكمة البالغة والمعنى النافذ الذي تكون الجملة المأثورة بـه مثلا سائراً . وهذه نماذج من ذلك :

١ـ فبهت الذي كفر	سورة البقرة ٢٥٨
٢ـ قضي الامر الذي فيه تستفتيان	» يوسف ٤١
٣ـ حاجة في نفس يعقوب قضاها	» » ٦٨
٤ـ ان بعض الظن اثم	» الحجرات ١٢
٥ـ مثله كمثل الحمار يحمل أسفاراً	» الجمعة ٥
٦ـ ولا ينبئك مثل خبير	» فاطر ١٤

ومن هذه الفنون القصة والقصص . وفي القرآن قصص عديدة بأسلوب أخاذ وحنكة

(١) انظر كأمثلة على القصير آيات سور النجم والرحمن والمدثر والقيامة والنبأ والزلزلة والقارعة والتكاثر والعاديات والاعلى والليل والشمس والواقعة والتكوير والانفطار . وكأمثلة على الطويل سور القمر والفرقان والاسراء ومريم والملك

(٢) انظر آيات سورة ابراهيم ٢٤-٢٥ وسورة النور ٣٥ ويونس ٢٤ والرعد ١٧

رائعة منها قصة موسى والعبد الصالح في سورة الكهف (الآيات ٦٠–٨٢) وقصة سليمان وملكة سبأ في سورة النمل (الآيات ١٧–٤٤) وقصة يوسف واخوته وقد استغرقت معظم سورة يوسف . ويلفت النظر الى ما في هذه القصص من حوار شائق وعبر بالغة . وعظات حكيمة تخللت حوارها وسررها واسبغت عليها ثوباً بديعاً

ضوابط النحو والصرف والاشتقاق

وهناك ناحية فنية من اللغة العربية الفصحى تتمثل في القرآن ونعني بها ضوابط النحو والصرف والاشتقاق ، حيث احتوى ما يصح ان يقال انه فن شامل كامل . ولعل اتصال هذه الناحية بلغة العرب قبيل الاسلام اشد وضوحاً من جهة ومما لا يتحمل أي توقف أو سؤال من جهة اخرى . فما لا يتحمل اي ريب ان ما احتواه القرآن هو صورة لقواعد نحوية وصرفية واشتقاقية كانت ممارسة قبل نزوله وطابعاً مستقراً للغة العربية . وفيها دلالة قوية على ما وصلت اليه هذهاللغة من هذه الناحية من الدرجة الرفيعة والنضوج التام الذي كان وما يزال ولن يزال مثار اعجاب الباحثين المنصفين ودهشتهم سواء افي كمال دقتها وحروف جرها ومعانيها واعرابها أم في تنوع أوزانها وجموعها وصفاتها وصيغها لم تكد تصل الى درجتها اي لغة مع ملاحظة ان هذا كان منذ خمسة عشر قرناً على الاقل وطبيعي ان هذا المظهر الرفيع العجيب يصح ان يكون دليلا على ذهنية حية جوالة نشيطة وعلى ذوق فني بديع . ولا نرى في هذا ما يحتاج الى امثلة او يتحمله هنا لأنه الاساس الشائع العام في اللغة القرآنية الفصحى المتعارف عليها الى الآن . ومما يزيد في الروعة ان هذا كله كان سليقة وليس بتعلم وتعليم : والى هذا اشار الشاعر العربي الصميم في بيته المشهور :

ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقي اقول فأعرب

ونقول في هذه المناسبة ان تطبيق علماء اللغة العربية قواعد النحو والصرف التي وضعوها بعد البعثة بمدة ما والتي جعلوا الشعر الجاهلي شواهد عليها واعتبارهم ما خالفها في القرآن غريباً أو شاذاً مجانب للصواب . فالقرآن لا غيره هو الذي وصل الينا مدوناً سليما والقرآن لا غيره هو الذي يصح ان يكون مرجع القاعدة اللغوية الصحيح الصادق . وما يمكن ان يكون فيه شذوذ عن قاعدة مطردة فانه من قبيل المستثنيات التي توجد في كل لغة حية . والشعر الجاهلي الذي يجعلونه اصلاللقاعدة لم يصل مدوناً إلى عهد التدوين ووضع

القواعد وكثير منه مصنوع بعد الاسلام لأغراض متنوعة .

التعريب

ومما يدخل في عداد فنون اللغة العربية (التعريب) . وهو مما يتمثل في القرآن ايضاً حيث احتوى كثيراً من الالفاظ الاعجمية المعربة اعلاماً واجناساً عن الرومية والحبشية والفارسية والعبرية وغيرها مثل ابراهيم واسماعيل واسرائيل ويوسف ويعقوب وسليمان وداود وعيسى وموسى وجالوت وطالوت وجبريل وميكال ويونس ولوط واسحاق وهارون وايوب وادريس وقارون من الاسماء ومثل درهم ودينار وقنطار وطغوت وسجيل واستبرق وربين وحوارين وسرادق ومشكاة وكافور وزنجبيل وانجيل وتوراة من الاجناس . والتعريب يدلنا على ان العرب قبل الاسلام في دور عروبتهم الصريحة قد اخذوا كثيراً من الالفاظ الاعجمية التي لم يكن لها مقابل في لغتهم حينما اقتبسوها واستعملوا مسمياتها وان هذا كان من اسباب نمو هذه اللغة ؛ ويدل كذلك على انهم كيفوا هذه الالفاظ على اوزانهم وعدلوا وبدلوا في حروفها حتى يتم لهم حسن الاداء والمواءمة مع نبرتهم وحروفهم . وفي هذا وذاك دلالة على سعة صدر اللغة العربية ومرونتها وحيويتها في ذلك العهد ثم على ذهنية جوالة نشيطة ومرنة في الناطقين بها فضلاً عن دلالته على ما كان من احتكاكهم بالامم الناطقة بها .

ولقد ذكر بعض المؤلفين [١] ان في القرآن ألفاظا اعجمية لم يعرفها العرب قبل نزولها هي كون رسالة النبي عليه السلام شاملة لمختلف الامم فاقتضى أن يكون في القرآن ألفاظ من لغات الامم الاخرى ليتسق بذلك مفهوم الآية الواردة في سورة ابراهيم التي جاء فيها « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ... » والتهافت في هذا واضح بحيث لا يتحمل نقداً ولا رداً . فكل كلمة في القرآن كانت مستعملة قبله والالفاظ الاعجمية الاصل صارت عربية بالتعريب ومن هنا كان تقرير القرآن المحكم بأنه نزل بلسان عربي مبين كما جاء في سورة الشعراء [٢] وكما جاء في سور عديدة اخرى [٣] .

---

(١) انظر الاتقان للسيوطي ج ١ ص ١٤٠ وبعدها (٢) الاية ١٩٢

(٣) انظر آيات سورة يوسف ٢ والزمر ٢٧–٢٨ والشورى ٧ وفصلت ٣ والزخرف ٣

فنون أخرى

يضاف إلى ما ذكرنا من الفنون اللغوية ما يتمثل في القرآن من فنون الكلام الاخرى كالجدل والبرهان المفحم وكوصف حالات نفسية وصفاً في منتهى الروعة والنفوذ إلى أدق الاحساسات ، وكوصف مظاهر الطبيعة وسنن الكون وصفاً قوياً أخاذاً يجعل سامعه وقارءه يرى فيه العظمة والابداع والنظام الدقيق المدهش ما يحمله على التسليم بعظمة البارىء عز وجل إذا ما تجرد عن الغرض والمكابرة ؛ وكوصف ما يلقى الناس في الآخرة من حساب ونعيم وعقاب وصفاً قوياً نافذاً يكاد سامعه وقارؤه كذلك يشعر به كأنه أمام مشاهد ماثلة يتحسسها بيديه وجسمه ويراها بعينيه . والآيات التي تتمثل فيها هذه الفنون كثيرة جداً بل هي كل آيات القرآن تقريباً . ولا بد لمن يريد أن يشعر بها نفسه ويتذوق ما فيها من حلاوة وطلاوة وروعة وقوة من أن يتلوها المرة بعد المرة ويقف عند روائعها وقوف المتمعن المستبصر [1] .

ومع ان هذا الاسلوب العالي الرائع قد يكون فذاً في اللغة العربية فانه على كل حال ليس منقطعاً كل الانقطاع عن أهل البيئة التي نزل القرآن فيها بلسانها ، وليس خالياً من الدلالة القوية على مبلغ حيوية أذهانهم وقوة عقولهم وتصرفهم في فنون القول . ولسنا منفردين فيما نقوله بل قاله كثير من العلماء والمفسرين في مختلف الادوار نذكر على سبيل المثال ما قاله الطبرسي في تفسيره المسمى مجمع البيان « ان الله خاطب قوماً عقلاء فصحاء قد بلغوا الغاية القصوى من الفصاحة وتسنموا الذروة العليا من البلاغة » وما قاله الزمخشري في تفسيره المسمى الكشاف « انهم كانوا من صحة التمييز بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الأحوال والاصابة في التدبير والدهاء والفطنة بمنزل لا يدفعون عنه » .

---

(١) انظر على سبيل المثال آيات سورة البقرة ٨ – ٢٠ و ٧٤ و ٢٦٤ – ٢٦٦ وآيات سورة آل عمران ٥ – ٦ وآيات سورة الانعام ٩٥ – ٦٦ و ٩٥ – ٩٩ وآيات سورة ابراهيم ٤٢ – ٤٧ وآيات سورة الأحزاب ١٣ – ٢٠ وآيات سورة الحاقة ١٣ – ٣٧ وآيات سورة المدثر ١١ – ٢٩

لغة أدب وكتابة ولغة حديث وخطاب

ونقول استطراداً ان العرب في هذا الدور وفي إبان بلوغ لغتهم الفصحى ذروتها من البلاغة لم يكونوا ليخرجوا عن الظاهرة الطبيعية العامة المعروفة من وجود لغة تخاطب وحديث ولغة أدب وكتابة إلى جانب بعضها .

ويعرف هذا من أسلوب الاحاديث والمخاطبات المتنوعة المروية عن النبي عليه السلام وأصحابه وما قبله ومقايسته بالاسلوب القرآني ثم بأسلوب الخطب والأقوال المأثورة الأدبية المروية عن عهد النبي عليه السلام وقبله كذلك ، حيث نرى ان معظم الاحاديث والمخاطبات التي كانت احاديث ومخاطبات شخصية ومجلسية عادية جاءت دون طبقة اللغة القرآنية نظماً وسبكاً وأناقة وإبداعاً كما جاءت دون طبقة الخطب والأقوال المأثورة المنمقة .

والكتب العربية ملأى بالامثلة والنماذج للاحاديث والمخاطبات العادية والمجلسية وللخطب والمأثورات المنمقة معاً بحيث يتيسر لكل شخص ان يرى الفرق واضحاً بين الاسلوبين إذا تصفح أي كتاب من كتب الحديث والسيرة والتاريخ والادب القديمة [1] التي روت أقوال كثير من رجالات العرب قبل الاسلام ثم أقوال النبي عليه السلام وأحاديثه ومجالسه ثم أقوال كثير من أصحابه رضوان الله عليهم وخطبهم ومخاطباتهم مما يجعلنا في غنى عن التمثيل لاستفاضته وسهولة الوقوف عليه والتمييز بينه . ومع أن من المحقق ان كثيراً من المرويات وبخاصة المرويات قبل الاسلام منحول أو موضوع أو مزيد عليه أو مصحح فمما لا ريب فيه أن كثيراً منها صحيح ايضاً .

ومع ذلك فهناك ظاهرة عجيبة لما كانت عليه اللغة العربية من رقي ونضوج يتجليان في أنه لا يكاد يوجد فرق مهم بين مفردات وتراكيب لغة التخاطب والحديث العادية وبين مفردات وتراكيب اللغة الادبية والكتابية الراقية أولاً ويتجليان ثانياً في اتحاد اللغتين في مراعاة قواعد الصرف والنحو والاشتقاق والتعريب مما يكاد يكون فذاً بل معجزاً .

---

(١) اقرأ خاصة سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وتاريخ الطبري والبلاذري والحيوان للجاحظ والعقد الفريد والاغاني للاصبهاني ومروج الذهب للمسعودي بالاضافة الى كتب الحديث .

مواقف المشاقة التي حكاها القرآن عن العرب

ودلالتها على قوتهم العقلية ونشاطهم الذهني

ونريد أن نشير الى ما احتواه القرآن من وصف وحكاية مواقف المشاقة والمناوأة والحجاج والجدل والتحدي التي كان يقفها العرب من النبي عليه السلام ورسالته قبل اسلامهم وننوه بما فيها من دلالة على قوتهم العقلية ونشاطهم الذهني تضاف اليه دلالة اللغة العربية بذاتها على ذلك . فالمشاقة والمعارضة في كل زمن وهدف تنطويان على شيء من الحيوية والقوة العقلية التي تدفع اصحابها الى الوقوف من خصومهم تلك المواقف . سواء أكان ذلك بدافع العقيدة والايمان أم بدافع الأنانية والطمع والطموح أم بدافع الحسد والاستكبار والعناد واللجاج والتعصب الاعمى . ولا يمكن أن يبدو ذلك من أناس أغبياء غافلين وضعفاء خاملين . وبقدر ما يكون عليه موضوع المعارضة والمشاقة من خطورة وما يكون الطرفان عليه من قوة مادية أو عقلية او نفسية تكون النتائج والمظاهر بطبيعة الحال .

والمتمعن في الفصول القرآنية الكثيرةالتي حكت مواقف المشركين والكفاروأقوالهم يجد فيها صورا كثيرة متنوعة من الجدل العنيف والخصومة العنيدة واللجاج والحجاج والمكابرة والتحدي والاحراج والمسائل والمطالب والمشاكل والانانية والاستكبار والسخرية والاغراء والاغواء . وفي طيات هذه الصور تلمح عقلية قوية وشعور شديد بالذاتية والكيان ونفس طماحة طماعة ودفاع عن تقاليد ومصالح تراءى لأصحابها انها مهددة وعناد ناشيء عن استكبار وذاتية وعقل اكثر منه ـ في صور كثيرة ـ من عناد الغبي الغافل والضعيف الخامل والاحمق الجاهل . وقد يكون هذا ضيق النطاق منحصرا في الطبقة التي تولت قيادة المشاقة والمعارضة والتي عناها القرآن في آيات عديدة منها هذه الآيات :

١ ـ واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون . ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا

انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون »

البقرة ١٢–١٣

٢– وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون . وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب أليم بما كانوا يمكرون ..

الانعام ١٢٣–١٢٤

ولقد يقال ان المماراة والمعارضة لما جاء به النبي عليه السلام من الدعوة المؤيدة بقوة الله وروحانية الحق والمنطوية على صدق اللهجة ونصاعة الحجة لا تكون من اناس اقوياء العقول والمدارك .

ومع ان هذا هو الذي كان يدفع بعض المؤلفين قديماً الى الحط من تلك العقول والمدارك وتصوير عهد ما قبل البعثة تصويرا قاتما يتخبط اهله بالجهل والغباء ويرتكسون في الانحطاط والتوحش تديناً وتأثماً وذهاباً الى ان هذا الوصف هو الذي يتسق مع مهمة الرسالة النبوية التي ارادها الله لاخراج الناس من الظلمات الى النور فان من الحق ان نذكر ان القرآن انما عنى بالظلمات ظلمات الشرك والوثنية والانحرافات الاخلاقية والاجتماعية والاستغراق في الدنيا وملاذها وليست ظلمات الجهل والغباء والتوحش وانحطاط المدارك والقوى العقلية [١] . وان المواقف التي وقفها اولئك كانت على ما تدل عليه آيات القرآن بسبب شدة رسوخ تقاليد الآباء [٢] وما انبثق في نفوس الزعماء ازاء النبي عليه السلام من حسد واستكبار [٣] . وان العقائد الباطلة والاستغراق في الدنيا والانحرافات الخلقية والاجتماعية يمكن ان تكون عند اقوياء العقول والمدارك واصحاب العلوم والثقافة والمدنية الراقية كما يعرف ذلك من البداهة والواقع السابق والحاضر حيث يوجد في كل زمن ومكان اديان مختلفة مع ان الحق لا يصح ان يتعدد ولا يكون الذين يكونون من اتباع الدين غير الحق اغبياء منحطين وهمجاً جاهلين بل كثيرمنهم يفوقون في عقولهم ومداركهم ومدنيتهم وعلومهم كثيرا من اتباع الدين الحق مما هو مشاهد محسوس لا يتحمل مراء .

---

(١) اقرأ مثلا آيات سورة ابراهيم ١–٤

(٢) « « « « الزخرف ٢٢–٢٣

(٣) « « « « « ٣١–٣٢ وفاطر ٤٢–٤٣ والانعام ١٢٤ و ص ٨

وهذا فضلا عن ان كثيراً من علماء المسلمين وعلماء القرآن من وصف العرب الذين وقفوا مواقف المناوأة بقوة العقل ونشاط الذهن مما مر بعض امثلة منه ؛ ولقد كان في عداد الذين وقفوا موقف المناوأة مدة طويلة او قصيرة كثيرون اسلموا وتولوا اعمال الحرب والفتح والحكم والسياسة والادارة والقضاء تحت راية الاسلام فكانوا مثلا في العبقرية والدهاء وسعة الحيلة والتصرف وعظمة النفس وبعد النظر امثال عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد ويزيد ابن ابي سفيان ومعاوية بن ابي سفيان والمغيرة بن شعبة وغيرهم وغيرهم . وطبيعي ان هذه الصفات لم تكن مفقودة فيهم قبل اسلامهم ولم تكن الاهلية التي اضطلعوا بقوتها بأعباء مهامهم ونجحوا فيها ذلك النجاح الباهر عفو الساعة . وانما كانت فيهم من قبل نامية او كامنة . وكان كثير منهم بارزين وذوي شأن في بيئتهم . وهذا عدا كبار الصحابة الذين كانوا السابقين الى الاسلام واظهروا الكفاءات والعبقرية في الحكم والادارة والقيادة والقضاء والذين نشأوا في تلك البيئة وكان اكثرهم قد بلغ اشده قبل البعثة ومنهم من كان بارزا ذا شأن في قومه أيضاً .

فبيئة ينبت منها مثل هؤلاء العقلاء الحكماء الاقوياء في نفوسهم وقلوبهم لا يصح ان تعتبر بطبيعة الحال متوحشة همجية منحطة المدارك والقوى العقلية .

والفصول والآيات القرآنية التي تمثل تلك المواقف وتمثل القوة العقلية الحجاجية العربية منبثقة في مختلف السور المكية والمدنية يحسن بالقارىء ان يتمعن فيها ليعرف هذه القوة العقلية التي كانت في العرب قبل الاسلام [1] .

---

(١) هذه امثلة من كثير . ولا بد من تلاوة القرآن جميعه تلاوة امعان وتدبر ليقف القارىء على الظاهرة الرائعة من قوة الخصوبة والحيوية العقلية :

سورة الانعام ٧-١٠ و٢٥ و٣٣-٣٥ و٦٦-٦٨ و٩٣ و١١٢ وسورة يونس ١٥ وهود ١٢ والرعد ٣١-٣٢ وابراهيم ٤٦ والنحل ٢٢-٢٥ و٣٥ والاسراء ٤٧-٥١ و٧٣-٧٤ و٩٠-٩٣ والكهف ٥٤-٥٦ والفرقان ٤-٥ و٣٠-٣١ و٤١ والقصص ٥٧ ولقمان ٦-٧ وسبأ ٧-٨ و٣٣ وفاطر ٤٢-٤٣ وغافر ٥٦ والزخرف ٣١-٣٢ وفصلت ٣-٧ و٢٦ والجاثية ٨-٩ والطور ٢٩-٣٣ والقلم ٨-٩ و٥١ والمدثر ١٨-٢٥ والمطففين ٢٩-٣٢ والبقرة ٨-١٤ و٢٠٤-٢٠٦ وآل عمران ١٦٦-١٦٨ والنساء ٦٠-٦١ و٧٢ و١٣٧-١٤١ والتوبة ٤٧-٥٠ و٥٦ و٥٨ و٦١-٦٢ و٦٤-٦٥ و٦٧ و٧٥-٧٦ و٧٩ و٨٦ و١٠٧ و١٢٧ والانفال ٣٠-٣٢ والاحزاب ١٢-١٥ و١٨-١٩ و٦٠-٦١ والمنافقون ١-٢ و٧-٨

٦ — الشعر والشعراء

ولقد كان للشعر والشعراء عنـــد العرب قبل الاسلام في دور عروبتهم الصريحة دولة عظيمة الشأن سواء من ناحية ما كان من تأثير الشعر والشعراء فيهم أم من ناحية ما كان من بروز طبقة من نوابغ الشعر الذين كان شعرهم عنوانا على مابلغ اليه الخيال والذوق والشعور وسعة متناول اللغة العربية وفنونها من درجة رفيعة .

ولقد ذكر الشعر والشعراء في القرآن مرات عديدة . منها حكاية لنسبة الكفار الشعر الى النبي عليه السلام ونفيه عنه [١] ومنها ما كان في بيان صفة الشعراء [٢] .

ويدل الوصف الذي وصف به الشعراء في السورة المسماة بالشعراء على ما كان للشعر والشعراء [٣] من خطورة وعلى ما كان لشعراء المشركين من موقف مؤذ إبان البعثة النبوية مستمد من قوة مركز الشعراء وخطورتهم وتأثير الشعر في نفوس الناس مما هو امتداد لما قبل البعثة كما هو المتبادر منها . ولقد اقتضت الحكمة تشجيع شعراء المسلمين على الرد عــلى شعراء المشركين ومقابلتهم بالمثل على ما تفيده الآية الاخيرة من سورة الشعراء وفــيه الدلالة القوية على ما كان للشعر والشعراء من قوة تأثير في المجتمع العربي ممتداً الى ما قبل البعثة كذلك . ومما تدل عليه آيات الشعراء انه كان من عـــادة الشعراء الملاحاة فينظم الشاعر قصيدة في هجو أو عتاب أو فخر ، فيقابله خصمه عليها بقصيدة هجو أو عتاب أو فخر ؛ وان الشاعر كان ينافح عن قومه او قبيلته أو نحلته فينتصر خصمه فيرد عليه منافحاً كذلك عن قومه أو قبيلته أو نحلته ؟ ومما تدل عليه أيضاً ان الشعراء كانوا ينحون منحى المبالغة والتهييج والاثارة دون ان يكونوا في ذلك صادرين عن عقيدة واخلاق وجــد وحقيقة صادقة .

ولقد احتوت الكتب العربية شيئاً كثيراً عن الشعر والشعراء عند العرب قبـــل

---

(١) انظر ايات سورة الانبياء ٥ ويس ٦٩ والصافات ٣٦-٣٧ والطور ٣٠-٣١ والحاقة ٤١

(٢) سورة الشعراء ٢٢٤-٢٢٧

(٣) والشعراء يتبعهم الغاوون . الم تر انهم في كل واد يهيمون . وانهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون .

الاسلام وأوردت كثيراً من اسماء الشعراء الجاهليين [1] وشعرهم ، ونوهت بما كان للشعر والشعراء من دولة وقوة شأن وما وصل اليه الشعر من نضوج وما كان عليه من فنون [2] .

ولقد كان العرب يعتقدون ان لكل شعر نابغة شيطاناً من الجن يلقنه ما يقوله من شعر . وكان الشعراء النوابغ يعتقدون ذلك أيضاً [3] . وقد روي ان الاعشى كان يسمي شيطانه مسحلاً كما جاء في بيت له قال فيه :

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له   جهنام جدعاً للهجين المذمم [4]

وكان حسان بن ثابت يزعم ان شيطانه من بني الشيصبان من الجن كما جاء في بيت له قال فيه [5]

ولي صاحب من بني الشيصبان   فطوراً أقـول وطوراً هوه

وقد رووا ان اسم شيطان المخبل احد شعراء الجـاهلية عمرو . ورووا بيتين لشاعر حدث نابغة وسما [6] :

اني وان كنت صغـير السن   وكان في العين نبو عني

فـان شيطاني امـير الجن   يذهـب بي في الشعر كل فن

ويظهر ان هذا الاعتقاد كان تفسيراً لما كان يصدر عن النوابغ مـن الشعر الرائع الاخاذ في لغته وسبكه وروحه وقوته بحيث كانوا يرون ذلك فوق طاقة البشر العادية

---

(١) جرت عادة الكتاب القدماء على اطلاق كلمة جاهلي وجاهلية على ما كان سابقاً للبعثة النبوية .وقد ذكرت كلمة الجاهلية ثلاث مرات في القرآن مرة في اية سورة المـائدة (٥٣) ومرة في ايـة سورة الاحزاب (٣٣) ومرة في اية سورة الفتح (٢٦) بقصد التنديد بما كان قبل البعثة من بعض العادات . وبعض المفسرين فسروا الكلمة بالجهل الذي هو ضد العلم وبعضهم فسرها بالجهل الذي يعني السفاهـة والغضب والشراسة . ولعل من وجوه معانيها واوجبها قصد الحقبة التي لم يكن للعرب فيها كتاب سماوي يسيرون وفقه عن علم وبينة .

(٢) انظر طبقات الشعراء لابن قتيبة وبلوغ الارب للالوسي ج٣ص٨٢ — ١٥٠ والعقد الفريد ج ٣ ص٣٨٧ - ٤٢٦ وج ٤ ص ٥٣ - ١٠٤

(٣) بلوغ الارب ج ٢ ص ٣٦٥ - ٣٦٩

(٤) المصدر نفسه وجهنام شيطان شاعر كان يتعارض مع الاعشى على ما يفيده الكلام

(٥ و٦) نفس المصدر

وانه لا بد من ان يكون من وحي الجن وتلقينهم . وكان لهـذه العقيدة اثر في نسبة الشعر والشاعرية الى النبي عليه السلام حينما كان المشركون يسمعون الآيات القرآنية الرائعة . ولقد سبقت آيات سورة الشعراء التي وصف فيها الشعراء بأنهم يقولون ما لا يفعلون وبأنهم في كل واد يهيمون والتي أوردناها قبل ثلاث آيات جاء فيها « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثيم . يلقون السمع واكثرهم كاذبون. » (سورة الشعراء (٢٢٢-٢٢٤) حيث يمكن ان تلهم صحة تلك العقيدة عند العرب .

ومع ان فيما أوردته الكتب العربية من الشعر الجاهلي كثيرا من المنحول والمصنوع بعد الاسلام لأغراض حزبية وسياسية وادبية ودينية فان فيه كثيرا من الصحيح القوي الرائع الذي يصدق عليه ما ذكرناه قبل من انه عنوان على ما بلغت اليه اللغة العربية من روعة وبلاغة وسعة افق وخيال .

والشعر فنون من ناحية مقاصده كالهجو والفخر والرثاء والغزل والتشبيب والوصف والتحريض وهو عديد الاوزان او البحور من ناحية الوزن والاداء . ومهما كان في الشعر الجاهلي مصنوع ومنحول فان من الحقائق التي لا تقبل مراء ان هذه الفنون والبحور كانت معروفة بمارسة قبل الاسلام عند شعراء الجاهلية بدليل كونها متمثلة في الشعر الذي تكاد جاهليته تكون حقيقة لا تقبل مراء وبدليل كون ما روي من الشعر الاسلامي من عهد النبي عليه السلام الى عهد التدوين اي القرن الثاني للهجرة منسوجاً على نفس المنوال . ولم يدع احد ان شيئاً من تلك الفنون والبحور اخترع في القرنين الهجريين الاولين . وهذا فضلا عن شعراء عديدين كانوا مخضرمين اي أدركوا الجاهلية والاسلام وتساوق شعرهم في العهدين مثل كعب بن زهير وحسان بن ثابت ولبيد بن ربيعة وامية ابن الصلت والحطيئة والزبرقان وخداش بن زهير وابو قيس البخاري وكعب بن مالك وغيرهم وغيرهم ممن ذكرت كتب السيرة اسماءهم وأوردت شيئاً من شعرهم .

ولعل نسبة العرب المشركين الشعر والشاعرية الى النبي عليه السلام وهم يسمعونه يتلو روائع القرآن تدل على ان الشعر الجاهلي كان متساوقاً في سمو طبقته وبلاغته وروعته مع لغة القرآن — ولله ولقرآنه المثل الاعلى — ومما لا ريب فيه ان الامة التي تصل قوة الشاعرية فيها الى مثل هذه الطبقة لتنم عن رقي في احساسها وفوران في عواطفها وقوة في خيالها الى درجة رفيعة .

وفي الحق ان في ما روي من الشعر الجاهلي الذي يرجح انه جاهلي صحيح والذي عاش

ناظموه في حقبة المئة سنة التي سبقت البعثة النبوية اي في القرن السادس بعد الميلاد روائع باهرة فيها الدلالة على ذلك كشعر امرء القيس وطرفة بن العبد وزهير بن ابي سلمى وبشر ابن ابي خازم واوس بن حجر والاعشى والخنساء والنابغة الذبياني والنابغة الجعدي والحارث ابن حلزة وعبيد بن الابرص ولبيد بن ربيعة والاغلب العجلي وامية بن ابي الصلت والحطيئة والافوه الأزدي وعلقمة بن عبيدة وامثالهم من الشعراء الجاهليين الذين تواترت اخبارهم وكانت شخصياتهم على الارجح بل على شبه اليقين تاريخية صحيحة لأن منهم من ادرك الاسلام مثل لبيد والخنساء وامية والاغلب والنابغة الجعدي ومنهم من ادرك ابناؤهم الاسلام مثل كعب بن زهير واخيه بجر وغيرهم وغيرهم .

وقد يحسن التساؤل عن السبب الذي جعل العرب ينسبون الشاعرية الى النبي عليه السلام . فالقرآن لا يحتوي شعرا منظوماً يتفق مع انماط وبحور الشعر العربي المنظوم والذي اتفق علماء اللغة والعروض على انه هو المقصود بهذا الاسم والذي اساسه البيت البيت المؤلف من شطرين متوازيين من جهة والمتساوق في القافية في آخر كل بيت من جهة اخرى . فهل كان العرب يعبرون عن الكلام البليغ الذي يحتوي معاني رائعة او شعرية بكونه شعرا ولو لم يكن موزوناً ومقفى ؟ او هل كانوا يطلقون تعبير الشعر حتى يتناول الكلام المسجوع بدن وزن او الموزون بدون سجع بالاضافة الى اطلاقه على المقفى والموزون . فإنه اذا لم يكن في القرآن كلام موزون ومقفى يصح ان يطلق عليه اسم الشعر كما عرفه علماء العروض ففيه كثير من الآيات بل السور جاءت بأسلوب مسجع او اسلوب مقفى بل وفيه ما يكاد يكون موزوناً ومقفى بعض الشيء وفيه ما يشبه الرجز كذلك ولو لم تكن الجملة في كل من النوعين مؤلفة من شطرين مترابطين كآيات سورة النجم الاولى وآيات سورة المدثر الاولى وكسور الشمس والعاديات والليل والنبأ والاعلى وكآيات سورة الحاقة الاولى وبخاصة الآيات ١٩ــ٢٤ منها وغيرها وغيرها حيث يجد التالي لهذه الآيات وامثالها الكثيرة كلاماً قويا اخاذا ليس بالمنظوم ولكنه غير بعيد عنه ولا غريب عليه ، ويجد فيه شيئاً مما يقال له ضرورات الشعر في التقديم والتأخير لمساوقة الروى والقافية والوزن بالاضافة الى ما يجده من التمثيل الرائع والوصف البليغ والمعنى النافذ .

فهذا يجعلنا نقول ان العرب ما كانوا ليقولوا عن النبي عليه السلام انه شاعر لو لم يروا في القرآن ما يصح ان يطلق عليه اسم الشعر في روعة النظم والاسلوب والقوة الاخاذة

المؤثرة في أعماق النفس والمحتوية بليغ الأمثال وروائع الاستعارات والمجاز والوصف دون أن يروا ضرورة التقيد بوزن أو بحر أو قافية . ولا سيما الآيات القصيرة التي فيها روى أو قافية وفيها نبرة الشعر وأدائه والتي نزل كثير منها في أوائل البعثة . فإذا صح هذا فإن مدى الشعر وتعريفه عند العرب أو عند الطبقة النيرة أو المتأدبة منهم ان صح التعبير كان أوسع قبل الاسلام من تعريفه المعروف الذي قرره علماء العروض بعد الاسلام . وهـذا المعنى الاوسع هو الذي يقول الادباء الحديثون به وهم يقسمون الشعر الى منظوم ومنثور ويلاحظون في وصفه جملته وروعته وفنه وجماله معاً . وهكذا يكون ادباء ما قبل الاسلام قد نفذوا الى معنى لم ينفذ إليه إلا بعد قرون طويلة وبرهنوا بذلك على ذوق فني وروح ملهمة ونظرة بعيدة وأفق أوسع أيضاً .

٤ — المعارف الجغرافية

وفي القرآن آيات كثيرة تشير الى البحر وأسفاره والريح الطيبة والريح العاصفةوالريح القاصفة وكذلك الى الاسفار والرحلات البرية والبحرية والتجارية وغير التجارة والسبل والفجاج والعلامات التي يهتدي بها الناس في أسفارهم[1] حيث يوحي هذا بأنهم لا بد من أن يكون صار عندهم ما يصح ان يسمى بالمعارف الجغرافية الطبيعية والاقتصادية والبشرية والبرية والبحرية .

وفي المباحث التي عقدناها على النشاط التجاري والملاهي توضيح وتوكيد لذلك كما ان من شأن ما أوردناه في بحث المعارف التاريخية السابق أن يدعمه من حيث ان العرب الذين حصلت عندهم هذه المعارف لا بد من أن يكون قد حصل عندهم معارف جغرافية عن البلاد والمواقع التي كانوا يرحلون اليها ويتعاملون معها أو يتداولون أخبارها .

ولقد أوردنا في المباحث المذكورة موجز روايات الكتب العربية وغير العربية التي تدعم ذلك فلم نر ضرورة الى اعادتها هنا .

(١) انظر آيات سورة البقرة ١٦٤ ويونس ٣٢ وابراهيم ٣٢ والاسراء ٦٦—٦٩ والكهف ٨٠ والنحل ١٤ والحج ٦٥ والنور ٤٠ والرحمن ١٩—٢٤ والشورى ٣٢—٣٤ والجاثية ١١ .

٥ ـ المعارف الفلكية

وفي القرآن آيات كثيرة [1] ذكر فيها الشمس والقمر ومنازل القمر وفلك الشمس والقمر وحركاتها وتعاقب الليل والنهار وما في ذلك من علم السنين والحساب .

وذكر فيها كذلك النجوم وحركاتها والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر وفي الاسفار الليلية التي هي أهم أسفار العرب في الجزيرة أو من أهمها ، وذكر فيها أيضاً البروج والشعرى والشفق والكواكب السيارة والثابتة وعدد الاشهر الخ الخ بأسلوب يدل على ان الذين يسمعون القرآن يفهمون دلالاتها علماً وخبرة ويدل على ان العرب قبل الاسلام كانوا على شيء من العلم بمواقع النجوم وحركاتها واسماء بعضها وانهم كانوا ينتفعون بعلمهم هذا في أسفارهم وحلهم وترحالهم وكانوا يقدرون حركتي الشمس والقمر وينتفعون بها في حساب المواسم والايام .

وفي القرآن كلمتي الخنس والكنس [2] اللتين فسرهما اللغويون والمفسرون بالكواكب التي تظهر وتختفي . وهما من الكلمات التي كانت مستعملة بدون ريب قبل نزول القرآن حيث يدل على ان العرب لاحظوا اختفاء بعض الكواكب حيناً وظهورها حيناً فأطلقوا التعبيرين على الحالتين .

وفي القرآن آية ذكرت النسيء [3] وهو تأخير ميعاد الاشهر الحرم على ما يفيده مضمونها وهو ما كان العرب يفعلونه ليوائموا بين حساب الشهور القمرية التي كانوا يجرون عليها وبين دورة المواسم التي تحدث وفقاً لدورة الشمس حتى يظل موسم الحج يأتي في الخريف . وكل هذا يسوغ القول انه كان عند العرب قبل الاسلام ما يمكن ان يسمى بالمعارف الفلكية .

---

(١) انظر آيات سورة الانعام ٩٦ ويونس ٥ والرعد ٢ والحجر ١٦ وابراهيم ٣٣ والنحل ١٢ و١٦ والاسراء ٧٨ والفرقان ٥ ٤ و٦١ والنور ٣٥ والحج ١٨ والاعراف ٥٣ والصافات ٦ ويس ٣٨ والنبأ ١٦ والطور ٤٩ والمرسلات ٨ والتكوير ٢ والبروج ١ والملك ٥ والجاثية ١٢ والرحمن ٥ والواقعة ٣٥

(٢) سورة التكوير الايات ١٥–١٦

(٣) سورة التوبة الاية ٣٧ انظر تفسير الايات في الطبري وابن كثير وغيرهما

ولقد عقد مؤلف بلوغ الارب في الجزء الثالث من كتابه فصلا بعنوان (ما كان للعرب من العلم بالسماء وكائنات الجو) فيه بيانات كثيرة وطريفة موضحة وداعمة لما قلناه [1] .

فقد لاحظ العرب كتلة النجوم البعيدة التي تجر بعضها فسموها المجرة. ولاحظوا شدة لمعان بعض النجوم فسموها الدراري [2] . ولاحظوا طول الايام في الصيف وقصرها في الشتاء فجعلوا للشمس مشرقان ومغربان الاول للصيف والثاني للشتاء . ويبدأ مشرق الشمس ومغربها في الصيف بأطول يوم في السنة ومشرقها ومغربها في الشتاء بأقصر يوم في السنة . وقسموا ليالي القمر عشرة أقسام وجعلوا لكل قسم اسماً متناسباً مع بدء الهلال ونموه وتضاؤله ومحاقه فأولها غرر ثم نفل ثم تسع ثم عشر ثم بيض ثم درع ثم ظلم ثم حنادس ثم دأدى ثم محاق . وقسموا الفلك الى اثني عشر برجاً وربما اقتبسوا العدد من غيرهم وسموا كل برج باسم عربي وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت . وقد قسموا منازل القمر على طول ايام السنة على اربعة وثلاثين منزلا وواءموا بينها وبين دورة الشمس على طول السنة أيضاً وسموا كل منزل باسم وهي الشرطان والبطين والنجم والثريا والدبران والهنعة والذراع والبشرة والطرف والجبهة والفرنان والصرفة والعواء والسماك والقفر والزباني والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو المؤخر .

ولاحظوا تغير الطقس وآثاره في هذا الحساب فاخترعوا اسجاعاً فلكية للدلالة على ذلك مثل (اذا طلع الشرطان استوى الزمان وحضرت الاوطان وتهادى الجيران و(واذا طلع البطين اقتضى الدين وظهر الزين واقتفي بالعطار والقين) و (اذا طلع النجم فالحر في حزم والعشب في حطم والعانات في كدم) و (اذا طلع الدبران توقدت الحزان وكرهت النيران واستعرت الذبان ويبست الغدران ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان) و (اذا طلعت الشعرى نشف الثرى وأجن الصرى وجعل صاحب النخل يرى) و (اذا طلع الاكليل هاجت الفحول وشمرت الذيول وتخوفت السيول) و (اذا طلع القلب جاء الشتاء

---

(١) ص ٢٢٣-٢٦١

(٢) في القرآن اشارة ما الى ذلك حيث جاء في آية في سورة النور (كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة) ٣٦

كالكلب وصار أهل البوادي في كرب ولم تمكن الفحل إلا ذات ثوب) و (اذا طلع سعد الذابح حمى أهله النابح ونفع اهله الرائح وتصبح السارح وظهر في الحي الانافح) و (اذا طلع سعد بلع اقتحم الربع ولحق الهبع وصيد المرع وصار في الارض لمع) و (اذا طلع سعد السعود نضر العود ولانت الجلود وكره في الشمس القعود) و (اذا طلع سعد الاخبية دهنت الاسقية ونزلت الأحوية وتجاورت الأبنية) الخ .

وجروا على ما كان جارياً في العالم المعروف عامة وما ظل جارياً الى الآن من تقسيم السنة الى اثني عشر شهراً وتقسيم الشهر الى اربعة اسابيع . وجروا في حساب الاشهر على دورة القمر وسموها في مرحلة من هذا الدور بأسماء ثم سموها بأسمائها الحالية كما سموا ايام الاسبوع بأسماء ثم سموها بأسمائها الحالية . واسماء الاشهر القمرية الاولى كانت (المؤتمر) للمحرم ثم ناجر وخوان وبصان والحنين وورني والاصم وعلا وناتق وعاذل وهواع وبرك مع التنبيه الى ان هناك روايات اخرى بأسماء اخرى [1] واسمـــاء الاسبوع السابقة هي العروبة للجمعة ثم شيار فأول فأهوب او اهود فجبار فدبار فمؤنس [2] وقد عرفوا حساب الاشهر الشمسية ايضاً واقتبسوا التسميات الاعجمية لها وعربوها حيث كانوا يتداولون اسماء آذار ونيسان ومايس وحزيران وتموز وآب وأيلول وتشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الأول وكانون الثاني وشباط . وكان العشرون من آذار عندهم مبدأ الربيع ويوم تساوى الليل والنهار ثم يطول النهار ويقصر الليل الى العشرين من ايلول فيبدأ الليل يطول والنهار يقصر الى العشرين من آذار حيث يتساويان عوداً على بدء [3] . ومن الاسماء التي اطلقوها على بعض الكواكب (الشعرى الغميضاء)و(الشعرى العبور) و(الجوزاء) و (القلاص) و (الدبران) و (الثريا) و (سهيل) و (العيوق) و (بنات نعش) الخ . وكانوا يتداولون بعض الاساطير عن هذه الكواكب ودورانها وتقاربها وتباعدها وتألقها وخفوتها ومنها اشتقوا الاسماء المذكورة [4] .

---

(١) انظر جواد علي ج ٨ ص ٣٧٨–٣٧٩

(٢و٣و٤) جواد علي ج ٨ ص ٣٥٢–٤٠٩ انظر ايضاً بلوغ الارب ج ٣ ص ٧٤–٨٠ و ٢٢٤ ٢٦٠

٦ — المعارف الطبية

ذكر المرض والمريض والمرضى اكثر من مرة في القرآن . وذكرت فيه كلمات الشفاء ويشفين ايضاً . واشير في احدى الآيات إلى عسل النحل وما فيه شفاء للناس [١] .

وفي الكتب العربية اسماء عدد من اطباء العرب الجاهليين ومأثورات طبية عن بعضهم كما فيها أسماء كثير من الأمراض التي كانت متداولة قبل الاسلام واوصافها [٢] .

ومن اطباء العرب الذين ذكرتهم هذه الكتب الحرث بن كلده الثقفي وابنه النضر وزهير بن جناب الحميري وزينب الأودية (من بني أود) والشمردل بن قباب الكعبي النجراني وابن حذيم من تيم الرباب وضماد بن ثعلبة الازدي وعبد الله بن ابجر الكناني ورفيدة الاسلمية وام عطية الانصارية . وبعض هؤلاء قد عاشوا في حياة النبي عليه السلام

ومما ذكرته هذه الكتب عن الحرث بن كلدة انه سافر الى بلاد عديدة من جملتها بلاد فارس وتعلم الطب وعرف الداء والدواء وانه سئل عن اهل الطب فقال الازم اي ضبط الشفتين والرفق باليدين ، وعن الداء الدوى فقال ادخال الطعام على الطعام وعن الحجرة التي تصطلم منها الادواء فقال التخمة ، وعن تعاطي الدواء فقال اجتنبه ما لزمتك الصحة فان هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه . وسئل عن الفواكه فقال كلها في اقبالهـــا وحين أوانها . وسئل عما جبل عليه بدن الانسان فقال عـــلى المرة السوداء وهي باردة يابسة والمرة الصفراء وهي حارة يابسة والدم وهي حار رطب والبلغم وهو بارد رطب . وسئل عن الحار والبارد فقال كل حلو حار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مر معتدل وكل بارد لين . وكان ينصح بالحقنة ويقول انها تنقي الجوف وتكتسح الادواء عنه ومن المأثورات عنه : البطنة بيت الداء والحمية رأس كل دواء .

ومما ذكرته عن ابنه انه تعلم الطب من ابيه وسافر مثله الى البـلاد واطلع على علوم

---

(١) انظر آيات سورة البقرة ١٨٤و١٨٥و١٩٦ والنساء ٤٣و١٠٢ والنحل ٦٩و٨٣ والشعراء ٨٠ والمزمل ٢٠

(٢) انظر طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ج ١ ص ١٠٩-١١٦ وبلوغ الارب للالوسي ج ٣ ص ٣٢٧-٣٤٣ وتاريخ الطب قبل الاسلام للدكتور شوكة الشطي ص١٢٥-١٤٤

الفلاسفة . وعاش في حياة النبي عليه السلام وكان شديد المناوأة والاذى الدعوة .

ومما ذكرته عن ابن حذيم انه كان ذا قدم راسخة في الطب حتى ان بعضهم قالوا انه أطب من الحارث بن كلدة وابنه وكان يضرب به المثل . ونوه الشاعر الجاهلي اوس بن حجر في بيت شعر له جاء فيه :

فهل لكم فيها إليّ فانني ... طبيب بما أعيا النطاسي حذيما

ومما ذكرته عن ابي رميثة انه كان يزاول اعمال اليد وصناعة الجراح وعاش في حياة النبي عليه السلام . ومما ذكرته عن الشمردل انه كان في وفد بني الحارث بن كعب الى النبي عليه السلام فقال له بعد ان اسلم اني كنت كاهن قوي وكنت أتطبب فما يحل لي فقال له (فصد العرق ومجسة الطعنة ان اضطررت وعليك بالسنا ولا تداو احداً حتى تعرف داءه) والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطب مني . ومما ذكرته عن ضماد انه عاش في حياة النبي وانه جاء اليه وقال له حينما سمع قريشاً يقولون انه مجنون يا محمد اني اداوي من الريح فان شئت داويتك لعل الله ينفعك فتشهد رسول الله ﷺ وحمد الله وتكلم بكلمات اعجبت ضماداً فقال لم اسمع مثل هذا الكلام قط ولقد سمعت كلام الكهنة والسحرة والشعراء ثم أسلم وبايع النبي عليه السلام على نفسه وقومه . ومما ذكرته عن رفيدة انها كانت في حياة النبي عليه السلام وامرها بمداواة سعد بن معاذ الذي أصابه سهم في الاكحل في واقعة الخندق ، وعن ام عطية انها كانت كذلك في حياة النبي عليه السلام واشتهرت بالجراحة وكانت تداوي جرحى المسلمين وتقوم على مرضاهم ، وعن زينب الاودية انها كانت خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات مشهورة بين العرب .

والمتبادر ان هذه الاسماء قليلة وان من الممكن أن يقال قياساً عليها انه كان غيرهم وأكثر منهم ممن زاول الطبابة من العرب في هذا الدور لم تحفظ اسماؤهم .

ومما ذكره مؤلف بلوغ الأرب من الأمراض التي عرفها العرب قبل البعثة ووصفوها ووضعوا لها اسماء أنواعاً عديدة من الحميات منها ما سموه (ام ملدم) وهي حمى كانت تنتج حسب رأيهم من تعفن الاخلاط ومنها ما سموه (الغب) وهي الحمى التي تراوح المريض يوماً بعد يوم ، ومنها (الربع) التي تراوحه كل اربعة ايام و (الصالب) التي يرافقها صداع و (النافض والراجف) التي يرافقها رعدة ونفضة و (المردمة) التي تستمر

بدون مقلم و (السبات) التي يعمى فيها الى المريض . وكانوا يسمون العرق الذي يعرقه المريض بالحمى (الرحضاء) ويسمون المريض الذي ينتكس بعد برء (المستهاض) ويسمون الحمى أول ما يحس بها المريض (العرواء) .

ومن الأمراض التي عرفوها ووضعوها (اليرقان) الذي يصفر منه المريض و(الشقيقة) وهي الألم الشديد في جهة واحدة من الرأس و (السعال) و (الزكام) و (الزحير)وهو الشعور بالثقل والحاجة الى الخروج كثيراً مع شيء من الألم وهو نسميه اليوم(الدوسنتاريا) و (الحصر) وهو احتباس البطن و (الأسر) وهو احتباس البول و (الحكة)و(الجرب) و (الحصبة) و (الجدري) و (الحمرة) وهي ورم حار شفاف براق يسهل غمزه و (الشري) وهو بثور بين الجلد واللحم و (الحميقاء) نوع يشبه الجدري و (القوباء) بثرة يتقوب عنها الجلد و (الثؤلول) و (الجذام) و (داء الثعلب) الذي يسقط منه الشعر و (داء الفيل) وهو ورم الرجلين و (الدوار) و (الهيضة) التي من أعراضها القيء والاسهال و (النملة) وهي بثور صغيرة مع ورم ثم تتقرح وتتسع و (البيضة) نوع من الصداع و (الخدر) و (الفالج) و (الحزاز) هو ما منه قشرة الرأس و (الباسور) و (البهق) وهو داء كالبرص و (الكلف) وهو كدرة تعلو الوجه و (الذبحة اوالخناق) و (المغص) وجع الامعاء و (الاستسقاء) وهو من امراض الكبد والطحال و (البخر) رائحة الفم الكريهة ...

وأهم ما عرف من أساليب معالجتهم الكي بالنار الذي كانوا يعالجون به الامراض المستعصية . ثم الحجامة او الفصادة بقصداخراج كمية من الدم . ومن المؤسف انالروايات العربية لم تمدنا بأسماء العقاقير التي كان اطباء العرب يعالجون بها مرضاهم . غير ان من الممكن ان يقال جزماً انهم عرفوا كثيراً من الاعشاب والاملاح الطبية واستخرجوا منها الأدوية .

وعلى كل حال فما تقدم يسوغ القول انه كان عند العرب ما يمكن ان يسمى بالمعارف الطبية وانهم كانوا ينتفعون بها في معرفة الأمراض ومعالجتها وانه كان منهم من يمتهن مهنة الطبابة .

وهناك طِبابة عربية روحية تقوم على الرُّقَى والتعاويذ وهو ما سوف نذكره في بحث آخر .

٧ ــ الحكمة والحكماء

ذكرت كلمة الحكمة في القرآن كثيراً وفي إحدى الآيات تنويه بها وبمن يؤتاها لأنه يكون قد أوتي خيراً كثيراً [١] . وجاءت مرة في آخر سلسلة رائعة فيهـــا أوامر ونواه ومواعظ بليغة ايمانية وسلوكية واجتماعية واخلاقيةواقتصادية [٢] . وجاءت مرة فيمعرض التنويه بلقمان وايراد بعض حكمه ومواعظه لابنه [٣] . وجاءت مرة في معرض الخطة التي يجب على النبي عليه السلام أن يلتزمها في الدعوة الى سبيل ربـــه [٤] . وجاءت مرات في معرض التنويه بالحكمة التي آتاها الله النبي وغيره من الأنبياء عليهم السلام وكونهم قد أرسلوا ليعلموا قومهم الحكمة [٥] . حيث يفيد كل هذا ان المقصود منها هو النضوج العقلي والاخلاقي والاجتماعي الذي يجعل صاحبه يصدر في تصرفاته وأقواله عن الحق والصواب والسداد وسعة الصدر والاناة . ويجعله صاحب مركز محترم وكلمة مسموعة . وبكلمة ثانية انها مظهر من مظاهر القوة العقلية الصالحة الخيرة.

وفي الكتب العربية اسماء شخصيات عربية عديدة عاشت قبل الاسلام وعرف اصحابها ووصفوا بالحكمة والحكماء وقوة العارضة والخطابة والبلاغة . وذكر كثير من مأثوراتهم التي تنم عن عقل ناضج وفكر ثاقب ونظر بعيد سديد حيث يبدو من ذلك ان هـــذه الظاهرة العقلية وجدت في العرب قبل الاسلام .

ولقد اختلفت الاقوال في لقمان وهويته ونبوته . واكثرها على انه حكيم وليس نبياً وانه حبشي [٦] . وذكره في القرآن بالاسلوب الذي ورد يدل على اسمه وحكمته مما كان متداولا قبل الاسلام . وقد ذكرنا في مبحث الكتابة والقراءة ان شخصاً قال للنبي عليه السلام ان معه مجلة لقمان ، فاذا صحت الرواية فتكون المجلة عربية اللغة ويكون احتمال عروبة لقمان وارداً . وفيما حكاه القرآن عنه تدعيم الدعوة النبويـــة والتقريرات القرآنية

---

(١) سورة البقرة ٢٦٩

(٢) سورة الاسراء الايات ٢٢ــ٣٩

(٣) سورة لقمان ١٢ــ١٩

(٤) سورة النحل ١٢٥

(٥) البقرة ١٢٩ و ٢٣١ وآل عمران ١٦٤ والجمعة ٢

(٦) انظر تفسير سورة لقمان في تفسير ابن كثير والطبرسي مثلا

الاخلاقية والسلوكية والتوحيدية مما قد يكون فيه دليل آخر على تداول اسمه وحكمته واحتمال عروبته . وما حكاه القرآن من نصائحه ومواعظه بليغ رائع .

ومن الأسماء الصريحة العروبة التي ذكرتها الكتب العربية مقرونـــة بوصف الحكمة والبلاغة [1] اكثم بن صيفي التميمي وقيس بن عاصم المنقري وقس بن ساعدة الأيادي ورويد ابن زيد الحميري وزهير بن جناب والحوث بن كعب المذحجي ومرثد الخير الحميري والربيع ابن ضبيع الفزاري وذو الاصبع العدواني وحنظلة الكناني وحاجب بن زرارة التميمي والاقرع بن حابس التميمي وغيلان بن سلمة الثقفي ونعيم بن ثعلبة الكناني والحرث بن ذبيان اليماني وعامر بن الظرب العدواني وحممه بن رافع الدوسي والعاص بن وائل القرشي ومالك بن جبير العامري والحارث بن عباد الربعي وربيعة بن حذار الاسدي وسلمى بن نوفل الكناني من الرجال وهند بنت الخُس الايادية وجمعة بنت حابس الايادية وصحر بنت لقمان وحصيلة بنت عامر بن الظرب وحزام بنت الريان من النساء . وهذا يعني ان هذه الظاهرة العقلية كانت شاملة للرجال والنساء . ومن هؤلاء من كانوا حكاماً يرجـــع اليهم المتنازعون ويحكمونهم في منازعاتهم .

وقد أورد مؤلف بلوغ الارب [2] طائفة من المأثورات المنسوبة الى بعض الاسماء . وقد يكون في المأثورات ما هو منحول ومصنوع وقد يكون بعض الاسماء غير حقيقية . ولكن هذا وذاك لا ينفيان وجود هذه الطبقة التي تمثلت فيها تلك الظاهرة العقلية القوية الحكيمة .

ومما يعزى الى قس بن ساعدة قوله أفضل المعرفة معرفة الرجل نفسه وأفضل العـــلم وقوف المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه . ومما يعزى الى أكثم بن صيفي : ان السفيه يوهن من فوقه ويثبت من دونه ولا خير فيمن لا عقل له . تبارّوا فان البر يبقي على العدد . كفوا ألسنتكم فان مقتل الرجل بين فكيه . الصدق منجاة . وفي طلب المعالي يكون العناء . لم يهلك من مالك ما وعظك . ويل لعالم أمر مـــن جاهله . البطر عند الرخاء حمق والعجز عند البلاء أفن . المكثار حاطب ليل . ومما يعزى الى عامر ابن الظرب : رب أكلة تمنع أكلات . الرأي نائم والهوى يقظان . رب زارع لنفسه حاصد

(١) بلوغ الارب ج ١ ص ٣٠٨–٣٤٣ و ج ٣ ص ١٥٥–١٧٨ مثلا

(٢) المصدر المذكور آنفاً

سواه • من طلب شيئاً وجده . ان من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل به أولى . لا تشمتوا بالذلة ولا تفرحوا بالعزة . ان مع السفاهة لندماً . اليد العليا العافية . ومما عزي الى ذي الاصبع العدواني يوصي ابنه : ألن جانبك لقومك يحبوك . وتواضع لهم يرفعوك . وابسط لهم وجهك يطيعوك . ولا تستأثر عليهم بشيء يودوك . وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم. واسمح بمالك واحم حريمك. واعزز جارك. وأعن من استعان بك . وأكرم ضيفك. وأسرع النهضة في الصريخ فإن لك أجلا لا يعدوك • وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً فبذلك يتم سؤددك [1] .

٨ ــ الكهنة والكهان

ولقد كان من العرب من يتعاطى الكهانة قبل الاسلام . والمستفاد من الروايات العربية [2] ان العرب كانوا ينظرون الى الكهان نظرة احترام وتقدير ويرون فيهم أطباءهم الروحيين يفزعون اليهم في كل ملمة نفسية ومشكلة روحية تطرآن عليهم وتحدثان لهم ازعاجاً وقلقاً وينشدون لديهم الطمأنينة . فاذا رأى أحدهم رؤيا رهيبة فزع الى الكاهن ليعبرها له واذا وقع بينهم خلاف على بعض الامور الخطيرة المشكلة رجعوا إلى الكاهن لحلها وإذا حدث أمر عظيم جوي أو أرضي أخاف الناس تهافتوا إلى الكاهن يستنبئونه ويطلبون منه التفسير والتعليل . وكان الكهان يحققون أملهم ويبعثون في نفوسهم الطمأنينة والهدوء مما يصح ان تعتبر الكهانة بذلك من المعارف الروحية ومن مظاهر القوى العقلية العربية .

والمستفاد من هذه الروايات :

١ــ إن الكهانة ليست مهنة ولا صفة دينية كما كانت عند اليهود [3] .

---

(١) اكتفينا بهذه النماذج لان القصد منها توضيح ما كانت تعنيه الحكمة عند العرب والتنويه بما كان عليه الذين وصفوا بها من نضوج عقل وسداد نظر

(٢) انظر بلوغ الارب للالوسي ج ٣ ص ٢٦٩-٣٠٦ وجواد علي ج ٥ ص ٣١٤ وبعدها

(٣) رأينا جواد علي يعزو الى ابن اسحق ان الكهانة عند الجاهليين كانت بمثابة الاحبار والرهبان عند اليهود والنصارى في حين ان هؤلاء يتصفون بصفة دينية ويمارسون مهاماً دينية ولم يرو احد عن كهان العرب شيئا من ذلك .

٢- إن الكهان كانوا يرسلون أقوالهم وإجاباتهم على اسئلة السائلين بالاسلوب المسجع الرنان . ويضمنونها بعض التوريات التي يجد السامع فيها تفسيراً لما في نفسه .

٣- إنهم كانوا يحدثون الناس عن المغيبات والمستقبل بما يرسلونه من الكلام الغامض المسجع المحتوي على التوريات .

٤- إنهم كانوا يوهمون الناس أو إن الناس كانوا يتوهمون ولعل الكهان انفسهم كانوا يتوهمون بسبب ما كان يجري على لسانهم من سجع وتوريات وتنبؤات أن لهم تابعين من الجن يساعدونهم في مهمتهم وان هؤلاء التابعين كانوا يسترقون السمع ويخطفون الاخبار من السماء ويلقونها في روع الكهان فينطق هؤلاء بها .

وفي القرآن آيات يلهم مضمونها صحة هذا المستفاد من المرويات العربية . منها ماينفي الكهانة عن النبي عليه السلام التي كان المشركون يصفونه بها [١] ومنها ما يشير الى استراق الشياطين السمع من السماء والى ما كانوا يرمون به من شهب لمنعهم من ذلك [٢] ومنها ما ينفي كون الشياطين هي التي تنزل بالقرآن على النبي عليه السلام [٣] ، حيث يتبادر من ذلك ان المشركين لم ينسبوا الى النبي عليه السلام الكهانة ولم يزعموا ان الشياطين هي التي تنزل بالقرآن عليه إلا بسبب ما كان في أذهانهم من صفات الكهان واعمالهم ومظاهرهم التي رأوا فيها مشابهة لما كان يصدر عن النبي عليه السلام فيما يتلوه من الفصول القرآنية المسجعة الرنانة أو المتوازنة في العهد المكي بنوع خاص ويخبر به من أخبار المستقبل والبعث والحساب والجنة والنار وتنزل الملائكة عليه بالقرآن من السماء بأمر الله تعالى [٤].

ولقد ذكرت الروايات العربية اشياء كثيرة عن الكهان والكاهنات العرب كما ذكرت اسماء عدد منهم وكثيراً من أقوالهم ونوادرهم . والاسماء والاقوال فصحى حيث يفيد هذا اذا صحت الروايات ان أصحابها ممن عاشوا في القرنين السابقين للبعثة النبوية . وقد يكون منهم ممن عاش قبيل هذه البعثة أو في إبانها .

---

(١) انظر آيات سورة الطور ٢٩ وسورة الحاقة ٤٢

(٢) انظر آيات سورة الحجر ١٦-١٨ والصافات ٦-٩ والملك ٥ والجن ٨-٩

(٣) انظر آيات سورة الشعراء ٢٠٩-٢١٢ والتكوير ١٩-٢٩

(٤) مثل سور القارعة والزلزلة والعاديات والشمس والاعلى والليل والطارق والفجر والغاشية والانفطار والانشقاق والتكوير والنازعات والنبأ والمرسلات والحاقة والمعارج والقيامة وغيرها وغيرها بل اكثر السور المكية .

ومن ذكرت الروايات اسماءهم عزى سلمه وشق بن انمار وسطيح بن مازن وطريفة وزبراء وخنافر وعفيراء ومصاد وسلمى بن قارب وفاطمة بنت مر [1] .

ومن الحق ان نذكر ان النوادر والاقوال المعزوة الى هؤلاء الكهان والكاهنات يبرز عليها اثر الصنعة بعد الاسلام بروزاً قوياً [2] . غير ان هذا ليس من شأنه أن ينفي بطبيعة الحال ان الروايات العربية عن الكهان ورجوع الناس إليهم وحل مشاكلهم وتهدئة قلقهم وما كانوا يرسلونه من أقوال مسجعة رنانة مثيرة للدهشة تنطوي على حقيقة تاريخية مؤيدة بالنصوص القرآنية وانها يمكن ان تكون معبرة عن ما كان في أذهان العرب من صورة قوية مؤثرة للكهان والكهانة وما شغلته عندهم من الحيز الكبير والاهتمام الشديد وان هـذا المظهر العقلي عنـد العرب بما ينطوي فيه من دعوى الكهانة والاضطلاع بها واستهواء الناس اليها على اختلاف طبقاتهم دون استثناء الزعماء والنابهين لا يمكن إلا أن يكون من افراد وهبوا حدة ذكاء وسعة حيلة وقوة عقل وقدرة على التصرف في فنون

---

(١) انظر بلوغ الارب للالوسي ج ٣ ص ٢٦٩-٣٠٦ حيث تجد فيها الاسماء والنوادر والاقوال .

(٢) لم نر بسبب ذلك ان نورد ما اورده الالوسي منها ونكتفي بنموذج واحد عن شق وسطيح حيث يروى ان مالك بن نصر أحد ملوك لخم رأى رؤيا هالته فأحضر الكاهنين شقاً وسطيحاً لتعبيرها له .فسأل الاول سطيحاً عما رأى في منامه ليمتحنه فأجابه قائلا : ايها الملك انك رأيت حممه . خرجت من ظلمه . فوقعت في ارض تهمة . وأكلت منها كل ذات جمجمة » فقال الملك ما اخطأت شيئاً فما عندك في تأويلها فقال « احلف بما بين الحرتين من حنش . ليهبطن أرضكم الحبش . وليملكن ما بين ابين إلى جرش » فقال الملك وابيك يا سطيح ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى يكون فقال « بعد حين . اكثر من ستين اوسبعين. يمضين من السنين . ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين » فسأله الملك ومن الذي يلي قتلهم واخراجهم فقال « ابن ذي يزن . يخرج عليهم من عدن . فلا يترك احد منهم في اليمن » فسأله الملك ايدوم سلطانـه ام ينقطع فقال « بل ينقطع . يقطعه نبي ذكي . يأتيه الوحي من ربه العلي . من ولد فهر بن مالك بن النضر . يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر» فسأله وهل للدهر آخر فقال « نعم يوم يجمع فيه الاولون والاخرون ويسعد المحسنون ويشقى المسيئون . فقال له الملك احق ما تقول فأجابه « نعم . والشفق والغسق . والفلق إذا اتسق . إنما اخبرتكم به لحق » . ثم احضر الملك شقاً فسأله عما رآه فقال « انك رأيت حممه . خرجت من ظلمة . فوقعت بين روضة واكمة . فأكلت كل ذات نسمة » فسأله وما تأويلها فقـال « احلف بما بين الحرتين من انسان . لينزلن ارضكم السودان . فليغلبن على كل طفلة البنان . وليملكن ما بين ابين الى نجران » وسأله عما يجري بعد ذلك على نمط ما سأل سطيحاً واجابه بما اجاب به سطيح عن ذي يزن وعن النبي وعن البعث بسجعات مختلفة .

الكلام . ولعلهم كانوا يعتقدون فعلا بمـا أوتوه من مواهب انهم متصلون بالجان ومساعدون منهم على ما كان سائداً في أذهان العرب من اتصال الجان بالنوابغ والعباقرة وصدور ما يصدر من هؤلاء بوحيهم . وهو التفسير المعقول في ذلك الزمن لما يمكن أن يكون من نوع ما عرف في زمننا من القدرة عـلى التنويم المغناطيسي وقراءة الافكار مضافاً اليه القدرة على التصرف في فنون الكلام وسعة الحيلة وحدة الذكاء .

وإذا لاحظنا ان الروايات تذكر المرأة والرجل على السواء فرساناً في هذا الميدان جاز لنا ان نقول ان المرأة العربية كانت مشاركة الرجل في المظاهر العقلية والقدرة على التصرف وسعة الحيلة وفنون الكلام بنصيب غير يسير .

العرافة

والكتب العربية تذكر مع الكهانة (العرافة) وهي من بابها بفرق قليل وهو ان الكهانة مختصة بالتنبؤ بالمستقبل والعرافة بكشف الماضي علي رأي البعض وبأن العرافة هي الاستدلال ببعض الحوادث الماضية على الحوادث الآتية بالمناسبة او المشابهة الخفية التي تكون بينها على رأي بعض آخر [١] ، وهناك فرق آخر مهم وهو ان الروايات العربية لا تذكر ان العرافين كانوا يستعينون بتابعين من الجن أو يوهمون ذلك أو يتوهمونه كما كان شأن الكهان . وهناك شعر جاهلي قد يفيد إذا صح ان العرافين كانوا يراجعون للتطبب مـن ذلك هذا البيت :

فقلت لعراف اليمامة داوني   فانك ان داويتني لطبيب

ومنه هذان البيتان :

جعلت لعراف اليمامة حكمه   وعراف نجد ان همـا شفياني

فقالا شفاك الله والله مالـنا   بما حملت منك الضلوع يدان [٢]

حيث يفيد هذا ان الطب الذي كان ينشده العرب عنـد العرافين هو طب روحي أو نفسي .

---

(١) بلوغ الارب ج ٣ ص ٣٠٦ وبعدها

(٢) نفس المصدر

ومن الاسماء التي ذكرتها الروايات رباح بن عجلة عراف اليمامة والابلق الاسدي عراف نجد والأجلح وعروة بن يزيد . والأسماء والشعر باللغة الفصحى مما يسوغ القول ان هذا كان في ظرف طور نضوج هذه اللغة أي في القرن السابق للبعثة النبوية . وقد امتد هذا الى زمن النبي عليه السلام حيث روي عنه حديث بالتحذير من الرجوع الى الكهان والعرافين وتصديقهما [1] .

وما قلناه في صدد الكهانة وكونها مظهراً من مظاهر القوة العقلية العربية في هذا الدور وكون الكهان اشخاصاً أوتوا موهبة عقلية وروحية غير عادية يصح ان يقال في صدد العرافة والعرافين .

الزجر والقيافة والعيافة والفراسة

وقد يصح أن يلحق بهذا الباب وبعبارة أدق بباب العرافة فنون الزجر والقيافة والعيافة والفراسة حيث ذكرت الكتب العربية تعاطي العرب قبل الاسلام لهذه الفنون في سياق واحد مع الكهانة والعرافة [2] .

والزجر هو ما يحدث من تحدث بعض الناس بالغيب عند سنوح طائر او حيوان ، ويدل على وجود قوة مخيلة فيهم تدرك اموراً أو تحس أموراً لا يدركها غيرهم بمناسبة ذلك . والعيافة هي الاحساس بوقوع شيء قبل وقوعه او بوقوعه في مكان بعيد وصدق ذلك . والقيافة هي تتبع الاثر ومعرفة أوصاف صاحبه مما يحتاج الى دربة وقوة تخيل ومعرفة بأحوال الناس وعاداتهم . والفراسة هي الاستدلال بهيئة الانسان واشكاله واقواله على صفاته وطبائعه . وفي بلوغ الارب [3] الذي اقتبسنا منه هذه التعريفات بحث طويل في هذه الفنون روى المؤلف فيه نوادر عجيبة في كل فن منها وقعت من أشخاص عديدين عاشوا قبل البعثة النبوية .

---

(١) رواه مسلم واحمد انظر التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول ج ٣ ص ٢٠١

(٢) انظر بلوغ الارب ج ٣ ص ٢٦١-٢٦٩

(٣) انظر الصحف السابقة الذكر

واذا كانت الصنعة بادية على هذه النوادر فإن ذلك ليس مـــن شأنه أن ينفي صحة الاصل اي نبوغ جماعة من العرب في هذا الدور في كل فن من هذه الفنون. وان تكون هذه النوادر نوعاً من ترديد حكايات مماثلة وقعت من أشخاص في ميدان من هذه الميادين ولا سيما ان ذلك لم يكن خاصاً بالعرب او بدور مضى وانقضى حيث يقع في كل مكان وزمان .

ويظهر ان بعض قبائل العرب اشتهرت اكثر من غيرها في بعض هذه الفنون حيث ذكرت الروايات اشتهار قبيلة بني مدلج في القيافة واشتهار قبيلة بني لهب في العيافـــة واشتهار قبيلة بني اسد في الزجر .

٩ــ السحر والسحرة

لقد ذكر القرآن السحر والسحرة في مناسبات عديدة ومتنوعة . منهـــا ما ورد في سياق قصص موسى وفرعون . ومنها ما ورد في معرض حكاية اقوال المشركين ونسبتهم السحر الى النبي عليه السلام واعتبارهم دعوته وما يعده القرآن من بعث وحشر وحساب وجنة ونار سحراً ونعتهم اياه بالمسحور وقولهم اذا ما رأوا آية انهـــا سحر ونفي السحر عنه . ومنها في معرض حكاية اقوال الكفار السابقين عما يأتي به أنبياؤهم من آيات بأنها سحر ومنها ما احتوى بعض اعمال كان يمارسها السحرة وان لم يذكر فيها اسم ولا اسم السحرة صراحة . ومنها ما جاء في صدد تعاطي اليهود للسحر وارجاعه الى تعليم الشياطين وتعليم ملكين في بابل اسمها هاروت وماروت [١] وقد بلغ عدد الآيات التي ورد فيهـــا السحر خمسين مما فيه دلالة على ما كان للسحر والسحرة في اذهان العرب قبل البعثة مـــن حيز وخطورة .

وفي الكتب العربية بيانات كثيرة عنها أيضاً [٢] . ويستلهم من الآيات القرآنية ثم من الروايات العربية :

---

(١) انظر آيات سورة الاعراف ١١٥–١١٦ وطه ٦٥–٦٦ والانعام ٧ ويونس ٢ وهود ٧ والحجر ١٤–١٥ والاسراء ٤٧ والانبياء ٣ والصافات ١٤–١٦ والقمر ٧ والبقرة ١٢

(٢) جواد علي ج ٥ ص ٣٣٤ وبعدها

١ـ ان العرب كانوا يعتقدون وجود صلة بين شياطين الجن والسحر والسحرة .

٢ـ ان العرب كانوا يعتقدون ان الساحر يستطيع ان يغير حقائق الأشياء من محسوسات ومرئيات حيث يراها الناس على غير حقائقها ، وأن يبعث الخوف والرهبة في نفوسهم وأن يقرب بين القلوب أو يباعد بينها وأن يطرد الأرواح الشريرة التي كان العرب يعتقدون انها تحل في الأجساد وتسبب الجنون والصرع [١] وأن يسقط المطر وأن يحبسه ، وأن يؤثر في عقول الناس ويوقع فيها الخبل والتخليط ، ويوهم أصحابها انهم يرون ويفعلون ما لا يرون ولا يفعلون .

٣ـ ان العرب كانوا إذا سمعوا شخصاً يتكلم بأمور لم يكونوا رأوها أو اعتادوها أو سمعوها وفيها بعض الأمور الخارقة أو الغامضة اعتبروا انه واقع تحت تأثير السحر .

٤ـ ان العرب يعتبرون أحياناً ما يقع من الخوارق على أيدي البشر سحراً ولو لمسوه بأيديهم ورأوه بأعينهم .

٥ـ ان الناس كانوا ينشدون عند الساحر مطالب شخصية من الآخرين كإيصال الأذى والضرر وإحداث المرض والخبل لأعدائهم وايجاد البغض والمحبة والتفريق والجمع بين القلوب وطرد الأرواح الشريرة من الاجساد أو تسليطها عليها .

فاذا أردنا بعد هذا البيان رسم صورة للساحر العربي قلنا انه شخص أوتي ذكاء حاداً وقدرة على التصرف وسعة في الحيلة وقوة على الايهام بالاتصال بالجن واستخدامهم في متنوع الاغراض وعلى التأثير في عقول الناس واستهوائها بحيث يخيل لأصحابها وجود مالا وجود له ووقوع ما لم يقع. ويقال في السحرة ما قلناه في الكهان من احتمال توهمهم باتصال الجان بهم ومساعدتهم اياهم على مقاصدهم بسبب ما يبدو لهم في أنفسهم من قوى خارقة واستعداد فائق جرياً على عقيدة العرب باتصال الجان بالنوابغ والعباقرة وتفسيراً معقولا في ذلك الزمن لما يمكن أن يكون من نوع ما عرف في زمننا من مظاهر التنويم وقراءة الافكار مضافاً اليها القدرة على التصرف وسعة الحيلة وحدة الذكاء . وهو على كل حال من أطوار العقل العربي ومظاهر قواه في هذا الدور ، مع فارق مهم بينه وبين الكهانة من حيث ان السحر عمل ايجابي يقصد به النفع والضرر والايهام والتخييل في حين ان

---

(١) في القرآن آيات فيها إشارة إلى ذلك منها آية في سورة البقرة جاء فيها « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس .. (٢٧٥)

الكهانة عمل سلبي لا تخرج عن التنبؤ بما هو غائب عن الناس من ماض ومستقبل وقضاء بما يجب ان يفعلوه أو لا يفعلوه ويتوقعوه أو لا يتوقعوه .

وفي آية في سورة البقرة [١] ما قد يفيد ان العرب كانوا يعزون أصل السحر الى ملكين في بابل هما هاروت وماروت او انهم عرفوا ذلك من طريق اليهود .

وفي سورة الفلق [٢] ما يفيد ان من أساليب السحرة النفث في العقد اي انهم كانوا يعقدون عقداً في حبل ويتلون عليها ألفاظاً غير مفهومة للسامعين. وفي الروايات مايفيدان من أساليبهم ايضاً أن يتلوا امثل ذلك على بعض أشياء من الشخص المراد سحره كشعر أو ظفر أو ثوب ، ومنها نقش نقوش غامضة على بعض الاحجار والخرزات وقطع الجلد أو النفث عليها بألفاظ مماثلة ووضعها في ثياب المراد سحره أو المراد علاجه وطرد الارواح الشريرة منه أو المراد وقايته منها . وقد يتلو السحرة تعاويذهم وينفثون نفثاتهم مباشرة على الشخص المراد طرد الروح الشريرة منه او وقايته منها . وتسمى الخرزات والاحجار وقطع الجلد مما ينفث عليها او ينقش عليها تمائم (جمع تميمة)يحملها الشخص . وهي من نوع ما يسمى اليوم عند العامة (حجاب) اما النفثات المباشرة على الشخص فتسمى رقى (جمع رقية) . وهناك روايات تفيد انه كان اشخاص لا يتسمون بسمة السحر قد اتخذوا الرقية مهنة . اما التمائم فالغالب ان السحرة هم الذين يصنعونها ويتولون بيعها .

ولقد كان الوشم من العادات الشائعة عند العرب حيث كانوا يرسمون على أيديهم ووجوههم وأبدانهم بالابر بعض الرسوم والصور ثم يحشون مكان الابرة بالكحل أو غيره من الاصباغ القاتمة . ومع ان مؤلف بلوغ الارب الذي ذكر ذلك [٣] قال انهم كانوا يفعلون ذلك للزينة فإن مما يخطر لنا ان الوشم في اصله نوع من التعاويذ والتمائم . ولعل السحرة هم الذين كانوا يتولون العمل .

وعبارة النفاثات في العقد الواردة في سورة الفلق قد تفيد ان المرأة العربية كانت

---

(١) واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ... (١٠٢)

(٢) الآية الرابعة « ومن شر النفاثات في العقد »

(٣) ج ٣ ص ١٠-١١

تشارك الرجل في هذا الميدان كما كان ذلك شأنها في ميدان الكهانة .

هذا ومن العجيب انه لم يرد فيما اطلعنا عليه من الكتب العربية اسم ساحر عربي على كثرة ما ورد من السحر والسحرة من آيات في القرآن تدل على ما كان للسحر والسحرة في اذهان العرب من حيز وتأثير . والاسم الوحيد الذي ذكر هو «لبيد بن اعصم اليهودي» الذي ورد اسمه في سياق رواية تروي انه سحر النبي عليه السلام حيث نفث على مشاطة رأس وأسنان مشط ولفها في خرقة وعقد عليها احدى عشرة عقدة وألقاها في بئر فاعترى النبي عليه السلام نتيجة لذلك بعض عوارض مرضية نفسية وقد رأى النبي عليه السلام في منامه الصورة التي فيها المشاطة والاسنان او سمع في منامه من قال له ذلك ودله على مكانها فذهب فاستخرجها فذهبت عنه العوارض [1] .

ولعل ما كان من طبيعة الأذى والشر والخداع والتهويل التي كانت ترافق السحر والسحرة هو سبب عدم معرفة اسماء الذين كانوا يتعاطون السحر من العرب أو عدم شيوعها وروايتها . فالآيات القرآنية لم تكن لتتناول هذا الموضوع بالسعة التي تناولته بها لو لم يكن امراً مشهوراً عند العرب وممارساً فيما نعتقد .

---

(١) اقرأ تفسير سورة الفلق في تفسير ابن كثير .

ثالثاً

الحالة الاجتماعية

في القرآن سور عديدة ومتنوعة لما كانت عليه الحالة الاجتماعية عند أهل شمال جزيرة العرب قبل الاسلام في دور العروبة الصريحة . وفي الكتب العربية بيانات كثيرة موضحة وداعمة .

وإليك تفصيل ذلك مبوباً على نمط ما فعلناه في المباحث السابقة .

١ — شؤون الاسرة

في القرآن آيات كثيرة في مركز الرجل والمرأة والزواج والطلاق والارث والوصية والحداد وغير ذلك مما يتصل بالأحوال الشخصية يمكن أن يستلهم منها أشياء كثيرة عما كانت عليه هذه الشؤون قبل الاسلام نوجزها فيما يلي [١] :

١ــ كان الرجل صاحب المركز الممتاز في الأسرة والمجتمع . فهو قوام الأسرة وربها والمسؤول عن حياتها ورزقها وشؤونها وسلامتها . وهو المكلف بالحرب والمطالبة بالثأر والمغرم والمطالب بها والمخاطب في المسؤوليات الاجتماعية المتنوعة . وكانت المرأة من حيث العموم تابعة للرجل ومنسوبة اليه ومسيرة بأمره . وكان هو الذي يمثلها في مصالحها .

٢ــ لم يكن حق المرأة في الارث سواء اكانت أماً ام بنتاً ام اختاً ام زوجة معيناً وثابتاً ولاحقها في الكسب والتصرف بما تملك مقرراً معترفاً به . وكان هذا وذاك متموجاً حسب الظروف وشخصية المرأة وعصبيتها . وكانت كثيراً ما تحرم منها .

(١) انظر الايات وتعليقنا عليها في رسالتنا المرأة والقرآن وفي كتابنا عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ص ١٢٨—١٥٦

٣- كان الزواج يتم بخطبة وعقد وصداق دون ما طقوس دينية .

٤- كان الرجل يجمع في عصمته ما يشاء من الزوجات . وكثيراً ما كان يجنح إلى التعدد كوسيلة من وسائل الابتزاز والمكايدة والمضارة واستكثار النسل . وقل ان اهتم الزوج للعدل بين زوجاته العديدات .

٥ - كان هناك نكاح يعرف بنكاح المتعة حيث يتفق الرجل والمرأة على التزوج لمدة موقتة فاذا ما انتهت وقع الفراق .

٦- كان الرجال يستطيعون ان يتسروا بما يملكون من الاماء دون حد وحصر وبدون عقد ومهر . وكانوا يستطيعون أن يهبوا مستفرشاتهم ويبيعونهن بدون طلاق إذا لم يكن قد ولدن أولاداً . فاذا ولدن امتنع بيعهن وهبتهن وحينما يموت مالكهن يصبحن أحراراً وكان الأولاد الذين تلدهم الاماء من آباء أحرار يعتبرون أحراراً .

٧- كان من السائغ ان يتزوج العبيد من اماء باذن مالكيهم . والأولاد الذين يولدون من مثل هذا الزواج يكونون عبيداً للمالكين .

٨-كان من العادات المألوفة اتخاذ الرجال والنساء أخداناً أي عشاقاً او اخلاء وتكون بينهما المعاشرة الجنسية بدون عقد . والأولاد الذين يولدون من مثل ذلك يلحقون بآبائهم . والفرق بين هذا النوع من المعاشرة الجنسية والزنا أي الزنا الذي كان أيضاً معتاداً فاشياً عمل عابر أو مغامرة وقتية في حين يكون اتخاذ الأخدان متصفاً بصفة الاستمرار .

٩- كان من السائغ ان يتزوج الاحرار بالاماء بعقد ومهر إذا اذن مالك الامة . ولقد كان الاماء معرضات للزنا أكثر من الحرائر ولذلك كان هذا النوع من الزواج مكروهاً في الجملة .

١٠- كانوا يغالون في المهور والشروط فيكون ذلك سبباً في بقاء الرجال والنساء عزاباً كما كان الفقر مانعاً في كثير من الاحيان من الزواج مما كان يؤدي الى كثرة العزاب من الجنسين وإلى الارتكاس في البغاء .

١١- كانت ولادة البنات مكروهة جداً حتى لقد كانت كراهيتهن تصل إلى وأد الآباء بناتهم احياء للتخلص من عبء طعامهن أو عارهن او متاعبهن والى قتل الامهات

بناتهن او خنقهن حال ولادتهن غيظاً وسخطاً وتفادياً من مواجهة أزواجهن بهن . وكان الأزواج أحياناً كثيرة هم الذين يأمرون زوجاتهم بذلك . هذا مع التنبيه إلى الروايات العربية تفيد ان عادة الوأد لم تكن واسعة الانتشار .

١٢ـ مقابل ذلك كانت ولادة البنين تقابل بالابتهاج . وكانت الرغبة في استكثارهم شديدة . وكانوا يتفاخرون بكثرتهم.ولعل تعدد الزوجات واستفراش الاماءوالاستلحاق والاستبضاع متصل بذلك أيضاً . لأن الرجل كان كلما كثرت اولاده كلما كان قوياً مرهوب الجانب في الظروف الاجتماعية التي كان يعيش فيها العرب

١٣ ـ كان الطلاق مألوفاً جارياً وكانت عقدته في يد الرجل . وكان الرجال يسيئون استعماله اساءة كبيرة ويتخذونه وسيلة الى ابتزاز أموال نسائهم .

١٤ـ كان هناك عادتان لهجر الزوج زوجته غير الطلاق . أولاهما الظهار . وذلك بأن يقول الزوج لزوجته أنت علي كظهر امي . وثانيتهما الايلاء وذلك أن يحلف الزوج بعدم معاشرة زوجته معاشرة جنسية . فتصبح الزوجة في الحالتين محرمة عليه مع بقائهـا في عصمته مغلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة . وكان الأزواج يعمدون إلى إحدى هـاتين العادتين سخطاً على ولادة البنات في الاكثر كما كانوا يفعلون ذلك مضارة للزوجة ووسيلة إلى ابتزاز اموالها . وكان الضن بما يملكن من أموال وخشية حرمان الزوج منها من جملة أسباب هذه العادات كما كان انفة الازواج من تزوج المرأة بآخر اذا طلقت أو الرغبة في ابقائها لرعاية أولادها من اسباب ذلك .

١٥ـ لم تكن الحياة الزوجية قائمة على اعتراف بحقوق الزوجة أو شركة متبادلة بين الزوجين . وكانت الزوجة موضع اضطهاد وجنف وابتزاز حتى لقد كان الرجال يعمدون الى الحيلة لحرمان الزوجات مـن بعض المنافع [1] كما كانوا كثيراً ما يتخذون الطلاق والظهار والايلاء وسيلة لمضارة الزوجات وابتزاز أموالهن وحملهن على افتـداء انفسهن . وكثيراً ما كانت فكرة الاستمتاع الجنسي هي الدافعة للزواج دون قصد انشاء كيان وأسرة .

١٦ـ كان يفرض على الزوجة المتوفى عنها زوجها حداد سنة كاملة لا تخرج من بيتها

---

(١) في سورة الانعام هذه الاية التي ينطوي فيها ما ذكرناه « وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا . . » (١٣٩)

ولا تتطيب ولا تتزين ولا تلبس الثياب المفرحة ولا تعرض نفسها للزواج ولا يتعرض لها الغير به كما كان ورثة الزوج لا يرون انفسهم مكلفين بنفقة لها طيلة مدة الحداد المفروضة علـــيها .

١٧ــ ومع ذلك فان في القرآن آيات عديدة تلهم ان كثيراً مـــن النساء كن فابهات قويات الشخصية يشاركن الرجـــال في مختلف أنواع النشاط العقلي والحربي والثقـــافي والاجتماعي والاقتصادي ويفرضن وجودهن واحترامهن . وقد أسلم كثير منهن وهاجرن بدون رضاء أهلهن او بعولتهن وكان منهن المجـــاهدات والمنافقات والكافرات اللاتي أبدين نشاطـــاً ملموساً في مشاركة الرجال في تأييد الدعوة الاسلامية وصاحبهـــا او مناوأتها .

١٨ــ كان التبني من العادات المألوفة أيضاً . بحيث إذا تبنى رجل ولداً أصبح بمثابة ابنه من صلبه يحمل اسمه ويرثه ويورثه .

١٩ــ كان الرجال يستطيعون ان يجمعوا بين الاختين . وكان الابن يسوغ له ان يتزوج زوجة أبيه بعد وفاته . وكانوا يحرمون عـــلى أنفسهم التزوج بمطلقات وارامل ابنائهم بالتبني .

٢٠ــ كان بعض الأزواج يحاولون استرداد ما دفعوه لزوجاتهم من مهر وهدايا إذا ما وقع بين الزوجين خلاف أدى الى فراق .

٢١ - لم يكن للمهر حدود حيث كان يبلغ أحيانا مبلغاً كبيراً .

٢٢ــ كان من المألوف أن يدخل الرجال الى بيوت غيرهم بدون استئذان وتكلف وان يسمر الرجال والنساء معاً وان يباح للخدم وملك اليمين الدخول على مخادع النوم في اي وقت .

٢٣ــ كان من المألوف ان تبرز المرأة للرجال وان تتراءى أمامهم متبرجة متزينة . وكان النساء يتحلين بالحلي في أرجلهن ــ وهي الخلاخيل ــ بالاضافـــة الى حلي ايديهن وآذانهن وجيدهن .

٢٤ــ كان مـــن عادة البيوتات العربية وبخاصة في المدن أن يسترضعوا اولادهم في البوادي أي يسلموهم لمرضعات بدويات فيكون لهم بذلك فرصة قضاء زمن الطفولة الاولى

في البادية حيث الهواء النقي والصحة الجيدة والعروبة الخالصة .

٢٥- كان كثير منهم يرضعون اطفالهم سنتين كاملتين .

والى هذا الذي تلهمه الآيات القرآنية ففي الكتب العربية روايات كثيرة عن هذه الشؤون [١] يمكن ان تضاف الى ما ذكرناه نوجزها في ما يلي :

١- كان هناك زواج يعرف بزواج الشغار وهو المبادلة فيتزوج رجل اخت رجل او ابنته ويتزوج هذا اخت ذاك او ابنته بدون صداق .

٢- وكان الابن الاكبر الذي يتوفى والده عن زوجة غير امه يلقي ثوبه عليها فتكون حينئذ تحت حكمه ان شاء تزوجها وان شاء عضلها (منع تزوجها من آخرين حتى تموت . وكان ذلك بقصد ابتزاز اموالها او حرمانها من تركة زوجها . وكثيراً ما كانت زوجة الاب تتنازل عن نصيبها فداء لنفسها .

٣- كان هناك نكاح يعرف بنكاح الاستبضاع . وهو ان يوعز زوج لزوجته او امته بالاتصال الجنسي برجل آخر مشهور بقوته او صحته او شجاعته او كرمه او حسبه ثم ينقطع عنها حتى يتبين له حملها من الرجل . وكان القصد من ذلك الحصول على ولد فيه الخلال المذكورة .

٤- كان هناك نكاح يعرف بنكاح الجماعة او الاستلحاق . حيث كان يدخل عدد من الرجال على امرأة فيصيبونها واحداً بعد آخر . فاذا حملت ووضعت غلاماً ارسلت اليهم فلا يمتنع عن الاجابة منهم احد فتخبرهم انها وضعت غلاماً ثم تختار احدهم فتعلن انه والد الغلام فيلحقه به . وكان هناك بغايا يسكن في بيوت عليها راية او علامة . ولها ان تلحق ما تلده من بنين بأحد من اصحابها فيقبل ويلحقه به أيضاً .

٥- كان الاخوة احياناً يشتركون في زوجة واحدة . فاذا دخل احدهم عليها وضع عصاه على الباب . غير انها تكون في الليل من نصيب الولد الاكبر . ويكون اولادها اولاداً للجميع . والراجح ان هذا كان اذا صح عند الذين اعتادوا وأدبناتهم حيث يقل عدد النساء عن عدد الرجال . وننبه الى ان الروايات لم تكد تذكر من ذلك الا حادثة او اثنتين .

---

(١) انظر بلوغ الارب ج٣ ص ٢-٥٦ وجواد علي ج ٥ ص ٢٥٢ ومابعدها

٦- مما ذكرته الروايات في سياق عادة التبني ان الرجل اذا لم يكن له بنين عمد إلى تبني غلام من رجل آخر له بنون عديدون بإذن أبيه او عمد الى عبد له فأعتقه وتبناه . وكان المتبني يأخذ الغلام إلى مجلس القوم فيعلن انه تبناه ويقول لـــه دمي دمك وهدمي هدمك ترثني وارثك فيصبح في حكم ابنه في صلبه في كل شيء .

٧- كان الطلاق يوقع مرة واحدة أو على مرات ثلاث . وفي الحالة الثانية كان للزوج حق مراجعة زوجته بعد المرة الاولى ثم بعد المرة الثانية ثم تحرم عليه بعد الثالثة الا بعد ان تنكح زوجاً آخر وتتطلق او تترمل منه .

٨- كان يحق للمرأة ان تطلب من زوجها طلاقها مقابل فدية مالية تدفعها له وهـــذا الطلاق يسمى خلعاً .

٩- كان بعض النساء يشترطن ان يكون امرهن في ايديهن فيقبل الزوج ذلك اذا شاء . وهذا يقع على الارجح اذا كانت الزوجة ذا حسب وعصبية ومال .

١٠- كان العرب وبخاصة ذوي المراكز الاجتماعية يراعون في أنكحتهم التكافؤ في الحسب والنسب والمركز والقبيلة ويرون التساهل في ذلك عاراً ومسبة . وبالاضافة الى ذلك فان هؤلاء كانوا يتحرون في اختيار الزوجات والازواج ممن اجتمعت فيه خـــلال عديدة جسمانية وخلقية . وفي الكتب العربية بيانات طريفة عن الصفات التي كانوايتحرونها او التي كانوا يتجنبونها [١] .

١١- كان عند العرب مراسم خطبة حيث كان يذهب الخطيب وأهله واصدقاؤه إلى بيت والد الخطيبة أو وليها بعد الاتفاق المبدئي . فيلقي كبير الوافدين مع الخطيب خطبة يثني فيها على الخطيبة وحسبها ونسبها وصفاتها ثم على الخطيب بمثل ذلك وطلب الفتاة له فيجيبه الوالد او الولي بخطبة مماثلة ويعلن الموافقة على الطلب. وكانت تقام في هذه المناسبة وليمتان تسمى أولاهما (الشندخ) ومعنى الكلمة السابق في السبق من الخيل . وتقـــام هذه بعد الإملاك وقبل الدخول . وتسمى ثانيتهما (بشاشة العرس) وتقام بعد الدخول. وتقترن الولائم احياناً بالغناء وبالضرب على الدفوف . وتلبس الثياب الجديدة المعصفرة ويصبغون أيديهم بالزعفران وتتكحل النساء .

١٢- وكان من العادة أن تزف العروس إلى بيت عريسها في موكب تكون فيه على

---

(١) انظر بلوغ الارب ج ٢ ص ١٤ وما بعدها

هودج فوق جمل ويسير فيه الرجال والنساء على الابل المزينة والنيران بين ايدي العروس .

١٣ـ كان ولي العروس هو الذي يستولي على مهرها على الاغلب . ولعل ذلك متصل بعادة استرداد الأزواج ما دفعوه إذا وقع خلاف بينهم وبين زوجاتهم أدى إلى الفراق ، وهي العادة التي مر ذكرها والتي تلهمها بعض الآيات القرآنية [١]

١٤ـ كانت المطلقة تعتد ثلاث حيضات فلا تتزوج إلا بعد ذلك تحاشياً من اختلاط الانساب .

١٥ـ كان من العادة ان يوصي المشرف على الموت بما يفعل في ميراثه بعد موته ويقيم وصياً على تنفيذ ذلك . وكانت قاعدتهم في توزيع الارث على الاجمال « لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال) فيحرم بذلك الضعفاء والنساء [٢] . وكان الرجل من عصبة المتوفى مقدمين في الارث على الاخوات . فاذا لم يكن له من الذكور من يرثه يصرف ارثه الى اخوته او عصبته اذا لم يكن له اخوة ولا يدفع الى الاخوات . وكثيراً ما كان الاوصياء على أيتام المتوفى يعمدون الى تبديد التركة أو التصرف بها دون مبالاة بحق الأيتام ومستقبلهم . واذا كان من الايتام بنات تزوجوهن أو زوجوهن لأبنائهم ضناً بتركاتهن وكان حق الآباء في تركات أبنائهم متموجاً بدليل ان القرآن اوجب على أبنائهم الوصية لهم حينما تحضرهم الوفاة وذلك قبل نزول الآيات التي تعين لهم نصيباً ثابتاً .

١٦ـ كانوا يفرحون بولادة الابناء الذكور ويتفاخرون بكثرتهم وربما كان تعدد الزوجات ناشئاً عن الرغبة الشديدة في ذلك لأن كثرة البنين قوة هامة في الحياة الاجتماعية قبل الاسلام . وفي القرآن آيات عديدة تشير الى ذلك . وكانوا يقيمون وليمة اسمها « العقيقة » حينما يولد لهم ولد ذكر يذبحون فيها الذبائح . ومنهم من كان يلطخ وجه الولد بشيء من دمائها .

---

(١) انظر آيات سورة البقرة ٢٢٩ والنساء ٢٠

(٢) اشارت احدى آيات النساء الى ذلك ايضاً وهي الآية (١٢٧) ونصها : ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فأن الله كان به عليما .

١٧ ـ كانت عادة الختان جارية في العرب . وكانوا يعيرون الذي لا يختتن او يتأخر في الختان ويسمونه الاغلف . وكانوا يقيمون وليمة في مناسبة الختان يسمونها « الاعذار »

١٨ ـ كان من عادتهم نعي الميت ورثاؤه وشق الجيوب والحداد والبكاء عليه واقامة المناحات له طيلة سبعة ايام . وكان اهل الميت في نهاية الايام السبعة يقيمون وليمة تسمى « الوضيحة » . ومن العرب من كانوا يكفنون موتاهم ومنهم من كانوا يدفنونهم بثيابهم ومنهم من كان يضع معهم سلاحهم واشياء اخرى مما كانوا يستعملونه . وكانوا يقيمون على قبورهم قباباً لاقامة اهل الموتى وجيرانهم الذين كانوا يترددون على زيارتهم لمـــدة طويلة قد تبلغ العـــام . وكانوا يضعون على القبور حجارة وقد يبنون عليها قبـــاباً او بناء .

٢ ــ تقاليد العصبية وآثارها

ويستفاد من اشارات قرآنية كثيرة ومـــن الروايات العربية [١] ان تقاليد العصبية كانت عند العرب قبل البعثة قوية راسخة فكانت تسد ما في مركز القضاة السلبي من فراغ فيما يتعلق بالاجبار والتنفيذ والحصول عـــلى الحقوق كما كانت تسد الى درجة كبيرة فراغ انفقاد الحكومات والسلطات التي تضطلع عادة بحفظ الامن والنظام ومنع العدوان والبغي في داخل جماعة عربية في بادية أو مدينة او قرية وبالنسبة للصلات التي تكون بينها وبين جماعة عربية أخرى .

وكانت تلك التقاليد على اشكال متعددة :

١ ـ فكان هناك عصبية الاقارب وذوي الأرحام او مـا يسمى عصبية العشيرة او الفصيلة الخاصة [٢] ، حيث كان افراد كل عشيرة يتضامنون في الدفاع عن بعضهم والانتصار لبعضهم في مختلف المواقف والمصالح ويكون من واجب كل فرد ان يحمي وان ينتصر لأي فرد من أفراد عشيرته وفصيلته الخاصتين اذا وقع في مأزق او وقع عليه عدوان

---

(١) انظر كتابنا عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ص ١٥٧ ــ ١٨٠

(٢) عشيرة الرجل او فصيلته تعنيان الحمولة او الاسرة الكبيرة التي يجمعها جديد قريب مثل اسرة بني هاشم وبني امية . والكلمتان وردتا في القرآن بهذا المعنى انظر سورة الشعراء الاية ٢١٤ والتوبة ٢٥ والمعارج ١٣

وان يثأر له من المعتدي او من عشيرته وفصيلته الخاصتين ويكون ثأر ما اجترحه احد من عشيرة ضد آخر من عشيرة اخرى من عدوان او قتل او ظلم مطلوباً من اي فرد من عشيرة المعتدي ويكون من واجب كل فرد ان يشترك في الديات والمغارم التي تلزم عشيرته نتيجة لعدوان ما وقع من احد افراد عشيرته ويكون من واجب كل فرد من افراد العشيرة او الفصيلة الخاصة منفردين ومجتمعين التضامن في الدفاع عن سمعة عشيرته وشرفها ومصلحتها المشتركة والانتصار لها ممن يكون قد اعتدى عليها او من عشيرته قولا او فعلا وبكلمة واحدة كان ابناء العشيرة يتناصرون ظالمين أو مظلومين حتى ولو كانوا متغايري العقيدة والميول ضد من يقع منهم على أحدهم عدوان ما من عشيرة اخرى ولو كان بينهم وبين هذه العشيرة مصاهرة وخؤولة او كانوا ينتسبون الى جد واحد . ومن الامثلة على ذلك ما وقع من قتال بين بني بكر وبني تغلب مع انهم ابناء جد واحد وبينهم مصاهرة وقربى وشيجة . وما كان من انتصار بني هاشم للنبي عليه السلام في حين كان اكثرهم وفي مقدمتهم زعيمهم ابو طالب متمسكين بعقيدة الآباء .

٢ـ وكان هناك عصبية القبيلة وهي الوحدة التي تتألف من بطون وعشائر عديدة يجمعها جد بعيد ، حيث كان افراد كل قبيلة يتضامنون تجاه القبائل الاخرى في الحروب والدماء والدفاع عن المصالح والتبعات المشتركة ويتعاونون على المسؤوليات والديات والمغارم ويعتبر كل فرد من القبيلة اي اعتداء يقع على أحد افراد قبيلته فعلا او قولا واقعاً عليه ومن واجبه الانتصار له والدفاع عنه والثأر من المعتدي عليه او من اي فرد من أفراد قبيلته ويكون من واجب كل فرد وكل حمولة وكل فصيلة وكل بطن من القبيلة ان يتضامن مع القبيلة في الدفاع والهجوم في حالة القتال مهما كان الباعث حتى ولو كانت ميول العشائر التي تتألف منها القبيلة متغايرة .

٣ـ وكان هناك عصبية التحالف القبيلي او ما يمكن ان يسمى عصبية الاحزاب ، حيث كان كثيراً ما تعقد قبيلتان او اكثر بينها حلفاً وميثاقاً على ان تكون صفاً واحداً متسانداً في الدفاع والهجوم في حالة القتال وفي حماية مصالحهم المشتركة او المتقابلة فتنشأ نتيجة لذلك عصبية بين القبائل المتحالفة توجب عليهم التضامن في الحروب والتعاون في حماية مصالحهم وفي ما يترتب على بعضهم من مغارم وديات . فاذا ما دعا داعي الحرب نفر أفراد هذه القبائل ليكونوا صفاً واحداً . واذا اعتدى معتد على احدى هذه القبائل أو ما ينضوي فيها من بطون وفصائل وعشائر هبت القبائل المتحالفة معها الى الانتصار لها واذا تحملت قبيلة تبعة دماء رأت من حقها ان تستعين على

حملها بحلفائها من القبائل الاخرى .

وكثيرا ما يكون ضعف قبيلة ما هو الدافع لها على البحث عن قبيلة تتحالف معها لحفظ كيانها ودفع العدوان عنها .

وكثيرا ما تعمد احدى القبائل الى التحالف مع قبيلة او قبائل اخرى حينما يقع بينها وبين قبيلة ما خلاف ونزاع وقتال . ويذهب كثير من الباحثين الى ان كثيراً من انساب القبائل العربية وتكوّن القبائل العربية قد تأثر كثيرا بهذا النوع من التحالف حينمايتقادم عهده حيث يظن الاحفاد ان القبائل المتحالفة تنحدر من جد واحد . وفي الكتب العربية امثلة كثيرة مؤيدة لذلك . وقد شرحنا شيئاً منه في سياق ذكر انساب القبائل العربية [1] .

وقد كان التحالف بين القبائل او بطون القبائل المختلفة يعقد بمراسم مؤثرة احيانا . وقد اختلف ابناء قصي بن كلاب زعيم قريش على المركز الذي فرغ بوفاة أبيهم فعقد بنو عبد الدار مع بعض بطون قريش حلفاً وعقد بنو عبد مناف مع بعض آخر حلفاً . واخرج هؤلاء جفنة فيها طيب فغمس زعماء المتعاقدين ايديهم فيها فسمي حلفهم حلف المطيبين واخرج بنو عبد الدار جفنة فيها دم فغمس زعماء المتعاقدين ايديهم فسمي حلفهم حلف لعقة الدم [2] .

وكانت قريش حينما تعقد مع غيرها حلفاً يذهب زعماؤها مع زعماء القبيلة المتحالفة معها فيطوفون حول الكعبة ثم يعلنون حلفهم للملأ [3] . وقد فعلوا هذا حينما جاءهم زعماء يهود يثرب من بني قريظة يعرضون عليهم التحالف ضد النبي عليه السلام والمسلمين حيث ذهب زعماء قريش مع زعماء اليهود الى الكعبة فأعلنوا تحالفهم واقسموا على الوفاء به عند اصنامهم، مما تضمنت اليه اشارة من سورة النساء [4] . وقد ذكرت الكتب العربية محالفات عديدة مشهورة بين قبائل مختلفة مثل حلف الرباب بين اسد وغطفان وقبائل ضبة وثور

---

(١) انظر ايضاً تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٥٨ و ج ٤ ص ٣٣٣ - ٣٤٤

(٢) انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٤٢ وجواد علي ج ٤ ص ١٩٦

(٣) جواد علي ج ١ ص ٣٥٢-٣٥٨

(٤) الاية ٥٠ انظر تفسيرها في تفسير ابن كثير والطبرسي مثلا

وعسكل وتيم وعدي وبني عبس وبني عامر ضد اسد وغطفان [1] والحلف المعروف بحلف الفضول بين بطون قريش لمنع الظلم في مكة [2] .

وقد سمى القرآن هذا النوع من التحالف بالاحزاب من التحزب معناه التجمع والتعصب والتناصر حينما زحفت قريش مع احلافها من بني كنانة وغطفان وغيرهم على المدينة مما اشارت اليه سورة الاحزاب [3] .

ونستطرد هنا الى تصحيح خطأ يقع فيه بعض الباحثين في وصفهم العرب بالفردية وفي عزوهم ذلك الى خلق آبائهم الاولين ولا سيما ابان بداوتهم . فان فيما تقدم دليلا على ان تقليد التضامن الاجتماعي او العصبية الاجتماعية كان راسخاً في العرب الاولين وركناً من اركان مجتمعهم ان لم يكن اقوى ركن فيه لا غنى عنه ولا معدى . وهو شيء كان يفرضه عليهم طبيعة حياتهم الاجتماعية وبخاصة في انحاء شمال الجزيرة التي لم يقم فيها مملكة كبيرة قوية تفرض النظام وتحفظ الامن والحقوق وتمنع عدوان الناس على بعضهم . واذا كان من مجال للنقد بالنسبة للعرب فهو كون هذه العصبية ضيقة لاتعدو المصالح الخاصة القريبة والمحلية ولا الوحدات الاجتماعية الاولى كالعشيرة والبطن والقبيلة . ولا يدخل في نطاقها اهداف قومية وسياسية بعيدة المدى . وهو ما استهدفته الدعوة الاسلامية السامية ونجحت فيه لفترة من الوقت حيث شجبت عصبية القبيلة ووطدت عصبية العرب ووحدتهم مما سوف نشرحه في الجزء التالي ان شاء الله .

٤ــ وكان هناك عصبية الولاء حيث كان يلتحق بطن او عشيرة من قبيلة بعشيرة او بطن من قبيلة اخرى او بقبيلة اخرى بل يصدق ان تلتحق قبيلة برمتها بقبيلة اخرى التحاقاً كاملا فيقطع الملتحقون علاقتهم وتبعاتهم من قبيلتهم الاولى ويصبحون موالي القبيلة الجديدة ويكونون فيها كأنهم منها في التناصر والدفاع والهجوم والدماء والديات والمصالح المتنوعة وفي كتب السيرة والتاريخ والتراجم اسماء كثيرين حينما يذكرون تذكر اسماء قبائلهم بالولاء فيقال القرشي ولاء او الثقفي ولاء ويراد بذلك هذا الولاء وليس معنى العبودية والرق .

---

(١) جواد علي ج ١ الصحف المذكورة وجرجي زيدان العرب قبل الاسلام ص ٢٢٤ وبعدها وجواد علي ج ٤ ص ٣٤٥ وبعدها

(٢) طبقات ابن سعد ج١ص ١١٠

(٣) الايات ٩ــ ٢٠

والغالب في التحاق قبيلة بأخرى او بطن من قبيلة ببطن من قبيلة أخرى على طريق الولاء ان يكون الملتحق أضعف من الملتحق به وان يبغي عنده المنعة والقوة والعزة .وربما كان الحافز خلافاً او نزاعاً أو تهضما لحق أيضاً .

ومعلوم ان العرب بعد الاسلام قد أطلقوا تعبير (الموالي) على غير العرب من المسلمين. ومن الواضح ان هذا الاطلاق قد استمد من مفهوم هذا التعبير التقليدي عند العرب قبل البعثة ، حيث اعتبر العرب المسلمون أولئك الذين اعتنقوا الاسلام من غيرهم انما التحقوا بهم او انتسبوا اليهم التحاق ولاء فأطلقوا عليهم التعبير جرياً على عادتهم التقليدية فيه . وإذا كان العرب قد نظروا إلى الموالي نظرة الرفيع القوي لمن هو دونه أو نظرة المتبوع للتابع فان هذا يرجع إلى ما في مفهوم حلف الولاء او رابطة الولاء من هذا المعنى على ما ذكرناه آنفاً .

وقد يكون الولاء فردياً حيث كان كثيراً ما يلتحق فرد من قبيلة بشخص من قبيلة اخرى ويتولاه اي يتفق معه على الانتساب اليه والتناصر معه فيصبح كأنه من ذوي رحمه وقبيلته ولاء ويكون عليه تبعات عصبية الملتحق به وله حق هذه العصبية على هذا . وكان يسمى الملتحق باسم مولى فلان الذي التحق به . وكان هذا النوع يقوم على أساس تعاطي العهد والميثاق فكان كل من الشخصين يقول للآخر على ملأ الناس « دمي دمك وهدمي هدمك . وثأري ثأرك . وحربي حربك . . وسلمي سلمك . ترثني وارثك . وتطلب بي وأطلب بك . وتعقل عني واعقل عنك [1] » . وقد وصف هيرودوت وهو من القرن الخامس قبل الميلاد طريقة التحالف والمؤاخاة عند العرب ووفاءهم بالعهود فقال ان العرب يحافظون على العهود والمواثيق محافظة شديدة لا يشاركهم في ذلك أحد من الامم ولها عندهم قداسة خاصة حتى تكاد تكون من الأمور الدينية المقدسة . واذا ما أراد أحدهم عقد حلف مع آخر أوقفا شخصاً ثالثاً بينهما لاجراء المراسم المطلوبة ليصبح العقد محكما مبرماً فيأخذ هذا الشخص حجراً له حافة يخدش به راحتي الشخصين قرب الاصبع الوسطى ثم يأخذ قطعة من ملابسها فيغمسها بدم الراحتين ويلوث به سبعة احجار ويكون مكان هذا الشخص بين الشخصين فيتلو الادعية للالهة اللات وهو يفعل ذلك ثم يقود الحليف حليفه

---

(١) ذكر ذلك الخازن المفسر في سياق تفسير الاية ٣٣ من سورة النساء . ومن المحتمل كثيراً ان يكون عقد الولاء الجماعي اي بين قبيلة واخرى او بين عشيرة وعشيرة او عشيرة وقبيلة يجري وفق مراسيم مماثلة لاعلانه للناس.

بعد الانتهاء من هذه المراسم الى اهله وعشيرته لاخبارهم بذلك واعلان الآمر على الملأ فيصبح الحليف اخاً للآخر ومولاه [1] . وهذا مؤيد لرواية المفسر الخازن او مماثل له كما هو واضح ودليل على قدم هذه التقاليد .

٥ - وكان هناك عصبية الجوار حيث كان من عادة العرب ان يطلب شخص من آخر ان يجيره اي يجعله في حمايته ويمنع عنه البغي والظلم والعدو المطارد فاذا قبل المستجار به ان يجير المستجير اعلن ذلك على ملأ الناس ليكونوا على بينة من الأمر واصبح المستجير في ذمته و « جواره » كأنه من ذوي رحمه او عشيرته او قبيلته . ويتمتع بحمايته بما يحمي به اسرته او قبيلته ويصبح على كل من يتضامن مع المجير عصبية من عشيرته وقبيلته واجب حماية المستجير الذي اصبح جاراً لهم بعد ان يكون رئيسهم قد أجاره . ويتحاشى الناس حينئذ المستجير لما يكون له من حماية وعصبية من قبل المجير وجماعته . وكثيراً ما كان يجر الجوار الى حروب ويراق في سبيله الدماء ، وفي نبذة ايام العرب التي أوردناها قبل بعض الامثلة على ذلك . والغالب في الجوار ان يطلبه ضعيف في عصبيته . وقد يطلبه شخص بعيد عن عصبيته اذا خشي العدوان في أرض هو غريب عنها . واحياناً يعين المستجير الشخص او القبيلة التي يطلب حماية منها فيقول انا عائذ بك او مستجير بك من فلان او من القبيلة الفلانية أو يسأله ان يجيره على فلان او القبيلة الفلانية .

ولم يكن كل شخص يقبل ان يجير اي شخص او على اي شخص او قبيلة . فالناس كانوا يعرفون اقدارهم وقواهم ولا يتورطون فيما لا قبل لهم به لانهم كانوا يرون في ذمة الجوار وعصبيته امراً خطيراً فيه كرامتهم بل وحياتهم ومماتهم .

ويظل الجوار مرعياً الى ان يرده المستجير الى صاحبه الذي اجاره ويبرىء ذمته وجواره على ملأ الناس حتى اذا اعتدى عليه بعد ذلك احد لا يتحمل المجير تبعة هذا الاعتداء . واذا كان المستجير غريباً فيظل جواره مرعياً الى ان يبلغ مأمنه او اهله وارضه . وفي الكتب العربية امثلة كثيرة على الجوار وحوادثه [2] .

ولقد ذكر في سيرة ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه اراد ان يهاجر من مكة مع

---

(١) جواد علي ج ١ ص ٣٦٠-٣٦١

(٢) انظر باوغ الارب ج ١ ص ١٢٢-١٤٦ مثلا

المهاجرين الى الحبشة فخرج منها فلقيه زعيم اسمه ابن الدغنة فسأله عن وجهته فقال له اني خرجت مهاجراً فقال له مثلك لا يخرج فأنا جار لك فرجع ورجع معه ابن الدغنة فطاف في اطراف قريش يعلنهم انه اجار ابا بكر . وبعد قليل جاء أشراف قريش الى ابن الدغنة فقالوا انه انشأ مسجداً بفناء داره وانه يقرأ القرآن جهرا وانهم يخشون على أبنائهم ونسائهم الفتنة فاذهب فانه وان ابى فسله ان يرد اليك ذمته فأتى الرجل ابا بكر فقال له لقد علمت الذي عقدت لك عليه فاما ان تقتصر واما ان ترجع الى ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت في رجل عقدت له فقال له ابو بكر اني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله [1] .

وفي القرآن بضع آيات ذكر فيها الجوار بالمعنى الذي عنيناه وذكر فيها بعض الاصطلاحات التقليدية التي كانوا يستعملونه في صدده مما يساعد على تثبيت شيء من الصورة المرسومة . فقد اعلن النبي عليه السلام بأمر الله البراءة من المشركين الناكثين بعد فتح مكة اذا لم يتوبوا فصاروا يسألون كيف السبيل الى الوصول اليه والتفاهم معه فنزلت هذه الآية « وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » سورة التوبة (٦) وحينما أزمعت قريش الخروج الى بدر خافوا ان يغدر بهم بنو كنانة من خلفهم لما كان بينهم من دماء فقال لهم سراقة بن مالك من زعماء كنانة انا جار لكم من كنانة فلن تروا منهم ما تكرهون . فحكت ذلك هذه الآية « واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ... » الانفال (٤٨)

وتعبير « اني جار لكم » من تعابير الجوار التقليدية حيث يتقدم من يريد ان يحمي طالب جواره فيعلن انه جار فلان او يتقدم من يريد ان يعلن حمايته لبعض الناس ويتحدى خصومه فيقول لهم اني جار لكم .

وهناك آية في صدد وصف قوة الله بأنه يجير ولا يجار عليه وهي هذه « قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون » سورة المؤمنون (٨٨)

وهذا التعبير من تعابير الجوار اذا اريد مدح سيد من سادات العرب والتنويه بقوته وعزته حيث يعني ان هذا السيد يقدر على اجارة من يشاء ولكن احدا لا يقدر على تحديه

---

(١) سيرة ابي بكر لعلي الطنطاوي ص ٧٤-٧٥

باجارة عدو له عليه .

٦ـ وهناك عصبية التقاليد . وهذا النوع ليس مما كان معروفاً بهذا الوصف وانما كان معروفاً بمفهومه . والمقصد منه هو التعصب للعادات والتقاليد المتوارثة وشدة التمسك بها وكان هذا راسخاً في المجتمع العربي قبل البعثة معدودا من الفضائل :

وفي القرآن آيات عديدة تشير إلى مفهوم هذه العصبية في معرض التنديد والتقريع للمشركين والمناوئين للدعوة النبوية والكائدين لها [1] . وكانت من أشد العوامل في الموقف الشديد المؤذي الذي وقفه العرب بزعامة زعمائهم وبخاصة القرشيون من الدعوة الاسلامية وصاحبها . ولقد كان معظم بني هاشم عشيرة النبي الاقربين وفي رأسها زعيمهم ابو طالب يقفون موقف الحامي للنبي عليه السلام ولا يستجيبون الى ندائه والحاحه في الدخول في دينه . فيقفون موقفهم الأول بدافع عصبية العشيرة وموقفهم الثاني بدافع عصبية التقاليد !

والمتبادر ان حكمة الابقاء على كثير من التقاليد التي كان عليها العرب قبل الاسلام سواء منها ما كان متصلا بحياتهم الاجتماعية والشخصية أم كان له صبغة دينية وطقسية مثل تعدد الزوجات واشراك عصبة الميت في تركته اذا كان اولاده بنات فقط والابقاء على الحالة الحاضرة في الرق وملك اليمين وعلى رمي الجمرات والطواف بين الصفا والمروة وتحريم الصيد والوقوف في عرفات والطواف حول الكعبة وتقبيل الحجر الاسود هي تطمين العرب على هذه التقاليد تيسيرا لدخولهم في الاسلام بعد تنقيتها من شوائب الشرك والوثنية .

٣ ـ الرق

والرق من الشؤون المتصلة بالحياة الاجتماعية من حيث كونه يمثل طبقة من طبقات المجتمع . ولقد كان نظام الرق موجودا بمقياس غير ضيق عند العرب قبل الاسلام كما كان ذلك شأنه عند الامم الاخرى .

ولقد ورد في القرآن آيات كثيرة متنوعة الاساليب والاهداف حول الرق والرقيق . وفي كتب التفسير وغيرها من الكتب العربية بيانات وروايات متنوعة موضحة وداعمة

---

(١) اقرأ مثلا آيات البقرة ١٧٠ والمائدة ١٠٤ والانعام ١٤٧ والاعراف ٢٨ والنحل ٣٥ ولقمان ٢١ وسبأ ٤٣ والزخرف ٢٢

وفيها زيادة عما احتوته الآيات التي اقتصرت على ما اقتضته حكمة التنزيل .

والمستفاد من الآيات وتفسيرها والروايات العربية الاخرى [1] :

١ـ ان الرق كان فاشياً في الأوساط العربية قبل الاسلام

٢ـ ان الارقاء كانوا من الجنسين

٣ـ ان الرجال والنساء على السواء كانوا يملكون ارقاء

٤ـ ان من العرب من كان يملك عددا كبيرا

٥ ـ انه كان يطلق على الرقيق تعبيرات « العبد » للذكر و « الأمة » للانثى والعبيد والاماء لجمعها كما كان يطلق عليه تعبيرات « المملوك » والغلام والولد والفتى والمولى للذكر والفتاة والمولاة للانثى . وتعبيرات الولد والفتى كانت للاحداث والذين يقومون بخدمة مالكيهم . وتعبيرات الفتى والمولى والفتاة والمولاة كانت من قبيل التلطف والتحبب .

٦ـ ان تعبير العبد والعبيد للذكر والامة والاماء للأنثى هو الذي كان فاشياً وكان يستعمل نقيض تعبير الحر والحرة .

٧ـ انه كان يملك العبد او الامة اكثر من مالك واحد شراكة [2] .

٨ـ ليس من شأن العبد او الامة ان يكون له ملك او ثروة خاصة .

٩ـ ان الارقـــاء كانوا عرضة للاساءة والقسوة من مالكيهم [3] . وكان مالكوهم يسخرونهم في اعمـــالهم وخدماتهم المتنوعـــة والبيتية والكسبية . وكانوا يؤجرونهم للغير أيضاً .

١٠ـ كان من الممكن ان يشتري الرقيق نفسه من مالكه إذا وافق عـــلى ذلك . وكان من طرائق ذلك (المكاتبة) وهي تعهد العبد بايراد مبلغ معين الى سيده خـــلال مدة معينة ثمناً لرقبته على ان يسمح له بالتكسب للحصول على المبلغ [4] .

---

(١) انظر كتابنا عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ص ٢٣٠-٢٣٦ حيث تجد فيها نصوص الايات وتفسيرها والروايات الاخرى ومصادرها

(٢) انظر آية سورة الزمر ٢٩

(٣) والدليل على ذلك امر القرآن بالاحسان اليهم في آية سورة النساء ٣٦

(٤) يستلهم هذا من آية سورة النور ٣٣

١١ـ كان مالكو الاماء لا يتساهلون في ترويج امائهن وكان ذلك مما يدفع الاماء الى الارتكاس في البغاء[١] .

١٢ـ ان مالك الاماء كان ينكح من امائه ما يريد بدون عقدباعتبارهن ملك يمينه ، ولا يسمى هذا زواجاً .

١٣ـ كان مالك الرقيق يبيع من رقيقه ما يشاء ويهب ما يشاء ويوصي منه بعد موته ما يشاء باعتباره ثروة ومالا . وكانوا يقسمون على هذا الاعتبار بين الورثة بعد موت سيدهم ويصبحون ملك الوارث الذي يقعون في نصيبه .

١٤ـ كان اولاد الاماء من مالكهن احرارا ، غير انهم كانوا ينبزون بنبز«الهجين» لمكان امهاتهم من العبودية .

١٥ـ اذا ولد لأمة من سيدها ولد سميت أم ولد ولا يصح عليها بيع ولا هبة وحينما يموت سيدها تصبح حرة .

١٦ـ لم يكن العبد ولا الامة يستطيعان التزوج إلا باذن سيدهما . وكان من الجائز تزوج الحر بالأمة وتزوج العبد بالأمة . وكان ابناء الاماء من ازواجهن العبيد والاحرار ملكاً لسيدهن .

١٧ـ لم يكن الزواج من الاماء شيئاً مرغوباً فيه لأنهن كن عرضة للارتكاس للبغاء اكثر من الحرائر . وانما يتزوجهن العبيد على الاغلب . واذا تزوجهن حر فيكون بسبب الفقر وعدم استطاعته التزوج من حرة[٢]

١٨ـ لم يكن من السائغ ان يقتص من حر بعبد . فاذا قتل حر عبدا لا يقتل به بل يدفع ثمنه . ويقتل العبد بالحر طبعاً .

وواضح مما تقدم انه كان للرقيق شأن عظيم عند العرب قبل الاسلام . وكان يشغل حيزا واسعاً في مختلف بيئاتهم . وكان عليه معول اقتصادي ومعاشي كبير . فمن المعقول والحالة هذه ان يكون الناس وبخاصة الزعماء والرؤساء والاغنياء قد استكثروا منه واعتبروه

---

(١) وهذا يستلهم ايضاً من نفس الاية . وبعض المفسرين يستلهمون من هذه الاية ان مالكي الاماء كانوا يطلبون من امائهم ان يتكسبوا بالبغاء .

(٢) انظر آية سورة النساء ٢٥

جزءاً مهماً من وسائل حياتهم الاقتصادية والمعاشية .

ومصدر الرقيق الاول السبي في الحروب . فالقبيلة التي كانت تغلب القبيلة العدوة كثيرا ما كانت تعمد الى سبي نسائها واطفالها بل ورجالها ومن ثم تسترقهم . وكراهة الاناث في العرب آتية من خوف عار السبي او ان هذا الخوف من اسبابها .

ومن الروايات المتواترة يفهم ان كثيرا من الرقيق الذي كان عند العرب اسود البشرة . وفي لسان العرب بيت في مادة عبديكاد يفيد ان السواد هو العلامة المميزة للعبيد وهو :

انسب العبد الى آبائه اسود الجلد من قوم عُبُد

ويدل هذا على ان الرقيق كان يجلب من بلاد السودان او ان جيلا بشرياً اسود كان هاجر او جلب في الازمنة السابقة فنما وتكاثر وظل طابع العبودية ثابتاً عليه .

غير ان هناك روايات [1] عديدة وتفيد انه كان عند العرب ارقاء من العرب نتيجة للحروب والغارات والسبي .

وهناك ايضاً روايات [2] تفيد انه كان عندهم ارقاء احباش وروم ونبط وعراقيون مما يدل على ان تجار العرب كانوا يشترون من اسواق البلاد التي يصلون اليها في رحلاتهم افرادا من الرقيق لينتفعوا بهم شتى الانتفاعات . والمرجح ان من هؤلاء من كان صاحب مهنة او حذق في الخدمة ومن كان يكتب ويقرأ ايضاً وان هذه الصفات مما كانت تغري التجار بهم .

وفي القرآن آيات عديدة تحث على فك الرقاب وتحرير العبيد والتقرب الى الله بذلك واتخاذ ذلك كفارة عن بعض الذنوب [3] وهي وان كانت تتضمن تشريعاً للمسلمين فانه يستأنس منها ومن الروايات معاً ان عتق الرقيق كان مألوفاً قبل البعثة ومعدودا من المكرمات التي يتسابق فيها اولو الاريحية والمروءة [4] . وقد باشر النبي عليه السلام هذه

---

(١) انظر لسان العرب مادة يسر حيث يورد بيتاً لشاعر يذكر انه وقع عليه سبأ وزيد بن حارثة متبنى النبي عليه السلام هو عربي صريح كان مملوكاً للسيدة خديجة رضي الله عنها

(٢) انظر جواد علي ج ٦ ص ١٩٩ وبعدها

(٣) انظر آيات سورة البقرة ١٧٧ والنساء ٩٢ والمائدة ٨٩ والتوبة ٦٠ والمجادلة ٣ والبلد ١١-١٣

(٤) انظر اسد الغابة ج ٢ ص ١٦٨ مثلا

المكرمة بنفسه قبل البعثة اذ استوهب من زوجته خديجة رضي الله عنها غلاماً لها اسمه زيد بن حارثة ثم اعتقه وتبناه [1] . وقد اشترى ابو بكر رضي الله عنه بعض ارقاء المسلمين من مالكيهم الذين كانوا يعذبونهم واعتقهم وكان ذلك في اوائل الدعوة الاسلامية [2] .

ولقد كان العتيق يحتفظ بولائه لمعتقه فاذا مات بدون وارث ورثه معتقه واذا كان له وارث كان لمعتقه نصيب ما في تركته . وقد عرف ذلك في التشريع الاسلامي باسم ولاء العتاقة أو مولى العتاقة [3] امتدادا لما كان من ذلك قبل الاسلام على الارجح .

٤ ــ الخمر ومجالس الشراب

وشرب الخمر ومجالسه من اللهو المتصل بالحياة الاجتماعية كما هو المتبادر . وفي القرآن آيات عديدة في ذلك . منها ما اشير فيه الى ما اعده الله للمؤمنين في الجنة من خمر وشراب وصفاتها وآنيتها ومجالسها وما بينها من شراب الدنيا وخمرها من فروق . ومنها ما اشير فيه الى ما كان في الخمر من منافع مع التنبه الى ان اثمه أكبر من نفعه [4] .

والآيات تلهم :

١ ــ ان صنع الخمر وتعاطيها كانا يشغلان حيزا غير قليل من اهتمام العرب قبل الاسلام وان تعاطيها كان واسع الشيوع وشديد الرسوخ . وتكرر وصف الخمر على انه من لذائذ الجنة الاخروية يدل على انه كان من مطالب النفوس الرئيسية التي لا منصرف عنها في اهل بيئة النبي عليه السلام الذين يسمعون القرآن لأول مرة . والتدرج في تأثيم الخمر ثم النهي عنه في الصلاة في حالة السكر ثم النهي عنه اطلاقاً يدل على شدة رسوخ تعاطيه . ويلفت النظر الى ان آيات سورة المائدة ٩٠ــ٩١ [5] هي من اواخر ما نزل من

---

(١) انظر نفس المصدر ص ٢٢٤ــ٢٢٥

(٢) انظر ابن هشام ج ١ ص ٢٨٨ــ٢٩٠

(٣) انظر تفسير الخازن والمنار وابن كثير وغيرهم في تفسير آية النساء ٣٣

(٤) انظر آيات سورة البقرة ٢١٣ والنساء ٤٣ والمائدة ٩٠ــ٩١ والنحل ٦٧ والصافات ٤٤ــ٤٧ والطور ٢٢ــ٢٣ ومحمد ٦٧ والواقعة ١٦ــ٢٣ والانسان ١٧ــ٢١ والمطففون ٢٢ــ٢٨

(٥) « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . وانما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون »

القرآن وفيها سؤال استنكاري موجه المؤمنين عما إذا لم يؤن الأوان للانتهاء من تعاطي الخمر حيث يعني هذا ان تعاطيها بين المسلمين ظل مستمراً راسخاً الى زمن متأخر من العهد المدني وحيث يدل على شدة تعلق الناس بها . وتقرير القرآن [١] بأن الخمر ذا منافع مع كون اثمه أكبر من نفعه يدل في حد ذاته على ما كان عليه واقع الأمر من أنه كان يشغل حيزاً كبيراً في حياة أهـــل بيئة النبي عليه السلام الاقتصادية قبل الاسلام ممتداً إلى العهـــد الاسلامي .

٢ ـ ان أوصاف مجالس الشراب في الجنة وأوصاف الخمر ومزجها بمواد أخرى قد تدل على ان ذلك ليس غريباً عن أهل بيئة النبي عليه السلام ، وان منهم من كان يستمتع بشيء من ذلك وان المترفين منهم كانوا يتأنقون فيها فيعقدون لهـــا المجالس وينصبون الارائك والاسرة في الحدائق ويمدون موائد الطعام الحافلة بأنواع اللحوم والفواكه ويلبسون الثياب الحريرية ويطيبون خمرهم بما يصلح من طعمها ورائحتها كالزنجبيل والكافوروالمسك ويقف على خدمتهم الولدان ويدورون عليهم بأواني فضية وأقداح بلورية [٢] .

---

(١) يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون » البقرة ٢١٩

(٢) كل الاوصاف هي اوصاف دنيوية مستمدة من مألوفات السامعين لان بذلك يتحقق الهدف القرآني في الترهيب والترغيب وهذا وصف مجلس الشراب في سورة الواقعة :

« على سرر موضونة متكئين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب واباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون . . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون » (١٦-٢١)

وهذا وصف آخر في سورة الانسان : « ان الابرار يشربون مـــن كأس كان مزاجها كافورا » و « متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا . ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب كانت قواريرا . قوارير من فضة قدروها تقديرا . ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا . عينافيها تسمى سلسبيلا . ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً . واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكاً كبيراً . عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور مـــن فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا » (٥-٢١)

وهذا وصف آخر في سورة المطففون « ان الابرار لفي نعيم . عـــلى الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون . ومزاجه من تسنيم . عينا يشرب بها المقربون (الايات ٢٢-٢٨)

وذكر الزنجبيل والكافور والمسك بخاصة من مؤيدات ما نقرره لأنـه لو لم يكن مزج الخمر بهذه العقاقير بسبيل تطييبها معروفاً ومألوفاً لما بانت الحكمة في ذكرها ولاسيما من المعروف اليقيني انها مما كان معروفاً ومألوفاً بصورة عامـة وبسبيل تطييب الخمر بصورة خاصة .

٣ـ ان الخمر تعبير عام يراد به الشراب المسكر ولا يعني نوعاً بعينه . ومن الممكن والحالة هذه ان يكون اهل بيئة النبي عليه السلام قد عرفوا ومارسوا وصنعوا أنواعـاً عديدة من جملتها نوع ذو لون أبيض على ما تلهمه آيات في سورة الصافات جـاء فيها : « يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين . لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » (٤٥ـ٤٧) ، وان الخمر كان يصنع مـن البلح والعنب اللذين كان للعرب منهما بساتين وحدائق كثيرة . وان الناس كانوا يجنون من الخمر منافع خاصة متصلة بالحركة الاقتصادية بالاضافة الى اللذة الشخصية .

والمتبادر ان صنع المسكر وتعاطيه كان عـلى الاغلب في المدن . فحدائق النخيل والعنب كانت في الطائف وفي القرى المجاورة لمكة وفي يثرب . فكان اصحابها هم الذين يتولون صنعها أو يبيعون تمرها لمن يتولى ذلك .

وقد كانوا يضعون الخمر في زقاق من جلد . وكان في المدن حانات لبيعها للناس يقوم عليها طائفة عرفت بالخمارين على ما ذكرته الروايات .

وإذا كنا صببنا القول على بيئة النبي عليه السلام وسكانها فإن ذلك لأن القرآن منصب عليها باعتبار انها اول ما تلي القرآن فيها ووجه اليها . وليس هناك ما يمنع بطبيعة الحال ان يكون ما أوردناه من صورة عن الخمر وصنعها وتعاطيها ومجالسها واقعاً مألوفاً عند العرب قبل الاسلام في غير بيئة النبي عليه السلام من الاقسام الاخرى من شمال الجزيرة . بل نحن نرجح ذلك . فالاقسام الشرقية من شمال الجزيرة وسواحلها متصلة بالعراق الذي كان تحت تأثير حضارة الفرس ومألوف حياتهم . ومن المأثورات المتواترة التي تكاد تكون يقينية ان العرب في العراق وجزيرة الفرات وملوكهم كانوا يتعاطون الشراب ويعقدون له المجالس الانيقة . فالمتبادر ان يتاثر بذلك اهل هذه الاقسام .

٥ ــ الميسر

والميسر من اللهو المتصل بالحياة الاجتماعية كما هو المتبادر . وقــد قال علماء اللغة والمفسرون ان الكلمة مشتقة من اليُسر بمعنى السهولة لأن متعاطي الميسر يبتغي الربح بيسر وبدون تعب كما قالوا انها مشتقة من اليَسر بمعنى التجزئة . لأنهم كانوا ينحرون جزوراً ويجزئونها في معرض المراهنة والميسر .

وفي القرآن بضع آيات ذكر فيها الميسر . منها آية سورة البقرة (٢١٣) التي حكى فيها سؤال بعضهم عن الخمر والميسر مع جواب بأن فيهما اثماً كبيراً ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما وآيتان في سورة المــائدة (٩١ــ٩٢) احتوتا وصفاً للخــمر والميسر والانصاب والأزلام بأنها رجس من عمل الشيطان وأمرتا باجتنابها ونبهتا الى ان الشيطان يوقع بالخمر والميسر بين المسلمين العداوة والبغضاء ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة .

وليس في القرآن نوع صريح معين الميسر . وإنما ورد في سورة المائدة آية وهي الآية (٣) فيها كلمة الأزلام في سياق محرمات الذبائح فسرها المفسرون تفسيراً يجعلهــا متصلة بنوع من أنواع الميسر [١] ، حيث قالوا ان الازلام هي عيدان من شجر النبع كانت تسوى كالسهام وتقذف على سبيل المراهنة . وعددها عشرة . وقد اختلفوا في تفصيل العملية . فمما رووه [٢] ان فتيان العرب وذوي اليسار منهم كانوا يشترون جزوراً ويذبحونه ويجزئونــه الى عشرة أجزاء أو أكثر ثم يتراهنون فيما بينهم على ثمنه بقذف هذه السهام فيغرم مــن اخطأ سهمه ويربح من أصاب . وثمن الجزور يدفعه الغارمون . واللحم يوزع على الفقراء وذوي الحاجة . وكانوا يسمون الذي يذبح الجزور ويجزؤه ياسراً . وكانوا يسمون السهام بأسماء ويجعلونها مراتب في الربح والخسارة . فأولها الفذ ثم التوأم ثم الرقيب ثم الحلس ثم النافس ثم المسبل ثم المعلى ثم المنيح ثم السنيح ثم الوغد . وليس للثلاثة الاخيرة أنصبة ومن اختار الفذ واصاب فله حصة واحدة وان اخطأ فعليه حصة واحدة ومن اختار التوأم وأصاب فله حصتان وان اخطأ فعليه حصتان وهكذا تزداد حصص الربح والخسارة الى

---

(١) انظر تفسير آية المائدة المذكورة في تفسير المنار

(٢) انظر المصدر نفسه وانظر تفسير آية البقرة ٢١٣ في تفسير الخازن وبلوغ الارب ج ٣ ص ٥٣ ــ ٦٩

المعـلى وصاحبه يربح سبع حصص أو يغرم سبعاً . ومما يروى انه كان شخص يوكل اليه اجالة الاقداح أي الازلام في خريطة وقذفها باسم المتراهن يسمونه الحرضة وقد فسر في القاموس بأنه أمين المقامرين . وكانوا أكثر ما يجتمعون على هذه العملية في الليل ويوقدون النار . وكانوا يتحمسون أحيانا فينحرون جزوراً ثانياً في جلسة واحدة ويعاود الرابحون والخاسرون المراهنة فيربح ثانية من يربح ويخسر من يخسر .

وقد ذكر المفسرون [1] في سياق تفسير الآيات التي ذكر فيها الميسر عـلاوة على ما تقدم ان المقصود منه كل مراهنة وان كان من جملة ما يلعبون به على سبيل المراهـنة النرد والشطرنج اللذين اقتبسوهما من الفرس .

الرهان على سبق الخيل

وقد يصح ان يلحق بهذا البحث الرهان على سبق الخيل . وفي سورة يوسف آية تحكي قول اخوة يوسف (إنا ذهبنا نستبق) بمعنى التسابق على الخيل على ما هو المتبادر . ولا ريب ان الكلمة كانت مفهومة المعنى والمدى ومألوفة عند السامعين . وفي الكتب العربية بيانات [2] في صدد ذلك حيث يستفاد منها ان الرهان على سبق الخيل مما كان ممارساً عند العرب قبل الاسلام في دور عروبتهم الصريحة ممتداً على الارجح الى ما قبل ذلك من حيث انه من طبيعة حياة العربي وبخاصة البدو . وكانوا يسمون المكان الذي يجرى التسابق فـيه الحلبة وقد يطلق هذا الاسم على المكان الذي يجتمع الناس فيه للرهان ومراقبة السبق أيضاً . ومن عاداتهم في ذلك انهم اذا ترامن فارسان على السبق ادخلا معا فارساً ثالثاً يسمونه المحلل او الدخيل دون أن يدفع رهاناً فان سبقهما اخذ رهاني الفارسين والا فـلا غرم عليه ويكون الرهان للسابق من الفارسين . وكانوا يسمون المسبوق (الفسكل) . وكان أحياناً يشترك في السبق والرهان عشرة افراس ويكون للافراس السبعة السابقة حظ من الرهان حسب درجة سبقها اما الثلاث الاخيرة فليس لها حظ ويكون ما دفع عنها من رهان من حظ السبع السابقة . وكانوا يسمون السابق الاول المجلي والثاني المصلي والثالث المسلي والرابع التالي والخامس المرتاح والسادس العاطف والسابع المؤمل والثامن

---

(١) انظر تفسير الخازن لآية البقرة ٢١٣

(٢) انظر بلوغ الارب ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٣ والعقد الفريد ج ٣ ص ٣٦٩

اللطيم والتاسع الوغد والعاشر السكيت . وقد استمرت هذه العادة الى مـــا بعد الاسلام حيث روي [1] عن محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان شعر فيه الاسماء العشرة بتعديل خفيف هو اسم الحظي ثامناً واللطيم تاسعاً والسكيت عاشرا دون الوغد .

عنايتهم بالخيل وتمرسهم بالفروسية

ونستطرد الى القول ان العرب قبل الاسلام كانوا على ما تفيده الروايات يهتمون كثيرا لتربية الخيل وتضميرها [2] وتمرينها على السبق وحفظ أنسابها وأنسالها حتى كان الرجل منهم يبيت طاوياً ليشبع فرسه ويؤثرها على نفسه وأهله وولده . ولهم في أوصافها وما يحمد فيها وما يذم وفي مدحها وألوانها وشياتها مأثورات تدل في جملتها عـــلى شدة عنايتهم واهتمامهم بالخيل وعلى التمرس بالفروسية . وواضح ان ذلـــك متصل بحياتهم الاجتماعية وما كان من حروبهم وغاراتهم وغزواتهم دفاعاً وهجوماً . ومع انهم كانوا شديدي العناية بالسبق والرهان عليه فان ذلك في ذاته متصل بذاك أيضاً كما هو المتبادر .

ولقد شرف الله الخيل فأقسم بها في آيات سورة العاديات هذه « والعاديات ضبحاً . فالموريات قدحاً . فالمغيرات صبحاً . فأثرن به نقعاً . فوسطن به جمعاً [3] . وفي احدى آيات سورة (ص) صفة من صفات الخيل المحببة وهي (الصافنات الجياد) التي تعني الخيل الجيدة التي من صفاتها ان تقوم على ثلاث قوائم وترفع احدى يديها حتى تكون على طرف الحافر [4] .

وهناك احاديث تعزى الى النبي عليه السلام في الخيل [5] منها حديث جاء فيه (الخيل

---

(١) بلوغ الارب ج ٢ ص ١٠٣

(٢) التضمين هو الاحتفاظ بالفرس نحيلة نوعاً ما وتجنيبها السمنة

(٣) سورة العاديات ١-٥ والضبح هو النفس الذي يخرج من الخيل اثناء جريهـــا دون الصهيل . ويقصد بالموريات قدحا الاشارة الى الشرار الذي يتطاير من احتكاك ارجل الخيل بالصوان اثناء ركضها . والنقع هو الغبار . والايات في وصف الخيل حينما تجري لتغير على قوم ما .

(٤) سورة ص ٣١ انظر تفسير الاية في تفسير الطبري

(٥) في بلوغ الارب ج ٢ فصل طويل عن الخيل هذه الاحاديث وما ياتي بعدها مقتبسة منه (انظر ص ٧٦-١٢٣

معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة) وحديث جاء فيه (بطونها كنز وظهورها حرز واصحابها معانون عليها) واستشار رجل النبي عليه السلام في صفة فرس يحب ان يشتريها فقال له (اشتر ادهم او كميت اقرح ارثم محجلا مطلق اليمين . فانها ميامن الخيل) [1]

ومن مأثورات العرب في الخيل قول للشاعر الجعفي :

الخير ما طلعت شمس وما غربت　　　معلق بنواصي الخيـــل معقود

وقول لطفيل الغنوي :

وللخيل أيام فمن يصطبر بهــا　　　ويعرف لها ايامها الخير يعقب

وقول لبيد :

معاقلنــا التي نـأوي اليهــا　　　بنات الاعوجيـة [2] والسيوف

وقول عنترة :

ويمنعـنا من كل ثغر نخــافه　　　أقب كسرحان الاباءة ضامر

وكل سبوح في العنان كأنه　　　اذا اغتسلت بالماء فتخاء كاسر [3]

وقول ضبيعة العبسي :

جزى الله الاغر جزاء صــدق　　　اذا مــا أوقدت نار الحروب

يقيني باللبان ومنكبيه　　　وأحميه بمطرد الكعوب

وأدفيه اذا هبت شمال　　　بليل حرجف عند الغروب [4]

---

(١) الادهم الاسود والكميت الاحمر الغامق والاقرح هو الذي في وجهه شية دون الغرة والارثم هو الذي في طرف انفه بياض والحجل هو الذي في خلاخيلة بياض فاذا كان البياض في ثلاثة خلاخيل وبين الفرس بدون حجال فيقال له محجل الثلاث مطلق اليمين

(٢) الاعوجية من انساب الخيل المشهورة

(٣) الاقب دقيق الخصر ضامر البطن والسرحان هو اسم للذئب والاباءة اجمة القصب له او الحلفاء والفتخاء انثى العقاب والكاسر من صفات العقبان يقصد ان الفرس النحيل الضامر الشبيه بالذئب او الفتحاء الكاسرة في نجومها وطيرانها هي التي تحمي صاحبها مما يخافه

(٤) الاغر الفرس التي لها غرة واللبان الصدر ومطرد العكوب الرمح والحرجف الريح الشديـــدة البارحة .

ولمشيات الخيل اسماء عديدة عندهم . فأول المشي هو (العنق) فاذا صار نزواً سمي (التوقص) فاذا مشت الفرس بخطو متقارب كأنها مثقلة من حمل سميت مشيتها (الدألان) فإذا مشت مشية خفيفة سريعة سميت (الذألان) فإذا راوحت بين يديها سميت مشيتها (الخبب) فإذا رفعت يديها معاً ووضعتها معاً فهو (التقريب) فإذا عدت كالثعلب فمشيتها (الثعلبية) فإذا زادت فهي (الاحضار) فإذا زادت فهي (الجري) فإذا اضطرم الجري فهو (الاهذاب) فإذا اشتد فهو (الالهاب) .

واحب ألوان الخيل عندهم الكمتة والحمة والحوة . والكمتة حمرة غامقة والحمة إذا اشتدت الحمرة غموقاً والحوة الخضرة الضاربة الى السواد . ويقال لذي اللون الأول الكميت والثاني الاحم أو الادهم وللثالث الأحوى وإذا كان وجه الفرس ضارباً الى السواد وجحافله (شفاهه) أشد سوادا تسمى (دغماء) واذا كان غير ناصع الحمرة وابيضت حدقتاه سمي (المغرب) والفرس الشقراء هي الفرس الحمراء فاتحة اللون . والفرس الصفراء هي الشقراء الذي يكون ذنبه وعرفه أشقرين أيضاً . وبياض الجبهة (غرة) فإذا صغرت فهي (قرحة) واذا استطالت فهي (شمراخ) واذا انتشرت فهي (شادخة) و (الابلق) هو كل لون خالطه بياض واذا ابيضت اليد فهو (أعصم) واذا ابيضت الرجل فهو (أرجل) واذا ابيضت الخلاخيل فهو (محجل) .

وقد روى مؤلف بلوغ الارب [1] وصف خمس فتيات لأفراس آبائهن بأسجاع غريبة الالفاظ متقاربة المعاني والرواية مصنوعة على الارجح غير أنها تدل على ما كان يتداوله العرب من صفات الخيل الاصيلة المستحبة وهي أن يكون جلدها أملس ناعماً وبطنها واسعاً وتنفسها سهلا وبصرها حادا ومشيتها مريحة وخدها أسيلا ومنخراها رحبين وجبهتها واسعة وساقاها قصيرين وفخذاها طويلين ورسغها غليظاً ورأسها وعنقها مرتفعين وفقرات ظهرها متقاربة ومؤخرتها مدورة وشدقاها واسعين وعنقها دقيقا وشفاهها رقيقة ومفاصلها متينة ومحازمها غليظة وسنابكها مرتفعة وحوافرها صلبة وصهيلها رنانا .

وقد لاحظوا ما في الخيل من عيوب أيضاً حتى بلغت المئة [2] ووصفوا كل عيب بوصف من ذلك (الاخدي) المسترخي اصول الاذنين على الخدين و (الامعر) الذي ذهب شعر

---

(١) ج ٢ ص ٨٢ وبعدها

(٢) ج ٣ ص ٣٤٨ وبعدها

ناصيته و (الاسفي) الخفيف الناصية و (الاغم) الذي تغطي ناصيته عينيه و (الاسعف) الذي في ناصيته بياض و (الاحول) الذي ابيض مؤخر عينيه وغار السواد مـن مآقيه و (الازرق) الذي في احـدى عينيه بياض أو فيها و (الاقنى) الذي في انفه احديداب و (المغرب) الذي ابيضت اشفار عينيه وضربت الى الزرقة و (الادن) الذي يكون عنقه واطئاً عن أصله و (الاهنع) الذي يكون عنقه واطئا من وسطه و (الاقصر) الذي في عنقه قصر و (الاكتف) الذي في اعالي كتفيه انفراج و (الازور) الذي تدخـل احدى لحمتي زوره في صدره وتخرج الاخرى و (الاقعس) الواطيء الصلب مـن الصهوة و (الابزخ) الواطيء الصلب والقطاة و (الاهضم) المستقيم الضلوع الذي دخل اعاليه و (الافرق) الذي أشرفت احدى وركيه على الاخرى و (الارسح) وهو ما اسهل من جانب الورك و (الاعصل) الملتوي الذنب حتى يبرز بعض بطنه و (الاكشف) الذي التوى عسيب ذنبه على أعالي وركيه و (الاصبغ) المبيض الذنب و (الافحج) الذي تباعد كعباه و (الاصدف) الذي تداني ذراعاه وتباعد حافراه و (الأمدش) المصطك بواطن الرسغين و (الأحنف) الملتوي الحافرين و (المكبون) القصير القوائم و (العش) الظاهر العظام و (السغل) الصغير الجسم .

وقد اشتهرت خيول عديدة في الجاهلية ومنها ما صار أصولا لسلائل تنسب اليهـا ويهتم اصحابها لنقاء سلالتها [١] .منها الاعوج الاكبر لغني ابن اعصر وهو اكثر الخيل ذكرا وفخرا وقد صار نسله أكثر الخيل اصالة وشهرة . ومنها الاعوج الاصغر لبني هلال بن عامر والاغر لبلعاء بن قيس الكناني والحميراء لمعقل بن عروة والاحزم لنبيشة بن حبيب السلمي والبيضاء لقعنب بن عتاب اليربوعي وبرجة لسنان بن حارثة المري والبريت لاياس بن قبيصة الطائي والبرخاء لعوف بن الكاهن الاسلمي وجروة لقعين بن عامر النمري وحومل لحارثة ابن أوس الكلبي والحسامية لحميد بن حريث الكلبي وخصاف لسمير بن ربيعة الباهلي ودعلج لعبد عمرو بن شريح والعرادة لهبيرة بن عبدمناف اليربوعي وغراف للبراء بن قيس والسفار للحرث بن عباد وابن النعامة لعنترة بن شداد ومرهوب لجميح بن الطماح الاسدي وناصح لسويد بن شداد العبشمي ونحلة لسبيع بن الخطيم التميمي واليحموم للنعمان بن المنذر وسكاب لعبيدة ابن ربيعة التميمي الذي روي ان احد الملوك طلبها من صاحبها فأبى وقال فيها :

---

(١) بلوغ الارب ج ٢ ص ١٠٤ وبعدها

ابيت اللعن ان سكاب علق . نفيس لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا يجاع لها العيال ولا تجاع
سليلة سابقين تناجلاها اذا نسبا يضمها الكراع

ويحسن أن يضاف الى هذه السلسلة داحس لقيس بن زهير العبسي والغبراء لحمل بن بدر الفزاري وهما الفرسان اللذان تراهن صاحباهما على السبق بينهما وأدى الامر الى الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء والتي امتدت طويلا و كثرت أيامها على ما شرحناه في مبحث ايام العرب .

٦ — الغناء

والغناء من اللهو المتصل بالحياة الاجتماعية أيضا كما هو المتبادر .

وفي سورة الجمعة آيه ذكر فيها اللهو في معرض التنديد ببعض المسلمين الذين اذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوا النبي قائما . وقد فسر المفسرون اللهو بالطبل والمزمار ورووا ان قافلة تجارية قدمت فاستقبلت كالعادة بالطبل والمزمار فخرج كثير ممن في المسجد [١] . والطبل والمزمار من وسائل الغناء.

وفي الكتب العربية بيانات موضحة وداعمة .

فقد روت كتب السيرة [٢] ان قريشا لما سمعت بخروج النبي عليه السلام والمسلمين قاصدين التعرض لقافلة قريش التجارية الواردة من الشام بقيادة ابي سفيان جمعت جموعها وخرجت لانقاذها فلما وصلت الى ماء بدر علمت ان القافلة نجت من المسلمين فأرادت أن تعود أدراجها فأبى أبو الحكم بن المغيرة الذي سمي في الاسلام بأبي جهل ما لم تنحر الجزور وتشرب الخمور وتغني القيان أي المغنيات فكان اصراره سببا من أسباب الاشتباك بين المسلمين والمشركين ووقوع واقعة بدر الكبرى التي انتصر فيها المسلمون نصرا مبينا .

---

(١) آية سورة الجمعة ١١ انظر تفسيرها في تفسير الخازن وغيره

(٢) انظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٨

والرواية تفيد أنه كان هناك من يحترف حرفة الغنـــاء ويغني الناس في مجالس لهوهم وخمرهم وان من المحترفين نساء يدعين قيانا .

وقد مر في مبحث الأسرة رواية ان ولائم الفرس كانت تقترن بالغناء والضرب على الدفوف . والراجح ان المغنيات هن اللاتي يتولين ذلك .

وقد روي أن فتاة من المهاجرين تزوجت بأنصاري في حيـــاة النبي فسأل النبي عليه السلام عائشة رضي الله عنها أأهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قـــال هل بعثتم مـــن يغني لها قال أو ما علمت أن الانصار يعجبهم الغزل . ألا بعثتم من يقول :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم

والرواية من باب ما مر ذكره .

كذلك مما روي [٢] أن النبي عليه السلام مر بجارية تغني قائلة :

هل عـــلي ويحكم ان لهوت من حرج

فقال النبي عليه السلام لا حرج ان شاء الله .

ومما قاله مؤلف العقد الفريد [٣] عزوا الى ابي المنذر بن هشام بن الكلبي ان الغناء عند العرب كان على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج . فأما النصب فهو غنـــاء الركبان والقينات . واما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات . واما الهزج فالخفيف الذي يثير القلوب ويهيج الحليم . وان الغناء كان في أمهات القرى من بلاد العرب ظاهرا وفاشيا منها المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى واليمامة ودومة الجندل حيث كانت تقـــام اسواق العرب ، وان أول من غنى في العرب قينتان لعاد يقال لهما الجرادتان وكان من أدوات الغناء المزهر والبربط وهما نوعان من العود .

ومما ذكره مؤلف بلوغ الأرب [٤] عزوا الى اسحق الموصلي احـــد مشاهير المغنين في صدر الدولة العباسية زيادة عما ذكره العقد الفريد ان هنالك نوعا من الغناء يسمى الغنـــاء

---

(١)و(٢) العقد الفريد ج ٤ ص ١٠٧

(٣) ج ٤ ص ١٢٠

(٤) ج ١ ص ٣٦٩–٣٧٠

الجنابي اشتقه رجل من كلب اسمه جناب بن عبد الله بن هبل فنسب اليه وانه كان أصل الحداء كله وكله يخرج من الطويل في العروض وان الهزج هو الخفيف الذي يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار فيطرب ويستخف الحلوم . ومما رواه المؤلف نفسه ان اول ما كان من الغناء عند العرب الحداء وان أول من رجّع الحداء مضر بن نزار بن معد بن عدنان . فقد سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول وايداه وايداه وكان أحسن خلق الله صوتاً فأصغت اليه الابل وجدت في السير فجعلت العرب نغمه مثالا يحدون به إبلهم . وهناك رواية تذكر الاولية في الحداء لغلام رجل من مضر وليس لمضر بالذات [1] .

كذلك مما ذكره هذا المؤلف أنه كان هناك نوعاً آخر من الغناء يسمى التغبير لأنه كان يخرج من الفم بمنزلة الغبار [2] .

ومهما يكن من أمر فظاهر مما تقدم أن العرب قبل الاسلام عرفوا الغناء على أنواع ومارسوه ومنهم من احترفه وكان عندهم بعض أدواته كالعود والدف والطبل والمزمار الخ .

وفي الشعر العربي بحور غنائية النبرة مما كان ينسج على منوالها قبل الاسلام على الارجح ومن المحتمل جداً ان الشعر الذي كان ينسج على منوالها مما كان يغنى به .

منها المجزوء الممنوع من العقل الضرب السالم الذي تقطيعه :

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

وهذا شعر على منواله يؤيد ما نقول :

غزال زانه الحور وساعد طرفه القدر
يريك إذا بدا وجهاً حكاه الشمس والقمر
براه الله من نور فلا جنّ ولا بشر [3]

ومنها الضرب المجزوء الذي تقطيعه :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلان

وهذا شعر على منواله :

قل ما بدا لك وافعل واقطع حبالك أوصل

---

(١) و(٢) بلوغ الارب ج ١ ص ٣٦٩-٣٧٠

(٣) العقد الفريد ج ٤ ص ٧٢ والشعر ليس جاهليا على ما هو المتبادر غير ان العرب في الجاهلية قد نسجوا ولا ريب على منواله لان البحر من البحور التي كانوا ينسجون على منوالها .

هـــذا الربيع فحيه | وانزل بأكرم منزل
وصل الذي هو واصل | فاذا كرهت فبدل
واذا نبابـــك منزل | أو مسكن فتحول [1]

ومنها المجزوء الممنوع من القبض الذي تقطيعه :

مفاعيلن مفاعيلن | مفاعيلن مفاعيلن

وهذا شعر على منواله :

أيا مـــن لام في الحب | ولم يعــلم جوى قلبي
ملام الصب يغويـــه | ولا أغوى من القلب
فـــإن لمت في هنـــد | محبـــاً صادق الحب
وما يلقى لهـــا شبه | بشرق لا ولا غرب
الى هنـــد صبا قلبي | وهند مثلهـــا يصبي [2]

ومنها الضرب المجزوء الذي تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن | فاعلاتن فاعلاتن

وهذا شعر على منواله :

يا هلالا قد تجلى | في ثياب مـــن حرير
وأمـــيراً بهواه | قـــاهراً كل أمير
ما لخديك استعـــارا | حمرة الورد النـــضير

ومنها العروض المجزوء الضرب الذي تقطيعه :

فاعلاتن مستفعلن | فاعلاتن مستفعلن

وهذا شعر على منواله :

ما لليلى تبدلت | بعدنا ود غيرنا
أرهقتنا ملامـــة | بعـــد إيضاح عذرنا
فسلونا عـــن ذكرها | وتسلت عن ذكرنا
لم نقل إذ تحرمت | واستهلت بهجرنا

---

(١) المصدر نفسه ص ٧٥ وما قلناه عن الشعر السابق يقال عن هذا
(٢) « ٧٦ « « «

ليت شعري ماذا ترى　　　　ام عمرو بأمرنا [1]

ومنها الضرب المعصوب الذي تقطيعه :

مفاعلتن مفاعلتن　　　　مفاعلتن مفاعيلن

وهذا شعر على منواله :

وبدر غير ممحوق　　　　من العقيان مخلوق
إذا استقيت فضلته　　　　مزجت بريقه ريق
فيا لك عاشقاً يفي　　　　بقية كاس معشوق [2]

ومنها الضرب المجزوء الذي تقطيعه :

فاعلاتن فاعلاتن　　　　فاعلاتن فاعلاتن

وهذا شعر على منواله :

يا هلالا قد تجلى　　　　في ثياب من حرير
وأميراً بهواه　　　　قاهراً كل أمير
ما لخديك استعارا　　　　حمرة الورد النضير [3]

وفي الكتب العربية روايات عن الغناء في الحجاز في القرن الاول الهجري بل في عهد الخلفاء الراشدين تدل على أنه كان مألوفاً عديد الادوات والفنون وان بعض رجال قريش البارزين قد برعوا فيه واشتهروا وانه نشأ طائفة من المغنين والمغنيات كان لبعضهم شهرة كبيرة .

ولا نشك في أن ذلك كان امتداداً تطوريا لما كان عليه الغناء قبل الاسلام .

ومما روي ان أحد بني سهم القرشيين واسمه ابن جامع كان من الذين برعوا وغنوا للملوك وأخذوا منهم الجوائز السنية [4] . وان تاجراً من العراق اتى الى المدينة بخمر بيض وسود فنفقت البيض وكسدت السود فشكا أمره للشاعر الدارمي المخضرم فصنع أبياتا وأعطاها لصديق له من المغنين فغنى بها فشاع الغناء وسارعت الفتيات الى شراء الخمر السود تأثراً بذلك والأبيات هي :

قل للمليحة في الخمار الأسود　　　　ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه　　　　حتى خطرت له بباب المسجد
ردي عليه صلاته وصيامه　　　　لا تقتليه بحق دين محمد [5]

---

(١) (٢) (٣) نفس المصدر ص ٨٠و٧٣و٨٠
(٤) العقد الفريد ج ٤ ص ١٠٨ (٥) نفس المصدر ص ١١٢

وأن عروة بن اذينة من التابعين المحدثين كان يصوغ الألحان والغناء عـلى شعره في حداثته وينحلها للمغنين [1] ومما يعزى اليه من الاصوات .

قالت وأبثثتها وجدي وبحت بـه   قد كنت عندي تحت الستر فاستتر

ألست تبصر مـن حولي فقلت لها   غطى هواك وما ألقى على بصري

وان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وعبد الله بن محمد بن عبـد الرحمن بن ابي بكر الصديق المعروف بابن عتيق كانا ممن برعوا في الغناء واشتهروا به وقد زار الاول معاوية وألح عليه حتى أسمعه بعض غنائه المطرب [2] وان الثاني غنى لعمته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها [3] ، وانه اشتهر من المحترفين بمهنة الغناء طويس الذي أدرك عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه والدلال ومعبد وابن معاذ ونؤمة الضحى وأبن سريج وابن بديح [4] .

على اننا مع ذلك كله نتساءل عن حكمة عدم ذكر الغناء ومجالسه في القرآن في عداد المتع التي أعدهاالله للمسلمين في الآخرة كما ذكرت الخمر ومجالسها الانيقة بشيء من الاطناب على ما مر شرحه في بحث الخمر ونقول ان هذا قد يسوغ القول ان الغناء وفنونه لم تكن على درجة من الرقي تثير في الناس الرغبة الشديدة في الاستمتاع بها .

---

(١) المصدر السابق ص ١١٢ (٢) نفس المصدر ص ١١٤ (٣) نفس المصدر ١١٦ (٤) نفس المصدر ١٢٠-١٢٣

رابعاً الحالة الدينية

في شمال الجزيرة في هذا الدور

في القرآن فصول عديدة وفي الكتب العربية روايات كثيرة عن ما كانت الحالة الدينية في شمال الجزيرة في هذا الدور

الشرك

والمستفاد منها ان العرب قبل الاسلام كانوا في الاجمال مشركين على اختلاف مدى الشرك ومظاهره . أي انهم كانوا يعترفون بوجود إله أعلى خالق الكائنات ومدبرها على تفاوت في ذلك متسق مع تفاوتهم في الحضارة والثقافة مع اشراك شركاء متنوعي الماهية معه في الاتجاه والدعاء والعبادة والاستشفاع [1] .

الملائكة والجن

ولقد كانوا يعتقدون بوجود الملائكة كقوى غير مرئية خيرة بارة . وكان لهم في أذهانهم صور فخمة وكانوا يعتقدون انهم بنات الله وذوو حظوة لديه وشفاعتهم مقبولة عنده . وأنهم في السماء عند الله وحوله يساعدونه ويقومون بمختلف الاعمال والمهام . وكانوا يشركونهم في العبادة والدعاء كشفعاء عند الله ليقربوهم اليه زلفى ويضمنوا قضاء حاجاتهم ومطالبهم عنده ودفع الأذى والضرر عنهم على ما قررته آيات قرآنية عديدة . وكانوا

---

(١) اقرأ مثلا آيات سورة يونس ١٨ والمؤمنون ٨٤–٨٩ والزخرف ٩–٢٠و٨٧ والزمر ٣–٤ والعنكبوت ٦١–٦٦ والنحل ٥١–٥٥ والانعام ٢٢–٢٤ و ٤٠–٤١ ولقمان ٣٢ واقرأ كتابنا عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ص ٣١٩) وما بعدها

أنفسهم في هذه العقيدة أهدى من النصارى الذين اعتقدوا ان المسيح ابن الله مع انه ولد وعاش ومات إنساناً على ما حكته عنهم بعض هذه الآيات [1] .

وكذلك كانوا يعتقدون بوجود الجن كقوى خفية شريرة ومؤذية وقادرة على التشكل بأشكال متنوعة وعلى القيام بالاعمال الجسيمة وعلى الصعود الى السماء وسرقة الاخبار منها ويخافونهم ويدفعون عنهم أذاهم بالعبادة والدعاء على ما قررته آيات عديدة أيضاً [2] .

الاصنام

وكان لهم على ما تفيده الآيات القرآنية والروايات العربية والنقوش أصنام وأوثان وأنصاب منها المخلق ومنها غير المخلق ومنها الحجري ومنها المعدني والخشبي ومنها الشجر ومنها ما كانوا يتخذونه معبودات خاصة أو حماة للقبيلة أو لمجموعة من القبائل ومنها ما كان مشتركا أو عاماً لمجموعة كبيرة من القبائل أو لأهل الاقليم . ومنها ما كان مخصصاً لطلب من المطالب والمستفاد من الروايات وبعض الآيات أنهم كانوا يعتبرونها رموزاً مادية لآلهتهم السماوية والخفية وأن أرواح هذه الآلهة تحل فيها فتغدو أهلا للتعبد والاستشفاع وقادرة على النفع والضرر والحماية [3] .

ومن أصنامهم التي ذكرت في القرآن اللاة ومناة والعزى . وقد قيل في تفسيرها إن اللاة مؤنث الله والعزى مؤنث الاعز ومناة مفعلة من النوء وكانوا يستمطرون بها . ولقد تعددت الاقوال في هذه الاصنام . فما قيل ١ـ انها كانت مخلقة ومنصوبة في فناء الكعبة ٢ـ ان مناة هي أقدم الثلاثة وكانت نصباً منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلا في

---

(١) اقرأ آيات سورة الانبياء ٢٦ـ٢٩ والمؤمنون ٩١ـ٩٢ والفرقان ١٧ والزخرف ١٥ـ٢٠ والنحل ٥٦ـ٥٩ وسبأ ٤٠ـ٤١ والزمر ٣ـ٤ والنجم ١٤ـ١٩ واقرأ كتابنا المذكور آنفا ص ٣٥٤ وبعدها

(٢) اقرأ آيات الانعام ١٠٠و١٢٨ والصافات ١٥٨ وفصلت ٢٩ والجن ١ـ٦ وسبأ ٤١ـ٤٢ واقرأ كتابنا المذكور آنفا ايضا ص ٣٧١وبعدها

(٣) اقرأ آيات سورة الحج ٣١ـ٣٩ والمائدة ٩٠و٩٠ والمعارج ٤٣ـ٤٤ والاعراف ١٩٠ـ١٩٨ والنجم ١٥ـ١٩ واقرأ كتابنا المذكور آنفا ص ٣٣٩ وبعدها

قديد بين المدينة ومكة وكان الاوس والخزرج أكثر العرب تعظيما لها واختصاصاً بها ٣ـ ان اللاة كانت صخرة مربعة في الطائف وكان أهل الطائف أكثر العرب تعظيما لها واختصاصاً بها ٤ـ ان العزى هي أحدث الثلاثة وكانت شجرة بوادي نخلة على بعد تسعة أميال من مكة . وكانت قريش وكنانة أكثر العرب تعظيما لها واختصاصاً بها . ومما قيل ان هذا الصنم كان من الاصنام المعظمة عند جميع العرب [1] .

وذكر الاصنام في آيات مبكرة في النزول وفي وقت لم يكن النبي عليه السلام اتصل بعد بخوارج مكة وبأسلوب الخطاب الموجه الى قريبين أو الى أول سامعي القرآن وهم المكيون يمكن أن يفيد ان هذه الاصنام كانت في مكة ومن معبودات المكيين . ولقد روي [2] ان قريشاً كانت تطوف بالكعبة تهتف بأسمائها وتقول « واللاة والعزى ومناة الثالثة الاخرى . انهن الغرانيق العلى . وان شفاعتهن لترتجى » . وهذا لا يمنع ان تكون معبودات لغيرهم أيضاً . ولقد استفاضت الكتب العربية بأسماء أشخاص ينتسبون اليها بالعبودية مثل عبد العزى وعبد مناة وعبد اللاة . وكان من الذين تسموا بهذه الاسماء جميعها رجال من قريش مما قد يكون فيه دليل على ما قلناه .

والآيات التي ورد فيها ذكر هذه الاصنام وما بعدها تلهم ان العرب كانوا يعتبرونها رموزاً مادية للملائكة الذين كانوا يتخذونهم شفعاء ويشركونهم مع الله في العبادة . وقد كانوا يعتقدون ان الملائكة إناث وانهم بنات الله فأنثوا رموزهم المادية تبعاً لذلك .

ومن الجدير بالذكر ان اسماء الاصنام الثلاثة قد قرئت في نقوش ثمودية ونبطية وبابلية وصفوية وتدمرية بصيغ « اللاتو » و « منوتو » و « عزيزو » [3] مما يسوغ القول ان تخريج الاسماء على طريقة العربية الفصحى قد كان في دور العروبة الفصحى وحسب وانها مسميات قديمة لمعبودات عربية قديمة اشترك في عبادتها عرب الشمال والجنوب والعراق في دور العروبة غير الصريحة ثم استمر الى دور العروبة الصريحة ، وتطور تخريجها ومفهومها حتى صارت تخرج على انها مؤنث الله والاعز والنوء حتى صارت تعد رمزاً للملائكة .

ولقد ذكر القرآن خمسة أصنام أو معبودات أخرى منسوبة الى نوح عليه السلام

---

(١) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٥ ص ٨٩-١٠٢ وانظر عصر النبي وبيئته قبل البعثة ص ٣٣٩ وبعدها

(٢) جواد علي ج ٥ ص ٩٦

(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٥ ص ٨٩-١٠٢ وج ٣ ص ١٣٠

وهي ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر [1] . ومما ذكرته الروايات العربية انه كان لقبيلة هذيل صنم اسمه سواع ولهمدان صنم اسمه يعوق ولمذحج صنم اسمه يغوث ولكلب صنم اسمه ود ولذي الكلاع صنم اسمه نسر كما ورد في الكتب العربية اسماء كثير من رجال عرب شمال الجزيرة ينتسبون بالعبودية لهذه المعبودات حيث يستأنس بهذا على ان هذه المعبودات كانت أيضاً من معبودات أو أصنام العرب في هذه المرحلة . واللامحة العربية القديمة بادية على الأسماء . ولقدقرىء بعضها أي ود ويغوث في نقوش لحيانية وثمودية مما فيه دلالة على ذلك [2] .

ومما ذكرته الروايات ان وداً كان على صورة امرأة ويغوثاً على صورة أسد ويعوقاً على صورة فرس ونسراً على صورة الطائر المسمى باسمه . وفي الروايات أشياء أخرى عن هذه المعبودات وأشكالها وأماكنها والقبائل التي كانت تشترك في عبادتها صرفنا النظر عن إيرادها لأن فيها كثيراً من التضارب والاختلاف [3] .

عبادة الكواكب

وفي القرآن آية تنهى السامعين العرب عن السجود للشمس والقمر [4] حيث يسوغ القول ان من العرب من كان يتعبد للشمس والقمر . والآية تلهم أنهم كانوا يفعلون ذلك من باب الشرك . وفي الروايات العربية [5] اسم عبد شمس لعدد من رجال قريش وغيرهم . وفيها أيضاً ان كنانة كانت تعبد القمر وتميما كانت تعبد الشمس . وقد صنعت هذه تمثالا للشمس وضعته في بيت خاص .

وعبادة الشمس والقمر أصيلة في الجنس العربي في دور ما قبل العروبة الصريحة في جنوب الجزيره والهلال الخصيب ووادي النيل على ما شرحناه في الاجزاء الاربعة السابقة . والعرب القدماء عبدوا غير القمر والشمس من الكواكب أيضاً . وقد ذكرت الروايات

---

(١) سورة نوح

(٢ و ٣) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٥ ص ٨٣ - ٨٧

(٤) سورة فصلت « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس والقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون »

(٥) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٥ ص ١١٢ -- ١١٣

ان عرب الشمال في هذه المرحلة فعلوا ذلك أيضاً حيث ذكرت [١] ان منهم من كان يعبد الدبران ومنهم من كان يعبد الشعرى ومنهم من كان يعبد الثريا التي هي على الغالب الزهرة اي عشتار وعشتروت وعثتر في اللهجات العربية القديمة .

عبادة النار

ولقد ذكرت بعض آيات القرآن المجوس [٢] . وهم عبدة النار حسب المفهوم المتواتر . ولقد ذكرت الروايات العربية [٣] ان بعض اهل بلاد البحرين وعمان واليمامة كانوا يدينون بالمجوسية قبيل الاسلام بل وكان بعض قبيلة تميم تفعل ذلك ، حيث يفيد هذا ان النار أيضاً من جملة ما تعبده عرب شمال الجزيرة مع الترجيح أن ذلك قد جاءهم من الفرس الذين كانوا أصحاب سلطان ونفوذ في الانحاء المذكورة .

اسماء اصنام اخرى

وفي الكتب العربية أسماء عدد كبير من أصنام العرب غير ما ذكر في القرآن مع بيانات متنوعة حولها فيها الغث والسمين والاختلاف كالعادة .

فمن الروايات [٤] انه كان لقريش صنم اسمه هُبَل موضوع في جوف الكعبة او في فنائها وانه كان من العقيق الاحمر على شكل انسان وقد كسرت يد من يديه فصنعت قريش له يداً من ذهب ، وان عمرو ابن لحي ملك الحجاز الخزاعي الذي يقال انه اول من سن سنة عبادة الاصنام هو الذي احضره من بلاد الشام حيث رأى أهلها يستسقون به . وكان العرب يستخيرون عنده بالاقداح اي السهام ، وكان هناك سهام مكتوب عليها عبارات بالأمر بالشيء والنهي عنه او عبارات ملصق وصريح فاذا احتاروا في اختيار امر أو استشكلوا في نسب ولد ذهبوا إلى الصنم فأعطوا سادنه هدية وطلبوا منه اجراء

---

(١) نفس الجزء ص ٣٦٧-٣٦٨

(٢) سورة الحج الاية ١٧

(٣) جواد علي ج ٥ ص ٣٦٣-٣٦٤

(٤) انظر جواد علي ج ٥ ص ٩٥-١١٩ لجميع مايرد في هذا البحث من اسماء الاصنام

الاستخارة فيما احتاروا فيه واستشكلوه .

ومما ذكرته الروايات اسمي اساف ونائلة كصنمين مـــن أصنام مكة أيضاً . كانا منصوبين على صخرتي الصفا والمروة وكانت القرابين تذبح عندهما . والروايات تقول انهما على صورة رجل وامرأة وانهما ممسوخان عـــن رجل وامرأة ارتكبا الفاحشة في الكعبة فمسخا فنصبا على الصخرتين ليعتبر الناس بهما .

ومـــن أصنام العرب التي وردت أسماؤها في الكتب العربية (عم انس) صنم قبيلة خولان و (ذو الخلصة) صنم خثعم وبجيلة وباهـــلة ودوس وأزد السراة وكان مروة



صورة الصنم مناف واسمه محفور على الحجر مع اسم صاحب الكتابة وهو (ابو معن)
نقلا عن الجزء الاول من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

بيضاء منقوشة عليهـــا كهيأة التاج بين مكة واليمن . وقد ذكرت الروايات ان العرب جميعا كانت تعظمه وانهم كانوا يأتون اليه للاستخارة بالاقداح عنده ، و (سعد) صنم

بني مالك من كنانة بساحل جدة وكان صخرة طويلة وقيل انه قرب اليمامة . و (ذو الكفين) صنم دوس و (ذو الشرى) صنم بني الحارث بن يشكر . واسم هذا الصنم قرىء في نقوش نبطية و (الاقيصر) صنم قضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان وكان في مشارف الشام وكانوا يحجون اليه ويحلقون رؤوسهم عنده و (نهم)صنم مزينة و (عائم) صنم أزد السراة و (سعير) صنم عنزة وكان الناس يحجون اليه ويطوفون حوله و(النيلس) صنم طي في جبل أجأ و (اليعبوب) صنم جديلة و (باجر) صنم الازد ومن جاورهم من طي وقضاعة و (الجلسد) صنم كندة صخرة بيضاء يكاد يظن الناظر اليها انها صورة وجه انسان و (المحرق) صنم بكر بن وائل و (الشمس) صنم بني تميم وبني أد جميعهم و(تيم) صنم تميم و (أوال) صنم بكر وتغلب و (جهار) صنم هوازن وموضعه بعكاظ و (ذو الرجل) و (مناف) من اصنام الحجاز و (الضمار) صنم بني سليم و (العبعب) صنم قضاعة و (عوض) من أصنام بكر بن وائل و (حلال) صنم فزارة و (حمام) صنم بني هند من بني عذرة و (المشقر) صنم بني عبد القيس و (نهيك) من اصنام مكة و(فراض) صنم سعد العشيرة و (رضو) و (جد) و (صلم) و (كهل) و (هدد) و (ايل) اصنام ثمود التي قرئت في النقوش و (سمع) و (نصر) و (ذو غابة) أصنام لحيان التي قرئت كذلك في النقوش .

وكان العرب يضعون أصنامهم في بيوت او معابد . وقد روي [1] انه كان في الكعبة حينما فتح النبي ﷺ مكة ثلاثمئة وستون صنما . وكان العرب يسمونها بيت الله والبيت ويطوفون بها . والمتبادر ان ذلك كان بسبب حيروتها مكان رموز الآلهة اي الاصنام أو ما ترمز اليها . والذي يتبادر لنا اذا صحت رواية هذا العدد الكبير من الاصنام في الكعبة ان ذلك قد كان في ظروف غدو الكعبة محجاً لجميع العرب حيث جعل ذلك كل مدينة وقبيلة من قبائل العرب ومدنها في مختلف انحاء الجزيرة تصنع صنما لها فيها . ولقد روي [2] انه كان المسيح وامه مصورين على جدرانها الداخلية ايضا فاذا صح هذا فقد يكون دليلا على ان نصارى العرب في الجزيرة وخارجها كانوا يشتركون في حج الكعبة فصوروا المسيح وامه فيها اسوة بما فعله العرب الآخرون من وضع اصنامهم ! ولقد كان من أهم

---

(١) جواد علي ج ٥ ص ٨٢

(٢) جواد علي ج ٦ ص ٢٦٠

معالم الكعبة الحجر الاسود الذي هو حجر صواني لامع مسطحه نحو سدس متر مربع . ومن تقاليد العرب انه نزل من السماء فاعتبروه هدية سماوية مقدسة وتبركوا به وعظموه ووضعوه في ركن بيت عبادتهم الاكبر وكانوا يقبلونه أو يلمسونه أو يومئون اليه كلما طافوا بالكعبة . ومن المحتمل جداً أن يكون قطعة من نيزك رأوه يخر مضيئاً ويسقط في مكان قريب من مكة فتعقبوه حتى وجدوه فأخذوه أو أخذوا قطعة منه ووضعوها في أحد أركان الكعبة .

ومن بيوت الاصنام التي ذكرت في الكتب العربية [1] بيت صنم تيم الشمس وبيت صنم في تبالة وآخر في قديد وآخر عرف بالكعبات وكان محجاً لقبائل بكر بن وائل وآخر في جرش وآخر في دومة الجندل وآخر في المشقر . وإذا كان العدد المروي قليلا فانه لا يعني انه كل ما كان هنالك من بيوت الاصنام . فمن الأرجح عندنا انه كان لكل أصنام العرب المنقولة أي التي لم تكن صخرة ثابتة في الأرض أو شجرة بيوت ، وان اصنام أهل المدن والمستقرين كانت توضع في بيوت أو كعبات مبنية وان القبائل كانوا يضعون أصنامهم في خيام من جنس خيامهم وتنقلها معها في حلها وترحالها .

ويستتبع وجود بيوت الاصنام وجود سدنة لها . وقد ذكرت الروايات [2] أسماء سدنة كانوا يجنون أرباحاً حسنة من الهدايا والنذور التي تقدم إلى الاصنام حيث يبدو من هذا ان السدانة كانت أمراً مهما دينياً واقتصادياً فكان لا يحظي بها على ما هو المتبادر إلا الأسر والبيوتات القوية في المدينة أو القبيلة . وكانت هذه الأسر تحرص على الاحتفاظ بها فتنتقل من الآباء إلى الأبناء .

وممن ذكرت الروايات أسماءهم بنو عبد الدار سدنة الكعبة وبنو شيبان سدنة بيت الصنم في نخلة وبنو امامة سدنة بيت الصنم في قديد وبنو صاهلة من هزيل سدنة صنم سواع وبنو الغطريف سدنة صنم مناة وهؤلاء هم الذين ذكرت الروايات ما يجنونه من أرباح حسنة من الهدايا والنذور التي تقدم إلى صنمهم . وكان بنو صرمة سدنة للعزى . ولما حضرت الوفاة السادن أفلح بن النضر أظهر حزنه خشية أن لا يتولى السدانة بعده شخص قوي فتعهد له أبو لهب بأن يخلفه على السدانة . وكان يسمى عبد العزى . وكان سدنة ذي

---

(١) جواد علي ج ٥ ص ٧٥ وبعدها

(٢) جواد علي ج ٥ ص ٧٥ وبعدها

الخلصة أسرة من باهلة قاتلت مبعوث النبي ﷺ الذي أرسله لهدمه حتى قتل منها مئة رجل دفاعاً عنه ، وكان بنو بولان سدنة بيت الفلس صنم بني تميم وكان بنو شكامة سدنة بيت الجلسد صنم كندة وكان بنو عمرو سدنة المشقر صنم بني عبد القيس .

تعليق على مدى الشرك

هذا ولما كانت الصفة العامة لعقيدة العرب هي الشرك أي الاعتراف بالله مع اشراك شركاء معه في الدعاء والاتجاه فمن السائغ أن يقـــال ان تعبد العرب للنار والكواكب والاصنام والجن والملائكة لا يخرج عن هذا النطاق على اعتبار ان الملائكة مقربون الى الله وذوو حظوة عنده وان الجن قوى مؤذية ضارة يجب اتقاؤها وعلى اعتبار ان الكواكب والنار من القوى الكونية الضارة النافعة على اعتبار ان الاصنام رموز مادية للمعبودات غير المرئية أو للمعبودات السماوية .

ولقد وصفت الآيات القرآنية الشركاء بوصف الأنداد حيناً وبوصف الآلهة والارباب حيناً وبوصف الشفعاء والاولياء حيناً [١] . مما ينطوي فيه صور متنوعة لمفهوم مدى الشرك عند العرب بحيث يمكن ان يقال ان بعضهم كانوا يعتبرون شركاءهم وسطاء وشفعاء لهم عند الله وان بعضهم كانوا يعتبرونهم أكفاء وأنداداً لله وشركاء له في الكون العظيم وتدبيره لهم قدرة ذاتية على النفع والضرر والاعطاء والمنع والخير والشر .

والمتبادر ان هذا مظهر من مظاهر التفاوت العقلي والثقافي بين المشركين وان الذين كانوا يعتبرون الشركاء شفعاء ووسطاء هم الطبقة النيرة التي تيسر لها ان تتصل بالعـــالم وبالكتابيين وان ترتفع عن اتخاذ الشركاء آلهة اصلية لها قدرة ذاتية مماثلة لقدرة الله وان لم تصل الى طور اساغة الاتجاه الى الله وحده ، قياساً على شؤون الدنيا والملوك من أنه لا بد من شفعاء ووسطاء لضمان قضاء الحاجات والرغائب . وقد كانت حوصلة الكتابيين تتسع لاتخاذ الملائكة والنبيين والقديسين شفعاء ووسطاء على ما تفيده بعض آيات القرآن [٢]

---

(١) انظر آيات سورة البقرة ٢٢ و ١٦٥ وسورة يونس ١٨ وسورة الزمـــر ٣و٣٩ وسورة الرعد ١٦

(٢) انظر آيات سورة آل عمران ٧٩–٨٠ وسورة التوبة ٣١

وعلى ما هو جار ومشاهد الى اليوم فيهم بل وفي كثير من المسلمين ولو علي غير معنى الشرك الصريح . فأما العوام والبدو خاصة فانهم كانوا دون ذلك يعتقدون في معبوداتهم او في بعضها على الاقل قدرة ذاتية على الخير والشر والنفع والضرر مع معنى غير واضح عن الله كإله أعظم ورب للأرباب .

وورود كلمات الشركاء والانداد والآلهة والشفعاء والاولياء في القرآن بصيغة الجمع يمكن أن يدل على ان المشركين كانوا يعهدون شركاءهم سواء منهم الذين اتخذوا شركاءهم أنداداً أم شفعاء اي انه كان للجماعة الواحدة شركاء عديدون في وقت واحد. وقد حكت آيات في سورة (ص) تعجب المشركين وغيظهم من دعوة النبي ﷺ الى اله واحد كما حكت آيات أخرى في سورتي الانبياء والفرقان استخفافهم بالنبي لأنه يذكر آلهتهم – بصيغة الجمع – بما يكرهون وتمدحهم لأنفسهم لصبرهم وثباتهم وعدم تأثرهم بدعوته [1] . ولقد ذكرنا قبل ان العرب كانوا يأتون الى صنم هبل ليستخيروا عنده وكانوا يذهبون الى صنم مناة أو صخرة مناة ليستمطروا عندها وان كان لكل مدينة أو قبيلة صنم خاص بمثابة حاميها بحيث يمكن ان يقال في تفسير التعدد انه كان هناك آلهة عموميون يشترك في عبادتها اهل المنطقة جميعها وآلهة خصوصيون للجماعات الخاصة التي تجمع بينها وحدة الدم والسكنى والى هذا فانه كان هناك اله او معبود لكل مطلب من مطالب الحياة الرئيسية فاذا أرادوا المطر استغاثوا عند معبود وإذا أرادوا الاستشفاء استغاثوا عند معبود واذا أرادوا الاستخارة اجروها عند معبود وهلم جرا حيث كانوا يتوهمون ان تعدد مطالبهم يقتضي وجود آلهة أو معبودات متعددة سواء أكان ذلك على معنى الاستشفاع ام على معنى القدرة الذاتية حسب التفاوت العقلي والثقافي. وقد فعل هذا الجنس العربي في اليمن والعراق والشام ووادي النيل في دور ما قبل العروبة الصريحة كما فعله غير العرب مما يدل على انه طور من أطوار التفكير الديني . وقد كان هذا عميقاً الى درجة أن مظاهره ظلت مستمرة جارية في أشكال متنوعة .

على ان من واجبنا مع كل ما ذكرناه ان ننبه الى ان القرآن أكثر من ذكر اشراك العرب للملائكة أكثر من غيرهم من الشركاء بوصفهم بنات الله وباعتبارهم اصحاب الحظوة لديه وشفعاءهم ووسطاءهم عنده حتى ليمكن ان يفيد ذلك ان هذه العقيدة كانت هي الغالبة السائدة ، وان السياق التي ذكرت فيه اللاة والعزى ومناة – هي الوحيدة التي

---

(١) سورة ص ٥–٧ وسورة الانبياء ٣٦ وسورة الفرقان ٤١–٤٢

ذكرت في القرآن كمعبودات عربية بصراحة ـ يفيد ان هذه المعبودات كانت رموزاً مادية للملائكة [1] .

ومن الممكن ان يقال تعليقاً على ذلك انه كان آخر طور من أطوار الشرك أو انه كان طور الشرك الغالب في بيئة النبي عليه السلام الخاصة .

الصلاة

ولقد ذكر القرآن صلاة للمشركين في آية سورة الانفال ووصفها بالمكاء والتصدية اللذين فسرهما المفسرون بمعنى الصفير والتصفيق . ومهما يكن من أمر فاستعمال الكلمة في مقامها يدل على ان كلمة الصلاة كانت تستعمل قبل الاسلام للتعبير عن طقس تعبدي كان يؤديه المشركون . ولقد ذكر السجود والركوع والقيام في آيات كثيرة ووجه في بعضها الخطاب الى المشركين تارة بالامر بالسجود والركوع لله وتاره بالتنديد لامتناعهم عن ذلك مما قد يفيد ان هذه الاشكال التعبدية مما كان يقع من المشركين أثناء أدائهم طقوسهم .

الصيام

ولقد جاء في القرآن ان الله كتب الصيام على المسلمين كما كتبه على الذين من قبلهم . ويفيد هذا ان الصيام كعبادة مما كان معروفاً عند السامعين العرب المشركين بالاضافة الى اليهود والنصارى . وقد روت الروايات العربية [2] ان قريشاً كانت تصوم في جاهليتها يوم عاشوراء أي اليوم العاشر من المحرم وانه كان يوم تجديد ستار الكعبة وان النبي ﷺ صامه قبل بعثته .

---

(١) انظر آيات سورة النجم ١٩-٢٨ والزخرف ٩-٢٠ و٨١-٨٢و٨٧

(٢) انظر تفسير آيات الصيام من سورة البقرة في الخازن وجواد علي ج ٥ ص ٤٠٦

شهر رمضان

إن آيات سورة البقرة التي احتوت فرض صيام شهر رمضان ذكرت انه الشهر الذي أنزل فيه القرآن . والاحاديث الوثيقة المتواترة تقرر ان الله سبحانه أنزل وحيه وقرآنه لأول مرة على النبي وهو معتكف في غار حراء في ليلة من ليالي رمضان حيث اعتاد النبي ﷺ في رمضان من كل سنة أن يعتكف في الغار المذكور كرياضة روحية يتفكر فيها وحيداً في آلاء الله ويتعبد له [1] . ولقد روت الروايات [2] ان الورعين من قريش كانوا يفعلون مثل ذلك في بعض أيام رمضان . فهذا يسوغ القول ان الاعتكاف في رمضان كعبادة دينية أو رياضة روحية مما كان ممارساً في بيئة النبي قبل البعثة . وهذا يستتبع القول أيضاً انه كان لشهر رمضان مزية دينية ما قبل البعثة وان كانت ضاعت علينا معرفة كنهها ومداها .

يوم الجمعة

ولقد ذكر يوم الجمعة في القرآن بأسلوب يلهم بأن له خطورة قبل نزول الآية التي ورد ذكره فيها (انظر سورة الجمعة ٩-١١) واسم اليوم سابق للبعثة حتماً . وفي تسميته باسمه مفهوم لا ينكر بأنه يوم اجتماع وبأنه حينما سمي به قد توخى الدلالة به على حالة تجمعية ما ولقد ذكرنا قبل ان العرب كانوا يسمون يوم الجمعة باسم (العروبة) ولقد ذكرت الروايات العربية [3] ان كعباً بن لؤي رتب وسن اجتماعات عامة تقوم في هذا اليوم وبدل اسمه باسم الجمعة كما ذكرت ان أهل يثرب رأوا ان يتخذوا لهم يوماً يجتمعون فيه كما كان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فاختاروا يوم الجمعة [4] . ويتبادر لنا ان تسميته

---

(١) انظر تفسير سورة العلق في كتب تفسير ابن الطبري وابن كثير وانظر البخاري في باب بدء الوحي

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ص ٤٧-٤٨

(٣و٤) جواد علي ج ٥ ص ٢٤٦

اليوم وما توخى منها أعم مـن نطاق يثرب وان في رواية ترتيب كعب بن لؤي في يوم العروبة اجتماعات عامة حقيقة ما . ولسنا نرى تداخلا في الروايات ولا بعداً عن الاحتمال والمعقول فقد تكون اجتماعات يوم الجمعة المسنونة سابقاً قد أهملت فرأى أهل يثرب احياءها أسوة باليهود والنصارى . ومما روته الروايات العربية [١] كذلك ان أسعد بن زرارة أحد زعماء يثرب المسلمين كان يصلي صلاة الجمعة بمن أسلم في يثرب قبل هجرة النبي عليه السلام اليها . والتعبير (كان يجمع) وان النبي عليه السلام أقام صلاة الجمعة في حي بني عوف حينما قدم مهاجراً من مكة . والآية التي ذكر فيها يوم الجمعة ليست في صدد تشريع أولي باقامة الصلاة فيها وإنما هي في صدد تذكير بها وحث على المسارعة إلى شهودهـا وترك مشاغل الدنيا من أجل ذلك . وكل هذا قد يساعد على تأييد كون ذلك اليوم كان يوم اجتماع عام عربي لغاية دينية ما فرأى النبي ﷺ إحياءه في مكة لما فيه من فوائد أسوة بتقاليد الحج على ما سوف نذكره بعد ثم استمر عـلى ذلك بعد هجرته ثم نزلت الآيات القرآنية في الحث عليه .

ولقد قلنا ان الاجتماع العربي في يوم الجمعة كان لغاية دينية ما اجتهاداً منا بأن شهود الاجتماعات العامة ما كان ليفرض ويستجاب إلا إذا صبغت بصبغة دينية مقدسة قياساً على ما كان من متنوع تقاليد الحج . والمتبادر ان بدعة اجتماع الجمعة هي مظهر من مظاهر ما كان يجيش في نفوس العرب من حركة دينية وقومية وفكرية كما انه كان لها أثر في تقوية ذلـك . وإذا كان من المحتمل أن تكون الفكرة مقتبسة في أصلها من أهـل الكتاب فالاستقلال العربي بارز فيها .

تقاليد الحج والاشهر الحرم والبلد المحرم والنسء

ولقد كان الحج من أهم تقاليد العرب الدينية قبل البعثة النبوية بأمـد ما . ويمدنا القرآن وتفسيراته والروايات العربية معاً بصور عديدة عن تقاليده وخطورته العظمى عند العرب من الناحية الدينية مع عظيم أثرها في النواحي الاجتماعية والاقتصادية أيضاً حيث يستدل منها على انها كانت من أهم تقاليدهم وانها كانت منذ عهد متقدم عن البعثة شاملة

---

(١) انظر تفسير سورة الجمعة في تفسير الخازن .

لجميع العرب في مختلف أنحاء الجزيرة وخارجها حيث كانت تفد إلى مكة من كل صوب لممارستها .

ولقد أوردنا في مناسبة سابقة ما قاله ديودور الصقلي من أهل القرن الثاني قبل الميلاد عن الكعبة وكونها مكان عبادة يحترمه جميع العرب حيث يدل هذا كذلك على قدم تعظيم العرب جميعهم لها وإقامتهم مناسكهم حولها .

وأساليب بعض الآيات القرآنية ومضامين بعضها [1] تدل على أن معظم تقاليد الحج الاسلامية كانت جارية قبل الاسلام . وفي هذا ما يدل على ما كان لهذه التقاليد من عمق وخطورة .

ولقد انطوى في تقاليد الحج تقليدان عظيمان كانا يسبغان على الحج وموسمه الروعة والخطورة والأمن والقدسية ويدلان على ما كان للحج من تأثير في نفوس العرب وحياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية معاً قبل البعثة . أولهما تقليد أمن منطقة الكعبة التي هي منطقة مكة وتحريم القتال فيها في كل وقت ومهما كانت الأسباب . وثانيهما تقليد الاشهر الحرم بحيث يكون القتال وسفك الدماء محظورين فيهما . فبينما تكون الحروب مستعرة والغارات قائمة والناس مندفعين وراء ثاراتهم وأحقادهم وعصبياتهم يقف كل هذا حين دخول الناس منطقة الحرم أو حين حلول الاشهر الحرم تعظيما واحتراماً ويصبحون في هدنة مقدسة شاملة . وقد بلغ التأثم من سفك الدم في منطقة الحرم أو في الاشهر الحرم إلى أن شمل الصيد أيضاً من الطيور والدواجن وذوات الأربع وصيد البحر لما في الصيد من معنى التحرش وسفك الدم وما في ذلك من انتهاك لحرمة الاشهر الحرم ومنطقة الحرم . والآيات تتضمن تقرير التقليدين بأسلوب يسبغ عليها الخطورة ويفيد انهما قديمان وشاملان [2] .

ونحن في غنى عن الاسهاب في التنويه بخطورة هذين التقليدين وحكمتهما البليغة ، وبالتالي بالطور العقلي والاجتماعي الذي وصل اليه العرب فكان من نتائجه هذه التقاليد في بيئة

---

(١) انظر آيات سورة الحج ٢٥–٣٧ وسورة البقرة ١٢٤–١٢٩ و ١٩٣–٢٠٠

(٢) ان سورة المائدة هذه « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي اليه تحشرون » تتضمن حل صيد البحر غير ان اسلوبها يفيد ان ذلك تشريع اسلامي للتخفيف عن المسلمين وليتيسر الزاد والطعام للقادمين الى الحج من الانحاء الساحلية او الطريق الساحلية . وهي آية مدنية نزلت متأخرة حينما اخذ نطاق الدعوة الاسلامية يتسع ويشمل بعض انحاء اليمن وروح الاية تدل أيضاً على شمول تقاليد الاشهر الحرم قبل نزولها لمناطق أبعد من منطقة الحجاز

ليس فيها سلطان نافذ ووازع والغارات والثارات وشريعة القوة والسلب لمن غلب سائدة والعصبية على أنواعها قوية شديدة والأنفة والحمية متأصلتان ولأهل البيئة في الوقت نفسه حاجات كثيرة مـــن سلع لا بد من جلبها وتجارة لا بد لهـــا من مشترين ومستهلكين ومستوردين . وزراع لا بد لهم من المبادلة على غلاتهم وثمارهم . وأعراب لا بد لهم من استيفاء حاجاتهم من ماعون وثياب ومن بيع ما يزيد عندهم مـــن مواش وشعر ووبر وصوف وسمن . فمـــاذا تكون حالهم لو لم تكن هذه الهدنة المقدسة . ولو لم يتيسر لهم بسببها وفي ظلها اقامة الأسواق العامة وشهودها . وكل هذا عبرت عنه آية سورة المائدة هذه « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً [1] للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وان الله بكل شيء عليم »

وظاهر من روح الآيات القرآنية ان العرب كانوا يسبغون على حرمة البـــلد الحرام وحرمة الاشهر الحرم صفة تقديسية ويصبغونها بصبغة دينية . ولا نشك في أنهم كانوا يعتقدون بأن الاخلال بحرمتها وقداستها يجلب عليهم الشر والنحس والشؤم تبعاً لما كانوا يستهدفونه من تدينهم من جلب النفع ودفع الضر، وان هذا الاعتقاد كان الوازع المانع دون الاخلال بهذه الحرمة والقداسة .

والاشهر الحرم ليست معينة في القرآن . ولم يذكر القرآن إلا عددها وهو أربعة [2] غير ان التواتر الذي لم ينقطع قـــد عينها بصورة يقينية . وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . والاشهر الثلاثة الاخيرة هي أشهر الحج اما شهر رجب فقد روي أنه كان يسمى رجب مضر وانه مشتق من الترجيب أي التعظيم . وقد ذكرت الروايات ان اهل مكة كانوا يحتفلون بعيد ديني لهم في رجب [3] . فلا يبعد ان يكون هذا العيد في شهر رجب عيداً خاصاً بقبائل مضر أو قبائل الحجاز وأن يكون هذا هو اصل حرمته ليتمكنوا من الذهاب والاياب والقيام بمناسكهم وطقوسهم في ظل هدنة مقدسة دينية . وآية التوبة التي ذكرت عددها ذكرتها بدون تفريق بينها في الحرمة والشمول مما قد يلهم ان حرمة رجب لم تبق قاصرة على قبائل مضر بل صارت عامة .

وليس في الروايات ما يساعد على معرفة أولية حرمة الاشهر الحرم. والمتبادر والمعقول

---

(١) قيام للناس بمعنى قوام حياة الناس

(٢) سورة التوبة الاية ٣٦

(٣) انظر جواد علي ج ٥ ص ٢٢٢ و ٢٣٧

ان تكون قد تقررت بعد نشوء الحج وتقاليده واسواقـه وبعد نشوء الموسم الديني في رجب لمضر ثم بعد ان أخذ نطاق موسم الحج يتسع ويفد اليه العرب من أنحاء جزيرة العرب الاخرى ومن خارجها ايضاً اتجاهاً منهم الى الحجاز الخارج عن السيطرة الأجنبية التي كانت سائدة في اليمن والشام والعراق ، وان يكون قد حدث احداث ثأرية وعدوانية بين الناس أثناء هذه المواسم فاختل الامن وانقبضت وفود الحج عن مكة وكادت ان تتعطل مناسك الحج ومنافع الناس فحفز هذا ذوي النفوذ والنظر الثاقب مـن الزعماء والرؤساء ففرضوا الهدنة المقدسة في زمن هذين الموسمين تمكيناً للناس من القيام بمناسكهم وشعائرهم وقضاء حاجاتهم في ظلها . ولعل ذلـك كان من زعماء مكة أو مسعاهم . ويساعد على ترجيح ذلك ما كان لمكة من مركز ديني محترم في نظر العرب وما كان من اهتمام عظيم لحرمة الاشهر الحرم ومنطقة الحرم عند زعماء مكة . ولقد وقع اشتباك دموي بين فصيلة من المجاهدين المسلمين بعد الهجرة النبوية الى المدينة بمدة قليلة وبين بعض المشركين الأعداء في يوم اشتبه بأنه أول شهر رجب المحرم فأثار زعماء المشركين في مكة دعاية قوية ضد النبي والمسلمين قائمة على تهمة اخلالهم بحرمة الشهر الحرام حتى لقد اثر ذلك في المسلمين وفي النبي نفسه على ما تفيده بعض آيات البقرة .

ولقد ذكرت كتب السيرة والحديث ان زعماء مكة تعاهدوا بسبب حادث عدواني وقع على زائر من الزوار على ان لا يجدوا في مكة مظلوماً إلا قاموا معه على ظالمـه وهو ما عرف بحلف الفضول الذي اثر ان النبي عليه السلام شهده وانه قال انه اذا دعي الى مثله لأجاب [٢] .

ولقد ذكرنا في سياق ايام العرب اياماً سميت بأيام الفجار لأنها كانت في الاشهر الحرم وفي منطقة الحرم . وكان زعماء قريش يسارعون الى فض النزاع حفظاً لحرمة المكان والزمان .

فكل هذا يدعم ما قلناه .

ولقد كان من بركات هذه الهدنة المقدسة ان اشتدت يقظة العرب وتوفرت فرص

---

(١) انظر الايات ١٩٤ و ٢١٧ وتفسيرها في تفسير الطبري وابن كثير وانظر سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٩١-١٩٤

(٢) ابن هشام ج ١ ص ١٢٥

تلاقيهم ببعضهم في مواسم الحج على اختلاف منازلهم وان اثر ذلك في تطور اللغة العربية وبلوغها ذروة الفصاحة مما نوهنا به في آخر الفصل الأول تنويهاً يغني عن التكرار .

ولقد ذكرنا في اخر الفصل الاول ان الروايات روت ان اسماء الشهور العربية لم تكن هي المتداولة اليوم والتي كانت متداولة قبل البعثة ، وان الاستبدال كان في ظرف طور اللغة الفصحى الذي تكامل خلال القرنين السابقين للبعثة . ونقول هنا انه مما يخطر بالبال استنتاجاً من اسماء الاشهر الفصحى ان هذا الاستبدال متصل بتوقيت شهور الحج لتكون في موسم الخريف وانه جرى في موسم الصيف فسمي رمضان باسمه الدال على وقت شدة القيظ اي في آب . ويأتي بعد رمضان شوال الذي يكون في ايلول ثم ذو القعدة الذي يكون في تشرين الاول ثم ذو الحجة الذي يكون في تشرين الثاني ثم المحرم الذي يكون في كانون الاول وهكذا صارت اشهر الخريف اشهر الحج لأنهـا الزمن المناسب الذي يسمح للناس بالسفر دون ان يكابدوا مشقة الحر الشديد في ذهابهم وإيابهم وإقامتهم في الحجاز .

ولقد ابتدع العرب بدعة النسيء اي تأخير الاشهر الحرم اوتقديمها . ومع ان الروايات ذكرت ان ذلك كان يجري بطلب من الناس ليتسنى لهم متابعة حروب بدأوها وتوقفت اثناء الاشهر الحرم فان الذي نرجحه ان ذلك كان من قبيل اساءة استعمال البدعة ، وانها في اصلها لضبط موسم الحج من حيث ان كل سنة قمرية تنقص ١١ يوماً عن السنة الشمسية فتختل بذلك دورة المواسم فرأى العرب ان يؤخروا شهراً في كل ثلاث سنين اويقدموا شهراً فيجعلوا بدء الاشهر شوالا او نهايتها صفراً حتى يظل موسم الحج في موسم الخريف

وقد كان اعلان النسء في العهد الاسلامي منوطاً بشخص مـن كنانة هو ابو ثمامة جنادة إرثاً عن ابيه عوف عن ابيه امية عن ابيه قلع عن ابيه عباد عن ابيه حذيفة الذي يروي انه اول من تولى مهمة اعلان النسء . ويبدو من التسلسل ان البدعـة نشأت في ظرف استبدال اسماء الاشهر القديمة بأسماء الاشهر الفصحى مما قد يؤيد هدف هذا الاستبدال الذي ذكرناه . وقد روي ان ابا ثمامة كان يقف في الناس في منى بعد عودتهم من عرفات فيقول اللهم اني لا اعاب ولا اخاب ولا مرد لما قضيت اللهم اني احللت شهر كذا مـن الاشهر الحرم وانسأته الى العام القابل .

وظل الامر في الاسلام عـلى ذلك الى ان نزلت آية سورة التوبـة (٣٧) التي

حرمته [1] . ويظهر ان مهمة اعـلان النسيء كانت ذات شأن وفخر حيث افتخر بعض شعراء بني كنانة الذين ينتسب اليهم حذيفة وبنوه فقال فيما قال :

ألسنا الناسئين على معد   شهور الحل نجعلها حراما

اما مناسك الحج القديمة التي استمر معظمها قبل الاسلام بعد تنقيتها مـن شوائب الشرك فهي :

١ ـ الوقوف في عرفة في اليوم التاسع من ذي الحجة . وكانوا يسمونـه يوم الحج الاكبر [2] حيث ينطوي في هذا انه اهم طقوس الحج . وعرفة هذه منبسط فسيح جداً من الارض محاط بهضبات ويتسع للآلاف المؤلفة . ولعل سعة عرفة كانت سبباً في اختيارها لاجتماع الحجيج في صعيد واحد تتمثل فيه الامة العربية التي وفد حجاجها من كل صوب .

وقبيل الغروب يفيض الناس مـن مكة الى المزدلفة التي سميت في القرآن بالمشعر الحرام [3] وهي بين عرفة ومنى . وكان من العادة ان لا يفيض الناس من عرفة إلا بعد اذن من شخص يتولى اعلان البدء بالافاضة . وكانت المهمة خطيرة على ما يبدو . وكان يتولاها رجل من بني تميم . وممن ذكرت الروايات اسماءهم صوفة ثم صفوان وهو الذي كان يتولى المهمة في بدء البعثة النبوية .

٣ـ وتسمية المزدلفة بالمشعر الحرام تدل على انها من الاماكن المقدسة الدينية عند العرب . وكان في سفح جبل ثبير . ويبات الناس في المزدلفة وفي الصباح يفيضون منها إلى منى . وكان من العادة ان يتولى الاذن بالافاضة منها رجال اسرة من عدوان . وكان آخر من تولاه رجل اسمه ابو سيارة عميلة بن خالد العدواني . ومما ذكرته الروايات انه كان ينظر الى اعالي جبل ثبير فاذا شاهد عليها اشعة الشمس الاولى نادى اشرق ثبير كيما نضير ثم يأذن بالافاضة . ومن المحتمل الذي يستنتج من الروايات ان قدسية المكان

---

(١) انظر بلوغ الارب في احوال العرب للالوسي ج ٣ ص ٧٠ ـ ٧٥ وقـد روى المؤلف اسمي عمرو بن لحي الخزاعي كأول الناسئين كما ذكر اسم فقيم بن ثعلبة . ولكن تسلسل المهمة في اسرة حذيفة الكناني الى الاسلام قد يجعل رواية كونه اول من تولى المهمة ارجح . والمتبادر ان حكمة تحريم النسء في القرآن هي اساءة استعماله وما فيه من تبديل معالم اعيان الحرمات .

(٢) انظر آية التوبة ٣

(٣) انظر آية سورة البقرة ١٩٨

بسبب وجود صنم او بيت صنم في اعلى جبل ثبير . كان العرب يصعدون اليـــه للزيارة والتبرك .

٤ـ وكان الحجاج يفيضون من المزدلفة إلى منى فيمكثون فيها أيام العيد ويرمون خلالها ما كانوا يسمونه الجمرات . وهي حصوات محدودة العدد ترمى رمياً عـــلى بعض الاماكن في منطقة منى . ومن التقليد ان هذه الحجرات تلقى على أمكنة ظهر فيهـــا الشيطان لابراهيم عليه السلام حينما اخـــذ ابنه ليذبحه بناء على الرؤيا التي رآها والتي ورد ذكرها في سورة الصافات . وكانوا خلال اقامتهم في منى يعتقدون مجـــالس المفاخرة والمناشدة الشعرية والخطابية . وفي منى كان يعلن المتولي للنسيء انساء شهر من الاشهر الحرام على ما ذكرناه قبل . لأن منى آخر مكان يجتمع فيه الحجاج .

٥ ـ وكان مـــن أهم مناسك الحج الطواف سبع مرات حول الكعـــبة وكلما مروا بالحجر الاسود اومأوا اليه او لمسوه أو قبلوه للتبرك .

٦ـ ولقد كانوا يتأثمون من الطواف بثيابهم المعتادة تحرجاً من أن يكونوا اقترفوا بعض الذنوب وهي عليهم أو تحرجاً من اقتراف بعض الذنوب بعد طوافهم بها . وكانوا يستأجرون مآزر ليضعوها على أجسادهم بعد خلع ثيابهم . وقد عرفت بالمآزر الاحمسية لأن فريقاً من أهل مكة عرفوا باسم الاحامس هم الذين يعدونها ويؤجرونها . وكان من لا يجد هذه المآزر او لا يستطيع استئجارها يؤدي طقس الطواف عارياً سواء أكان رجلا ام امرأة . لأن مثل هؤلاء إذا طافوا بثيابهم حرمت عليهم ووجب عليهم طرحها فكانوا يطوفون عارين ضناً بها ثم يعودون فيلبسونها .

ولعل هذا هو الاصل في الطقس الاسلامي الذي يوجب على المسلم ان يلبس ثياباً غير مخيطة أثناء طوافه بالكعبة واثناء وقوفه في عرفة . وفي القرآن آيات تفيد ان هـــذا الطقس الاسلامي نوعان . واحد شامل يبدأ منذ بدء المسلم لرحلة الحج إلى أن ينزل مـــن عرفة ثم يطوف ويسعى طوافه وسعيه الاخيرين حيث يظل لابساً غير المخيط الذي يسمى ثوب الاحرام . ونوع موقت يجب عـــلى المسلم ان يفعله حينما يدخل منطقة حرم مكة لأول مرة إلى أن يتم طوافـــه حول الكعبة ويسعى بين الصفا والمروة ثم يسمح له بلبس ثيابه العادية . وهذا يسمى العمرة . ثم يوجب عليه ان يعود الى لبس ثوب الاحرام حينما يذهب إلى عرفة إلى أن ينزل منها ويعود إلى مكة فيطوف ويسعى ثم يحلق شعره أو يقصره

ويلبس ثيابه . وفي أثناء لبسه ثوب الاحرام يجب عليه أن يمتنع مـــن التزين والتطيب والمعاشرة الزوجية . وليس في الروايات ما يفيد أن هذين النوعين كانا جاريين معاً قبل الاسلام وإن كان هذا محتملا .

وفي بعض الآيات ما يفيد ان من الممكن أن يقوم المسلم بطقس العمرة في غير موسم الحج ايضاً . وليس في الروايات ما يفيد بوضوح أن ذلك كان جارياً قبل الاسلام وان كان محتملا . ولعل الموسم الديني الخاص بمضر في شهر رجب المحرم الذي أشرنا اليـــه سابقاً هو موسم أداء هذا الطقس . ولعـــل التقليد الاسلامي المعروف بالزيارة الرجبية متوسل بذلك او قرينة عليه .

٧ـ وليس في الروايات ما يفيد شيئاً واضحاً عن الاحساس إلا انهم من قريش وكنانة وبعض قبـــائل أخرى . والروايات تذكر انهم كان لهم بعض المزايا والخصوصيات . ومنها انهم يفيضون من عرفة والمزدلفة من طريق خاص بهم وانهم كانوا يطوفون بالكعبة بثيابهم المعتادة . ولا يلبسون الوبر والشعر ولا يستظلون بخيام من الجلد وكانوا في أيام الحج لا يأكلون طعاماً مطبوخاً بالسمن واللبن . وكانوا مرجع الناس في سنن الحج . وقد تعني الكلمة «المتحمسين» في الدين أو علماء الدين . وقد يفيد هذا انه كان للمشركين طبقة من رجال الدين يرجع الناس اليهم في شؤونهم الدينية ويصدرون فيها ما يرون فينفذه الناس ويتبعونه .

٨ـ وكانوا يسعون بعد الطواف بالكعبة بين صخرتي الصفا والمروة اللتين كانت المسافة بينهما نحو ٤٠٠ متر . وكان على كل منهما صنم تقرب عنـــده القرابين وهما صنما اساف ونائلة على ماذكرناه قبل .

٩ـ وكانوا حينما ينتهون من طقوس الحج يحلقون رؤوسهم أو يقصرون شعرهم كعلامة للانتهاء من واجبات الحج .

١٠ـ وكان تقريب القرابين من الغنم والبقر والابل من اهم طقوس الحج . وكانوا يسمون ما يعدونه للتقريب منها باسم « الهدى » بمعنى المهـــداة الى الله او الى البيت . وكانوا يضعون في رقابها قلائد من الجلد او الياف الشجر او الخيطان اعلانا بأنها هدي فتكون محرمة ومحترمة . وكان بعضهم يجرح هديه جرحاً خفيفاً ليسيل بعض دمه على جلده اشارة الى انه هدي ويسمون ذلك اشعاراً والحيوان المشعور اي المجروح شعيرة .

وكانوا يحرمون على أنفسهم أكل شيء من قرابينهم فيدعونها للفقراء والوحش والطير ويلطخون جدار الكعبة بدمائها .

ولقد كانت هـــذه التقاليد قوية الرسوخ في العرب متصلة في الوقت نفسه بحيـــاتهم الاجتماعية والمعاشية . وكانت أو غدت مع الزمن شاملة لجميع العرب في الجزيرة وأطرافها على اختلاف نحلهم وعقائدهم ووسيلة من وسائل اجتماعهم في صعيد واحد في وقت معين من السنة تقام فيها الاسواق التي ذكرناها في مناسبة سابقة فيقضي الناس حاجاتهم من بيع وشراء ، وتعقد فيه المجالس التحكيمية والقضائية فتحل فيها المشاكل وتسوى المنازعات وتجرى المصالحات بين المتنازعين والمتحاربين . ونقوم فيها المباريات الشعرية والخطابية فتسير بشعر الفحول من الشعراء وخطب المصاقع من الخطباء الركبان ويحفظهـــا الناس ويكتبونها وينسجون على منوالها فتتقارب اللهجات وتصفو اللغة ، فكان لكل ذلـــك الاثر القوي في تقريب العرب الى بعضهم وتوطيد التعارف والتعاون والانسجام بينهم ، وهذا مما يفسر حكمة ابقاء الاسلام هذه التقاليد بعد إلغـــاء ما كان متناقضاً مع أسس الدعوة وأهدافها أو ما كان فيه قبح وفحش وتهذيب الباقي تهذيباً يجعله منسجماً مع تلك الاسس والاهداف أو غير متناقض معها . ولقد ظلت منافع موسم الحج متحققة للمسلمين ومهبط وحي الله معاً وهو ما عبرت عنه آية المائدة هذه « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السماوات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم » ومـــا عبرت عنه آيـــة سورة الحج هذه « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام كلوا منهـــا وأطعموا البائس الفقير » هذا بالاضافة إلى ما انطوى فيها من فكرة ومظاهر وحدة العرب التي كانت من أهداف الدعوة الاسلامية .

نذر ذبح الأولاد

ولقد كان من عادات العرب المتصلة بالحالة الدينية نذر ذبح بعض أولادهم إذا ماتحقق لهم مطلب عظيم . ولقد جاء في إحدى آيات القرآن إشارة إلى هذه العادة في هـــذا النص « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم » (سورة الانعام ١٣٧)

وهذا غير واد البنات خشية الإملاق الذي ذكرته آيات أخرى . وإنما هو طقس ديني كما تلهمه الآية . ومما ذكرته الروايات العربية من هذا الباب قصة عبدالمطلب جد النبي ﷺ التي تقص خبر نذره ذبح احد أبنائه اذا بلغ عددهم عشرة حتى يقوى بهم ويحفر بئر زمزم لأنه منع من ذلك . وقد تحقق مطلبه وحفر البئر فاعتزم تنفيذ النذر ثم أشير عليه باستفتاء عرافة ففعل فأفتت بفداء الذي وقعت عليه القرعة وهو عبد الله والد النبي بعشرة من الابل حيث تضرب القرعة من جديدعلى الابل وعلى الولد ثم يزاد عدد الابل عشرة فعشرة حتى تقع عليها القرعة وقد كان حيث وقعت القرعة على الابل حينما بلغ عددها مئة [1] . ولقد ورد في القرآن قصة رؤيا ابراهيم عليه السلام التي تقص خبر رؤياه في المنام انه يذبح ابنه فاعتبر ذلك أمراً ربانياً وهم بذبحه ثم فداه الله [1] والذي نرجحه أن قصة ابراهيم وابنه مما كان يتناقله العرب من قصص ابراهيم . وان ما هم ان يفعله عبدالمطلب إذا صحت قصته انما كان بتأثير ذلك . وحتى لو لم تصح هذه القصة فإن آية سورة الانعام هي نص قطعي على ان هذه العادة كانت جارية عند العرب بصفتها الدينية . ولقد ذكرت الروايات العربية [2] حادثة وقعت في عهد النبي ﷺ حيث نذرت امرأة بنحر ابنها عند الكعبة ان فعلت امراً ثم فعلته فهمت بتنفيذ نذرها فقال لها الناس ان الله قد نهى عن قتل النفس واقترحوا عليها تقديم فداء عن ابنها وذكروا لها قصة عبد المطلب المذكورة .

وهذه العادة من العادات التي كان يمارسها الكنعانيون وغيرهم من الجنس العربي في الازمنة القديمة . وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في سيرة الكنعانيين والعبرانيين في الجزء السابق .

عادات دينية متصلة بالانعام

ولقد كان لهم في الانعام عادات مصبوغة بصبغة دينية :

١ - منها أنهم كانوا يشقون أذن الناقة التي تنتج خمسة بطون ويخلون سبيلها كأنما هم يعتقونها شكراً للالهة فلا يركبونها ولا يحملونها ولا يجزون وبرها ولا يمنعونها من ماء وكلأ ولا يذبحونها . ويسمونها (البحيرة) اشتقاقاً من بحر بمعنى شق الاذن .

---

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٦٣ - ٦٥ وبلوغ الارب ج ٣ ص ٤٦ - ٤٩

(٢) جواد علي ج ٥ ص ١٩٩ - ٢٠٠

٢- ومنها انهم كانوا إذا مرض لهم مريض أو عنت لهم أمنية أو طال غياب غائب عزيز نذروا عتق ناقة إذا ما شفي المريض أو تحققت الامنية او عاد الغائب . فاذا تم الامر « سابوا » الناقة المنذورة واعفوها من الركوب والحمل والذبح وجز الوبر ولم يمنعوها من ماء ولا كلأ وسموها « السائبة »

٣- ومنها انهم كانوا اذا ولدت الشاة انثى لأول مرة لا يوقعون عليها نذراً وإذا ولدت ذكراً اوقعوا عليه النذر فاذا ولدت انثى وذكراً في بطن واحد صارت حالة الذكر كالانثى فلا يوقعون عليه نذراً وقالوا ان الاخت وصلت اخاها اي صانته وسموها « الوصيلة »

٤- ومنها انهم كانوا إذا أنتج الفحل عشرة بطون اعتقوه شكراً للآلهة وحرموا ظهره ولحمه وتركوه يرعى ويرد الماء كما يشاء وسموه « حامياً » اي حمي ظهره .

وفي آية من سورة المائدة اشارة إلى هذه التقاليد فيها ما يفيد انها متصلة بالحالة الدينية وهذا نصها :

« ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون » (١٠٣)

٥- وفي القرآن آيات أخرى تشير الى عادات عربية في صدد الأنعام مصبوغة بصبغة دينية .

آ- منها هذه الآية « وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليه افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون » سورة الانعام ١٣٧

حيث ينطوي فيها حكاية تحريمهم او وقفهم بعض الانعام والزروع في ظروف فلا ينال منها الا من يستثنون وحكاية تحريمهم استخدام بعض الانعام في بعض الظروف وكانوا ينسبون ذلك الى الله افتراء عليه . وكانوا الى هذا يذكرون اسم شركائهم على الانعام التي يذبحونها دون ذكر الله مع انهم كانوا يعتبرونه الاله الاكبر .

ب - ومنها هذه الآية « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم

ساء ما يحكمون » الانعام (١٣٦)

حيث انطوى فيها حكاية نذرهم بعض الانعام والزروع لله ولشركائهم معاً . فإذا ظهر ان ما نذروه لشركائهم رديئاً في غلـــته او جنسه وما نذروه لله جيداً فيها حولوا الرديء الى الله والجيد للاصنام ولا يفعلون العكس . واذا شرد بعض الانعام او سقطت بعض الثمار والغلات المنذورة الى الله الى جهة ما نذروه لشركائهم ابقوه وقالوا ان الله غني عنه . واذا كان الشارد او الساقط من المنذور للأصنام أعادوه .

وكانوا ينفقون ما ينذرونه لله على الضيوف وما ينذرونه للشركاء على خدمة الاصنام وبيوتها وسدنتها .

ت ـ ومنها هذه الآية « وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم »

الانعام ١٣٩

حيث انطوى فيها حكاية نذرهم ما يكون في بطون انعامهم للذكور ويحرمونه على الزوجات . فإذا خرج مافي البطون ميتاً أشركوا فيه الزوجات .

ث ـ ومنها ما جاء في آية من سورة المائدة من تحريم الذبائح التي تذبح على النصب اي الاصنام [١] حيث يفيد ذلك ان المشركين كانوا يقربون القرابين لأصنامهم . وفي الكتب العربية روايات عديدة عن ذلك . وقد كانوا يفعلون ذلك اما مـــن قبيل النذر بتقريب قربان اذا ما تحقق للناذر مطلب من جلب خير ودفع اذى وشر واما من قبيل الشكر على ما ناله المرء من خير او اندفع عنه من شر واذى . واما تورعاً وتقرباً الى الاصنام او ما ترمز اليه من قوى . وكانوا يسمون ذبائحهم عتائر (جمع عتيرة) وكانوا يذبحونها عند الاصنام على صخرة معدة لذلك تحتها حفرة تسيل اليهـــا الدماء يسمونها الغبغب ، وكانوا يلطخون الاصنام بدمائها . ومما ذكرته الروايات من اسماء الاصنام التي كان يذبح لهـــا او عندها مناة ونائلة واساف والعزى وذا الخلصة ونهم وسعير والفلس والجلسد [٢] .

---

(١) آية المائدة ٣ « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام .

(٢) جواد علي ج ٤ ص ١٠٦ - ١١٦

ج ـ وفي آية المائدة المذكورة آنفاً حرم اكل الميتة ولحم الخنزير والدم والحيوانات التي تموت نتيجة للنطح والوقذ والسقوط وافتراس الضواري . والمحرمات الثلاث الاولى قد تكرر ذكر تحريمها في آيات اخرى . حيث يستلهم من ذلك ان العرب او بعضهم كان يأكل بعض الحيوانات الميتة ولحم الخنزير والدم المسفوح والحيوانات التي تموت نتيجة للاحداث المذكورة .

الروح والبعث

في القرآن آيات كثيرة ذكرت فيها الروح . ومما لا شك فيه ان هذه الكلمة كانت مستعملة ومفهومة عند العرب قبل الاسلام . ويستنتج من بعض الروايات والآيات ان العرب كانوا يعتقدون ان الروح شيء غير مرئي كالهواء والنسيم ومستقل عن الجسد يحل فيه فتكون الحياة ويخرج منه فيكون الموت ، وان الروح لا تبلى ولا تنعدم بعد خروجها من جسد صاحبها .

وقد ذكرت الروايات ان الشخص اذا قتل ولم يؤخذ ثأره تصير روحه بحسب اعتقاد العرب هامة او طائرا يظل يزقو عند قبره قائلا اسقوني اسقوني الى ان يؤخذ بثأره . ولقد كان العرب يزورون قبور موتاهم ويرشونها بالماء ويغرسون في ترابها بعض الغراس ويبقون عندها الايام ويناجون اصحابها في زياراتهم مما فيه دلالة ايضاً على انهم كانوا يعتقدون ببقاء ارواح الموتى بعد مغادرتها الاجساد .

اما من ناحية البعث والجزاء الاخرويين فإن الفصول القرآنية تقرر ان المشركين كانوا ينكرونها ويستهزئون بالانذار بها ، وان تدينهم سواء باعترافهم بالله كالرب الاكبر الخالق المدبر ام باتخاذهم الشفعاء والوسطاء والشركاء والرموز المادية ام بتقريبهم النذور والذبائح واقامة الطقوس لهم انما كان يستهدف جلب النفع ودفع الضرر وتحقيق المطالب والرغبات في الدنيا وحسب .

غير ان هناك روايات [١] يمكن الاستدلال بها على ان بعضهم كان يعتقد بالبعث بعد الموت مع اكتناف ذلك بالغموض حيث روي انه اذا مات ميت كبير عقروا على قبره

---

(١) جواد علي ج ٥ ص ٢٨٠ وبعدها

ناقته وتركوها حتى تبلى عند قبره لتكون مطية له حينما يبعث بعد موته ، وحيث روي انهم كانوا يغسلون موتاهم ويصلون عليهم ويضعون في قبورهم اشياء كانوا يستعملونها في حياتهم ليستعملوها بعد بعثهم ايضاً .

التطور الديني قبيل البعثة النبوية

لقد ذكرنا قبل ان في القرآن آيات كثيرة تدل على ان العرب كانوا يجمعون بين الاعتراف بالله والشرك به . ومن هذه الآيات ما هو قوي الدلالة على انهم او كان منهم من يعتقدون بربوبية الله الشاملة وقدرته العظيمة وكونه خالق السماوات والأرض والرازق المدبر للاكوان والمسيطر عليها والملجأ الاعلى في عظائم الامور والكاشف الاقوى لجسيم الاخطار والقادر وحده على كل شيء وكونه خالق الملائكة والجن يرسل انبياءه لهداية الناس وينزل عليهم ملائكته بكتبه وآياته وان شركهم محصور في الاستشفاع بالملائكة واشراكهم مع الله في الدعاء والاتجاه على اعتبار انهم بنات الله وذوو حظوة لديه وان الاصنام التي يعظمونها ويذبحون لهــا ويقيمون طقوسهم عندها هي رموز مادية لهم [1] . مما هو ولا ريب مظهر تطور خطير في صدد العقيدة الدينية واتجاه نحو التوحيد المطلق .

ولقد كان مثل هذا التطور في جنوب الجزيرة ايضاً على ما نبهنا اليه في الفصل الثاني. وكما رجحنا ان ذلك كان بتأثير انتشار المسيحية واليهودية فإننا نرجح ان هذا في الشمال كان بتأثيرهما ايضاً حيث كان في الحجاز جالية يهودية كبيرة وجالية نصرانية وحيث كانت النصرانية سائدة في بلاد الشام والعراق ومصر التي كان تجار الحجاز يصلون اليها في رحلاتهم التجارية . وحيث كان الحج يجمع في الحجاز بين مختلف الاديان ومن جملتها النصرانية واليهودية . وقد كان من نتيجة ذلك ان اخذ بعض العرب يدخلون في الدين اليهودي والدين النصراني .

والذي نرجحه ان هذا التطور قد اخذ يقع في القرنين السابقين للبعثة النبوية . وان فكرة الاله الأعلى التي يقررها القرآن عند سامعيه من العرب ممزوجة بالشرك كانت قبل

---

(١) انظر ايات سورة الزخرف ٩-٣٦و٨٧ والمؤمنون ٨٤-٩٢ والانعام ٨و٣٧ و ٦٣-٦٤ و١٠٩و١٤٨ والاعراف ١٨٩-١٩٠ ويونس ١٢و١٨-٢٣و٣١

ذلك غامضة في اذهانهم . وان هذا الغموض ظل قائماً في اذهان اكثرهم وان التطور الخطير الذي نوهنا به قد كان عند الفئات المثقفة النيرة من اهل المدن .

واذا كان معظم هؤلاء بقوا على تقاليدهم مع ذلك ولم يتهود منهم او يتنصر الاقليل فإن مرد ذلك فيما يتبادر لنا :

اولا ـ الى ان الحجاز لم يكن خاضعاً لسلطان الروم الذين كانوا اصحاب السلطان في بلاد الشام واطراف الجزيرة في مصر والذين قد يكون سلطانهم وسيلة من وسائل اتساع نطاق النصرانية فيها . وفي الجزء السابق لهذا الجزء شرحنا ما كان من تأييد قياصرة الروم للنصرانية محاربتها الاديان الاخرى في هذه البلاد بما فيه تأييد لذلك .

ثانياً ـ الى ما كان الذين لم يتنصروا ولم يتهودوا من مثقفي العرب ومتنوريهم والذين كانوا يتجهون نحو التوحيد في تطورهم الديني كما قلنا يرون ما كان اليهود والنصارى فيه من انحراف وانشقاق وخلاف ونزاع يصل احياناً الى القتال والمذابح مما اشارت اليه آيات قرآنية عديدة [1] وايدته روايات المدونات القديمة وشرحناه في الجزء السابق ايضاً .

ولقد جعلهم هذا ينقبضون عن النصرانية واليهودية بل ويرون عقائدهم هي الاصح على ما تلهمه آيات عديدة من القرآن من جملتها هذه الآيات :

« ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون . وقالوا أ آلهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون [2] » بل وتجعلهم يتعجبون من ما هم عليه من خلاف ونزاع وقتال وعندهم كتب منزلة ويحلفون لو جاءهم نذير كما جاء اليهم بكتاب من الله بلغتهم ليكونن اهدى منهم كما جاء في هذه الآية « واقسموا بالله جهد ايمانهم لو جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا [3] » ويقولون اننا لا نعرف لغة كتب النصارى واليهود حتى نهتدي بها كما جاء في هذه الآيات

---

(١) انظر آيات سورة البقرة ١١٣ و ١٥٣ وسورة آل عمران ١٩ و ١٠٥ وسورة الشورى ١٣ ـ ١٥ مثلا .

(٢) سورة الزخرف ٥٧ ـ ٥٨ كأنهم يقولون بهذا ان النصارى اهل رسالة وكتاب ويعتقدون ان عيسى عليه السلام الذي ولد ومات انسانا جزء من الله وابنه ونحن اهدى منهم باعتقادنا بأن الملائكة بنات الله لان عيسى ليس من جنس الله بينا الملائكة روحانيون اقرب في صفاتهم وجنسهم الى الله

(٣) سورة فاطر ٤٣

« وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون . ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين . او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون »[1] .

اما عدم ايمان معظمهم بالقرآن ونبوة محمد ﷺ في العهد المكي فإن ذلك يرجع الى اسباب اخرى اشارت اليها بعض آيات القرآن . منها آية في سورة فاطر جاءت تتمة للآية ٤٣ التي اوردناها قبل وشرحاً لأسباب نفورهم وهي « استكباراً في الارض ومكر سيء ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا[2] » ومنها آية الزخرف هذه « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم[3] » ومنها آية سورة ص هذه « أأنزل عليهم الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب »[4]

ولقد وصل التطور في بعضهم الى ان حفزهم على البحث عن ملة ابراهيم الحنيفية المستقيمة الصحيحة التي كان ينسب عرب الشمال كثيرا من تقاليدهم اليها وينتسبون في بنوتهم الى صاحبها على اعتبار انها لا يمكن ان تكون شركاً ولا يمكن ان تكون هي ما عليه قومهم وما عليه اليهود والنصارى من عقائد وعادات فيها شذوذ وانحراف وسخف وكانت سبب التنازع والقتال فيما بينهم مما اشارت اليه بعض آيات القرآن التي منها : « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» وانبثق في نفوسهم عقيدة وحدانية الله وتنزهه عن الشريك والولد صراحة او تأويلا

---

(١) سورة الانعام ١٥٦ - ١٥٧ وينطوي في الايات دعوة وتنديد حيث تقول ان الله قد انزل الكتاب عربياً لئلا تقولوا ان الكتب السماوية الاولى بغير اللغة العربية ولو جاءنا كتاب عربي من الله لاهتدينا به وكنا اهدى من اليهود والنصارى

(٢) سورة فاطر ٤٤ اي انهم لم يؤمنوا استكبارا عن النبي وبقصد مكر السوء به

(٣) اي انهم استعظموا ان ينزل الله القرآن على محمد الذي لم يكن من كبار الزعماء وقالوا كان الاولى ان ينزل على زعيم كبير من مكة او الطائف (سورة الزخرف ٣١)

(٤) سورة ص ٨ اي انهم تعجبوا او كفروا لان القرآن انزل على محمد من دونهم .

وتنزه أصل الدين الذي كان عليه ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام عن الخلاف والتناقض لأنه من الله وأخذوا يتعبدون على ما ظنوه أسلوب ملة ابراهيم الحنيفية . وقد ذكرت الروايات العربية نموذجاً من هذا الباب حيث ذكرت ان زيداً بن عمرو أحد موحدي العرب الذي كان حياً قبيل بعثة النبي ﷺ كان يناجي الله عز وجل في عبادته ويقول « لبيك حقاً حقاً . تعبداً ورقاً . عذت بما عاذ به ابراهيم . أنفي لك راغم . مهما تجشمني فاني جاشم » ثم يسجد . وقد روي ان النبي ﷺ اجتمع به قبل البعثة وقال فيما بعد انه يبعث أمة وحده .

وممن ذكرته الكتب العربية من موحدي العرب ونابذي الشرك قس بن ساعدة الأيادي وأمية بن الصلت وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وأبو قيس النجاري الخزرجي وأبو الهيثم بن التيهان الأوسي وأبو عامر الأوسي وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وورقة بن نوفل وعمير بن جندب الجهني وعامر بن الظرب العدواني وخالد بن سنان العبسي وأرباب بن رئاب وسويد بن عامر المصطلقي وعبد الله القضاعي وعبيد بن الأبرص الذي يؤثر عنه هذه الآبيات :

من يسأل الناس يحرموه	وسائل الله لا يخيب
بالله يدرك كل خير	والقول في بعضه تلغيب
والله ليس له شريك	علام ما أخفقت القلوب

وهم الطبقة التي نرجح ان لم نقل نعتقد ان القرآن عناها بنعت الصابئين وسلكها في سلك اليهود والنصارى والذين آمنوا أي في سلك الطوائف الناجية اذا استقامت على الايمان بالله والعمل الصالح والتي لا نشك في ان النبي ﷺ كان منها قبل أن يبعثه الله هادياً للناس [١] .

---

(١) انظر كتابنا عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ص ٤١٩ — ٤٣٤ وجوادعلي ج ٥ ص ٣٦٨ — ٣٩٩ . ومن الآيات التي وردفيها ذكر الصابئين هذه الاية « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » سورة البقرة ٦٢ والاسم مشتق من صبأ بمعنى مال وانحرف . ولقد ذكرت الروايات (انظر الصحف المذكورة سابقاً من كتاب عصر النبي) ان قريشاً كانوا ينعتون النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في مبادىء الدعوة بالصأبئين والصبأة حيث يفيد هذا أن الانحراف الذي تضمنه معنى الكلمة هو الانحراف عن دين الاباء والاجداداي الشرك . وهذا ما جعلنا نرجح ان كلمة الصأبئين في القرآن عنت الطبقة الموحدة . ولعل العرب كانوا يطلقونها على أفراد هذه الطبقة بدليل إطلاقهم إياها على النبي والمسلمين الاولين .

ويلحظ ان الاسماء لم تكن من بيئة أو قبيلة واحدة حيث فيها القرشي واليثربي والعدواني والايادي والعبسي والقضاعي والمصطلقي مما فيه دلالة على ان الفكرة كانت واسعة الانتشار .

ثم صار هؤلاء وغيرهم من المستنيرين المحتارين يتمنون على الله أن يبعث إليهم نبياً ونذيراً منهم بكتاب عربي يفهمونه ويديرون هم وسائر قومهم عليه حتى لا يبقوا في حيرتهم وضلالهم كما أرسل إلى غير العرب أنبياء منهم وأنزل عليهم كتباً بلغاتهم ويقسمون بالله انهم اذا جاءهم مثل هذا النبي العربي بكتاب عربي ليؤمنن به وليكونن أهدى من اليهود والنصارى على ما حكته آيات القرآن التي اوردناها قبل . وقد استجاب الله دعاءهم فاصطفى من بينهم محمداً ﷺ وبعثه رسولا اليهم والى الناس كافة وأوحى اليه بالقرآن ليزكيهم ويعلمهم ويهديهم ويهتف بهم بأمر الله « انني هداني ربي الى صراط مستقيم . ديناً قيما ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

ولقد احتوى القرآن مبادىء سامية شاملة وافية بجميع حاجات الانسانية في كل زمن ومكان فكانت متممة لما جاء به أنبياء الجنس العربي السابقون ، ومصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ليكون شريعة الخلود وليظهره الله على الدين كله . وهكذا كملت سلسلة مآثر الجنس العربي الدينية التي كان لها الاثر العظيم الخالد في البشر وحياتهم وكان ذلك إيذاناً ببدء الدور الثالث العظيم لهذا الجنس في شخصيته الصريحة الخالدة .

النصارى والنصرانية في شمال الجزيرة [1]

في القرآن آيات كثيرة في النصارى والنصرانية تفيد انه كان في بيئة النبي عليه السلام قبل البعثة طائفة تدين بالنصرانية وان منهم العربي ومنهم الأعجمي .

ولقد كانت النصرانية سائدة في بلاد الشام وتخوم الجزيرة الشمالية في طريق الحجاز والشام ثم في جزيرة الفرات والعراق العربي فضلا عن انها كانت منتشرة في جنوب جزيرة العرب

---

(١) لقد أوردنا موجزاً فيه الكفاية عن اليهود واليهودية في شمال الجزيرة العربية في بحث نظام الحكم في يثرب فقصرنا البحث هنا على النصرانية والنصارى

نتيجة لانتشارها الواسع في الحبشة ومصر . فمن الطبيعي أن تتسرب الى شمال الجزيرة العربية .

ولقد احتوى القرآن تفنيداً لما كان عليه النصارى من انحراف في عقيدة وحدة الله الصافية وسوء تأويل ، وحججاً قوية عليهم . ودعوة متكررة اليهم ليرعووا الى الحق والصواب وينزهوا الله عما لا يليق به من اتخاذ الولد والحاجة اليه وتقريراً للحق والحقيقة بالنسبة للسيد المسيح . غير انه ليس فيه حملات عنيفة على سلوكهم ومواقفهم من الدعوة النبوية . بل وفيه تنويه بما هم عليه من خلق الرأفة والرحمة ، واستشهاد بهم ، وشهادتهم بصحة وصدق القرآن والرسالة المحمدية وإيمانهم بها . مما قد يكون دلالة أولا على انهم لم يكن لهم في بيئة النبي عليه السلام كيان قوي وان نطاق النصرانية فيها كان ضيقاً وانهم كانوا ذوي أخلاق رضية بعيدين عن المكابرة واللجاج مذعنين للحق [1] .

وهناك آيات تفيد أن بعض نصارى مكة كانوا ذوي ثقافة دينية ومدنية حيث احتوت حكاية قول المشركين ان النبي عليه السلام يتعلم منهم ويستعين بهم . كذلك هناك آيات تفيد ان منهم من كان أعجمي اللسان . وهذا يعني ان هؤلاء كانوا حديثي الطروء على مكة فظلوا يحتفظون بلغتهم أو لكنتهم الاعجمية . وهناك الى هذا آيات قد تفيد ان من النصارى في مكة من كان غنياً ذا مركز مرموق يجعله مصوناً من التحرش والعدوان [2] .

والروايات العربية تؤيد كل هذه الاستدلالات . ولقد ذكرت هذه الروايات اسماء افراد عديدين من النصارى في مكة والطائف ويثرب مثل جبرا ويسار الروميين وهما اللذان عناهما المشركون حسب الروايات بزعمهم انهما يعلمان النبي عليه السلام وانه يستعين بهما، وكانا على ما ذكرت الروايات يقرآن التوراة والانجيل فيمر بهما النبي عليه السلام فيستمع اليهما قبيل بعثته . ومثل عايش غلام حويطب بن عبد العزى واناسطاس غلام صفوان بن أمية وصهيب بن سنان وكان ذا مال وسلمان الفارسي الذي نوهت الروايات بما كان عليه من علم وثقافة وبلال ووحشي وشقران والاسود من الاحباش . ومثل عداس

---

(١) انظر سورة الانعام ٢٠و١١٤ والاعراف ١٥٧ ويونس ٩٤ والاسراء ١٠٧–١٠٨ ومريم ٣٤–١٠٧ والقصص ٥٢–٥٥ والزخرف ٥٧–٦٥ والنساء ١٧١–١٧٢ والمائدة ٧٢–٧٩ و ٨٢–٨٤ و ١٧–١٣–٢٠ والتوبة ٢٩–٣٤ والحديد ٢٧ وانظر تعليقاتنا عليها في كتابنا عصر النبي وبيئته قبل البعثة ص ١٢٢–١٢٦ و ٤٥٢–٤٦٩

(٢) انظر آية سورة النحل ١٠٣ والفرقان ٤–٥

من نينوى في الطائف . ونجار قبطي في المدينة لم يذكر اسمه وهو الذي صنع منبر النبي عليه السلام وذكرت الروايات انـــه كان في مكة شماس رومي يبشر بالنصرانية ولم تذكر اسمه [١] .

ولم نر في ما اطلعنا عليه من الروايات الا اسماء افراد قلائل من العرب الصرحاء يمكن أن يكونوا قد دانوا بالنصرانية منهم أبو عامر الاوسي المسمى بالراهب [٢] وورقة بن نوفل القرشي [٣] وعثمان بن الحويرث القرشي [٤] وابو زبيد الشاعر النصراني [٥] مع التنبيه الى ان الثاني والثالث ذكرا في عداد الموحدين أيضاً .

ومع ان الآيات كما قلنا تلهم ان نطاق النصرانية كان ضيقاً في بيئة النبي عليه السلام فاننا نرجح انها لم تكن قاصرة على من ذكرتهم الروايات . وقـــد يؤيد ترجيحنا كثرة الآيات المكية والمدنية التي كانت تذكر النصرانية والنصارى وتنوه بهم وتشيد بمواقفهم التصديقية والايمانية وبما كانوا يقررونه من صفات النبي التي يجدونها مكتوبة عنـــدهم في التوراة والانجيل والتي كانت تجعلهم يتبعونه ، وتندد بمن ظل منحرفاً منهم وتقرر الحقائق الايمانية في ولادة عيسى عليه السلام وتحكي ما كان يقوله للناس من انه عبد الله ونبيه وان الله ربه وربهم وانه مصدق لما بين يديه من التوراة ومبشر برسول يأتي من بعده اسمه احمد ودعوته الى الله وحده ، وتبرؤه مما اعتقده النصارى فيه وفي أمه [٦] . واذا كان كثير من الآيات المكية التي تضمنت الاستشهاد بهم وتقرير شهادتهم الايجابية وحكايـــة مواقف ايمانهم وتصديقهم قد جاءت بوصف (الذين أوتوا العلم) و (والذين آتيناهم الكتاب) فان كتب التفسير تروي ان معظمهم من النصارى . ولقد ذكر النصارى بصراحة في كثير منها أيضاً .

ولقد جاء في سورتي الاسراء والمائدة هذه الآيات :

١ - (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا تلي عليهم يخرون

---

(١) جواد علي ج ٦ ص ١٩٩ وما بعدها

(٢) انظر تفسير آية التوبة ١٠٧ في تفسير الطبرسي

(٣) انظر تفسير سورة العلق في تفسير ابن كثير

(٤) جواد علي ج ٦ ص ٢٠٤

(٥) نفس الجزء ص ٢٠٦

(٦) الايات المذكورة في الذيل السابق

للاذقان سجداً . ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) .

الاسراء ١٠٨

٢ — (ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا لا نؤمن بما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين)

المائدة ٨٢—٨٤

حيث يفيد هذا ان الذين يسمعون القرآن كانوا يفهمونه جيداً . وهذا لا يتأتى كما هو المتبادر الا من عرب صرحاء كما ان الآيات تفيد ان الذين تعنيهم جماعة فيهم القسيسون والرهبان والذين على درجة عالية من العلم . وسورة الاسراء مكية وسورة المائدة مدنية وهذا يعني أن المشهدين مختلفان وقع واحد منهما في مكة والآخر في المدينة . واذا كانت بعض الروايات تذكر ان المشهدين او ان مشهد المدينة خاصة كان من وفد جاء من الشام أو الحبشة فان فهم الجماعة التي عنتها الآيات لكلام القرآن هذا الفهم الجيد يجعل هذه الروايات محل توقف وشك .

ولقد جاء في سورة القصص هذه الآيات :

(الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون . واذا تلي عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين . أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون . واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) ٥٣—٥٥

وسورة القصص مكية . والآيات تفيد ان الذين حكت أقوالهم عرب صرحاء مقيمون في مكة واصحاب ثروة ومركز .

ولقد جاء في سورة العنكبوت هذه الآية :

(ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون . وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم

الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون)
٤٩–٤٧

وسورة العنكبوت مكية . والآية تفيد ان منهم من كان يجادل النبي عليه السلام ويناظره وان منهم من كان يؤمن به . وتفيد بالتالي انهم جماعة كبيرة .

ولقد أثر عن حسان بن ثابت رضي الله عنه بيت من قصيدة رثى بها النبي عليه السلام جاء فيه :

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملحد

وهذا يعني انه كان في يثرب جماعة نصرانية . وقد روت بعض الروايات ان النصارى في يثرب كانوا يسكنون في موضع يقال له سوق النبط [١] .

ولقد كان النصارى مختلفين فرقاً ومذاهب . منهم من كان يقول ان عيسى هو الله ومنهم من كان يقول انه ابن الله ومنهم من كان يقول انه ثالث ثلاثة ومنهم من كان يؤله مريم . ومنهم من يقول انه ذو طبيعة واحدة غير مساوية لطبيعة الله لأنها مزيج من اللاهوتية والناسوتية ومنهم من يقول انه ذو طبيعتين لاهوتية وناسوتية ومنهم من يقول انه نبي فقط وولد بمعجزة . ومنهم من يقول ان كلمة الله حلت فيه بعد ولادته وانه لا يجوز ان يقال لمريم أم الله على ما يستفاد من التقريرات القرآنية والروايات العربية [٢] . وغير العربية ولا بد من ان يكون هذا شأن النصارى الذين كانوا في الحجاز .

وجل ما قلناه هو في صدد النصرانية والنصارى في بيئة النبي عليه السلام الخاصة أي في الحجاز .

ولقد ذكرت الروايات [٣] ان ملك اليمامة هوذة بن علي الحنفي كان نصرانياً مما يسوغ القول ان كثيراً من بني حنيفة وغيرهم في اليمامة كانوا يدينون بالنصرانية أيضاً . ولقد

---

(١) جواد علي ج ٦ ص ٢١٠

(٢) انظر آيات سورة النساء ١٧١ والمائدة ١٧ و٧٢–٧٣ و١١٦ ومريم ١٦–٣٧ وتاريخ سورية للمطران الدبس ج ٢ المجلد ٣ ص ٥٥٦–٥٦٠ و٦٣٢–٦٣٥ و ج٢ المجلد الرابع ص ٨٠ – ٩٢ و ٢٣٠ – ٢٣٩ و ٢٦٦ – ٢٧٣ و ٣٧١ – ٤١٢ و ٥٠٤ – ٥٢٨

(٣) جواد علي ج ٦ ص ٢١٠

ذكرت المدونات المسيحية خبر اشتراك أساقفة من قطر وهجر في المجامع النسطورية التي انعقدت في العراق في سني ٥٧٦ و٥٨٥ و ٦٧٦ ب م حيث يدل هذا على ان النصرانية كانت منتشرة في سواحل الخليج العربي . وفي طبقات ابن سعد [٢] انه كان في عداد وفدبني عبد القيس من البحرين الى النبي ﷺ زعيم اسمه الجارود وكان نصرانياً أيضاً بما فيه تأييد لذلك .

ولقد كانت التخوم الشمالية للحجاز ومنها مناطق تبوك ودومة الجندل منازل قبائل بني كلب وبعض فروع من كندة وغيرهما وكانت النصرانية منتشرة في هذه الربوع على ماذكرته الروايات [٣] التي ذكرت ان الاكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل كان أيضاً على النصرانية .

هذا وكما كان اليهود واليهودية مصدراً هاماً من مصادر أفكار العرب ومعارفهم الدينية وغير الدينية في الحجاز فقد كان النصارى والنصرانية كذلك أيضا . وليس من شأن قلة النصارى في الحجاز أن تمنع ذلك . فقد كانت النصرانية منتشرة انتشاراً واسعاً في بلاد الشام ومشارفها التي تلي الحجاز وفي جزيرة الفرات وفي العراق ثم في اليمن ، وكان نصارى أهل هذه الاصقاع يفدون الى الحجاز في موسم الحج حتى انهم أثبتوا وجودهم في تصويرهم المسيح وأمه عليهما السلام في داخل الكعبة أسوة بقبائل العرب من مختلف أنحاء الجزيرة وخارجها الذين أثبتوا وجودهم في وضع نسخ من أصنامهم فيها على ما ذكرناه قبل . وكانت قوافل الحجاز التجارية تتردد سنوياً على هذه البلاد ثم على مصر والحبشة اللتين كانت النصرانية سائدة فيهما . فكل هذا فسح المجال للاحتكاك والتبادل . ولقد كان كثير من نصارى الشام والعراق وجزيرة الفرات صرحاء العروبة واللسان فكان ذلك مما يسر ذلك الاحتكاك والتبادل وجعلهما ايجابيين . وهذا بالاضافة الى ما كان في الحجاز منهم الذين كان فيهم الرهبان والقسيسون ومن كان على ثقافة عالية جعلت المشركين في مكة يقولون ان النبي ﷺ يتعلم منهم ويستعين بهم على نظم القرآن الذي كان يدهشهم مافيه من بلاغة وروعة وأفكار وقصص وقوة حجج . ولعل من أهم ما تأثر عرب الحجاز به من النصارى بالاضافة الى فكرة الله والنبوة والمعجزات والوحي والكتب المنزلة من الله

---

(١) نفس الجزء ٢١٢

(٢) ج ٢ ص ٧٩

(٣) جواد علي ج ٦ ص ٢٠٩

على الأنبياء فكرة الشفاعة وفكرة اتخاذ الله ابناً ، حيث كان النصارى يستشفعون بالقديسين وحيث يعتقدون بأن المسيح ابن الله . وقد تطورت عندهم تطوراً طريفاً لم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم به أهدى من النصارى وذلك باعتقادهم ان الملائكة بنات الله واشراكهم معه في الدعاء والاتجاه كشفعاء على اعتبار أنهم ذوو حظوظ عنده ، وقد حكت بعض آيات سورة الزخرف تبجحهم بذلك [1] ولقد كانوا يعرفون نتيجة للاحتكاك المستمر بينهم وبين النصارى ما هم عليه من خلاف وشقاق وتعدد مذاهب فكانوا يتعجبون من أمرهم ويقولون انهم لو جاءهم نذير بكتاب عربي ليكونون أهدى منهم . وهذا في حد ذاته من آثار النصرانية واليهودية القوية في عرب الحجاز . ويضاف الى هذا ما هنالك من تطابق بين تقريرات القرآن وبعض المذاهب النصرانية مما يمكن أن يلمح فيه أثر من آثار النصارى ومما كان في ما نعتقد من عوامل استبشار نصارى الحجاز بنبوة النبي عليه السلام وفرحهم بما أنزل عليه وتأثرهم به ذلك التأثر الرائع الذي ذكرته آيات الاسراء والقصص والمائدة التي أوردنا نصوصها وآية الرعد هذه « والذين آتيناهم يفرحون بما أنزل اليك ... ٣٦ » وانضوائهم الى الاسلام ثم إقبال النصارى في بلاد الشام والعراق وجزيرة الفرات ومصر على الاسلام منذ الأدوار الاسلامية الاولى ولا سيما وقد كانت غالبيتهم تدين بالمذهبين اليعقوبي والنسطوري اللذين لا يؤمن معتنقوهما بالمساواة التامة بين الله والمسيح ويعتبرون المسيح ذا طبيعة واحدة مزيجة من الناسوت واللاهوت معاً [2]

ولا شك في ان عرب الحجاز عرفوا عن طريق النصارى كما عرفوا عن طريق اليهود كثيراً من قصص أسفار العهد القديم وسيرة السيد المسيح ومعجزاته المذكورة في الاناجيل وأعمال الرسل والحواريين الملحقة بها كما عرفوا كثيراً من القصص المسيحية الخالصة التي لم تذكر في الاناجيل وأعمال الرسل مثل قصة أصحاب الكهف المذكورة في سورة الكهف وقصة نزول المائدة المذكورة في سورة المائدة وقصة أصحاب القرية المذكورة في سورة يس على ما يلهمه ورودها في القرآن حيث اقتضت حكمة التنزيل ذلك لتذكيرهم بما عرفوه من

---

(١) آيات الزخرف هي هذه « ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون . وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون (٥٧-٥٨) والايات تفيد انهم كانوا يسخرون من النصارى لاتخاذهم المسيح الذي ولد ومات انسانا ابناً لله ويقولون انهم اهدى منهم باتخاذهم الملائكة بنات الله لانهم اشد مماثلة له

(٢) انظر تاريخ سورية الدبس المجلد ٤ ج ٣ ص ٨٠-٩٠ و ٢٣٠-٢٣٩ و ٢٦٦-٢٧٣ و ٢٧١-٤١٢ و ٥٠٤-٥٢٨ وجواد علي ج ٦ ص ٢١٣ وما بعدها

قصص وضرب المثل به .

ولقد ذكرت بعض الروايات العربية ما يفيد ان التوراة والانجيل كانا مترجمين الى العربية قبل البعثة [1] . وهذا محتمل جداً لأن النصرانية كانت منتشرة انتشاراً واسعاً بين العرب الصرحاء في بلاد الشام والعراق وجزيرة الفرات وأنحاء اليمامة وسواحل الخليج واليمن . والنصرانية تعتبر شريعة التوراة شريعة لها . وهكذا تكون هذه الترجمة العربية أيضاً مصدر كثير من معارف عرب الحجاز عن النصرانية واليهودية ومقتبس كثير من التسميات العربية التي كانت متداولة بين العرب قبل الاسلام والتي كانت ترجمة ما يماثلها عند اليهود والنصارى غير الصرحاء .

وكلمة التوراة تعريب لكلمة قريبة منها في العبرانية وتعني الشريعة. والآيات القرآنية التي وردت فيها الكلمة مرارا تفيد حيناً انها الشريعة الموسوية الواردة في أسفار الخروج والعدد واللاويين وتثنية الاشتراع كما تفيد حيناً انها تعني ما كان متداولا من أسفار العهد القديم غير هذه الاسفار أيضاً وان كان ليس في الامكان تعيينها على اليقين . وفي القرآن كثير من قصص بني اسرائيل التي وردت في اسفار غير الأسفار الأربعة وفيه بالاضافة الى ذلك قصص لم ترد في الاسفار الاربعة وغيرها من الاسفار المتداولة اليوم مما يسوغ الترجيح بأنها وردت في أسفار وقراطيس يهودية لم تصل الينا .

وكلمة الانجيل تعريب لكلمة يونانية قريبة منها بمعنى البشارة والتبشير . ومع أن القرآن ذكر الانجيل منفردا على اعتباره كتاباً منزلا من الله على السيد المسيح فان النصارى يتداولون أناجيل عديدة كتبها أشخاص من النصارى بعضهم حواريون كترجمة للسيد المسيح فيها سيرته وأقواله وتعاليمه المنسوب كثير منها الى الله . ومع ان المعترف به من الاناجيل أربعة فإن هناك اناجيل أخرى غير معترف بها . ومنها ما احتوى من التقريرات عن عيسى عليه السلام ودعوته ما فيه تطابق تام مع ما احتواه القرآن وهو انجيل بونابا الذي ينسب الى احد الحواريين المسمى بهذا الاسم والذي لا يعترف به النصارى في جملة ما لا يعترفون به من الاناجيل الاخرى . ولا يمكن الجزم بعدد ما كان متداولا من الاناجيل في أيدي النصارى في زمن البعثة النبوية وقبلها ولا أسماء مؤلفيهم وان كنا نرجح انها كانت اكثر من واحد وأن من بينها ما فيه

---

(١) جواد علي ج ٦ ص ٢٧٨

التقريرات المطابقة للقرآن عن عيسى عليه السلام ، وان ذلك من جملة ما جعل النصارى يقبلون على الاسلام منذ أدواره الاولى .

ومن التعابير التي كان للنصرانية فيها أثر ما تعبير روح القدس . فقد ورد هـــذا التعبير مرارا في القرآن في معرض ذكر تأييد الله به عيسى عليه السلام وجاء مرة وصفاً للملك الذي كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ . والتعبير عربي فصيح . ومما لا شك فيه انه كان مستعملا عند العرب ونصاراهم كترجمة للكلمة السريانية او اليونانية التي تعبر عن الاقنوم الثالث (الاب والابن وروح القدس)

وبالاضافة الى ذلك ففي شعر منسوب الى شعراء جاهليين كلمات كثيرة مقتبسة من أعياد النصارى وطقوسهم وعقائدهم ان صح جاهلية الشعر تكون هي أيضاً مـــن آثار النصرانية في اللغة العربية والناطقين بها

واذا كان كلامنا قد انصب على أثر النصرانية والنصارى في عرب الحجاز فان ذلك بسبب كون النصرانية في هذا الاقليم ضيقة النطاق . وما قلناه من ذلك ينسحب بطبيعة الحال على سائر أقاليم شمال الجزيرة لأن النصرانية كانت منتشرة فيها أكثر من الاقليم الحجازي ، ونعني مناطق اليامة وسواحل الخليج العربي ، وانتشار النصرانية فيها يأتي في مقدمة آثارها .

---

(١) انظر جواد علي ج ٥ ص ٣٧٨ وما بعدها

الفصل الرابع

تاريخ ومآثر العرب في هذا الدور خارج جزيرة العرب

١ – تمهيد في حركة الانسياح العربي في هذا الدور الى خارج الجزيرة وفي مصادر هذا الفصل

٢ – تاريخ ومآثر العرب في بلاد الشام

٣ – تاريخ ومآثر العرب في بلاد العراق

تمهيد

-١-

استمرار حركة الانسياح من جزيرة العرب الى خارجها في هذا الدور

لقد ظلت حركة الانسياح من جزيرة العرب الى الاقطار المجاورة مستمرة في هذا الدور كما كان شأنها في دور ما قبل العروبه الصريحة على ما تدل عليه أسماء القبائل العربية التي روت الروايات المتواترة وجودها في بلاد الهلال الخصيب والتي امتد وجودها الى عهد الاسلام وبعده حيث يدل هذا على ان المحرك الذي يحرك سكان الجزيرة الى الانسياح الى خارجها كان منبثقاً من طبيعة الجزيرة الجغرافية والاجتماعية التي لا تتغير والتي ألمعنا اليها في مقدمة الجزء الاول والاجزاء التالية له والتي استمرت تعمل عملها بعد الاسلام الى اليوم والى ما شاء الله .

ومما ذكرته الكتب العربية كسبب محرك للانسياح في هذا الدور خراب سد مأرب وحدوث السيل العظيم المعروف بسيل العرم حيث تدفقت مياه السد ودمرت الاراضي والحقول وأرعبت السكان وجعلت كثيرا منهم ينزحون الى شمال الجزيرة وسواحلها الشرقية ثم الى الهلال الخصيب [١] .

وقد مر في الفصل الثاني من هذا الجزء خبر تعدد الخراب الذي طرأ على هذا السد الكبير منذ القرن الأول للميلاد واضطرار ملوك مملكة سبأ وريدان الى نقل عاصمتهم من مأرب الى ظفار بسببه وما كان من الرعب الذي استولى على أهل المنطقة حينما تهدم في

---

(١) انظر تفسير آية سبأ ١٦ التي فيها ذكر سيل العرم في كتب تفسير ابن كثير والخازن وغيرهما وانظر جواد علي ج ٣ ص ١٥٨ وبعدها والمسعودي مروج الذهب ج ٢ ص ٨٩ وبعدها

القرن الخامس بعد الميلاد وفرارهم الى الجبال بما فيه تأييد ما لرواية سيل العرم وآثاره في انسياح القبائل من اليمن .

على أن القبائل العربية التي تذكر الكتب العربية وجودها في مختلف أنحاء الهلال الخصيب في هذا الدور تنتسب إلى الارومتين القحطانية والعدنانية معاً أي من شمال الجزيرة وجنوبها حيث يفيد هذا ان الاسباب التي كانت تدفع سكان الجزيرة الى خارجها في هذا الدور والدور الذي قبله ايضاً كانت تحدث في شمال الجزيرة وجنوبها معاً من مثل الحروب بين القبائل والمنازعات على المنازل والسلطان والمياه أو القحط والجفاف ، وان كان عرف بالاضافة الى ذلك سبب آخر وهو خراب السدود بالنسبة للجنوب .

والناظر في الكتب العربية القديمة يدهش لما تنطوي عليه مـــن صورة قوية لحركة التموج التي كانت تجري بين الجزيرة والهلال الخصيب بنوع خاص في هذا الدور لما يقرأه من أسماء القبائل وفروعها ورواحها وغدوها واحداثها وحركاتها وحروبها ومنافساتها مما ألمعنا إلى شيء منه في سياق بحث القبائل العربية وأيام العرب في الفصل الثاني [١] .

ومن القبائل التي ذكرت الكتب العربية وجودها قبل الاسلام في أنحاء الهلال الخصيب المختلفة الممتدة من الخليج العربي الى سيناء الضجاعمة وسليح وقضاعة وعاملة وبهراء وجرم والعلاف وبكر وربيعة وشيبان وتغلب والنمر وتميم وغنة وطي وغسان وجذام وكلب وكلاب وتنوخ ولخم وكندة وبلى وجهينة وعباد وبقيلة وبجيلة وبنو دارم وبنو الدار وبنو ضبة وبنو يربوع وبنو مرواياد ومذحج وبنو فهم وأسد ونزار وبنو ثعلبة والسكون الخ الخ ومن هذه الأسماء قبائل ضخمة لها فروع كل فرع منها بمثابة قبيلة مثل طي وقضاعة وتميم وكلب وجذام الخ [٢] .

والكتب العربية لم تستوعب مع ذلك جميع أسماء النازحين من الجزيرة الى خارجها في هذا الدور . فهناك دلائل أثرية يقينية على وجود قبائل صريحة العروبة في أطراف بلاد

---

(١) انظر بيانات كثيرة في الجزء الرابع من تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي وتاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان والجزئين الاول والرابع من صبح الاعشى والجزئين الثاني والثالث مـــن العقد الفريد وسبائك الذهب في أنساب العرب للسويدي والجزء السادس من تاريخ ابن خلدون .

(٢) انظر الكتب المذكورة آنفاً

الشام الجنوبية قبل الميلاد المسيحي حيث ذكرت نقوش آشورية تعود الى الحقبة الممتدة مـــن القرن التاسع الى القرن السابع اسماء العريبيين والقيداريين والعبابيد والمرسمانن والثموديين والخيابا والبازويين والخلديين والجــلانيين والنبطيين والزهرانيين والقضبيين والجعفيين والاهيليين والبدعيين والجاديين والمساعيين ، لم تذكرها الكتب العربية [1] وحيث ذكرت كتب الرومان واليونان القديمة أسماء قبائل وأرومات صريحة العروبة كانت موجودة في انحاء عديدة من بلاد الشام وجزيرة الفرات وحدود العراق قبل الميلاد المسيحي وبعده بقليل لم تذكرهـــا كذلك الكتب العربية مثل الرهـــاويين والحيدابيين والشمسانيين والشمبليين والفاراباتيين والحماسنة والبرتاويين والدماريين والساليين والرعابنة والرتيين والكواكبة والمثانية والثوانية والتيمانيين والراتونيين والباطنيين والعطاليين والسميذعيين [2] والعيطوريين [3] والبلماويين [4] الخ ومن هؤلاء كثيرون كان لهم ممالك وامارات ومشيخات

وقد ذكر بعضهم خبر وجود قبائل صريحة العروبة في حدود سيناء وغزة وفي صعيد مصر بدون ذكر اسماء لها حيث قال أحدهم [5] ان منطقة غزة وما وراءها كانت في زمن الاسكندر المكدوني (٣٣٣ ق م) مأهولة بالقبائل العربية المتصلة بطور سيناء وان العرب في غزة قاوموا الاسكندر مقاومة شديدة وحيث قال أحدهم [6] ان قبائل عربية اغارت على شرق صعيد مصر في عهد الامبراطور دقليانوس(٢٩٧–٣١٥) ب م . وحيث قـــال احدهم [7] ان قبائل عربية كثيرة كانت منتشرة في شمال خليج البصرة في ظروف زحف الاسكندر وكانت تابعة لملك اسمه باسين . ولقد قامت في القرون الثلاثة الاولى بعـــد الميلاد المسيحي في تدمر دولة كان على رأسها ملوك صرحاء العروبة كانوا أصحاب الزعامة في القبائل العربية الصريحة المنتشرة في منطقة تدمر على ما سوف نشرحه بعد . وكل هذا لم تذكره الكتب العربية .

---

(١) جواد علي ج ٣ ص ٢٩٩ وبعدها

(٢) جواد علي ج ٣ ص ٢٧٤ وبعدها

(٣) تاريخ سورية الدبس ج ٢ مجلد ٣ ص ٥٩٨

(٤) الاسلام والمسيحية في لبنان للدفتردار ص ٣٣–٣٧

(٥) تاريخ قبل الفتح العثماني للاسكندري وسفيدج ج ١ ص ١٣٥

(٦) و (٧) جواد علي ج ٣٧٢–٣٧٥

(٧) تاريخ مصر قبل الفتح العثماني للاسكندري وسفيدج ج ١ ص ١٣٥

ومن النازحين سواء الذين ذكرتهم الكتب العربية أم الكتب الرومانية واليونانية أم النقوش من عاش حياة البداوة ومنهم من اندمج في غيره ولم يعد يذكر باسمه القديم ومنهم من طبع الانحاء التي انتشر فيهـــا باسمه – مثل ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر – ومنهم من تحضر وأنشأ المدن والقرى والممالك شأن من كان ينزح من الجزيرة الى خارجها في دور ما قبل العروبة الصريحة .

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي أسماء مئات المدن والقرى الصغيرة والكبـــيرة في مختلف أنحاء بلاد الشام والعراق تحمل اللمحة العربية الصريحة مع لمحة القدم مما يسوغ القول إنها أو ان كثيراً منها مما أنشأه النازحون من جزيرة العرب في هذا الدور . وهي غـــير الاسماء التي نقلناها من المعجم المذكور وأوردناها في الجزئين الثالث والرابع مما أنشأته الموجات العربية في هذه البلاد قبل دور العروبة الصريحة . وفيها دلالة على ما كان مـــن نشاط النازحين وها هي ذي منقولة من المعجم حسب ترتيب حروف الهجاء :

أولا – في بلاد الشام

اذرح ، اذرعات ، ارك الاثارب ، اربد ، ارقاح ، الارثق ، ارفاد ، اعناز ، افيق ، الاندرين ، الاحص ، اعزاز ، اودن ، اورم ، الاوزاع ، ايلة ، الاقحوانة ، البـــاب ، براق ، باره ، بعرين ، بسر ، بصرى ، بريدة ، برزة ، بزاعة ، كفر بصل ، بصير الجيدور ، بطنان ، البقاع كورة فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة ، بلاس ، بلاط ، بوقاس ، البيرة ، بيرين ، بيت الآبار قرى عديدة في غوطة دمشق ، تبنين ، تبني ، تاذف ، تبوك ، تدمر ، تل بني سيار ، تل قباسين ، تنونيه ، توزين ، تولع ، تل ماسح ، تل منسى ، تل وزن ، تل هراق ، تبنت ، تنهج ، تولع ، عين ثرماء ، جادية ، جامع ، جبّل ، جبلة ، جبول ، جبة عسيل كورة فيها قرى عديدة ، جدر ، جليجل ، الجرباء ، جسرين ، جوبر ، جوسيه ، الجيدور كورة فيهـــا قرى كثيرة ، جاسم ، حارث ، حارم ، حافر ، حبال ، بطنان حبيب ، حجرا ، حجيرة ، حدس ، الحص ، حديثة ، الحديجاء ، الحرجلة ، حرلان ناحية بغوطة دمشق فيها قرى كثيرة ، حيلان ، حمورية ، حورة ، حنيناء ، حوار ، حوط ، حيانية ، الحنة ، حيلان ، حبلة ، الخانوق ، خساف ، خلاط ، خناصرة ، خنافس ، دارة ، دانا ، دوما ، دوسر ، دنوه ، دوغان ، دقانية ، دمر ضاحية دمشق ، زاوية ، رمح ، روجين ، سويداء ، سبات ، سكاكة ، شبعاء ، عرندل ، قمرة ، القوينصة ، القريات ، القريتين ، مشحلة ، مؤتة ، نوى ، نيرب ، يحمول .

ثانياً — في جزيرة الفرات

الأنبار ، الأنطاق ، آم ، عين أباغ ، أذرمة ، أتور ، بسومة ، تل بسمة ، تل بني سيار ، تل بليخ ، تل التمر ، تل جحوش ، تل حران ، تل عبدة ، تل زيدي ، تل عبلة ، تل محري ، تل موزن ، تيرم ، جوزة ، جهينة ، حديثة ، حران ، حر ، حرف ، حريش ، حصانة ، الحصين ، حصن منصور ، الحضر ، الحنانة ، حورة ، خالدية ، خانوقة ، خنافس ، دارا ، دير زور ، ديار بكر ، ديار مضر ، ديار ربيعة [1] ، دوغان ، الدولعية ، دياف ، ديرسابا ، الرافقة ، رأس العين ، الرحبة ، الرقة ، الرصافة ، الزاوية ، الزباء ، السابولاية ، رعبان ، روحاء ، السلامية ، سنجار ، السن ، شرملة ، الشماخية ، الشيبانية ، الشهلبة ، الشوشة ، الصاقبة ، عانة ، عربان ، عزان ، عفزة ، العقر ، العمرانية ، غدر ، غرسة ، فدان ، الفدين ، الفضلية ، القبصية ، كافل ، كباث ، كرمى ، المونسة .

ثالثاً — في العراق

الانخلاء (صقع في البصرة عـــامر) اقساس ، امره ، بقة ، بنارق ، بذة ، بقيقة ، بشكر ، بنار ، بوازيج ، جابان ، جاذر ، جامدة ، جبابين ، جبّل ، جرزة ، الجوسق ، حروراء ، حسان ، الحصاصة ، الحظيرة ، الحطمية ، حكمان ، الحـــلة ، حمدان (مدينة حولها مئة وعشرون قرية) حمران ، الحوز ، الجميلية ، الحويزة ، الحـــيرة ، الخضوض ، رامح زوار ، الزيدية ، سابس ، ساسي ، ساقية سليمان ، سوق الأربعاء ، شاموخ ، شذا ، الشرطة ، الصروان ، الصيفية ، الضباب ، عقرالون ، عمير ، الغاضرية ، الغامرية ، قرقوب ، القطقطانة ، قطوان .

ومن تحصيل الحاصل أن نقول ان ياقوتاً لم يستوعب جميع ما كان في أنحاء العراق وجزيرة الفرات وبلاد الشام .

ومن العسير تعيين مبدأ تاريخي لانسياح القبائل الصريحة العروبة مـــن الجزيرة الى الأقطار المجاورة بسبب تداخل أدوار تطور العروبة الصريحة ببعضها . غير ان هناك دلائل تدل على ان هذه الحركة في هذا الدور أقدم مما يخمنه بعض الباحثين من كونهـــا بدأت حوالي ظروف الميلاد المسيحي ، وعلى انها بدأت قبل هذا الميلاد بقرون عديدة ثم ظلت

---

(١) هذه الاسماء الثلاثة كانت منازل قبائل بني بكر وبني ربيعة وبني مضر في جزيرة الفرات وشمالها وهي مقاطعات تحوي مدناً وقرى عديدة .

تابع إلى البعثة النبوية . وكل ما يمكن هو احتمال صحة تخمين الباحثين بالنسبة للقبـــائل العربية المعروفة الممتدة بآثارها وأسمائهـا وأنسالها إلى البعثة وبعدها والتي كانت مظاهر عروبتها الصريحة قوية البروز مثل لخم وتنوخ وكنده وغسان وبكر وتغلب وطي وتميم وقضاعة وسلح وبلى وجهينة الخ

وقد يلحظ ان الدول المهمة التي أنشأها العرب في هذا الدور قد قامت في أطراف بلاد الشام والعراق وهي دول عربي وقيدار والانباط وتدمر والغساسنة والمناذرة وان هذا قد يحمل على القول ان الموجات العربية في هذا الدور لم تقتحم صميم البلاد التي طرأت عليها وتملأها وتغلب من كان فيها على أمرهم وتوطد سلطانها الشامل فيها كما كان شأن كثير من الموجـــات العربية في الدور السابق مثل الاشوريين والكلدانيين والآراميين والعموريين والكنعانيين والقبائل العديدة التي حلت في وادي النيل مما شرحناه في الأجزاء السابقة ، وانما ظلت في أطراف هذه البلاد وبواديها أو في نطاق ضيق في داخلها .

ولقد صادفت حركة التموج العربي الصريح في هذا الدور لزمن سيطرة الاشوريين على العراق وجزيرة الفرات والشام سيطرة قوية ثم صار الفرس في العراق واليونانيون فالرومانيون في بلاد الشام ومصر أصحاب سيطرة قوية بدورهم فكانت تلك الحركة حافزة للمسيطرين فريق بعد فريق على الوقوف في وجهها وصدها بالقوة وعدم تمكينها من التغلغل في صميم البلاد . ومع ذلك فقد اضطر الفرس في العراق والرومان في الشام إلى الاتفاق مع رؤساء بعض القبائل القوية ليكفوا عن البلاد غارات القبـــائل وازعاجهـــا وتخريبها مقابل مخصصات يؤدونها وصلاحيات سلطانية يمنحونها لهم . وكان هذا وسيلة من وسائل بروز من بوز من العرب في مجال الحكم والسلطان في هذا الدور مـــن جهة وسبباً من أسباب عدم اقتحام الموجـــات العربية صميم البلاد وبقائها في أطرافها من جهة اخرى في الاكثر .

على ان هذا لا يعني ان القبائل ظلت بعيدة عن صميم هذه البلاد . فهناك دلائل عديدة على أن كثيراً منها قد تسرب الى الصميم واستقر فيه ثم امتزج مع أنسال الموجات القديمة العربية الجنس على ما سوف نذكره بعد . وكان ذلك من أسباب انتشار الصبغة العربية الصريحة في هذه البلاد كما كان مسهلا لشمول هذه الصبغة لجميع البلاد وغدوها صبغتها الخالدة حينما جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الاسلام .

مصادر هذا الفصل

من المؤسف العجيب ان لا يعثر على مدونات عربية على القرطاس والرقوق تعود إلى دور العروبة الصريحة قبل الاسلام في خارج الجزيرة أيضاً كما هو الحال في داخل الجزيرة بالرغم من ان الكتابة والقراءة ووسائلهما كانت منتشرة بنطاق غير ضيق عند العرب الصرحاء على ما يدل عليه ما خلفوه من نقوش عديدة في تدمر والبلقاء وحوران ثم عند من كان العرب في خارج الجزيرة يعيشون معهم ويتصلون بهم من أنسال الموجات القديمة وغيرهم من يونان ورومان وفرس ، وبالرغم كذلك من أن تدوين الاحداث المتنوعة في القراطيس والرقوق كان من الامور الشائعة قبل الاسلام بمقياس واسع مما يدل عليه ما وصل الينا من كتب ومدونات مصرية ورومانية ويونانية وسريانية وآرامية وفارسية وعبرانية .

والذي نرجحه ان العرب الصرحاء دونوا احداثهم لهؤلاء في قراطيس ورقوق ، وان مدوناتهم اما أن تكون مطمورة إلى الآن في خرائبهم أو أن تكون أبيدت في ظرف من الظروف قبل الاسلام أو بعده .

ولقد نقل الطبري قولا لابن الكلبي الذي ينقل عنه معظم مؤلفي العرب الاسلاميين أخبار ملوك الحيرة جاء فيه انه كان يستخرج اخبار العرب وانساب آل نصر بن ربيعة وأعمارهم وسني حكمهم من مدونات في بيع الحيرة التي كانت عاصمة لملكهم . كما روى الرواة ان النعمان الثالث المعروف بأبي قابوس أحد ملوك الحيرة كان يأمر بتدوين غرر القصائد التي تنشد بين يديه في قراطيس وحفظها في خزائنه حيث يدل هذا وذاك على ان ملوك العرب كانوا يدونون أحداثهم ومآثرهم في القرطاس . وفي الكتب العربية روايات عديدة عن المراسلات التي كانت تجري كتابة بين ملوك العرب وغيرهم حيث يدل كل

هذا على ان العرب في هـــذا الدور لم يكونوا في غفلة عـــن هذا الأمر وهو مـــا نراه طبيعياً جداً .

على ان انفقاد المدونات العربية لا يعني انه ليس في اليد مصادر يمكن أن يستقى منها تاريخ نشاط ومآثر الجنس العربي خارج الجزيرة في هذا الدور . فهناك مصادر عديدة منها الموثوق كل الثقة ومنها مما يصح التعويل عليه كثيراً ومنها ما يصح التعويل عليه مـــع التحفظ .

ومن الاول نقوش الاشوريين التي نقشت قبل الميلاد المسيحي بقرون عديدة حيث ورد فيها اسماء واحداث متنوعة تعود الى العرب خارج الجزيرة في دور العروبة الصريحة غير انها ضيقة المدى لا تساعد على تدوين شاف. ومنها منقوشات عربية وجدت في مناطق الصفا وحوران والبلقاء وتدمر في بلاد الشام نقشت كذلك قبل الميلاد وبعده. وهي متصفة بالصفة المذكورة آنفاً وان كانت تساعد على تدوين أوسع قليلا مما تساعد عليه النقوش الأشورية . ومن النوع الثاني كتب اليونان والرومان والسريان التاريخية والكنسية التي كتب بعضها قبل الميلاد وبعضها بعده . وقد احتوت اسماء واحداثاً متنوعة تساعد على تدوين أوسع من النقوش المذكورة نوعاً ما .

أما النوع الثالث فهو الكتب العربية الاسلامية. فقد أمد امتداد نشاط القبائل العربية الى البعثة النبوية وبعدها مؤلفي هذه الكتب الذين دونوا كتبهم التـــاريخية والادبية في القرون الاسلامية الثلاثة الاولى بروايات كثيرة فيها كثير من الاسماء والاحداث لا تخلو من حقائق تاريخية على كثرة ما شابهـــا من مبالغات وانتحالات وخيـــال وتناقض وتعدد .

وسيكون على هذه المصادر معولنا في كتابة هـــذا الفصل مع التنبيه الى اننا لن نستطيع عرض ما يعود الى ما قبل الميلاد المسيحي من الأسماء والأحداث إلا في شذرات مقتضبة بسبب ضيق مدى المصادر العائدة إلى تلك الحقبة باستثناء الانباط . حيث امكن ان يكون الكلام عنهم وعن الممالك العربية التي قامت بعد الميلاد في بلاد الشام والعراق وافياً بعض الشيء وان كان لا يخلو من الثغرات مع ذلك .

وننبه الى ان ما شاب الروايات العربية من الشوائب التي ذكرناها سيكون من أسباب التحفظ في ما ننقله عنها من احداث واسماء من جهة ومن أسباب ما سوف ننبه اليه من التباين والتعدد في هذه الأسماء والاحداث من جهة أخرى .

ومن واجبنا أن ننوه بالدكتور جواد علي مؤلف اجزاء تاريخ العرب قبل الاسلام الذي يسر جهده وتحرياته واحاطته كثيراً مما استطعنا تدوينه في هذا الفصل . ونذكر معه كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان وكتاب تاريخ سورية الجزء الثاني والجزء الثالث للمطران الدبس اللذين اعتمد مؤلفاهما كذلك على النقوش والمدونات القديمة واحتوى كتاباهما ما ساعدنا على تدوين ما دوناه .

الممالك والمآثر العربية

في بلاد الشام

١ ـ مملكة عربي

٢ ـ مملكة دومة الجندل

٣ ـ مملكة قيدار

٤ ـ مملكة الرها

٥ ـ الايطوريون

٦ ـ امارات ومدن وقبائل عربية أخرى في أنحاء بلاد الشام

٧ ـ النقوش الصفوية ودلالتها

٨ ـ دولة الانباط

٩ ـ دولة تدمر

١٠ ـ التنوخيون والضجاعمة وملكهم

١١ ـ الدولة الغسانية

١ — مملكة عريبي

ذكرت كلمة اربي — عريبي وأرض أربي — عريبي في النقوش الآشورية مرات عديدة مترافقة مع أسماء ملوك وملكات .

والباحثون يذهبون إلى ان هذه الكلمة تعني اسم القبائل البدوية التي كانت تنزل في تخوم جزيرة العرب الشمالية مما يلي بلاد الشام . وقد يكون هذا صحيحاً من حيث المعنى العام الذي كان لكلمات أرابا — أرابيا — أربي (عرابا — عرابيا — عريبي) في القرون السابقة كثيراً للميلاد المسيحي . غير ان تكرار الكلمة في مقام الدلالة على مملكة اعرابية أو بدوية واحدة يعني في رأينا أكثر من هذا المعنى . لأنها لو أريد بها المعنى العام فقط لكان من المعقول ان تذكر مترافقة مع أسماء جميع ملوك البدو وقبائلهم الذين كانوا ينزلون في تلك التخوم والذين ذكرت النقوش الآشورية كثيرين منهم بأسماء خاصة نسبة الى بلادهم وغير مقترنة بالكلمة على ما سوف يأتي بيانه بعد .

ولهذا فنحن نرجح ان الكلمة أريد بها مملكة أعرابية واحدة نستطيع أن نسميها مملكة عريبي بالنسبة للسابق والمملكة العربية بالفصحى لأن لمحة العروبة الصريحة بادية بقوة على أسماء ملوكها ومن عرف من رجالها . والباحثون يقررون ذلك ويعدونها من العرب الصرحاء .

وقد سلكناها في تاريخ بلاد الشام لأن ما ورد من أحداثها في النقوش الآشورية يدل على انها كانت في تخوم هذه البلاد وعلى صلة وثيقة بأحداثها أكثر منها في ارض الجزيرة .

وأول من ذكر من ملوكها جنديبو (جندب) وقد ذكر في نقش لسلمناصر الثالث الآشوري (٨٦٠—٨٢٥ ق م) كحليف للملك آرام من جملة الحلفاء الذين كان منهم ملوك الحيثيين والفينيقيين والكنعانيين ضد آشور . وقد ذكر النقش انه كان على رأس الف هجان مع الجيوش المتحالفة في القتال الذي دار بينها وبين جيش الملك الاشوري المذكور

الذي كان يقوده الملك نفسه [1] .

ثم ذكر اسم الملكة Zabibi الذي فسره الباحثون بزبيبة او حبيبة ، وكان ذلك في نقش من نقوش تغلات بلاسر الثالث ملك آشور (٧٤٥-٧٢٦ ق م) مع وصفها بوصف ملكة أرض أربي (عربي) في سياق ذكر خبر حملة تنكيلية زحف الملك الاشوري على رأسها على بلاد الشام التي تمردت على آشور سنة ٧٣٨ والتي اندمجت الملكة معها في التمرد وقد ذكر النقش ان الملكة اضطرت الى اعلان ولاءها وتقديم هداياها أو جزيتها للملك الذي انتصر عليهم في جملة من قدم ولاءه وهداياه من الملوك المتحالفين من آراميين وحيثيين واسرائيليين .

ثم ذكر اسم الملكة Samsi ملكة أربي الذي فسره الباحثون بشمسة في نقش آخر للملك الآشوري المذكور في سياق ذكر خبر حملة زحف على رأسها سنة ٧٣٢ على بلاد الشام لتمردها ثانية واندماج هـذه الملكة في التمرد ، حيث يظهر ان الملكة زبيبة أو حبيبة قد توفيت وصار الملك الى هذه الملكة التي يمكن أن تكون بنتها أو أختها .

ومما جاء في هذا النقش أن الملكة حنثت بالعهد الذي قطعته أمام الاله شماش ـ شمس بعدم تعرضها للأشوريين بسوء وعدم تمردها عليهم ، وانها اصيبت بخسائر جسيمة جـداً حيث قتل وجرح من رجالها مئة الف وغنم من أموالها ثلاثون ألف جمل وعشرون الف رأس من الماشية . وانها توغلت في الصحراء ثم اضطرت الى الخضوع فأرسلت الى نينوى وفداً لاسترضاء الملك ومصالحته تألف من عدد من رجال قبائلهـا ذكر النقش أسماءهم التي تبدو عليها اللمحة العربية الصريحة قوية مثل Jarapa الذي يمكن ان يكون جربا او جربوع او يرفـع وكان رئيس الوفد Hatarama الذي يمكن ان يكون خطران و Janabu الذي يمكن ان يكون جناب و Tamarana الذي يمكن ان يكون تمران . وقد تم الصلح على كمية كبيرة من الجمال جزية وفداء . وعين الملك الاشوري عند الملكة نائباً اسمه او اسم وظيفته قيبو Kepu للاشراف على سياستها وتوجيهها حسب ما يريد . وقد نقش على الحجر الذي وجد عليه هـذا النقش منظر فارسين آشوريين يحملان رمحين ويتعقبان بدوياً راكباً جملا وتحت اعقاب الفرسين وامامها جثث البدو الذين خروا على الارض صرعى وشعرهم طويل معقود الى الوراء ولحاهم كثة وأجسادهم عارية الا من

---

[1] (١) جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وبعدها والبيانات الاتية مرجعها هذا المصدر ايضاً .

مئزر شد بحزام . وصورت الملكة حافية ناشرة شعرها تحمل جرة وقــد أضناها الجوع والتعب .

ثم ذكر اسم Samsi شمسة ملكة أريبي في نقش لسرجون الثاني ملك آشور (٧٢٤- ٧٠٥ ق م) ولا يمكن الجزم بما إذا كانت هذه الملكة هي نفس الملكة السابقة عــادت فتمردت على آشور أم خليفة لها سميت باسمها .

ثم ذكر اسم Jati ملكة أريبي الذي فسره الباحثون بطيعة والذي يمكن ان يكون عاطية او عطية في نقش لسنحاريب ملك آشور الذي خلف أباه سرجون الثاني ٧٠٥- ٦٨١ ق م) وقد جاء في النقش ان هذه الملكة أرسلت جيشاً لمساعدة مردوخ بلادان ملك بابل الذي اشتد نضاله وحركاته ضد سنحاريب تحت قيادة اخ لها اسمه Baskamo الذي يمكن ان يكون الباسق او الباشق وان الجيش الاشوري انتصر عليه واسره مع عدد كبير من جيشه .

ثم ذكر اسم تلحون Telhunu ملكة أريبي في نقش آخر لسنحاريب في سياق خبر حملة اخرى سيرها سنة ٦٨٨ ق م . وجاء في النقش ان الحملة انتصرت على جيش الملكة وغنمت كثيراً من ابلها وان الملكة فرت الى Admatto التي فسرها الباحثون بدومــة الجندل ومعها ملك قيدار حيث يدل على انها كانت متحالفة مع هذا الملك الذي سوف نذكر أمره في بحث آخر . وقد جاء في نقش لاسرحدون الذي تولى بعد سنحاريب (٦٨٠ - ٦٦٧ ق م) ما يفيد ان سنحاريب استولى على معقل اريبي Adamu واسر ملكتها التي كانت كاهنة للاله ذي البات Dilbat (ولعل الاسم في معنى ذي البأس) وحمل اصنامها معه واسر كذلك اميرة اسمها Tabea الذي يمكن ان يكون طابعة او طيبة (او ما هو في معناهما) وكانت صغيرة السن فرباها في بلاطه ثم عينها ملكة على مملكة أريبي .

ولم تعد النقوش الاشورية بعد سنحاريب واسرحدون تذكر اريبي ولكنها صارت تذكر قيدار وما اخذ يقع بين ملوكها وبين خلفاء سنحاريب من وقائع مما يسوغ القول انه طرأ على مملكة اريبي ما اوهنها وان قيدار قويت في هذه الاثناء فبسطت سلطانهــا عليـها .

ويظهر من فحوى الاحداث المسجلة ان مملكة اريبي قامت في القرن العاشر قبــل الميلاد على الاقل وان سلطانها اتسع حتى شمل معظم بادية الشام مع بعض انحاء الجزيرة

الشمالية وصارت تشغل حيزاً مهما في احداث بلاد الشام والعراق وكانت تأبى الخضوع والاستسلام لآشور وتتحالف مع ملوك بلاد الشام ضدها وتشترك في كل حركة تمردية بسبيل ذلك الى القرن السابع .

ولقد ذكر مؤلف كتاب تاريخ شرق الاردن اسماء شمسه وياتي وتلخونو وقال انهن ملكات عرب الجوف [1] ووصف دومة بوصف معقل اربيي في نقش اسرحدون يسوغ القول إنها كانت عاصمة ملكة اربيي وان تعبير معقل أربيي يؤيد ما رجحناه من أن للكلمة معنى خاصاً وبتعبير آخر إنها اسم المملكة التي ذكرت اسماء ملوكها وملكاتها مقترنة به . ودومة الجندل هي في البادية المتصلة بالمنطقة المعروفة باسم الجوف الى اليوم :

٢ — مملكة دومة الجندل قبل الاسلام

وفي عهد النبي عليه السلام

ونستطرد الى القول ان الكتب العربية الاسلامية القديمة تنبأ [2] بان دومة الجندل كانت في عصر النبي عليه السلام مركز مملكة عربية على رأسها ملكان احدهما الأكيدر بن عبد الملك الكندي وثانيهما الجودي بن ربيعة السكوني وأن الملك الكندي كان هو الاصل فنازعه السكونيون ثم اتفقوا على المشاركة ، وأنه كان يقوم في دومة الجندل سوق يقصدها قبائل الشام والحجاز وأعالي نجد وان منافع هذه السوق كانت من أسباب التنافس بين الكنديين والسكونيين .

ولقد ذكرت كتب السيرة اسم الأكيدر فقط ملكاً على دومة الجندل في سياق خبر ارسال النبي عليه السلام اليه كتاباً يدعوه فيه الى الاسلام وكان نصرانياً [3] ثم بعث النبي عليه السلام اليه خالداً بن الوليد رضي الله عنه في اثناء غزوة تبوك فتغلب عليه وأخذه معه الى المدينة لان النبي كان عاد اليها [4] وقد ذكرت كتب السيرة في هذه المناسبة انه كان يكتسي حلة أثارت عجب المسلمين ودهشتهم حتى قال لهم النبي عليه السلام إن مناديل سعد بن معاذ رئيس الأوس الذي كان توفي خير منها . ولم تذكر كتب السيرة شريكاً له،

---

(١) تأليف بيك الانكليزي وترجمة طوقان ج ١ ص ٢٤ وبعدها

(٢) جواد علي ج ٤ ص ١٤ ؛

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٤

(٤) نفس المصدر ج ص ٢١٩

حيث يحتمل ان يكون الأكيدر قد استطاع الانفراد بالحكم دونه في فرصة ما .

والسياق قد يدل على أن ملك الأكيدر امتداد لملك أسلاف له في دومة الجندل ، ولعل هذه المدينة ظلت مركز مملكة أو أمارة بشكل ما امتداداً لما كان الأمر عليه بين القرن العاشر والقرن السابع قبل الميلاد لأنها معصم مهم في البادية التي كانت تعج بالقبائل العربية وإن كان من المؤسف أن الكتب العربية وغير العربية لم تمدنا بشيء في صدد ذلك مما يجعلنا نقف عند هذا الحد .

٣ — مملكة قيدار

ورد اسم قيدار Kidar في اكثر من نقش من نقوش الآشوريين في سياق ذكر حملات ملوكهم التنكيلية على بلاد الشام والقبائل العربية المتموجة على حدودها من ناحية الجزيرة . وفحوى النقوش يفيد ان هذا الاسم كان يطلق على قبائل كانت تنزل في مشارف الشام قبل الميلاد المسيحي بعدة قرون .

ولقد ذكر اسم قيدار في الاصحاح (٢٥) من سفر التكوين كأحد أبناء اسماعيل باسلوب يفيد أنه كان يطلق حينما دون هذا السفر على قبيلة حيث جاء بعد ذكر الاسماء هذه الجملة « هؤلاء بنو اسماعيل وهذه اسماؤهم بحسب احويتهم وحظائرهم اثنا عشر زعيما لقبائلهم » وبنو اسماعيل اثنا عشر .

ومن الجدير بالذكر أن بني اسرائيل كانوا ينعتون العرب بنعت الاسماعيليين . وقد ذكر الاسماعيليون في سفر التكوين (الاصحاح ٣٧) باسلوب يفيد ذلك في سياق خبر مؤامرة اخوة يوسف على اخيهم وبيعهم اياه للاسماعيليين .

وسفر التكوين دوّن لاول مرة على احسن تقدير في القرن الثالث عشر قبل الميلاد واعيد تدوينه على الارجح في القرن الخامس بعد السبي . وحينما دون لأول مرة و لثاني مرة كان الاسم يطلق على قبائل في تخوم جزيرة العرب الشمالية . فليس من المستبعد أن يكون الذين كتبوا هذا السفر قد تأثروا بالواقع ثم اعتبروا هذه القبائل من نسل قيدار بن اسماعيل .

وفي هذا السفر اشياء كثيرة من ذلك على ما شرحناه في مبحث العبرانيين في الجزء الرابع .

ولمحة العروبة الصريحة قوية البروز على اسماء ملوك ورجال قيدار بحيث يسوغ القول إنها مملكة صريحة العروبة . وقد عدها الباحثون كذلك بناء على ذلك ايضاً .

واول ذكر لقيـــدار ورد في نقش لسنحاريب ملك آشور (٧٠٥ - ٦٨١ ق) [١] حيث ذكر اسم Hazaibi حزائيل بوصفه ملك قيدار في سياق خبر حملة الملك على البادية وفرار حزائيل الى دومة مع الملكة تلخونو . وقـــد ذكر حزائيل مرة ثانية في نقش لأسرحدون (٦٨١ - ٦٦٧ ق م) في سياق خبر قدومه الى نينوى معتذراً وحاملا معه هدايا للملك كثيرة فرضي عنه الملك وأعاده إلى مملكته ورد اليه أصنامه .

ولما مات حزائيل أو خزعل عين امرحدون مـــكانه ابنه aiaite الذي فسره بعض الباحثين (يوثحه او ييتع) والذي يمكن أن يكون عويده أو حويطه أو عويضه على أن يدفع جزية مقدارها الف من أو وزنة من الذهب والف حجر كريم وخمسين جمـــلا والف وزنة من الطيب والبهارات . وهذه المقادير تدل على ما كان مـــن ثروة المملكة وتجارتها وطول يدها .

ويستفاد من النقوش الآشورية أن أهل مملكة قيدار ثاروا على ملكهم بزعامة زعيم اسمه Wodo ولعله في النطق العربي أيوب فبادر الآشوريون الى ارسال حملة لاخماد الثورة وتمكنت من ذلك وأسرت الزعيم . غير أن الثورة عادت فاندلعت ثانيـــة بزعامة الملك waite عويده الذي عينه الآشووريون مجاراة على ما يظهر لشعور قومه وبلاد الشام التي كانت تأبى الخضوع لآشور وتحاول التفلت مـــن سلطانها كلما فرضته عليها . وبادر الأشوريون الى تسيير حملة جديدة تمكنت من اخماد الثورة وأسرت كثيرا من القيداريين وأخذت أصنامهم أسرى مثلهم . أما الملك الثائر فقد توغل في البادية وظل شريداً الى أن مات أسرحدون فذهب الى نينوى واسترضى آشور بانيبال الذي خلفة (٦٦٧-٦٢٧ ق) وعاد الى مملكته ومعه أصنام قومه . ولكنه لم يلبث أن اندمج في حركة تمرد ضد آشور بانيبال وكان شمشوكين اخو بانيبال يناوىء اخاه فأرسل اليه عويده بمدد من رجاله . ولكن السعد لم يحالفه هذه المرة أيضاً حيث تمكنت قوات آشور بانيبال من تشتيت شمل المدد . وكان هذا المدد بقيادة قائد قيداري اسمه Abjate ابوجاد فهرب الى البادية ثم جـــاء الى نينوى معتذراً فصفح عنه بانيبال وعينه ملـــكا مكان عويده الذي كان مشغولا بغزو حدود الشام وفلسطين المتاخمة للصحراء والتي كانت خاضعة للآشوريين . وقد تعهد ابوجاد بالخضوع وتقديم

---

(١) جواد علي ج ٢ ص ٣٠١ - ٣٠٣ والبيانات التالية ايضاً مقتبسة من هذا المصدر . انظر ايضاً تاريخ شرق الاردن ج ١ ص ٢٧ - ٣٠ الترجمة العربية المذكورة آنفاً

جزية كبيرة من الذهب والحجارة الكريمة والجمال والحمير وقد لجأ الملك الثائر عويده الى نتنو Natnu ملك النبط فما كان من هذا الا أن اعتقله وأرسله الى نينوى تقرباً للملك آشور وقد وضع في قفص وعرض على الناس في نينوى ثم لقي حتفه .

وثارت قيدار على ملكها ابي جـاد ونادت بابن اخي عويده وكان اسمه كاسمه waite ملكا وأعلنت تمردها على آشور فسير بانيبال حملة جديدة على قيدار . وطلب القيداريون من نتنو ملك النبط ان يتحالف معهم في صد الحملة فاستجاب اليهم هذه المرة . ولكن القوات الاشورية تغلبت عليهم وغنمت منهم مقادير كبيرة من الحمير والجمال والاغنـام واسرت ام عويده وزوجته وعدداً كبيراً من اتباعه مع أصنام قيدار . وفر عويده مع فريق من جيشه الى الاتجاه في شرق جبل حوران فطاردهم الاشوريون اليها وقطعوا عنهم الماء فذاقوا من ذلك شديد البلاء ولم يرو محيصاً من الاستسلام والتخلي عن عويده الذي اعتقله الآشوريون واخذوه الى نينوى حيث ظل منفياً فيها بعد ان عذب عذاباً شديدا .

هذا ما اطلعنا عليه من اخبار قيدار : ولم تذكر المصادر التي اطلعنا عليها عاصمة هذه المملكة كما لم نطلع على ذكر لها قبيـل الميلاد وبعده . ويبدو أنها هي الاخرى مملكة عربية بدوية قامت في رقعة من منطقة الجوف أو وادي السرحان . ومن المحتمل أن تكون عاصمتها احدى مدن هذه المنطقة التي كانت موجودة قبل الاسلام على الاغلب مثل القريات أو سكاكه أو سوف . وقد كانت في ظروف وجود مملكة عربي ثانوية بالنسبة اليها ثم برزت المركز الرئيسي الذي كانت تشغله عربي من انبساط السلطان والنفوذ والبروز والاندماج في الاحداث السياسية التي كانت تجري على مسرح بلاد الشام . وقد وهنت هي الاخرى نتيجة للضربات الـتي أصابتها مـن جراء استمرار الغـزو والتنكيل من جانب الأشوريين ولما قويت مملكة الانباط في القرن الرابع قبل الميلاد وبعده دخلت في نطاق سلطانها.

٤ ـ مملكة الرها

اشار الكاتب الروماني بيلنوس على ما ذكره جـواد علي [١] الى ارض في حوض الفرات سماها Arroei وقال انها ملك جملة قبائل عربية كما ذكر بعض مدن فيهـا

---

١ – تاريخ العرب قبـل الاسلام ج ٣ ص ٢٨٠ وبعدها والبيانات التالية مقتبسة كذلك من هذا المصدر .

منها Cedessce و Callirrhoe و Garrkoe وقد فسر الباحثون الاسم الأول بأنه منطقة الرها والثاني بأنه مدينة الرها التي تعرف اليوم باسم اورفة والثالث بالموضع الذي يعرف ببركة خليل الرحمن والرابع بأنه المدينة التي عرفت باسم حران . وجميع هذه المواقع في حوض الفرات . ولقدعثر على مدونة عرفت بحولية الرها وكتبت في سنة ٥٤٠ ب م جاء فيها ذكر مملكة باسم مملكة الرها . وقد ذكر هذه المملكة كتاب آخرون من الرومانيين أيضاً .

ويستفاد مما كتبه هؤلاء الكتاب ومما جاء في الحولية المذكورة أنه قام في القرن الثاني قبل الميلاد في هذه المنطقة مملكة عرفت بمملكة Arroei (الرها) سكانها وملوكها عرب صرحاء وأن حياتها امتدت الى اوائل القرن الثالث بعد الميلاد (١٣٢ ق م — ٢٢٠ ب م) .

وقد عرف من الحولية والنقود التي عثر عليها عدد من اسماء ملوكها مثل معنو وبكرو وعبدو وسهرو وابجر ومزعور واوائيل كما عرف من اسماء آلهتها Monimos الذي يمكن أن يكون منعم و azizus الذي يمكن أن يكون عزيز واللمحة العربية الصريحة بادية بقوة على الاسماء مما فيه تأكيد لعروبة هذه المملكة الصريحة .

وفي الجزء التالي من تاريخ كلدو وآثور فصل [1] عن هذه المملكة فيه تأييد لعروبتها الصريحة وشيء من سيرتها .

ومما جاء في هذا الفصل ان هذه المملكة قامت سنة ١٣٢ ق م على يد زعيم اسمه اريو وانها ظلت قائمة الى سنة ٢٤٧ ب م حيث قضى عليها الرومان في عهد الملك كاراكلا وصيروها ولاية يحكمها حاكم روماني اسوة ببلاد الشام ومصر ؛ وأنه تعاقب على عرشها بعد اريو الذي ملك خمس سنين (١٣٢—١٢٧ ق م) الملوك التالون :

عبدو بن مزعور [2]	ومدة حكمه	١٢٧—١٢٠
وال فارسي	»	١٢٠—١١٥
بكرو الاول	»	١١٥—١١٢
بكرو الثاني بالاشتراك مع معنو الاول وابجر الاول	»	١١٢—٩٢
ابجر الاول منفرداً	»	٩٢ —٦٨

---

(١) تأليف ادي شير اسقف سعرد ص ١٦٩—١٧٤

(٢) لعل اسم اريو مغلوط عن مزعور ، لان عبدو خلف اريو مباشرة بحيث يحتمل ان يكون ابنه

ابجر الثاني	ومدة حكمه	٦٨ — ٥٣
معنو الثاني	»	٥٢ — ٣٤
وال فارسي	»	٣٤ ٢٩
ابجر الثالث	»	٢٩ - ٢٦
ابجر الرابع	»	٢٦ -- ٢٣
ابجر الخامس	»	٢٣ - وخلع
معنو الثالث	»	?
ابجر الخامس ثانية	»	؟
معنو الرابع بالاشتراك مع سناتروك	»	?
سناتروك منفرداً	»	٥٠ ب م
معنو الخامس	»	٥٠ — ٥٧
معنو السادس	»	٥٧ - ٧١
ولاة من الرومان	»	٧١ — ١٠٩
ابجر السادس	»	١٠٩ - ١١٦
وال فارسي	»	١١٦ — ?
معنو السابع	»	? ١٣٩
معنو الثالث	»	١٣٩ - ١٦٣ وخلع
ابجر السابع	»	١٦٤ — ١٦٧
معنو الثامن ثانية	»	١٩٧ - ١٧٩
ابجر الثامن	»	١٧٩ — ٢١٤
ابجر التاسع	»	٢١٦ -- ?

ولقد كان سرير المملكة مدينة ميدزبين التي صارت تعرف في الاسلام والى اليوم باسم نصيبين ثم اتخذت مدينة الرها سريراً فعرفت المملكة باسمها .

ومن احداث الرها التي رواها بعض المؤرخين القدماء [١] أن ملكها ابجر - وربما كان

(١) تاريخ سورية للدبس ج ٢ مجلد ٣ ص ٥٦٣ وبعدها

ابجر الخامس — كان مصاباً بمرض عضال وانه ارسل الى السيد المسيح الذي كانت بعثته في زمنه رسولا مع رسالة يطلب منه فيها الشفاء لما سمعه من عجائبه وأن المسيح ارسل اليه جواباً يثني فيه على ايمانه وان احد تلامذة المسيح ذهب الى الرها بعد وفاة المسيح وشفى الملك وغيره من المرضى فأدى ذلك الى انتشار المسيحية في هذه المملكة .

وقد صار للرها فيما بعد مركز خطير في النصرانية فكانت مركزاً من مراكز المذهب النسطوري الذي ظهر وانتشر في القرن الرابع بعد الميلاد ، ثم مركزاً من مراكز الادب السرياني [١] حيث صار الآراميون الذين كانوا فيها وفيما يجاورها من البلاد والذين اعتنقوا المسيحية يسمون باسم السريان تمييزاً لهم عن اخوانهم الذين ظلوا على الوثنية . وصار لهم لهجة خاصة في اللغة الآرامية عرفت باللهجة السريانية وترجمت اليها الكتب المقدسة على ما ذكرناه في الجزء الرابع .

هذا ولقد كانت هذه البلاد موضع تجاذب بين الفرس والرومان في سياق ما كان يجري بينهم من تشاد وحروب فكانت تخضع أحياناً لهؤلاء واحياناً لأولئك حسب تداول الأيام بينهم . وكان يلم بها وبملوكها بعض المحن من جراء ذلك فيعمد الفرس الى خلع الملك الجالس أو قتله لانه يكون متضامناً مع الرومان ويولون والياً منهم أو ملكاً عربياً يتعهد لهم بالولاء والخضوع . وكان الرومان يفعلون ذلك ايضاً . وكان يقع احياناً بين رجال المملكة تنافس يؤدي الى فتن ثم الى خلع بعض الملوك وقتلهم .

وقد ظلت هذه البلاد في حكم الرومان بعد أن قضوا على حكمها العربي إلى أن حررتها موجة الفتح الاسلامي فغدت جزءاً من الدولة العربية الاسلامية .

ولقد ذكر اسم الرها Arroei المؤرخ الروماني بيلينوس وقال انها ملك جملة قبائل عربية [٢] والرها على حدود جزيرة الفرات بل فيها . وهذا يعني أن القبائل الصريحة العروبة اخذت تتسرب الى هذه الانحاء وتنتشر فيها وتقيم الممالك فيها . وقد ذكر هذا المؤرخ اسماء بعضها الذي كان قائماً في اطراف جزيرة الفرات مما سوف نورده بعد .

ولقد كانت جزيرة الفرات واطرافها الشمالية مما يلي حدود الأناضول مبـاءة قبائل صريحة العروبة عرفت اسماؤها يقيناً لانها ظلت ممتدة الى البعثة النبوية وما بعدها

(١) انظر ايضا جواد علي ج ٣ ص ٢٨٣

(٢) جواد علي ج ٣ ص ٢٨٠

ومن أشهرها واهمها قبائل بكر وربيعة وفروعها تغلب وشيبان ثم قبائل النمر وإياد وتميم أو بعض فروعها حيث يبدو من هذا قدم تسلل القبائل العربية الصريحة واستمرارها فيه امتداداً لما كان من ذلك قبل دور العروبة الصريحة [1]

٥ — الايطوريون

في كتاب الاسلام والمسيحية في لبنان لهاشم الدفتردار بحث عن قبيل عربي كان مستقرا في لبنان وساحة قبل الفتح الروماني الذي وقع سنة ٦٤ قم معزوا الى الكتب الرومانية واليونانية حيث ذكرت ان الرومانيين حينما استولوا على بلاد الشام وجدوا لبنان في حيازة قوم من العرب يسمون (الايطوريين) قد عششوا في جباله وسواحله الشمالية من طرابلس الى جبيل [2]

ومما ذكره المؤلف المذكور ان هذا القبيل العربي جاء الى بلاد الشام قبل الميلاد بستة قرون ثم تدفق فريق منه الى لبنان قبل الميلاد بثلاثـــة قرون وكانوا بارعين بالفروسية والرمي فنزلوا أولا سهل البقاع وبعلبك وأقاموا حصنهم العظيم على هضبة عين جر ودعوه بجدلا ثم صعدوا البنان الشرقي والغربي وجبل حرمون ومنطقة الشوف وانشأوا بعض المدن التي لا تزال تحمل اسمهم مثل حيتوره وجدره [3] ثم امتـــدوا الى الساحل وجعلـــوا مراكزهم الرئيسية في مدينتي جبيل وطرابلس بل وامتدوا الى اللاذقية .

وكان لهم رئيس عام عظيم الثروة والشأن . وكان يحكم بـــلاد الايطوريين الأصلية أي اللجاة وحوران والجيدور وتمتد سلطته الى الجبل الشرقي وجهات البقاع الشمالية . وكان له جيش من الفرسان عدته ثمانية آلاف ؛ وكان له نائب في طرابلس .

---

(١) انظر المصدر نفسه ايضا ص ٢٨٤

(٢) ص ٣٣-٣٧ وذكر المؤلف من مصادره مجلة الشرق وتسريح الافكار ودواني القطوف وخطط الشام . وقد ذكر الايطوريين ايضا جواد علي ج ٣ ص ٥٥ ؛ وكتاب لبنان الذي الفه لجنة من الادباء ص ٢٣٦ عزواً الى كتاب اليونان والرومان .

(٣) حيتوره تطوير لاسمهم اما جدره فهي نسبة الى كلمة الجيدور التي هي اسم منطقة في سورية نزلوا فيها في سورية وسموا جيدوريين نسبة اليها .

ولما زحف بومبيوس القائد الروماني على بلادالشام وجد طرابلس وماجاورها مـــن لبنان في حكم شخص قريب للرئيس الكبير ووجدللايطوريين دولة في جهات جبل الشيخ وبقاع العزيز عاصمتها مدينة عين جر . ولم يخضع الايطوريون الرومان الا بعد نضال قوي بذلوا فيه جهدهم للذب عن حياضهم . وقد خرب الرومان حصونهم المنيعة التي منها جفرتا وسنان ويوروما خضداً لشوكتهم .

ومن المؤسف اننا لا نستطيع ان نذكر غير ما تقدم عن هذا القبيل العربي النشيط الذي كان من أقدم عناصر العروبة الصريحة التي تغلغلت في صميم بلاد الشام قبل الميلاد المسيحي بقرون عديدة بل أقدمها .

ولقد ذكر اسم يطور في الاصحاح (٢٥) من سفر التكوين كأحد ابناء اسماعيل وباسلوب يفيد انه كان يطلق حينما كتب هذا السفر على قبيلة . ولقد ذكرنا قبل ان اسم قيدار ورد في هذا الأصحاح بنفس الاسلوب وما علقناه على ذلك يقـــال في صدد يطور ايضاً .

ممالك وامارات ومدن وقبائل عربية أخرى

في أنحاء البلاد الشامية
في المدونات اليونانية والرومانية
والنقوش الاشورية

بالاضافة الى ما أوردناه فان أسماء كثيرة أخرى لممالك وامارات ومــدن وقبائل صريحة العروبة وردت في كتب اليونان والرومان والنقوش الاشورية بعبارات مقتضبة لا تساعد على ايراد نبذ خاصة بها وتدل على كل حال ان مختلف أنحاء بلاد الشام كانت تعج بالعرب الصرحاء بدو وحضر قبل الميلاد المسيحي وبعده وكان لها نشاط فيما كان يجري على مسرح بلاد الشام من أحداث نوردها في ما يلي :

١ـ لقد أشير في حولية الرها التي ذكرناها قبل إلى مملكة سميت (حدياب) اشارة خاطفة في سياق ذكر صلات الرحم التي نشأت في القرن الاول بعد الميلاد بين ملوكها وملوك الرها . ويخمن الباحثون [١] انها كانت بين نهري الزاب الاكبر والاصغر في شرق جزيرة الفرات وأن مدينتها العظمى أو عاصمتها هي اربيل . وقــد ذكر هذه المملكة المؤرخ اليهودي يوسيفوس وقال ان الملكة هلينا أم ملك حيداب المسمى Yzatas الذي يمكن أن يكون عزة أو عزيزاً ، زارت القدس كثيراً وقدمت النذور والهدايا وتهودت وحملت ابنها الملك واخاه على التهود ثم أرادت حمل شعبها على ذلك فثاروا وكاتبوا ملكاً عربياً اسمه abras الذي يمكن أن يكون ابيا او من بابه ومملكته الى الشرق الجنوبي من مملكتهم وطلبوا منه انجادهم وانقاذهم من ملكهم الذي يريــد تهويدهم . واللمحة العربية الصريحة بادية على هذا الاسم والاسماء السابقة .

والمتبادر ان هذه المملكة أيضاً من الممالك الصريحة العروبة التي قامت هي الاخرى في هذه الانحاء أو بعبارة أدق في حوض الفرات في زمن الحكم السلوقي ثم الروماني وان لم نستطع معرفة شيء غير ذلك عنها مع الاسف .

---

(١) انظر جواد علي ج ٣ ص ٢٨٢ وبعدها والبيانات التالية أيضا مقتبسة من هذا المصدر .

٢ـ ومما ذكره الكاتب الروماني بيلينوس اسم مشيخة Hamesenes ووصفها بالعروبة وقال انها كانت قائمة في مدينة Hamesa وانها كانت صاحبة الحكم والسلطان في هذه المدينة والاماكن القريبة اليها . وقد خمن الباحثون أن تكون المدينة حمص . ومن المحتمل أن يكون اسم المشيخة نسبة الى المدينة أو العكس . والاسم على كل يحمل لمحة العروبة الصريحة حيث يمكن ان يكون حمسة او حماسة او حماسنة أو أصلا لمثل هذه الكلمات قبل اللهجة الفصحى . والراجح ان هذه المشيخة كانت كسابقتيها تمارس الاستقلال الذاتي في نطاق سلطان السلوقيين ثم الرومان .

٣ـ وقد ذكر الكاتب الروماني نفسه اسم مشيختين اخريين في هذه المنطقة سمى احداهما Sampsicerami التي يمكن ان تكون شمساكرامه وثانيتهما Jamblic*hi* التي يمكن أن تكون حنبلي أو شمبلي وقال انهما كانتا قائمتين في أيام بومبيوس وهو الذي فتح بلاد الشام . واللمحة العربية ملموحة على الاسم .

٤ـ وذكر هذا الكاتب ايضاً اسم مدينة aret*h*usa التي خمنها الباحثون بأنها الرستن أو أصل اسم هذه المدينة التي تعرف اليوم به وهي واقعة على نهر العاصي . وقد قال الكاتب انها كانت مركز مشيخة عربية .

٥ـ وذكر ايضاً اسم مدينة Apamea التي خمنها الباحثون انها افاميه وقال انها تقع في منطقة غالب سكانها عرب ويقيم الى الجنوب منها قبائل بدوية . ومدينة افامية من المدن التي كانت عامرة قبيل الفتح الاسلامي . ويقوم مقامها اليوم قلعة المضيق . والمتبادر انها كانت هي الاخرى مركز مشيخة عربية .

٦ـ وذكر اسم Parapatami التي خمنها الباحثون انها الهضبة المعروفة باسم العلاء في جزيرة الفرات . وقال انها كانت منطقة عربية تحت حكم شيوخها .

٧ـ وذكر اسم Prateavi (برتاوى) وهو اسم قبيلة كانت عاصمتها مدينة Singara التي خمنها الباحثون انها سنجار المدينة المعروفة في جزيرة الفرات . وواضح من كلام الكاتب ان المدينة كانت مركز شيوخ القبيلة وحكامها .

٨ـ وذكر قبيلة اسمها Eldamara (الدمارى) وثانية اسمها Salmai (السالمي) وثالثة اسمها Masci (ماسي أو مسمى) وقال ان منازلها على بعض فروع الفرات .

٩- وذكر كاتب بيزانطي اسمه اسطفانوس شيخاً عربياً سماه Manico الذي يمكن ان يكون مالك أو مانك وقال انه رئيس مشيخة عربية اسمها chalacis وقد خمنها الباحثون انها قنسرين [١] .

١٠- وذكر استرابون اسم *themellas* الذي يمكن ان يكون تيم الله أو تيم اللات واسم Gmbarus الذي يمكن ان يكون جبار أو ما يقرب من ذلك ووصفها بأنها من مشايخ العرب سكان الخيام [٢] .

وسكان الخيام هم على ما تفيده بيانات الكتاب اليونان والرومان القدمــاء اعراب يقطنون البادية وأطراف الشام والعراق ، وكانت منازلهم تمتد في بلاد الشام حتى تصل الى افامية وفي الشمال حتى تصل الى حدود مملكة حيداب وجبال العراق وفي الشرق حتى تبلغ ملتقى نهري الفرات ودجلة . وكانوا يتنقلون من مكان الى مكان حيث يكون المرعى أو تتوافر الغنائم لأن الغزو والنهب كان من ديدنهم أيضاً . وقد كانوا يتحكمون في البادية وكان مشايخهم يتقاضون الاتاوات من التجار مما جعل بعض التجار يتجنبون السير في مناطقهم . ومنهم من كان يشايع الرومان ومنهم من كان يشايع الفرس [٣] .

١١- وقد ذكر الكتاب الرومانيون قبيلة اسمها audemoi من قبائل حوران. ومن المحتمل أن يكون الاسم تحويراً لكلمة عودة أو ما يقاربها [٤]

١٢- ولقد ذكر بطليموس [٥] وهو مــن رجال القرن الاول بعد الميــلاد فيما ذكره من أسماء القبائل والمدن والممالك العربية :

آ- اسم قبيلة Raabena الذي يمكن ان يكون رعابنة أو رحابنة وقال انها كانت تنزل على الفرات وان لها ملكاً اسمه Alchacdamus الذي يمكن ان يكون الشيخ دموسي وانه ساعد القائد الروماني باسوس في حربه مع الفرس . وقد خمن الباحثون أن مكان القبيلة هو ما يعرف اليوم باسم الرحبة في جزيرة الفرات . وهو تخمين وجيه وهذا الاسم

---

(١) جواد علي ج ٣ ص ٢٩٠

(٢) نفس المصدر ص ٤٥٢

(٣) انظر المصدر السابق ص ٤٥٢-٤٥٤

(٤) » » نفسه ص ٤٥٥

(٥) جواد علي ج ٣ ص ٣٥٣ وبعدها

متطور كما هو المتبادر عن اسم القبيلة القديم .

ب ــ اسم قبيلة Batanaee الذي يمكن ان يكون البطاني وقال انها تقيم على مقربة من بلاد الشام .

ت ــ اسم قبيلة agubeni الذي يمكن ان يكون اجابني او أجبني وقال انها تقيم في شرق منازل القبيلة السابقة .

ث - اسم قبيلة Chouchabeni التي ذكرهـــا كتاب آخرون بصيغة Kookaba (كوكبة أو كواكبة) وقال ان منازلها على مقربة من الفرات .

ج ــ اسم قبيلة Kindiakalpitia التي خمنها الباحثون انها كندة أو كنانة وقال انها تنزل عند مدينة Kapar (خبر) على ساحل البحر الاحمر .

ح ــ اسم قبيلة Rathayonki الذي يمكن أن يكون راتية وقال انها كانت تنزل في الساحل الغربي لطور سيناء .

خ ــ اسم قبيلة Thanita (ثانيتة) وقال انها كانت تنزل عـلى ساحل البحر الاحمر الشمالي عند منطقة تكثر فيها زراعة النخيل . وقد ذكرها ديودورس وقال انها كانت تحج كل خمس سنوات الى منطقة لها فيها آلهة وتقدم القرابين اليها . وقد ذكرها سترابون وقال ان منها من كان يسكن الخيام ومنها من كان يشتغل في الفلاحة . والكلام يفيد ان الاسم يطلق على مجموعة من القبائل أو على قبيلة لها فروع عديدة . والمتبادر ان هـــذه القبائل كانت تحجها مشايخها .

د ــ اسم قبيلة Gaamais الذي خمن الباحثون ان له صلة باسم الضجاعمة القبـــيلة المعروفة القديمة التي كان لها ملك في حوران سوف نذكره في نبذة خاصة .

ذ ــ وقد ذكر بطليموس فيما ذكره اسماء أربعة مدن في جنوب البلقـــاء وهي : ١ــ Makina التي قال الباحثون انها مثنا المذكورة في كتب السيرة و ٢ــ Madiana التي قال الباحثون انها مدين المدينة القديمة المذكورة في سفر التكوين و ٣ - Zaraama (ذارام) و ٤ــ Kapar على ساحل البحر الاحمر تنزل عندها قبيلة سماها Kindiakolpita التي خمنها الباحثون انها كنانة او كندة . والمتبادر ان هذه المدن كانت تحت حكم زعماء القبائل الصريحة العروبة التي كانت منتشرة في هذه المنطقة في هذه الظروف

١٣ واقد ذكر المطران الدبس [١] عزواً الى دراسات اثرية وكتاب من الافرنج اسم أذينة رئيس بني السميذع كملك على دولة صغيرة على تخوم سورية والبرية كانت موجودة في القرن الاول بعد الميلاد . ومن الاسماء التي قرئت على بعض قبور بني السميذع اسم الحمرة زوجة أذينة الملك واسم حبيبة السميذعية بنت نعم .

١٧ــ ذكر كاتب يوناني اسمه اريان ان العرب الصرحاء كانوا يقطنون غزة حينما حاصرها الاسكندر المكدوني وانهم قاوموه مقاومة شديدة وان منطقة غزة وما وراءها كانت مأهولة بالقبائل العربية المتصلة بطور سيناء وتحت حكم ملك عربي [٢] .

١٨ــ ولقد جاء في نقش تغلات بلاسر الثاني الذي ذكر فيه اسم الملكة سمسي ملكة اربي وذكرنا في مبحث مملكة اربي اسماء قبائل عربية عديدة خضعت لسلطان الاشوريين بعد خضوع هذه المملكة وقدمت لملوكهم جزية من الذهب والفضة والطيوب . وهي [٣] Masa التي يمكن أن تكون محورة عن مسعى او من بابها و Tima التي يمكن ان تكون تيما و Hayapa التي يمكن ان تكون خيابة او حجابة و Datama التي يمكن ان تكون بطنة و Hatti التي يمكن ان تكون خطي و Idilbail التي يمكن ان تكون عبد بعل . وكانت هذه القبائل تنزل في مشارف الشام واللمحة العربية الصريحة بادية عليها .وسياق الكلام يدور على انها كانت تحت حكم شيوخها الذين كان لهم كيانات خاصة وكانوا اصحاب ثروة وبروز .

١٩ــ ولقد جاء في نقش لسرجون الثاني في سياق ذكره الحملات التنكيلية التي قادها نحو بلاد الشام والبادية اسماء قبائل اخرى قال انه انتصر عليها واخذ منها الجزية ونفى بعض زعمائها الى السامرة حيث يفيد هذا ما يفيده الكلام السابق .

والاسماء هي Tamudi الذى يمكن ان يعني قبائل ثمود و Ibadidie الذي يمكن ان يكون عبايدى و Marsamani الذي يمكن ان يكون مرسمان . وكانت هذه القبائل تنزل في منطقة مدين والعقبة على ما خمنه الباحثون .

---

(١) تاريخ سورية ج ٢ مجلد ٣ ص ٥٩٨

(٢) جواد علي ج ٢ ص ٣٧٣-٣٧٤

(٣) جواد علي ج ٢ ص ٢٩٩ وما بعدها والبيانات التالية مقتبسة من نفس المصدر

٢٠ - ولقد جاء في نقش لأسرحدون انه غزا فيا غزاه من البادية ارض Bazu أو Hazu (بازو او حازو) وحارب فيها جيوش جبهة متحدة من ملوك وامراء العرب وانتصر عليهم وقتـــل kisu (قيس) ملك Haldili التي يمكن ان تكون خـــالدية و A.-eru (اكبرو) ملك النبط و Man Sache (معن ساق) ملـــك Magalani (مجلاني) و Japa (جبعة أو جبهة) ملكة (زهراني) Dihrani و (قبيصة اوخبيصة) Adaba ملك Habisu (حدبا او قضبا) و (نخرو) nikaru ملك Gabani (جعفان) و B-ila (بعلة) ملكة Ihilu (اهيلة) و Habanemra (خبانمرو) ملك Budae (بدع) واسر خلقاً من أتباعهم ونفاهم الى ارض اشور واخذ آلهتهم معه ، وان Yaili ملك (يادي او جادي) Jadi تمكن من الافلات ولكنه ذهب الى نينوى بعد عودة الملك اليها وطلب العفو والصفح فعفا عنه الملك وتآخى معه واعاد اصنام قومه وعينه ملكاً على ارض حازو على شرط دفع الجزية .

والمستفاد من دراسة الاثريين ان هؤلاء الملوك كانوا زعماء قبائل عربية منتشرة في مشارف الشام ووادي السرحان واطراف حوران . ولمحة العروبة الصريحة بادية بقوة على الاسماء .

٢١- ولقد ورد في نقش دونه مندوب آشوري سياسي مقيم عنـــد بعض امارات البادية ووجهه الى ملكه ان ملك قمرو هاجم قبيلة Mesa (مسعى) بعـــد عودة الملك الاشوري الى نينوى وذبح أفرادها واستولى على اموالها حيث يدل ذلك على ملك آخر من ملوك القبائل العربية .

٢٢- ولقد جاء في نقش لآشور بانيبال انه طلب من ملوك آدوم ومؤاب وعمون ان يؤدبوا بعض امراء وقبائل البادية الذين تحالفوا مع اخيه شمسوكين الذي ثار ضده في بابل وانهم قاموا بالمهمة وقبضوا على الامراء الخامرين وأرسلوهم الى نينوى حيث لقوا جزاءهم الصارم . ولم يرد في النقش شيء عن هويتهم ولكن تكليف ملوك شرق الاردن يدل على انهم قبائل مشارف الشام ومن المحتمل ان يكونوا الذين ذكروا قبل .

ولقد مر في مبحث مملكة قيدار أن احد ملوكها أرسل مددا الى شمسوكين الثائر عـــلى اخيه اشور بانيبال في بابل . ولقـــد ذكر في مبحثي قيدار وعريبي تكرر تمرد المملكتين على سيطرة آشور .

ويبدو من كل ذلـــك ان جميع القبائل العربية التي كانت تنزل في مشارف الشام كانت تشترك بزعامة شيوخها الذين كانوا يتلقبون بلقب الملك في التمرد أيضاً .

٧ـ النقوش الصفوية ودلالتها [١]

عثر في القرن الفائت في الحرة الواقعة بين جبل الدروز وتلول الصفا عـــلى نحو ثلاثة آلاف لوح حجري متفاوتة الاحجام عليها كتابات بخط قريب من خط المسند . وقـــد سميت بالنقوش الصفوية نسبة إلى مكان وجودها لا الى قبيل عربي بهذا الاسم كما هو شأن النقوش اللحيانية والثمودية التي نوهنا بها في الجزء الاول من الكتاب والتي سميت بهـــذه الاسماء نسبة الى القوم الذين كتبوها .

1198–1198a.

نموذج من النقوش الصفوية

نقلا عن الجزء السابع من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

والنقوش الصفوية مقتضبة وهي تسجل شؤوناً شخصية وعادية لا تفيد التاريخ بشيء من جهة الاحداث السياسية والحربية وان كان لها فائدة لا تنكر من جهة دلالتها عـــلى الحالة الثقافية والدينية للقبائل العربية التي كانت تنزل أو تتجول في المناطق التي وجدت فيها . وربما كانت من القبائل المعروفة الوارد ذكرها في النقوش الاخرى أو المدونات

---

(١) مرجع هذه النبذة تأريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٤٣١ وبعدها وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفسون ص ١٨٢ وبعدها

القديمة . وكل ما في الأمر أنه لم يقرأ على النقوش ما يكشف عنها . وقد نقش في بعضها أحداث تاريخية ولكن أسلوبها لا يساعد على تعيين ظرف كتابتها مثل سنة كذا من حرب النبط أو سنة كذا من حرب نسمان .

ومع ذلك فإن أسلوبها ومضامينها وألفاظها الصريحة العروبة المتفاوتة في مراحل تطورها نحو اللهجة الفصحى قد تدل على ان معظمها كتبت بعد الميلاد المسيحي بعدة قرون أو في زمن الدولة الغسانية وان كان منها نقوش يدل فحواها على انها كتبت في زمن الدولة النبطية التي قامت في شرق الأردن قبل الميلاد المسيحي بعدة قرون وعاشت إلى أوائل القرن الثاني بعد الميلاد .

ومن النقوش ما قصد به تخليد زيارة لمكان أو تسجيل حيازة حصان أو جمل . وقد يستدل من أمثال الاخيرة على انها وثائق وشهادات كان يحملها أصحابها معهم .

ومهما يكن من أمر فان هذه النقوش تنطوي على دلالة ثقافية هامة وهي إلمام كثير من أبناء القبائل العربية التي كانت تتجول في اطراف بلاد الشام في دور العروبة الصريحة بالقراءة والكتابة خلافاً لما يقوم في الاذهان . وهي الدلالة التي تدل عليها ما وجد من نقوش لحيانية وثمودية في أعالي الحجاز التي كانت مباءة تجوال قبائل عربية صريحة العروبة ولم نذكر دلالة ما عثر عليه في مختلف أنحاء اليمن من معينية وسبئية وقتبانية وحضرموتية وأوسانية وحميرية على مثل ذلك لأن المفروض ان اهل هذه البلاد كانوا على شيء من الحضاره والاستقرار ومعظمهم يعيش في مدن وقرى .

ومن أسماء الاشخاص التي قرئت على النقوش :

حنس بن هقيق من قبيلة رحبت ، وحمد ، مباح ، عوذ ، جعبر ، تيم ، ضيف ، وقر ، شمر ، سمرايل ، نارايل ، اذينت ، برد ، اصلح ، ابجر ، عثمن ، شامت ، شريك ، انعم ، محلم ، ريال ، كهل ، نصر .

ومن هذه الاسماء ما هو عربي فصيح ومنها ما هو قريب من ذلك . والمتبادر ان النوع الاول قد كتب في المدة التي سبقت البعثة بمئة سنة أو نحوها . ومن هذه الاسماء ما ظل مستعملا بعد الاسلام كما لا يخفى .

وننبه بخاصة الى اسم ابجر الذي هو مماثل لاسم بعض ملوك مملكة الرها حيث يدل

هذا على أن تطور اللغة العربية نحو الفصحى كان يجري في كل ناحية جريانا متوازياً .

ومن أسماء الآلهة والأصنام التي قرئت على النقوش : لت ، هلت ، جدعوذ ، بعل سمين ، شع هقوم ، دشر ، رضو ، حمس ، رحام [1] .

وقد قرىء على النقوش الثمودية اسم رضو واسم لت كآلهة لثمود . وقد قرىء على النقوش الحميرية عبارة بعل سمين (رب السماء أو رب السماوات) حيث ينطوي في هذا نفس الدلالة التي نوهنا بها آنفاً .

وصيغة معظم هذه الأسماء تدل على انها كتبت في عهد متقدم نوعاً ما أي قبل أن تقترب اللغة إلى اللهجة الفصحى خلافاً لبعض أسماء الأشخاص التي أوردناها قبل .

وهذه نماذج من فحوى النقوش :

١ ـ لبرد بن أصلح بن أبجر وشتى هدر وذبح . هلت سلم .

والنقش يدون حادث مجيء شخص اسمه برد بن أصلح وتشتيته في المكان وذبحه ذبيحة ويطلب السلام من اللات أو من الآلهة . والنقش متقدم الزمن واللغة بين الفصحى وما قبلها . وحرف التعريف في هلت هو الهاء وهو من اللهجات المتقدمة .

٢ـ لأنعم بن قحش وغنم سنت حرب نبط .

والنقش يسجل ملكية شيء لأنعم بن قحش ويؤرخ ذلك بسنة حرب النبط .

٣ـ لأذينت بن ورد بن أنعم بن كهل بن غم بن كهل ذا النغير . فهلت وشع وجد عوذ وبعل سمين ودشر غيرت له . وعور وعوج لذ يعور هخطط .

والنقش يدون ان الكتابة لأذينة بن ورد بن أنعم بن كهل بن غم بن كهل من بني النغير . ويطلب المدد والغيرة له من اللات او الآلهة وحامي القوم والآلهة جد عوذ ورب السماوات وذي الشرى . ويدعو بالعور والعرج على من يمحو الكتابة .

٤ـ لنصر ال بن حجر هخطط . وحضر هدر واثع سلم وخرص تعصن وقو

---

(١) لت = لاة . هلب = اللاة او الالهة . بعل سمين = رب السماوات . شع هتوم = حامي القوم. دشر = ذو الشرى

والنقش يدون ان الكتابة لنصر آل بن حجر ويسجل صاحبه بها حضوره الى هـذا المكان ـ هذه الدار = هدر = وقتله قعصن وفراره ويطلب من الاله أثع السلام .

وظاهر من هذا ان الذين دونوا النقوش يدينون بتعدد الآلهة أسوة بمعظم أهل جنوب الجزيرة وشمالها . ومن المحتمل أن يكونوا من قبائل تمت الى جزيرة العرب أو أطرافها .

٨ ـ دولة الانباط

ـ ١ ـ

هوية الانباط وعروبتهم [١]

هذه الدولة أهم الممالك التي قامت في بلاد الشام في دور العروبة الصريحة قبل الميلاد المسيحي وامتدت الى ما بعده من حيث سعة انبساط السلطان ووضوح المعالم إجمالا.

والباحثون مختلفون في سبب تسمية الانباط باسمهم . فبعضهم ينسبهم إلى أحد أبناء اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام (بنايوت) وقد ذكر اسم بنايوت في الاصحاح (٢٥)من سفر التكوين بأسلوب يفيد انه كان اسم قبيلة حينما كتب السفر ممتداً الى اسماعيل بصفته من أبنائه . ومع ذلك فالصلة بين هذا الاسم وبين اسم الانباط والنبط ضعيفة كما يبدو . وبعضهم يجعلون صلة ما بين الانباط وبين جماعة في العراق كانت تنعت بالنبط . وهـذا تخريج بعض مؤلفي العرب القدماء . ويتبادر لنا أنه رأي ملقى على عواهنه كشأن جل تخريجات مؤلفي العرب للاسماء والاحداث التاريخية القديمة .

والتسمية فيما نعتقد أصيلة . فقد قرئت كلمات نبطو ونبيط وملك نبطو في منقوشات أشورية من القرن السابع قبل الميلاد كما قرئت كلمة نبط في منقوشات عديدة عثر عليها في أنحاء عديدة من بلاد الشام واعالي الحجاز منها ما هو عائد الى ما قبل الميلاد المسيحي . وقد أوردنا نصوص بعض هذه النقوش في مبحث مراحل تطور اللغة العربية ونماذج هذه المراحل .

---

(١) هذه النبذة مقتبسة من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ٥ ـ ٧٠ وتاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زيدان ٨١ ـ ٩٧ وتاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها نعوم شقير ص ٤٦٤ وبعدها والجزء الثاني المجلد الثالث تاريخ سوريـة المطران الدبس ص ٢٠٥ ـ ٢٥٠ و ٥٩٨ ـ ٦٩٨ وتاريخ شرق الاردن ترجمة طوقان ج ١ ص ٣١ ـ ٩٢

ومن المحتمل ان يكون الاسم مستمداً من اسم مؤسس الدولة أو القبيلة . والكلمة في حد ذاتها غير غريبة عن اللغة العربية والتسميات العربية القديمة . ممن المحتمل أن تكون متصلة بجذر نبط وأنبط . ومنه استنباط الماء وانباطه واستنباط الامر أي معرفه كنهه وصوابه .

وقد جاء بهذا المعنى في آية قرآنية جاء فيها (ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) [1] حيث ينطوي في هذا دلالة على اصالة عروبة الكلمة وبالتالي على عروبة هذه الدولة وشعبها . ومن أسماء ملوك الدولة المعينية التي قرئت على النقوش اسم « وقه ايل نبط » على ما أوردناه في الجزء الاول [2] . رزمن هذا الملك يخمن في أوائل الالف الاول قبل الميلاد المسيحي . وهو زمن لا يبعد كثيرا عن زمن بروز الانباط ودولتهم . وقد قرىء هذا الاسم في نقش قتباني كاسم من أسماء ملوك قتبان وهو (نبط عم بن شهر هلال) وكان حكمه في القرن السابع قبل الميلاد [3] وقرىء كذلك في نقشين سبئيين اسمين لملكين ثانويين في عهد الدولة السبئية بهاتين الصيغتين (نبط ايل ملك اربعن) و (السمع نبط بن نبط على ملك كمنهو) [4]

ففي كل ذلك دلالة قوية على اصالة التسمية واصالة عروبتها وكونها مما كان شائعاً في دور العروبة الصريحة بل وقبل هذا الدور . ومن المحتمل ان يكون موجة مـــن جنوب الجزيرة قد طرأت على شرق الاردن في اوائل الالف الاول قبل المسيح تحمل هذا الاسم او يحمله زعيمها فلما تمكنت في هذه البلاد وفرضت نفسها وأقامت دولتها سميت به .

وبعض الباحثين يمارون في عروبة الانباط الصريحة ويرون فيما كان يشوب لهجتهم من لهجة ارامية امارة على انهم آراميون في حين ان اللمحة العربية الصريحة واضحة على النقوش النبطية التي عثر عليها ومنها ما يكاد يكون فصيحاً كالاسماء وقد أوردنا بعض النصوص والاسماء في عداد النماذج في الفصل الاول . ولسنا نرى فيما يبدو فعـــلا من ركاكة اللغة النبطية او من احتمال امتزاجها بعناصر آرامية ما يمكن ان ينقض دعوى عروبة الانباط

---

(١) سورة النساء الاية ٨٢

(٢)انظر ايضا العرب قبل الاسلام جواد علي ج ١ ص ٣٩٥ وتاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان ص ١٣١ طبعة جديدة

(٣) جواد علي ج ٢ ص ٥٧

(٤) نفس الجزء ص ١٣٤ و ١٣٦

وقصارى ما يمكن ان يكون هو انها طور من أطوار اللغة العربية قبل بلوغها طور الفصحى أولا وأن تكون الموجات العربية التي طرأت على بلاد الشام قبل الميلاد المسيحي تأثرت هي ولهجتها بالآراميين الذين كانوا منتشرين في بلاد الشام وبلغتهم التي كانت سائدة فيها ثانياً على ما شرحناه في فصل الآراميين في الجزء الرابع .

ولقد سمى كتاب اليونان عاصمة دولة الانباط باسم بطرا العربية Arabia Petra [1] وهذه التسمية ترجع الى قبل الميلاد المسيحي بأمدما . ولقد سمى الرومان بلاد هذه الدولة بعد أن قوضوها في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد باسم المقاطعة العربية [3] . ولا يعقل أن يكون ذلك ارتجالا . ولا بد من ان تكون صراحة العروبة بارزة على هذه البلاد وأهلها ودولتها قبل التسمية بمدة ما بروزاً تاماً حتى سجلت عروبتها الصريحة بها .

ولقد كانت منطقة شرق الاردن التي قامت فيها هذه الدولة واطرافها المناوحة لجزيرة العرب جنوباً وشرقاً تعج بحركة القبائل الصريحة العروبة ونشاطها على ما تفيده المقتبسات التي اوردناها في المبحث السابق من نقوش الاشوريين ومدونات الكتب اليونانية والرومانية مما يجعل القول ان طابع العروبة الصريحة هو الطابع الذي كان شاملا لهذه المنطقة سائغاً .

ولقد جاء في كتاب تاريخ شرق الاردن الذي اقتبسنا منه بعض الصور في المبحث السابق ان الانباط كانوا في القرن السابع قبل الميلاد اقوياء حتى ان الاشوريين تخوفوا منهم اذا تركوهم وشأنهم فجدوا حتى اخضعوهم لسلطانهم ، وان الراجح انهم كانوا في هذه الفترة يقطنون جنوب آدوم وشرقها ووادي السرحان وجبال حسما . وهذه المناطق متاخمة لجزيرة العرب . والمتبادر ان القبائل التي كانت تنشط فيها هي قبائل جديدة الانسياح من جزيرة العرب في هذا الظرف الذي اخذت مظاهر بروز العروبة الصريحة تظهر في الجزيرة على ما ذكرناه قبل .

وفي منقوشات اسرحدون في الثلث الاول من القرن السابع قبل الميلاد - وقد اوردنا النص قبل قليل - اسم اكبرو ملك نابيتا Akbru = nabita في عداد الملوك الذين قتلهم هذا الملك عقوبة على تمردهم على آشور . والاسم صريح العروبة كما هو واضح . ولقد عثر على نقود تحمل اسماء عدد غير قليل من ملوك هذه الدولة الذين حكموا قبل الميلاد المسيحي وبعده وعروبتها لا تتحمل مراء مثل : ماليكو (مالك) وحرتت (حارثة)

---

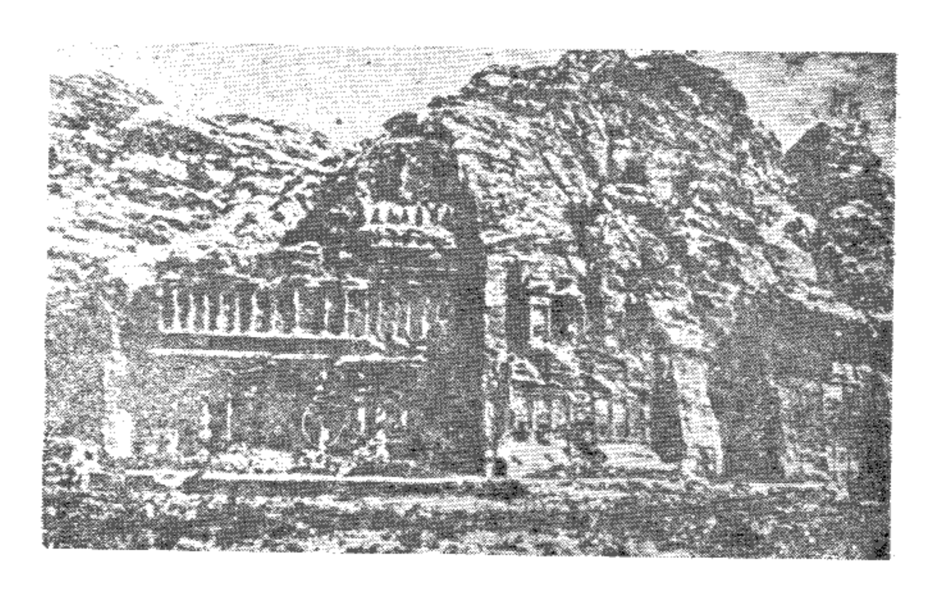
(١) العرب قبل الاسلام زيدان ص ٨٢ طبعة حديثة وبعدها

(٢) جواد علي ج ٣ ص ٤٧ والنص هو Provincia arabia

وابادا (عباده) ورب ايل وجميلت وصقيلة وخلدت (جميلة وصقيلة وخلدة)
وفي كل هذا دلالات لا تدحض على عروبة الانباط ودولتهم الصريحة .
والمؤلفون الخمسة الذين ذكرنا تعويلنا عليهم في كتابة هـــذا البحث يؤيدون ذلك تأييداً قوياً .

سلع وبطرا واولية دولة الانباط

ونقش أسرحدون الذي اشرنا اليه يدل على انه كان للانباط دولة قبل القرن السابع قبل الميلاد . ولما كانت مدينة سلع التي يرجح انها هي نفس بطرا عاصمة دولة الانباط كانت في القرن الثامن عاصمة لدولة آدوم على ما يستفاد من سفر الملوك الثاني من أسفار



منظر عام لبطرا
نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

العهد القديم [١] الذي ذكر فيه خبر حرب نشبت بين دولتي يهوذا وآدوم استولت الاولى بنتيجتها عـــلى سلع فالمتبادر ــ ان صح ذلك ــ ان يكون الانباط قد فرضوا انفسهم

(١) الاصحاح ١٤ الطبعة البروتستانتية

وحكمهم في بدء الامر على اطراف شرق الاردن او في جنوب دولة آدوم وشرقيها ووادي السرحان وجبال حسما على ما جاء في كتاب تاريخ شرق الاردن وان تكون غزوة اسرحدون انما وقعت في هذه المنطقة حيث غلب الانباط وقتل ملكهم اكبرو ، ولم يكن الانباط قد فرضوا حكمهم على شرق الأردن، لأنه كان في شرق الأردن في زمن اسرحدون دول مؤاب وعمون وآدوم . وقد ظلت قائمة بعده حيث ذكرها آشور بانيبال في احد نقوشه على ما ذكرناه قبل .

ونستطرد الى القول ان ترجيح كون سلع هي نفس بطرا مستند الى تماثل معنى سلع وبطرا . ومعنى الاولى في العبرانية الحجر او الصخر ومعنى الثانية في اليونانية الحجر او الصخر ايضاً . واليونان هم الذين سموها باسم بطرا .

والمدينة في موقع صخري ومساكنها ومقابرها منحوتة في الصخر على ما هو مشاهد الى اليوم . ولقد يدل هذا على ان التسمية العبرانية التي ترجمها اليونان هي وصف . فلو كان اسم سلع اسمها العلمي لكان اليونان استعملوه بالذات ولما ترجموه ترجمة حرفية .

ولم توجد في الآثار النبطية ما يساعد على معرفة اسم علمي لعاصمة الانباط بشكل حاسم . ولا ندري هل كان اسمها عندهم (سلع) ايضاً لأنها مدينة صخرية ؟ واللغتان العبرانية والكنعانية لهجتان من لغة واحدة وقد تكون كلمة سلع فيهما هعاً بمعنى الصخر او الحجر . وفي هذه الحال يكون اليونانيون قد جنحوا الى الاسم المترجم دون تقيد بعلميته .

ولقد كانت سلع او بطرا عاصمة دولة الانباط في القرن الرابع على ما ذكرته المدونات اليونانية القديمة في سياق فتح الاسكندر لبلاد الشام ومحاولة هؤلاء اخضاع دولة الانباط وغزوهم بطرا . والمتبادر ان ذلك كان سابقاً للفتح اليوناني . ولا يبعد ان يكون حدث في القرن الخامس او في القرن السادس حينما قوض نبوخذ نصر ملك بابل دولة يهوذا حيث نشط ملوك الانباط الذين كان منهم اكبرو والذين قامت دولتهم في بدء الامر في منطقة الجوف او وادي السرحان واغتنموا الفرصة السانحة في فترة الارتباك الذي ألم بدولة بابل بعد قليل من موت نبوخذ نصر على ما شرحناه في الجزء الثالث فمدوا سلطانهم الى شرق الاردن ثم اتخذوا سلع عاصمة لهم .

ومن الجدير بالذكر ان اليونانيين السلوقيين حينما انشأوا دولتهم في بلاد الشام في

اواخر القرن الرابع قبل الميلاد (حوالي ٣١٢ ق م) لم يكن امامهم غير دولة الانباط في منـــطقة شرق الاردن . ولم تشر مدوناتهم الى دول آدوم وعمون ومؤاب التي كانت موجودة الى القرن السابع وذكرت في نقوش آشور بانيبال بـــل ولم تذكر الا العرب والعروبة في هذه المنطقة مما يمكن ان يدل على ان دولة الانباط قد ابتلعت هذه الدول وان شعوبها قد اندمجت في الكيان العربي الجديد الصريح العروبة الذي نشأ بقيام هذه الدولة .

ومما لا ريب فيه ان وحدة الجنس وتقارب اللهجات يسر هذا الابتلاع والاندماج .

ولقد حاول اليونانيون السلوقيون ان يمدوا سيطرتهم الى بلاد هذه الدولة بعد توطيد دولتهم في بلاد الشام الشمالية والساحلية ولكن محاولتهم لم تنجح حيث يدل هذا عـــلى ان الانباط كانوا متمكنين اقوياء في القرن الرابع قبل الميلاد .

ولقد جاء في تاريخ ديودور الصقلي المدون في القرن الاول قبل الميلاد عند كلامه عن انطيغوس ملك السلوقيين انه حينما زحف على مصر كنتيجة للنزاع على مناطق الحكم الذي نشب بين ملوك الدولة السلوقية ودولة البطالسة في مصر اضطر الى المرور ببطرا وهي في يد النبطيين ، وكان بطليموس ملك مصر قد اجتذب قلوبهم فعزم عـــلى قهرهم واغتنم فرصة خروج حامية المدينة فاكتسح المدينة ونهبها ثم التقى بالحامية وهي عائدة فاشتبك معها وانتصرت عليه وفتكت برجاله . فأعاد الكرة على النبطيين بحملة اخرى تحت قيادة قائد اسمه ديمتريوس وكانت قوية كثيرة العدد فلم يكن من النبطيين الا ان آووا الى حصونهم ثم كتبوا الى انطيغوس يعتذرون اليه عما فعلوه بأن ذلك كان دفاعاً عن النفس فأجابهم جواباً ليناً . ولم يغتروا بالجواب لأن ديمتريوس لم يرحل عنهم فظلوا متحصنين وطال الحصار كثيراً ثم اطل رجل منهم من السور وخاطب ديمتريوس قائلا : (ايها الملك لماذا تقاتلنا ونحن مقيمون في بادية لا مطمع فيها لأهـــل المدن اتحاربوننا لابائنا الرق واحتمائنا في بلد لا شيء له من مرافق الحياة . فاقبل رعاك الله ما ندفعه اليك وانسحب عنا . وسنكون اصدقاءكم . وان ابيتم الا اطالة الحصار فلن تنالوا غير التعب والفشل لأنكم لن تجدوا سبيلا الينا ونحن في هذا الحصن المنيع . واذا قدر لكم الظفر فلن تنالوه الا بعـــد ان نموت جميعاً ولا يبقى لكم غير هذه الصخور الصماء التي لا تستطيعون سكناها) واثر كلام الرجل في ديمتريوس وتأكد من امتناع المدينة عليه فانسحب عنها [1]

---

(١) زيدان ص ٨٥ وبعدها الطبعة الجديدة

ومما قاله هذا المؤرخ بالاضافة الى ما تقدم أن مقاتلي الانباط عشرة آلاف وانهم لا شبيه لهم في قبائل البدو وأن وعورة بلادهم ساعدتهم على التمتع بالحرية والاستقلال

وعلى كل حال فان من الحقائق الثابتة أن دولة الانباط ظلت قائمة متمتعة باستقلالها طيلة وجود الدولة السلوقية ثم ظلت قائمة بعدها في عهد الحكم الروماني الى اوائل القرن الثاني بعد الميلاد . وحينما كتب ديودور كتابه كانت هذه الحقيقة قائمة . ولعله اقتبس ما كتبه عنهم من مدونات سابقة او سمعه متداولا بين الناس .

- ٣ -

اتساع نطاق سلطان دولة الانباط وقوتها

ولقد استفحل امر هذه الدولة بعد ارتداد السلوقيين عنها حتى شمل سلطانها شبه جزيرة سيناء من الغرب والجنوب وحوران الى حدود العراق من الشرق والجنوب وامتد الى وادي القرى القريب من يثرب فشمل ديار ثمود وبني لحيان

وفي مختلف انحاء سيناء على الطرق التجارية وفي جوار مناجم المعادن والاماكن المقدسة في جبل الطور وفي اودية جدان والحمر وفيران والمكتب وضواحي جبل سيناء وجبل سيرياك كتابات نبطية كثيرة مما فيه الدلالة على امتداد سلطان هذه الدولة الى شبه جزيرة سيناء وشمولها لها [١]

ومثل هذا في خرائب مدائن صالح الواقعة على طريق معان - يثرب والتي كان العرب القدماء يسمونها الحجر والتي كانت ديار ثمود [٢]

اما في منطقة شرق الاردن وحوران ففيها شيء كثير من الآثار والنقوش النبطية . وقد وجد في صرخد جبل الدروز نقوش نذكر اسماء بعض ملوك الدولة النبطية باسلوب

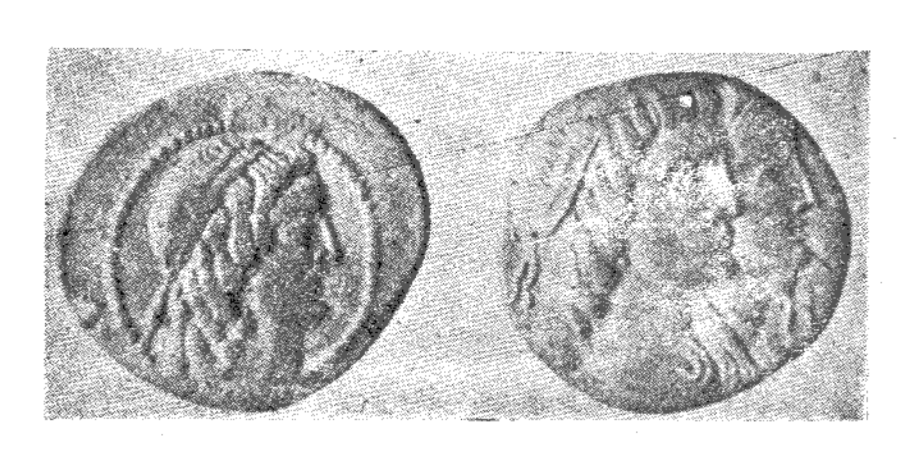
---

(١) تاريخ سيناء وجغرافيتها نعوم شقير ص ٤٦٤ ونذكر بهذه المناسبة اننا قرأنا في صحف مصر عام ١٩٤٥ ان بعثة اثرية تقوم بالتنقيبات في صحراء بير السبع وسيناء كشفت عن آثار (٣٣) قرية تعود الى عهد الانباط

(٢) العرب قبل الاسلام لزيدان ٢٨ وبعدها

يدل على شمول سلطانهم لهذه المنطقة [1]

ولقد امتد حكم هذه الدولة الى سنة ١٠٦ ب م وعرف اسماء عدد كبير من ملوكها مما عثر عليه من النقود والنقوش . وهذه قائمة بالاسماء التي عثر عليها مع سني حكمهم اوردها جرجي زيدان في تاريخ العرب قبل الاسلام نقلا عن دوسو [2]



نقود نبطية

نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

الحارث الاول	١٦٩ — ٠ قم
زيد ايل	١٤٦ «
الحارث الثاني الملقب ابروتيموس	١١٠ — ٩٦ «
عبادة الاول	٩٠ «
ربيال الاول بن عبادة الاول	٨٧ «
الحارث الثالث بن ربيال الملقب بلقب فيلهلين	٨٧ — ٦٢ «
عبادة الثاني بن الحارث الثالث	٦٢ — ٤٧ «
مالك الاول من عبادة الثاني	٤٧ — ٣٠ «
عبادة الثالث بن مالك الاول	٣٠ — ٩ «

---

(١) المصدر السابق

(٢) نفس المصدر انظر ايضا جواد علي ج ٣ ص ٥ — ٧٠

الحارث الرابع الملقب فيلوباتر شقيق عبادة الثالث الملكة خلدو زوجته « شقيله اوصقيله »	٩ — ٤٠ ب م
مالك الثاني بن الحارث الرابع والملكة شقيلة زوجته	٤٠–٧٥ ب م
ربيال الثاني الملقب سوتر بن مالك الثاني . والملكة صقيلة والدته الوصية عليه والملكة جميلة زوجة مالك الثالث	٧٥–١٠١ ب م
مالك الثالث	١٠١ — ١٠٦

وواضح من القائمة أنها لا تمثل إلا نحو النصف الاخير من عهدها . ومن المؤسف انه لم يعثر على آثار منقوشة من النصف الأول وليس هناك إلا ما جاء في كتاب ديودور عنه وما عرف من أخبار وأحداث الدولة عائداً للنصف الاخير من عهدها .

ولقد ذكرت المدونات اليونانية والرومانية اسماء عبادة الثاني ومالك الاول وعبادة الثالث والحارث الرابع ومالك الثاني ومالك الثالث في سياق بعض الاحداث بينهم وبين اليونانيين والرومانيين [١]

صور من سيرة الدولة في هذا الدور

– ٤ –

ومما عرف من اخبار الدولة في النصف الثاني من مدة حكمها أن الصلات بينها وبين البطالسة ملوك مصر في الثلث الاول من القرن الثاني قبل الميلاد كانت حسنة حتى إن الباحثين يرجحون أن النصر الذي أحرزه بطليموس فلوماتر على السلوقيين سنة ١٦٩ ق م كان بفضل مساعدة الحارث الاول ملك الأنباط .

---

(١) تاريخ سيناء وجغرافيته نعوم شقير ص ص ٤٦٤ – ٤٦٨

وكانت صلات الأنباط بزعماء المكابيين اليهود في بدء امرهم حسنة حتى ان يوناثان المكابي ثاني الزعماء المكابيين كان يسميهم أولياءه ويطلب منهم العون والمدد في نزاعه مع السلوقيين . غير ان الحالة اخذت تتبدل في عهـد هركانوس أول من تسمى باسم الملك منهم ثم في عهد ابنه الاسكندر حيث صارا يطمحان الى التبسط في السلطان . وقد تكررت حركاتها ضد القبائل العربية التي كانت تقطن الضفة الشرقية من نهر الاردن ممن كان اليهود يسمونهم جلعاديين ومؤابيين وادوميين جرياً على التسمية القديمة وضربهـا وارغامها على الخضوع لهما وأداء الجزية اليهما . وقد أعلن عباده الأول الحرب على اسكندر على اثر عدوان من هذا على الجلعاديين وفرضه الجزية عليهم . وقد انتصر عبادة نصراً مبيناً حتى كاد اسكندر يلقى حتفه لولا أنه افلت بسرعة وارتد الى اورشليم . وبذلك تخلص اهل الضفة الشرقية من السيطرة اليهودية .

ولقد أثار ما كان من صلات حسنة بين ملوك الأنباط وملوك البطالسة ثم بين ملوك الانباط والمكابيين في بدء الامر الحقـد والسخط في نفوس السلوقيين ضد المملكة النبطية لأن هؤلاء على عداء مع البطالسة والمكابيين . وقد قاد انطيوخوس الثاني الملك السلوقي حملة وزحف بها على بلاد الشام للانتقام وكان ذلك في زمن الحارث الثالث الذي يعد من أعظم ملوك الانباط فتصدى لصد الزحف واستطاع ان يكسر الجيش السلوقي كسرة شنيعة وقد قتل الملك السلوقي في المعركة الفاصلة التي وقعت في قانا الجليل في ارض فلسطين . وبعد ذلك زحف نحو الشمال وفرض سيطرته عليه ثم استمر زاحفاً نحو الشمال حتى دخل دمشق عام ٨٥ قم ونادى بنفسه ملكاً عليها ؛ ثم عاد الى عاصمته وبادر بعد استراحة قصيرة الى الزحف على فلسطين وغزو المكابيين فيها ؛ فسارع الملك اسكندر الى لقائه ولكنه انكسر بدوره كسرة شنيعة قرب اللد واضطر الى طلب الصلح وعقده حسب الشروط التي فرضها الحارث والتي كان منها التخلي عن كل ما في يده من ارض في الضفة الشرقية .

ونشب بعد موت اسكندر نزاع بين ولديه اسطوبولوس الذي تولى الملك وهركانوس الذي تولى رئاسة الكهانة والذي كان يطمح الى الملك أيضاً لأنـه الاكبر سناً . وكانت دولة الانباط تحت سلطان ملكها الحارث ملء السمع والبصر فلجأ هركانوس اليه وطلب مساعدته . ولبى هذا الطلب لأنه رأى الفرصة سانحة لبسط نفوذه على الدولة المكابية

وزحف بجيش عظيم على فلسطين وكسر جيش ارسطوبولوس الذي خرج الى لقائه كسرة شنيعة . وقد استطاع ارسطوبولوس أن يفلت ويرتد الى اورشليم ويتحصن فيها . ولحقه الحارث فضرب الحصار على المدينة وكاد أن يفتحها لو لم يطرأ ما اضطره الى التراجع . فقد زحف الرومان بقيادة بوهبيوس في أثناء ذلك على بلاد الشام ونسفوا دولة السلوقيين واتجهت حملة منهم بقيادة قائدا سمه سكاروس نحو فلسطين وارسل اسطوبولوس وهركانوس اليه هداياهما . وكانت هدية ارسطوبولوس اعظم فنالت رضاء القائد الروماني الذي بادر الى انذار الحارث بفك الحصار والرجوع الى بلاده فلم ير مناصاً من الانصياع ؛ ودخلت الدولة المكابية تحت نطاق سيادة الرومان نتيجة لذلك . وقد اتجه سكاروس نحو شرق الاردن ايضاً لاخضاع دولة الانباط . غير ان الحارث استطاع بدهائه الاحتفاظ بسلطانه حيث عرض على سكاروس صداقته مع مبلغ من المال . ورأى هذا مناعة بطرا ووعورة الطريق فرضي بالعرض . وهكذا نجت دولة الانباط وعاصمتها من الغزوة الرومانية في جولتها الاولى كما نجت من الغزوة اليونانية من قبل بفضل مناعتهـــا ودهاء رجالها . وقد عثر على قطع نقدية تحمل اسم سكاروس والحارث الثالث وصورتيهما معاً مما ينطوي فيه انها ضربت لتسجيل ما توطد من صداقة وتـآلف .

ولقد ظلت دولة الانباط متماسكة قوية بعد الحارث الثالث إلى امد غير قصير . ولقد أمد مالك الأول بوليوس قيصر بمدد عسكري حينما زحف على مصر فكان ذلك مـــن اسباب علو مكانته في الدولة الرومانية . ولقد اشتبك الفرس والرومان في هذه الأثناء بحرب من الحروب التي كانت تتكرر بينهم نتيجة لما قام وظل مشتداً بينهم مـــن تشاد وتنازع على السلطان في الشرق العربي فانتصر الفرس في هذه الجولة واستولوا على سورية نتيجة لذلك . وجاء ملك الفرس الى فلسطين فبسط سلطانه عليها وخلع ملكها الذي كان موالياً للرومان ونصب مكانه ابن اخيه الذي كان ثائراً عليه بعد أن تعهد بالخضوع والولاء وأداء الجزية . غـــير ان دولة الانباط استطاعت أن تكون في نجوة من غزو الفرس وسلطانهم بفضل ملكها مالك الثاني الذي اكتفوا منه بعدم إجارة هيرودوس احـــد رجال الدولة المكابية والذي كان شديد الولاء للرومان .

ولقد استطاع الرومان بعد فتره قصيرة أن ينتصروا على الفرس ويدحروهم عن بلاد الشام . وعينوا هيرودوس ملكاً على اليهود . وكان مالك الثاني ما يزال على رأس دولة الانباط . وكان الرومان من ناحية وهيرودوس من ناحية قد حقدوا عليه لموقفه الولائي

من الفرس فأخذ يقع بينه وبين هيرودوس اشتباكات حربية تساجل الفريقان النصر فيها وقد زعم يوسيفوس المؤرخ اليهودي أن هيرودوس تمكن في النهاية من الانتصار على العرب وقتل مقتلة عظيمة منهم وارغامهم على صلح من شروطه اداء الجزية اليه [١] وهذا القول يتحمل التحفظ لأن كتاب الرومان رووا ان أوغسطوس قيصر استمدمن الانباط مدداً عسكرياً ومرشدين حينما وجه حملة غالوس الى جزيرة العرب على ما شرحناه في الجزء الثاني من الكتاب . وكان ذلك في زمن هيرودوس وبعد الصلح المذكور بمدة قصيرة . وهذا يعني أن الانباط كانوا متماسكين مخطوبي الود والعون مرموقي المكانة عند الرومان اصحاب السيادة العليا على بلاد الشام جميعها بما فيها فلسطين وبلاد الانباط . ويصعب أن يصدق قول قائل ان هيردوس كان يتقاضى جزية من الانباط في مثل هذه الظروف . وكل ما يمكن أن يكون اذا صح انتصار هيرودوس أخيرا عليهم أن يكون تقاضى غرامة حربية بين يدي هدنة أو صلح وضع حداً للحرب بين الطرفين .

وحملة غالوس كانت في زمن الملك عبادة الثالث الذي خلف مالكاً الثاني . وقد اشترك الانباط فيها فكان منهم كتيبة وكان منهم مرشد للحملة سماه الكتاب الرومان Syllaue وفسره الباحثون بصالح وكان وزيراً للملك . وقد ذكر استرابون ان صالحاً تعمد التغرير بالحملة وسار بها في طريق مقفرة وبأرضين لازرع فيها ولا ماء بقصد اهلاكها وإحباط مقصد الحملة ولقد تحقق قصده فعلا . فإن الحملة لم تستطع الاستمرار وتحقيق الهدف . وعادت دون طائل بعد أن لاقت الشدائد والصعاب في جزيرة العرب .

ومما ذكره أن الصلح الذي انعقد بين هيرودوس والعرب لم يدم طويلا فقد ظل العرب [٢]

---

(١) تاريخ يوسيفوس اليهودي الترجمة العربية طبعة مكتبة صادر ص ١٦٨—١٧٠

(٢) لا يذكر يوسيفوس اسم الانباط وانما يذكر اسم العرب وسياق كلامه يدل دلالة لا ريب فيها هنا وفي اغلب المناسبات التي يذكر فيها العرب وملوك العرب ان المقصد من ذلك الانباط وملوكهم لانهم م اصحاب السلطان والملك من العرب في شرق الاردن . واسفار المكابيين التي دونت قبل تدوين يوسيفوس لتاريخه تذكر الانباط صراحة مع وصفهم بالعروبة . وقد ذكرت اسم (ارتياس) الحارث بوصفه زعيم العرب في سياق ذكر فرار احد زعماء اليهود اليه وان كانت تذكر مع ذلك الاسماء القديمة التي كانت في شرق الاردن ممالك وشعوباً مثل بني عيسو وادوم والادوميين وعمون وبني عمون انظر الاصحاحات ٤ و ٥ من السفر الاول والاصحاح ٥ من السفر الثاني

يحقدون على هيرودوس وكانوا يحرضون القبائل العربية الخاضعة له أو المفوض اليه أمرها من الرومان على التمرد عليه وكانوا يحمونهم اذاما لجأوااليهم ، وان الاشتباكات الحربية عادت ثانية دون ان يذكر المؤرخ اليهودي نتائج حاسمة لها .

وفي زمن الحارث الرابع وقع حادثان مهمان . فقد كان ملك اليهود هيرودوس الثالث متزوجاً بنت الحارث المذكور فتزوج عليها بزوجة أخيه التي اغتصبها منه في حياته فشق ذلك عليها وعادت الى بيت ابيها وغضب الحارث لابنته فزحف على فلسطين واوقع بجيش هيرودوس مقتلة كبيرة . وشكا هذا امره للامبراطور طيباريوس فأمر هـذا قائده في فلسطين ان يزحف فوراً على الحارث الرابع ويقبض عليه ويرسله مكبلا بالحديد الى رومة أو يرسل رأسه إذا قتله . ولم يلبث طيباريوس أن مات وخلفه غاليقولا فتوقف القائد عن الزحف . واستخدم الحاوث دهاءه حتى قام بينه وبين الامبراطور الجديد مودة وصلت إلى درجة عالية حتى لقد منحه ولاية دمشق فأقام نائباً عنه فيها . وكان ذلك سنة ٣٧ ب م وقد ذكر ولاية الحارث بولس الرسول في رسالته الى اهل كورنتوس حيث قال إن نائب الملك الحارث في دمشق أراد أن يقبض عليه ولكنه تمكن مـن النجاة [1] وظلت الصلات الحسنة مستمرة في عهد مالك الثاني ابن الحارث الرابع حتى لقد ساعد القائـد الروماني فسبانوس في حركة التنكيل التي قام بها ضد اليهود في فلسطين حينما تمردوا على السلطان الروماني سنة ٦٧ ب م

وبعد هذا الملك دب الوهن والارتباك في الدولة ومن المحتمل أن الرومان بعد أن وطدوا قدمهم وسلطانهم في بلاد الشام ومصر لم يطيقوا أن تبقي هذه الدولة شاذة تستمتع باستقلالها وسلطانها فأخذوا يدسون فيها أصابعهم حتى ألم بها الوهن والارتباك ثم أقدموا على نسفها نهائياً في فرصة لم تعرف ظروفها في سنة ١٠٦ ب م بعد ان استطاعت أن تصمد أمامهم نحو مئة وخمسين سنة ٦٤-ق م ١٠٦ ب م بعد سيطرتهم عـلى بلاد الشام ومصر فدخلت هذه البلاد ضمن هذه السيطرة اسوة ببقية بلاد الشام ومصر الى أن حررها العرب ثانية تحت راية الاسلام في اواخر النصف الاول من القرن السابع بعد الميلاد .

ولعل جنسية الانباط هي التي ساعدتهم على الصمود هذه المدة الطويلة . فالبطالسة في مصر والسلوقيين في سورية وفينيقية يونانيون وقد ظل أهل البلاد في معزل عنهم اجمالا وكانوا يعتبرونهم غرباء بل وانجاساً على ما ذكرناه في الجزئين الثاني والرابع فسهل على

(١) انظر الاصحاح ١١ من رسالة بولس الاولى

الرومان تقويض سلطانهم الذي كان أجنبياً واستعماراً على كل حال بعكس سلطان الأنباط الذي كان منبثقاً من الجنس العربي ومنسجماً مع سكان البلاد الذين هم من هذا الجنس ومرتكزاً عليه سواء أكانوا من العرب الصرحاء أم من انسال الموجات العربية السابقة .

ولقد اعتبر الرومان استيلاءهم على بطرا وتغلبهم على دولة الأنباط فتحاً عظيما حتى انهم ضربوا نقوداً تذكارية خاصة به [1] وفي هذا ما فيه من الدلالة القوية على ما قلناه

ولقد امتد سلطان الرومان الأعلى على هذه البلاد نحو ستة قرون ولكنه لم يكن من شأنه أن يقف في وجه التيار العربي الصريح الذي اشتد تدفقه ونشاطه خلال هذه القرون في المناطق التي كانت داخلة ضمن سلطان دولة الأنباط ، ولا في وجه انتشار الصبغة العربية وأنسباك الانسال العربية الجنس القديمة فيها ولا في وجه سريانها الى انحاء البلاد الشامية الأخرى مما هو من الحقائق التاريخية حيث كان العرب الصرحاء هم الذين يملأون جنبات بلاد حوران والاردن وتخومها وكانوا يتدون في نفس الوقت الى انحاء البلاد الشامية الاخرى ومن جملتها فلسطين وسواحل لبنان وجباله وسهول البقاع والجولان وجزيرة الفرات ويقيمون فيها ممالكهم وأماراتهم على ما شرحناه في النبذ السابقة لهذا المبحث وعلى ما سوف نشرحه في المباحث التالية له . ولقد ذكر المؤرخ بروكوبيوس ان الرومان عينوا جبله ابا كرب الغساني حاكما على القبائل التي كانت منتشرة في اطراف فلسطين مما فيه تأييد آخر ولقد أيدت كل هذا كتب التاريخ العربية القديمة التي قصت قصة حركة الفتح الاسلامي على ما سوف نشرحه شرحاً أوفى في الجزء التالي .

— ٥ —

الحالة التجارية والزراعية والصناعية والاجتماعية

والدينية في عهد الدولة النبطية

ولقد زهت بطرا في عهد دولة الانباط وغدت مركزاً تجارياً مهماً فكانت مصدراً مهما ومقصداً للقوافل التجارية التي كانت تسير بينها وبين فلسطين فمصر فالشام فالعراق فالحجاز كما زهت بلاد الدولة عمراناً وثروة ايضاً . وآثار بطرا والحجر الباقية تدل على ما كانت عليه هذه الدولة من مهارة فنية وذوق عمراني ونشاط . وكثير من الابراج

---

(١) العرب قبل الاسلام زيدان ص ٨٩

والقلاع المنتشرة في شرق الاردن قد انشئت في عهدها لتكون محطات للقوافل وضماناً لسلامتها وأمنها .



من آثار بطرا وتعرف بخزنة فرعون
نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

ومما وصف به ديودور الصقلي شعب هذه الدولة انهم كانوا يتجرون بالطيوب والمر وغيرهما من العطريات . يحملونها من اليمن وغيرها الى مصر وشواطىء البحر المتوسط

وانه لم تكن تجري تجارة بين الشرق والغرب إلا على أيديهم . وكانوا يحملون إلى مصر بنوع خاص الغار والطيوب للتحنيط والطقوس ؛ وكانوا ضنينين بحريتهم فاذا داهمهم عدو يخافون بطشه لجأوا إلى الصحراء التي كانت امنع حصن لهم لانها خالية من الماء فلا يدخلها سواهم إلا مات عطشاً . أما هم فكان لهم صهاريج سرية مربعة الشكل منقورة في الصخور أو محفورة تحت الارض يختزنون الماء فيها ولها فوهات ظاهرها ضيق وباطنها واسع فيملأونها بمياه الامطار ثم يحكمون سدها فيختفي مكانها على غير العارفين ولهم على فوهاتها علامات ترشدهم اليها .

وقد كان للانباط خط خاص عرف باسمهم وهو معدل عن الخط الآرامي الفينيقي وهو على الراجح نواة الحروف العربية الحاضرة .

والمتبادر ان الكتابة والقراءة كانت منتشرة في عهد هذه الدولة بدليل ما عثر عليه من نقوش كثيرة شخصية في مختلف الانحاء التي امتد اليها سلطانها .



كتابة نبطية
نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

ومع أنه ليس هناك ما يساعد على ايراد بيانات وافية عن الحالة الصناعية والزراعية والاجتماعية فليس من التجوز أن يقال إنها كانت مماثلة لما كانت عليه في شمال الجزيرة وجنوبها بل لعلها كانت أرقى بسبب اتصالها المباشر ببلاد وأمم سابقة في مجال الحضارة مثل سورية وفينيقية والعراق ومصر والفرس والرومان واليونان .

ولقد كانت ديانة الانباط كديانة الجنس العربي في دوره الأول ممتداً الى هذا الدور حيث كان لهم آلهة رئيسية وآلهة محلية وحامية وآلهة لمختلف الرغائب والمطالب . وكانوا يتخذون لآلهتهم رموزا من الأصنام والتماثيل يضعونها في معابدهم ويقيمون عندهاطقوسهم وآلهتهم الرئيسية سماوية . وكان البعل أكبرها ويرمزون بـه الى القمر ويعتبرونه اله السموات واله المطر والخصب . وكانوا يتخذون الشمس ايضاً الهـاً رئيسياً الى جانبه ويسمونها اللاتو . وقد سماها البابليون بهذا الاسم في ظرف مـن الظروف . ومن اسماء المعبودات التي قرئت على نقوشهم والتي هي آلهة محلية وحامية أو آلهة رغائب ومطالب : منوتو (مناة) وهبلو (هبل) وشع هقوم (شفيع القوم او حاميهم) وكان هذا عندهم اله القوافل وعزى (العزى) وقد ورد في نقوشهم جملة (عزى مارة بيتا) اي العزى اميرة البيت أو ربة البيت . ودشرى (ذو الشرى) وكان له معبدعظيم في بطرا يحج الناس اليه سنوياً باحتفال عظيم ولا تزال آثاره قائمة وهي المعروفه باسم الدير ويظن بعض الباحثين انه اله قبيلة الانباط الخاص وحاميها .

وقد يرد على البال سؤال عما إذا كان لليهودية والنصرانية حظ من الانتشار في دولة الانباط .

ولقد ذكر يوسيفوس [1] ان هركانوس ملك المكابيين مضى الى بلد آدوم ففتح بعض حصونها وقتل جماعة من اهلها ولما طلبوا الأمان أمنهم ووافقهم على خراج يحملونه اليه وألزمهم أن يختتنوا ويشترعوا بما فرضته التوراة فقبلوا ذلك والتزموه الى أن خربت القدس وتفرقت الامة العبرانية [2] وحكم هركانوس في القرن الاول قبـل الميلاد المسيحي . وكانت دولة الانباط هي صاحبة السلطان في بلاد آدوم . وقد يفيد كلام يوسيفوس أن اهل آدوم قد صاروا يهودا بشكل ما .

غير ان هذا المؤرخ يخلط ويبالغ كثيراً في رواياته . وقد كتب كتابه بعد الحادث الذي ذكره بنحو مئتي سنة . وقد مر في المبحث السابق أن عبادة الثاني أعلن الحرب على اسكندر الذي خلف هركانوس وانتصر عليه نصرا مبيناً وتخلصت البلاد التي كانت في حوزته من الضفة الشرقية نتيجة لذلك . هذا من جهة . ومن جهة اخرى فان الختان كان تقليداً عاماً عند العرب على مامر شرحه في الفصل السابق ، فليس من معنى ولا ضرورة لفرضه على الآدوميين الذين كان اليهود يقولون انهم من نسل عيسو بن اسحق بن ابراهيم الذي

---

(١) ص ٨٧ وبعدها الترجمة العربية نشر مكتبة صادر ببيروت .

(٢) يقصد بذلك حادث تهديم اورشليم والمعبد من قبل طيطس سنة ٧٠ بم

ينسب اليه تقليد الختان والذي كانت ذريته يمارسونه ... وقول يوسيفوس انهم التزموا ذلك إلى أن خربت القدس يعني انهم بعد ذلك قد نبذوا الشرائع اليهودية . وهو شاهد عيان في هذا الظرف .

أما النصرانية التي ظهرت في عهد حكم هذه الدولة فاننا لم نجد ما يساعد على القول انها انتشرت في بلادها إبان قيامها . والمطران الدبس الذي يؤرخ سير النصرانية منذ أوائل ظهورها لم يشر إلى ذلك .

ولقد كانت النصرانية مضطهدة من قبل الرومان أصحاب الحكم والسلطان على بلاد الشام وسورية فكان نطاقها ضيقاً وحركاتها سرية اجمالا وكان رجالها يتعرضون للمطاردة والأذى . ولكن كل هذا ليس من شأنه أن ينفي عدم تسربها إلى بلاد هذه الدولة إبان قيامها . فرسل المسيح ومبشرو النصرانية نشطوا رغم ما كانوا يلقونه من مطاردة ورغم ما كانت تلقاه من مناوأة وأصابوا نجاحاً ما في مختلف أنحاء بلاد الشام وخارجها . ومن المحتمل جداً أن يكونوا أصابوا شيئاً من ذلك في بلاد هذه الدولة في القرن الأول المسيحي الذي كانت قائمة فيه .

٩ — الدولة التدمرية [١]

- ١ -

أوليتها ومصادر تاريخها

عثر في تدمر على كتابات وآثار ومقابر تعود إلى ما قبل الميلاد المسيحي وبعده ـ ومعظمها إلى ما بعده ـ وحظيت تدمر بنصيب غير يسير من عناية كتاب اليونان والرومان فأمكن بهذا وذاك التوسع نوعاً ما في تاريخ هذه الدولة وأحوالها السياسية والحربية والاقتصادية والعمرانية والدينية .

وقد سميناها بالدولة التدمرية نسبة إلى عاصمتها لأنه لم يعرف لها ولا لشعبها اسم خاص ولقد ذكر اسم تدمر في بعض نقوش تغلات بلاسر الملك الأشوري الذي كان حكمه في

(١) هذه النبذة مقتبسة من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ص ٧١—١٣٥ والعرب قبل الاسلام جرجي زيدان ٩٨—١٠٨ الطبعة الجديدة وتاريخ سورية الدبس الجزء الثاني المجلد الثالث ص ٥٩٠—٥٩٨

أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد بصيغة تدمور آمورو حيث يدل هذا على قدم المدينة. واللمحة العربية القديمة بادية على الاسم صيغة ومعنى .

وينسب يوسيفوس المؤرخ اليهودي بناء المدينة إلى سليمان . وهذا مما ذكر في الكتب العربية القديمة أيضاً ، حيث ذكرت أن الجن هم الذين بنوها لسليمان . وقد عزي إلى النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي هذان البيتان في ذلك :

إلا سليمان إذ قال الاله له   قم في البرية فاحددها عن الفند

وجيش الجن اني قد أمرتهم   يبنون تدمر بالصفّاح والعمد

وقول العرب آت مما رأوه من ضخامة آثار تدمر حيث اعتادوا أن يعزوا كل ضخم إلى الجن . والراجح أن بيتي النابغة موضوعان بعد الاسلام لأن القرآن هو الذي احتوى إشارة الى ما كان من تسخير الجن لسليمان بنائين غواصين يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات [١] . وليس في أسفار العهد القديم المتداولة اشارة الى هذا . ومع ذلك فليس هناك ما يمنع أن يكون أسفار وقراطيس غير الأسفار المتداولة قد ذكرت ذلك وضاعت وأن يكون العرب قد سمعوا من اليهود خبر بناء سليمان لتدمر أيضاً . على أن ورود اسم تدمر في نقش تغلات بلاسر الأول دليل قاطع على سبق وجود المدينة لحياة سليمان الذي كان وجوده وحكمه حوالي عام ١٠٠٠ ق م أو بعدها . ومن رواة العرب من ينسب بناء تدمر إلى تدمر بنت حسان بن أذينة بن السميذع بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح . وليس لهذه الرواية قيمة تاريخية .

ومن المحتمل كثيراً أن تكون من المدن التي أنشأها العموريون . ونسبتها اليهم في النقش الاشوري قد يكون قرينة على ذلك وآمورو ليست وصفاً جغرافياً وانما هو وصف علمي قومي على ما شرحناه في الجزئين الثالث والرابع .

والكتاب الرومانيون واليونانيون يسمونها بالميرا Palmyra ويروون ان الاسكندر المكدوني هو الذي سماها بهذا الاسم بسبب غابات النخيل التي رآها حولها .

والمدينة واقعة في بادية الشام على طريق العراق من ناحية جزيرة الفرات . وكانت

---

(١) انظر آيات سورة سبأ ١٢ – ١٤ والجفان هي القصع التي يقدم عليها الطعام والجواب جمع جابية بمعنى البئر حيث تشبه الآية ضخامة القصع بالبئر .

بطبيعتها ممراً للقوافل الآتية الذاهبة بين العراق والشام . ومن المرجح ان هذا مما ساعد على نمو المدينة ثم اتخاذها عاصمة الدولة العربية التي قامت فيها .

ولقد عثر على كتابات تدمرية فيها ما يدل على انها كانت ممراً للقوافل ومصدراً لها . فهناك كتابة ترجع الى قبل الميلاد المسيحي بنحو مئة سنة تذكر أن القوافل كانت تمر في أسفارها بها حينما تسير بين مدينة دورا والشام .

وهناك كتابة أخرى يرجع تاريخها الى سنة ١٧ ب م هي بمثابة قوائم جمركية تبين بعض الرسوم التي كانت تجبى عن البضائع التي ترد اليها وأثمانها باليونانية والتدمريـــة . وهناك كتابة تدمرية آرامية ترجع إلى سنة ١٤٢ ب م تدل على ما كان من نشاط قوافل تدمر في هذا التاريخ ممتداً إلى ما قبله بطبيعة الحال . وقد عرف منها ان القوافل كانت تسير منها بزعامة وحماية بعض أصحاب المكانة فيها وبحراسة من يعينونهم لها من حراس حيث سجل كاتبوها شكرهم لزعيم اسمه زبيد بن مقيمو بن زبيد عشتور الذي كان يلقب بلقب يوليوس أورليوس . وربما كان هذا اللقب تشريفياً من الرومان أو أن زبيداً كان صاحب مركز في السلطات الحكومية نسماه الرومـــان به . وهناك كتابة أخرى فيها تسجيل شكر لزعيم آخر اسمه نسى بن حالا لأنه أوصل القافلة سالمة الى مدينة في العراق اسمها الجياشا .

وقد عرف من مدونات الرومان ومن الكتابات التدمرية أنه كان في عـــانا والحيرة كتائب تدمرية في القرن الثاني بعد الميلاد لحماية القوافل . وهذاقديعني انسلطان تدمر كان ممتداً إلى هذه الأنحاء بشكل ما .

والمنطقة التي تقع فيها مدينة تدمر مراح للقبائل الغادية والرائحة المقيمة الآن . ولا شك في أنها كانت كذلك منذ القديم لأن ذلك هو المتسق مع موقعها الجغرافي . ومـــن المحتمل أن يكون الفرس أو السلوقيون الذين خلفوهم على حكم بلاد الشام قد اتفقوا مع زعماء قبيلة قوية من القبائل التي كانتتنزل في هذه المنطقة ليكونوا دريئة لغزوات القبائل وعيثها وإزعاجها فـكان هذا وسيلة إلى تمكن القبيلة واتخاذ زعمائها المدينة التي كانت قائمة في وسط البادية مركزاً لهم .

والقد جاء ذكر كورة تدمر في جغرافية بطليموس من رجال القرن الثاني بعد الميلاد وقد ذكر من أسماء مواقع أو مدن هذه الكورة Rasapha رصافة التي يظن الباحثون

انها التي كان ينزل فيها الأمويون في بعض المواسم وانها ظلت محتفظة باسمها القديم . ومنها Cholle التي يخمن الباحثون انها الموقع المعروف اليوم بالحلة و Oriza التي يظنون انهــا الموقع المعروف بالطيبة و Peiutea التي يظنون انهــا الموقع المعروف بأبيار حجــار و Adada التي يظنون انها الموقع المعروف بخربة العاشقة و Adach التي يظنون انها الأرك و Danaba التي يظنون ان موقعهــا هو الخرائب المعروف باسم البــصرى و Coaria التي يظنون ان موقعها هو خرائب البخرا و Auria التي يظنون ان موقعها هو الجوارير و Asaama التي يظنون ان موقعها هو خرائب خان المنقورة و Adama التي يظنون انها موقع خان التراب و Acra التي يظنون انها موقع خان الشامات وذلك بالاضافة الى بالميرا Palmyra التي هي مدينة تدمر ومركز الكورة حيث يدل هذا على ان مدينة تدمر لم تكن مدينة منفردة منعزلة في وسط البادية وانما كانت مركز مقاطعة يتبعه عدد غير يسير من المدن . ولعل هذه المواقع كانت طريق قوافل المدينة الى الشرق والجنوب والشمال والغرب .



من مخلفات مقابر تدمر

نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي للدكتور جواد علي

وبعض الباحثين يترددون في التسليم بعروبة الدولة التدمرية الصريحة بسبب مايشوب اللهجة التدمرية من عناصر آرامية . وهذا كان سبباً لترددهم في التسليم بعروبــة الدولة

النبطية أيضاً على ما ذكرناه قبل . وقد أوردنا الدلائل الوافية على صراحة عروبة تلك تلك الدولة . وهناك دلائل وافية على صراحة عروبة هـذه الدولة أيضاً . فمهما كان أثر الآرامية في اللهجة التدمرية صحيحاً فان اللهجة العربية الصريحة بادية عـلى لغة النقوش التدمرية . وقد أوردنا جملة من هذه النقوش في الفصل الاول في سياق نماذج مراحـل تطور اللغة العربية . ومن الأسماء الواردة في النقوش والمدونات اليونانـية والرومانية وهب اللاة وأذينة وحيران وزباي وزبدو ومعنو وطاعي ومقيمو وانيسو وعبسو وعشتورا ونصرو الخ . .

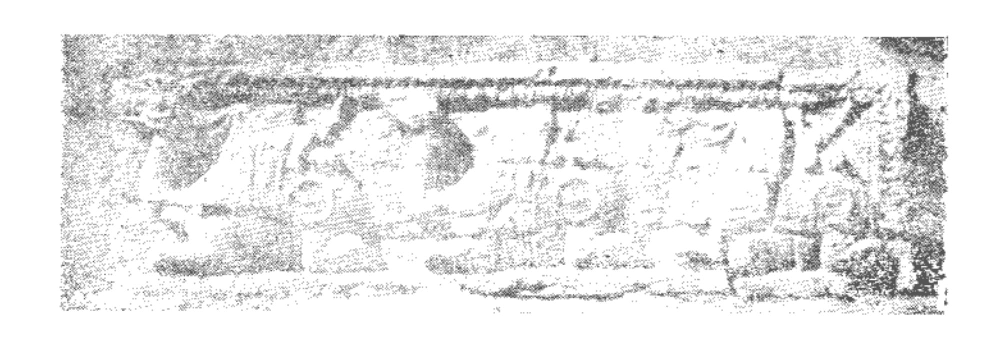
ودولة تدمر ليست مدينة تدمر وحسب بل منطقة تدمر التي كانت قسما من بادية الشام متصلة بجزيرة الفرات ثم بالعراق من ناحية وبالجزيرة العربية من ناحية . ولقـد كانت أطراف بلاد الشام والعراق وجزيرة الفرات تعج بالقبائل الصريحة العروبة خلال القرون الستة التي سبقت الميلاد المسيحي واستمرت تستقبل قبائل جديدة بعد هذا الميلاد فمن الطبيعي أن تكون منطقة تدمر مجالا من مجالاتها .

وليس غريباً أن تشوب اللهجة التدمرية عناصر آرامية لأن الآراميين كانوا غالبية أهل البلاد المقيمين فيها منذ قرون طويلة وكانت لغتهم هي السائدة قبـل نشوء الدولة التدمرية . ولعل جماعات منهم كانت تقطن في تدمر بل هذا هو المحتمل كثيراً . وينبغي ان لا ننسى مع ذلك ان كلتا اللهجتين تنبع من نبع واحد .

ومن الغريب ان الذين يمارون في عروبة الدولة التدمرية الصريحة لا يمارون في عروبة الدولة الغسانية مع أن هذه الدولة قامت بعد مدةقصيرة من سقوط الدولة التدمرية . ومرد هذا على الأغلب ان الغساسنة امتدوا إلى زمن البعثة النبوية فاندمجوا في هذا الطور من أطوار العروبة صبغة ولغة فوهم الذين يفرقون بينهم وبين التدمريين والنبطيين ان هـذه الصبغة واللغة كانتا ملازمتين للغساسنة منذ الأصل دون هؤلاء في حين ان الخطأ في هـذا واضح لأن العروبـة الصريحـة واللغة الفصحى إنما بلغتا ذروتيهما كما قلنا قبـل البعثة النبوية بما لا يزيد كثيراً عن مئة سنة . وان الغساسنة كانوا قبل ذلك في الطور السابق لهذه الذروة مثل سائر العناصر العربية في الجزيرة ومهاجرها . ولعل نقش قبر امرىءالقيس الذي أوردناه في الفصل الاول يقوم دليلا حاسماً على ذلك لأن نظرة الباحثين الممارين في عروبة الدولة التدمرية إلى دولة اللخميين التي قامت في العراق والتي كان امرؤ القيس من ملوكها في القرن الرابع قبل الميلاد هي مثل نظرتهم الى دولة الغساسنة حيث يسلكونهم

في سلك العروبه الصريحة . ويقال هذا بالنسبة لكثير مـــن النقوش الصفوية واللحيانية والثمودية والحميرية التي لا يماري الباحثين في كونها عربية صريحة مع بعدها عن الفصحى ومماثلتها للهجة التدمرية .

أما أولية الدولة التدمرية فليس هناك شيء صريح يدل عليها قبل القرن الثاني للميلاد ، وان كان هناك رواية عن حادث وقع بين أهل تدمر والقائد الروماني مرقس انطونيوس سنة ٤١ ق م لا يخلو من قرينة ما . فقد ذكر المؤرخ افيغانوس ان هذا القائد بعد أن حارب الفرس ودارت عليه الدائرة في السنة المذكورة اتجه نحو الشام فلما قرب من تدمر أوفد الى أهلها رسلا يخبرهم انه يريد أن يريح جنوده في مدينتهم . وخشي التدمريون من



لوح من الحجر حفر ليكون تذكاراً لقافلة تجارة من تدمر

نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

السلب والنهب فنقلوا أموالهم وكنوزهم من المدينة . ودرى الرومانيون بذلك فتعقبوهم وأدركوهم واقتتل الفريقان قتالا شديداً انتصر فيه التدمريون . والمتبادر انه لا بد من أن يكون في تدمر في هذا الظرف حاكم أو ملك تولى قيادة هذه الحركة .

وفي سنة ٦٣ زحف بومبيوس القائد الروماني على بلاد الشام فكانت تدمر مما دخل في حيازة الرومان وسلطانهم . وقد روي ان الامبراطور ادريان زارهـــا سنة ١٣٠ ب م ومنحها اسمه فصارت تدعى هدريانا بالميرا وهدريانا بوليس .

ولقد ذكرنا قبل اسم زبيد بن مقيمو بن زبيد الذي قرىء على كتابة تدمرية ترجع

الى سنة ١٤٢ ب م لقب فيها بلقب يوليوس اورليوس ووصف بأنه زعيم القوافل وحاميها. واللقب الروماني قد يدل على ان الرومان اعترفوا بزعامة هذا الرجل في تدمر . ومن المحتمل ان تكون زعامته امتداداً لما قبل التاريخ المذكور وأن تكون مستمدة من عصبية قبلية .

ولقد ظلت تدمر ثانوية لا تكاد تذكر في المدونات القديمة الى ان زالت دولة الانباط في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد . ثم اخذت تذكر فيها لأنها أخذت تحل محل بطرا وتغدو ممراً ومقصداً رئيسياً للقوافل التي كانت تسير بين الشرق والغرب والشمال والجنوب تحمل الطيوب والتوابل والعاج واللآلىء والحرير والمنسوجات والذهب والفضة وكان ذلك سبباً لنموها وازدهارها واتساع عمرانها وثروتها وبروزها في مجال الحكم والسلطان لفترة قصيرة بروزاً داوياً .

ولقد نوه الكتاب الرومانيون من رجال القرن الثاني بعد الميلاد بأسرة تدمرية وقالوا انها كسبت ود القياصرة وعطفهم ومنحوها الألقاب والأوسمة وأيدوها بالقوة والتكريم . حيث يفيد هذا ان الرومان ولوا رجال هذه الاسرة حكم تدمر أو زعامتها الرسمية ، والمتبادر ان ذلك ناشىء عن عصبية قبلية وان هذه الاسرة كانت صاحبة الزعامة القبلية في تدمر وما حولها قبل القرن الثاني الميلادي . وقد ذكرت النقوش التدمرية عدداً ممن تولوا حكم المدينة أو زعامتها من هذه الاسرة في القرن الثاني وأوائل القرن الثالث منهم نصر او نصور Nasoros وابنه وهب اللاة Yahaballat وحيران Airanos ابن وهب . ولحة العروبة الصريحة بادية بكل قوتها على الاسماء . وقد ذكر الكتاب الرومان ان حيران هذا رافق الامبراطور ساويروس (١٩٣-٢١١ ب م) في زحفه على بلاد الفرس ولقب بلقب سبتميوس الذي كان يتلقب به الامبراطور وان أذينة بن حيران هو الذي تولى بعده الحكم ثم صار الحكم بعد هذا الى حيران ابنه ، وكان هو الحاكم حينما زار الامبراطور اسكندر ساويروس تدمر عام ٢٣٠ ب م .

ولقد عثر على كتابة مدونة بالتدمرية واليونانية تعود الى القرن الثاني عرف منها انه كان للمدينة مجلس شيوخ للتشريع . وشيخان بلقب Archant يشرفان على شؤون البلد وديوان تابع لهما مؤلف من عشرة حكام وقضاة يتلقبون بلقب Syndees . وفي الكتابة تعليمات او قرارات اصدرها مجلس الشيوخ لتنظيم التجارة والضرائب . وكان موظفو المدينة يحملون عناوين او ألقاباً يونانية مضافة الى أسمائهم مما سار الرومان عليه في المدن

اليونانية التي كانت تحت الحماية الرومانية .

ولقد ذكرت الميونات الرومانية ان تدمر كانت في اوائل القرن الميلادي الثاني في درجة مستعمرة رومانية عليا لها حق الامتلاك العـــام والاعفاء من الخراج والحريـــة الكاملة في ادارة المدينة والتمتع بالحقوق الايطالية الرومانية .

-٢-

دور لمعان تدمر

وفي اواسط القرن الثالث كان على رأس تدمر اذينة بن حيران . وكان طموحاً فلم يكتف بلقب عضو مجلس شيوخ روما الذي منحه له الرومان بل تلقب بلقب ملك وكان هذا مما جرى عليه زعماء القبائل العربية الاقوياء على ما مر بيانه في فصل سابق . واخذ يقوي نفسه ويطمح الى السيادة . فأحس الرومان بنياتـــه وقتلوه غيلة بتدبير نائبهم . ثم اقاموا مقامه ابناً له اسمه حيران . ولم يطل حكم هذا فخلفه عـــلى الحكم اخ له اسمه اذينه وكان شجاعاً فارساً ذا مكانة في الجيش . وكان يتولى زعامة القبائل وحماية القوافل قبل توليه الحكم . وقدعثر على كتابة تدمرية دونت سنه ٢٥٨ لقب فيها بلقب قنصل مما يدل على انه احرز مركزاً عند الرومان ايضاً ولقد طالب القيصر بالاقتصاص من الوالي الذي اغتال اباه فلم يؤبه لطلبه. فاغتاظ واخذ يترقب الفرص لشفاء غليله . وجاء ظرف اشتبك فيه الفرس مع الرومان بحرب فأرسل سراً وفدا الى كسرى الفرس شابور يعرض عليه التحالف فأظهر هذا تكبرا وازدراء لأنه كان احرز نصراً مبيناً على الرومان واسر امبراطورهم والريانس ، فتحول غيظ اذينة اليه وحشد جيشاً كثيفاً فيه فرق قوية من خيالة العرب ورماتهم . وضم اليه الكتائب الرومانية الموجودة في تدمر وخرج متجهاً نحو طيفسون عاصمه الفرس التي يسميها العرب المدائن . وفي أثناء زحفه وصلته انبـــاء انتصار قائد روماني آخر على الفرس في جبهة اخرى وانهزام هؤلاء فغير اتجاهه واسرع الى قطع الطريق على المنهزمين وضـربهم ضـربة شديدة وغنم منهم غنائم عظيمة . وجـلا الفرس نتيجة لذلك عن معظم ما كان تحت سلطانهم مـــن جزيرة الفرات فبسط اذينة سلطانه عليها .

وعرف الرومان لأذينة صنيعه، فأغدقوا عليه مظاهر التكريم والتبجيل واطلقوا عليه لقب نائب الامبراطور وقائد جيوش روما في الشرق وجعلوا الكتائب الرومانية في الشرق تحت قيادته الفعلية . وأدى هذا إلى انبساط سلطانه حتى شمل جميع سورية وجزيرة الفرات إلى حدود أرمينية شمالا ووصل إلى حدود مصر جنوباً وتخوم جزيرة العرب . وتلقب بلقب ملك الملوك وبلقب أوغستوس الذي كان لقب القياصرة . ومع انه كان شكلياً تابعاً لسيادة روما إلا أنه كان في هذا الملك الواسع مطلق الأمر والسلطان . وقد ذكره أحمد رفيق المؤرخ التركي في عداد القياصرة الذين تعددوا وكان كل واحد يحكم ناحية من أنحاء الامبراطورية في فترة ٢٦٠ - ٢٧٠ ب م [1] .

ومما روي عن هذا الملك انه منح حرية الدين لجميع الناس وخوّل المسيحيين حق انشاء الكنائس وقضى على قطاع الطرق وتمتعت الدولة في عهده بالأمن والرفاه .

ويظهر أنه لم يشعر أنه شفى غليله من سابور فزحف على المدائن ثانية سنة ٢٦٥ وضرب الحصار عليها وكاد يفتحها لولا ان اضطر الى الانصراف عنها لصد غزوة قوطية طرأت على آسية الصغرى وانتدبه الرومان اليه . وبعد أن قام بالمهمة عاد ثانية إلى المدائن . غير انه قتل في حمص وهو في طريقه اليها بتدبير ابن أخيه معن الذي اعتبره غاصباً للملك والذي نادى بنفسه ملكاً على حمص . غير أن أهل حمص ثاروا عليه وقتلوه .

وقد انتقل الملك بعد أذينة إلى ابنه وهب اللاة وكان حدثاً فتولت أمه (زباي) ، كما قرىء اسمها على النقوش، السلطان وصية عنه . وأخذت تحصن القلاع وتزيد في قواتها . وخشي الرومان عواقب ذلك فأرسلوا حملة التحمت معها فانتصرت عليها وكان قائدها هرقليانوس من جملة القتلى . وفي هذه الاثناء نشبت فتنة تنافسية في روما على الحكم بين قواد الجيش ؛ وهاجم الجرمان حدود الامبراطورية من الشمال فارتبكت الحالة . واغتنمت أم وهب الفرصة فطردت الحاميات الرومانية وأرسلت حملة إلى مصر انتصرت على الجيش الروماني فيها وطردته كذلك فانبسط سلطان تدمر على مصر ونادت بوهب اللاة ملكاً عليها بالاضافة الى ملكيته في بلاد الشام والجزيرة وجنوب آسية الصغرى وضربت السكة باسمها واسم ابنها .

وهكذا غدت تدمر دولة مستقلة عظمى . وكان ذلك سنة ٢٦٨ ب م . وقد تظاهر

---

(١) ج ٣ ص ٤٢٤ سمى المؤرخ اذينة (اوده ناتوس ملك بالميرا) وهو ينقل عن كتاب الافرنج .

الرومان بقبول الأمر الواقع مقابل الاعتراف بسيادتهم العليا وانعقد الاتفاق بين زباي وبين كلوديوس القيصر على ذلك . واستمر الى أوائل عهد أورليانوس حيث وجدت نقود ضربت في الاسكندرية تعود الى سنتي ٢٧٠-٢٧١ على أحـــد وجهيها صورة مزدوجة لوجهي أورليان ووهب اللاة [١] .



تمثال امرأة من تدمر

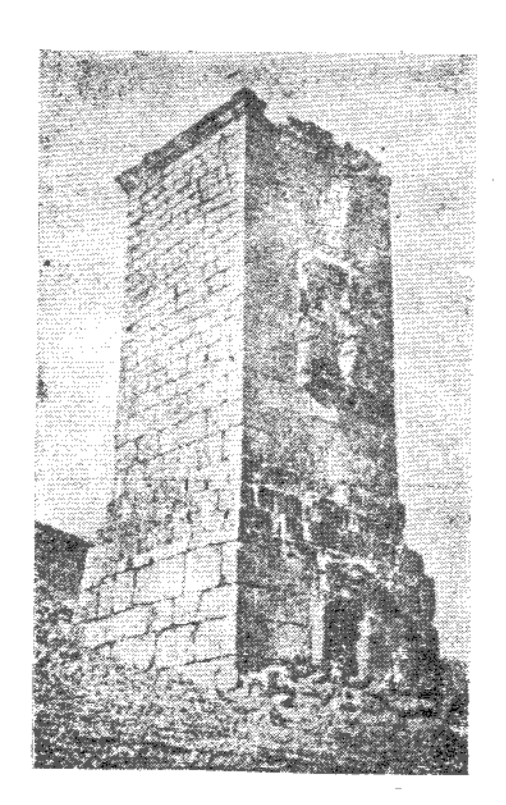
نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

على أن روما لم تكن لترضى بما تم . وانما وافقت عليه موقتاً مسايرة للظروف . وما ان تمكن اورليان مـــن توطيد الامن والنظام في روما وصد الجرمان عـــن حدود الامبراطورية وقمع الفتن المحلية حتى صرف همه الى تمرد تدمر وتحديها . وشعرت زباي أو الزباء كما ذكرتها الكتب العربية بنواياه فألغت الاتفاق الذي تم بينـــها وبين كلوديوس

(١) يؤرخ المطران الدبس حكم اورليان ٢٧٥-٢٧٦ ومع ذلك فهو يروي ان النقد المزدوج الذي عليه وجها أورليان ووهب اللاة يعود الى سنة ٢٧٢ . والذي روى ان النقود تعود الى سنتي ٢٧٠ - ٢٧١ هو جواد علي . ومن العجيب ان بعض المؤرخين يؤرخون حكم اورليان ٢٨٤-٢٨٧ . انظر الكافي في تاريخ مصر لشاروبيم ج ١ ص ٣٤٠

وأمرت بمحو وجه اورليان من النقود وضربت نقوداً جديدة سنة ٢٧٣ ب م خالية منه . واتصلت بملكة بلاد الغال التي كانت على عداء مع الرومان وتحالفت معها وأمرت جيوشها بالتوغل في الاناضول حتى بلغت خلقيدون قرب بيزانس التي أنشئت عليها مدينة القسطنطينية وكانت تعتزم السير نحو روما وقد روي انها هيأت عربة فاخرة للدخول عليها الى روما في موكب الظفر .

وسارع أورليان الى العمل فوجه حملة الى مصر بقيادة قائد اسمه بروتوس . وقاد بنفسه حملة اخرى زحف بها براً نحو الشام . وعمد في الوقت نفسه الى دس الدسائس بين حلفاء الزباء من الارمن والسركس حتى عزلهم عنها .



مقبرة تدمرية

نقلا عن الجزء الرابع من تاريخ الجنس العربي للدكتور جواد علي

ولقد حاول قائد حامية مصر التدمري زبداي مقاومة الحملة الرومانية فأخفق واستطاع الرومان قهره واعادة سيطرتهم على مصر . وقادت الزباء بنفسها جيشاً كثيفاً لمقابلة اورليان والتقت به عند انطاكية فدارت الدائرة عليها . وتظاهر اليهود والنصارى

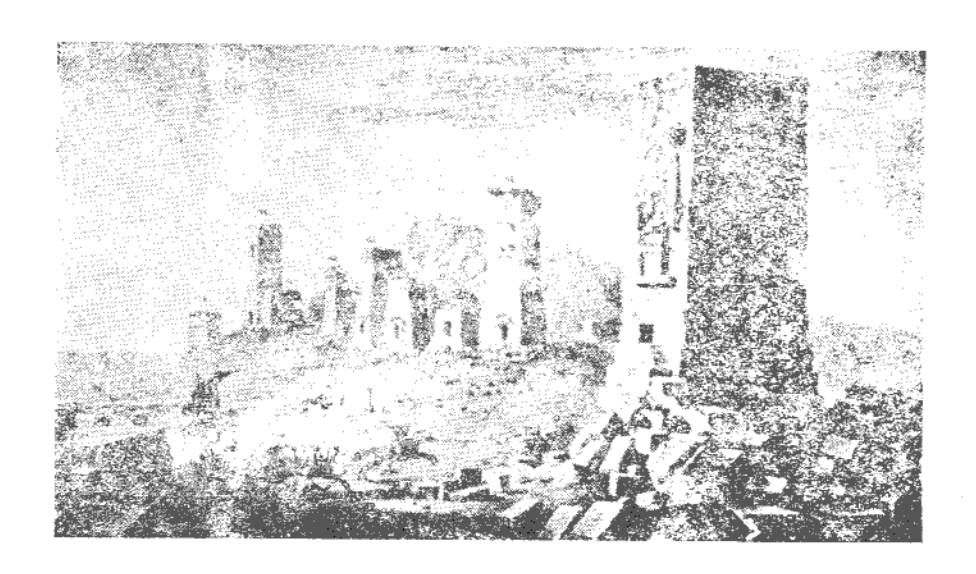
واليونان والرومان في أنطاكية وهم كثرة سكانها ضدها فارتحلت عنها مهزومة . وأخذ اورليان يتعقبها ويفتح البلاد التي في طريقه. وجمعت الزباء شمل جيشها قرب حمص والتقت به وكسبت عليه الجولة الاولى ولكنها خسرت في الثانيــة فارتدت الى تدمر وتحصنت فيها . وجرى بينها وبين اورليان مراسلات بسبيل استسلامها وخضوعها فرفضت . ثم خرجت سراً من المدينة ميممة شطر بلاد الفرس للاستنجاد بهم ودرى اورليان بذلــك فأرسل وراءها كتيبة من الفرسان تمكنت من اللحاق بها وهي تهم بعبور الفرات فأمرتها وعادت بها . وقبض اورليان على كثير من رجالها وقتل بعضهم واستولى على ما في خزائنها من اموال ونفائس وقفل عائداً الى روما والزباء وأولادها وخاصتها معه . وحينما وصل الى البوسفور جاءه خبر بنشوب الثورة في تدمر ومصر ضد حامياته وعماله فعاد بسرعة الى تدمر التي كان الثوار قد فتكوا بحاميتها وأقاموا قريباً للزباء اسمه انيس ملكاً عليها . واستطاع أن يدخل المدينة عنوة وأن يقمع الحركة ثم أعمل يد التدمير والفتك في المدينة . واتجه بعد ذلك الى مصر فأخمد ثورتها وعاد الى البوسفور ومنهــا الى روما حيث دخلها بموكب نصر عظيم سارت الزباء وأبناؤهــا وبناتها وحاشيتها مع عربتها المزينة بالذهب والجواهر .

وقد عين لهــا مكان اقامة في مدينة تيبور معزولة عن النــاس ولم تلبث حتى ماتت غماً وكمداً .

وقد روي فيما روي ان ابناءها وبناتها اندمجوا في حياة الرومان وتزوج الابناء من رومانيات والبنات من رومانيين .

ومنذئذ غدت تدمر مقاطعة رومانية عادية . وكانت في سنة ٤٠٠ ب م تابعة لولاية فينيقية وعلى رأسها عامل روماني . وفي سنة ٥٢٧ أمر القيصر يوستنيان بترميمها فرممت بعض الشيء غير ان رواءها لم يعد اليها . وفي اواخر القرن السادس دخلت في نطاق حكم الغساسنة الذين يأتي الكلام عنهم بعــد قليل . وكان بعض ملوكهم يقضون فيها بعض اوقاتهم . وظل امرها على هذا الى ان كانت حركة الفتح الاسلامي فخضعت للسلطان العربي كسائر بلاد الشام : ولكنها غدت مدينة صحراوية ثانوية وفقدت قيمتها التجارية ثم غدت قرية وامتدت اليها يد الخراب واخذت الرمال تسفي عليهــا فطمرت ودمرت كثيراً من معالمها .

ولقد كشف وما يزال يكشف عن بعض هذه المعالم وما يزال بعضها مطموراً تحت الرمال . وفيما كشف عنه شواهد رائعة على ما بلغته في أيام عزها من فخامة وضخامة ورواء . ومن ذلك بقايا الهيكل الذي كان طول كل ضلع من ضلوعه ٧٤٠ قدماً يحيط به سور علوه ٧٠ قدماً وقائم على اساطين كشف منها نحو مئة صفوفاً منتظمة ويظن أن عددها كان نحو ٤٠٠ ومنها بقايا الرواق الاعظم وهو من العجائب . ويبدأ على بعد مئتي متر من الهيكل . وكان في أصله على ما يخمنه الاثريون مؤلفاً من شارع متوسط وشارعين جانبيين طولها (٣٧٥٠) وعدد أساطينها ١٥٠٠ وارتفاع الاسطوانة عن سطح الأرض (٥٧)



من آثار تدمر

نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ الجنس العربي للدكتور جواد علي

قدماً . وقد كشف منها الى الآن ١٥٠ اسطوانة .

ولقد جرت تنقيبات حديثة في العقد السادس من هذا القرن كشفت عن مقبرة فخمة ذات طبقتين وثلاثة اجنحة واروقة لاسرة من اسر تدمر الغنية اسمها اسرة طاعي وتعود الى القرن الثاني بعد المسيح . وقد وجد فيها كثير من التماثيل والزخارف والنقوش التي يمكن ان تدل على ان هذه الاسرة كانت على نصيب وافر من الرقي والرفاه وعلى ان فن الهندسة والزخارف في تدمر قد وصل في عهد مبكر الى مرتبة عالية . وكشف في هذه



صورة منحوتة على جدار مقبرة تدمرية

نقلا عن الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الاسلام الدكتور جواد علي

التنقيبات مقابر عديدة وجد فيها تماثيل وصور تدمرية متنوعة بثياب مزخرفة تبدو كأنها مطرزة وعلى صور النساء عقود لؤلؤية وفي سراويل بعضهن صور حجارة كريمة مربعة تتصل بصفوف من اللؤلؤ الصغير . وكل هذا يدل على ما هو واضح على ما وصلت اليه الحياة في تدمر من اناقة وترف . وما تزال التنقيبات مستمرة ونحن ندفع هذا الجزء الى المطبعة وما يزال يعثر على آثار ويكشف عن مقابر فيها تماثيل وزخارف جميلة تزيد تلك الدلالة قوة وتدعيما [1] .

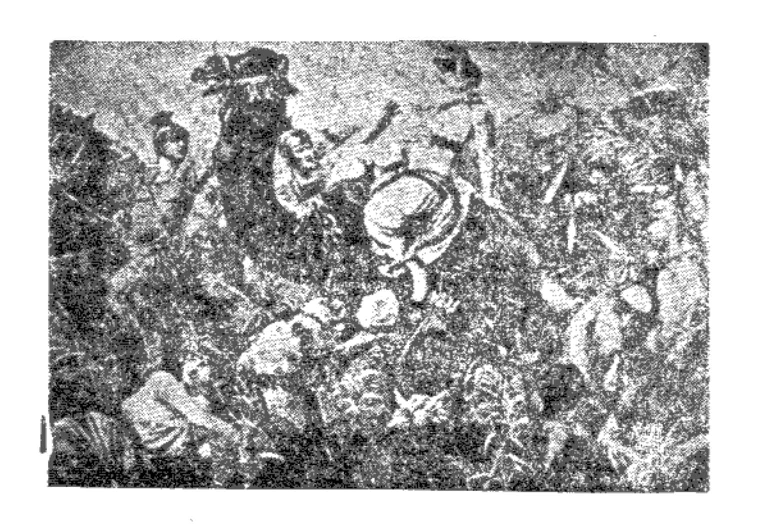
- ٦ -

شخصية الزباء

كانت الزباء النجم الساطع الذي اضفى على تدمر العظمة والمجد والصيت الداوي .

(١) اقرأ مجلة الحوليات السورية لسني ١٩٥٢ وبعدها

ولقد تحدث عنها كتاب الرومان واليونان فقالوا فيما قالوه انها كانت من نوابغ النساء شجاعة ودهاء وشدة وثقافة وجمالا وهيبة ، وكانت تتكلم اليونانية واللاتينية والمصرية فضلا عن العربية . وكانت منذ صغرها متمرسة بركوب الخيل وصيد الوحوش فبث هذا فيها الاقدام والشجاعة . وكانت تجالس قوادهـا وتباحثهم وتجادلهم . وكثيراً ما ضم مجلسها رجالا من امم شتى وبينهم وفود من ملوك الفرس والارمن وغيرهم . وقد يشربون حتى يسكروا وهي لا تسكر . وكانت اذا عقـدت مجلسا للبحث في شؤون الدولة ادخلت ابنها وهب اللاة معها وجلست واياه على العرش وعليها افخر الثياب وعلى كتفيها

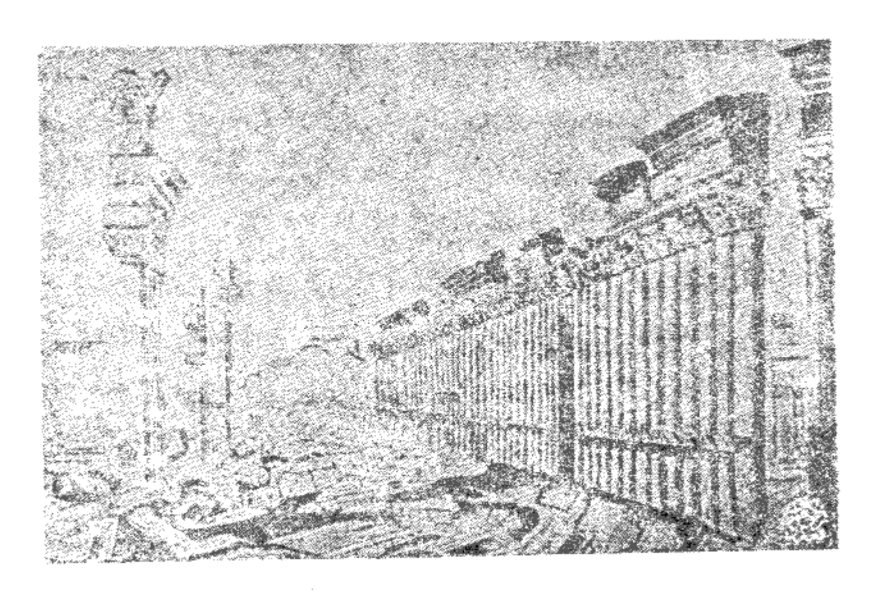


صورة تمثل الزباء حينما احاط بها الرومان وأسروها

الحلة القيصرية الارجوانية وعلى رأسها التاج . ولم يقف بين يديها قادم إلا خر ساجداً على عادة الاكاسرة الذين كانت تتشبه بهم . واذا استعرضت جندها وقفت امام قصرها فوق جوادها وعليها حلة الحرب وعلى رأسها الخوذة الرومانية مرصعة بالدر والجواهر وعلى غلالتها اهداب منسوجة بأسحال ارجوانية وقد جردت احد ذراعيها كما يفعل قدماء اليونان والرومان وكلما مرت كتيبة من كتائبها من امامها القت اليها المواعظ محرضة على الصبر والثبات والشجاعة والاقدام . فكان الناس اذا ما رأوها في هذا الموقف حسبوها الاهة من الآلهة العظام . وهذا فضلا عن تفوقها في السياسة وسداد رأيها وجمالها ولطفها مما لم يسمع باجتماعه في امرأة .

ولقد بلغ القيصر اورليان ان الذين في روما كانوا يسخرون من عجزه عن احتلال تدمر والتغلب على الزباء حينما تحصنت منه فكتب الى مجلس الشيوخ يقول « قد يضحك الناس مني لمحاربتي امرأة فاعلموا ان زنوبيا — وهذا ما كان يسميها به الرومان — اذا قاتلت كانت اشد رجولة من الرجال .

ومما ذكره الكتاب الرومان عنها انها ألفت كتاباً اختصرت فيه ما قرأته من تواريخ الامم وانها استقدمت مشاهير رجال الفكر الى عاصمتها منهم الكاتب الفيلسوف الشهير



بقايا الرواق العظيم في تدمر

كاسيوس ديونسيوس لونيجنوس. واتخذته مستشارا لها . ومنهم الكاتب المؤرخ فليكرت الصوري والفيلسوف اللغوي لوبركوس البيروتي والمؤرخ بوسانياس الدمشقي ؛ وانها كانت على المذهب الافلاطوني الحديث . وقد قال بعض الكتاب القدماء ان الزباء كانت يهودية الدين كما قال بعض آخر انها كانت نصرانية . وتوسط بعضهم فقال انها لم تكن يهودية محضاً ولا نصرانية محضاً وانما كانت وسطاً بين الدينين ، فكانت تعتقد بوجود الله وترى الوحدة الالهية كما يراها الفيلسوف . وقال بعض الباحثين ان شأنها هذا وما كانت عليه من ثقافة عالية وميول علمية وفلسفية يسوغ القول ان الناس في تدمر كانوا في عهدها متمتعين بحريتهم الدينية .

وكتاب الرومان يسمونها كما قلنا آنفاً زنوبيا . وقد ذكروا انها أنشأت حصنا قرب الفرات سمته باسمها هذا [1]

وهؤلاء الكتاب يذكرون أقوالا عديدة عن أصلها فمنها أنها من دم يوناني مصري وأنها هي نفسها كانت تزعم ذلك حيث زعمت انها من نسل كليوبطره البطلسية اليونانية ، وأنها ألفت كتاباً عن تاريخ مصر فيه اشارة إلى صلتها الرحمية بالملكة المذكورة . ومنها أنها من أب عربي وأم مصرية . ومنها أنها تدمرية واسم أبيها Achillie (اخيلي) ومنها ما ذكر اسماً غير هذا وهو زباي . واسمها في النقوش التدمرية بت زباي . وقال بعضهم إن معنى الجملة بنت زباي . والعرب يسمونها الزباء والرومان يسمونها زنوبيا . وهذا ما يحمل على التوقف بتخريج جملة (بت زباي) بأنها بنت زباي ويسوغ القول ان هذه الجملة اسمها الشخصي .

ولقد احتوت الكتب العربية أشياء كثيرة عن الزباء فيها كثير من المفارقات والخيال ومما جاء فيها عنها [2] انها نائلة أو ليلى بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميذع ابن هور العمليقي، وانه كان لها جند من بقايا العماليق والعرب العاربة الأولى ومن سليح وقضاعة . وأن الملك على أرض الجزيرة ومشارف الشام كان لأبيها الذي كان منزله بين الخابور وقرقيسياء ؛ وانه كان هناك ملك عربي آخر اسمه مالك بن فهم يحكم عرب الضاحية النازلين بين الحيرة والأنبار والذين تجمعهم تسمية تنوخ فنشب بين الملكين نزاع أدى إلى حروب هلك فيها أبوها — ومن الروايات ما يذكر ان الحروب إنما نشبت بين ابي الزباء وجذيمة بن الأبرش وهو من ملوك تنوخ أيضاً ؛ وان الزباء تولت الملك مكان أبيها ثم أخذت تترقب الفرص وتعمل الفكر في الثأر لأبيها من قاتله حتى استطاعت أن تستدرجه الى تدمر التي لم تكن عاصمة ملكها وانما كانت مدينة من مدنها تنزل فيها حيناً بعد حين — وتقتله . وحينئذ صار دور الثأر لخليفة المقتول الذي كان له وزير داهية اسمه قصير عمد الى حيلة بارعة لادخال رجال مسلحين الى تدمر حيث وضعهم في زكائب بمثابة بضاعة فلما صاروا فيها خرجوا من زكائبهم فسيطروا على المدينة وحاولت الزباء الفرار من سرداب فلم تنجح فمصت خاتماً مسموماً في يدها حتى لا تقع أسيرة . وهذه ملخص قصة من

---

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان اسم « الزباء » كمدينة على الفرات

(٢) لم جواد علي في الفصل الذي عقده على مملكة تدمر بما في الكتب العربية من روايات . وهذه النبذة مقتبسة منه

القصص وردت في الكتب العربية بأسلوب أدبي مرصع بالاشعار والامثال تبدو الصنعة عليه بارزة .

وهناك قصة أخرى عن قصير واحتياله على التقرب من الزباء وحملها على الاطمئنان اليه تمهيداً لعملية ادخال الرجال المسلحين تبدو عليها الصنعة بارزة أيضاً . والمفارقة ظاهرة في الخلط في نسب الزباء والعرب العاربة والعماليق وسليح وقضاعة ولخم وتنوخ . ومن تمام المفارقة ان الكتب العربية لم تشر الى مملكة تدمر وأسلاف الزباء فيها وما كان من صلات وحروب بينها وبين الفرس والروم حتى لكأن من يقرأ أخبار الزباء فيها يقرأ أخبار مملكة عربية غير مملكة تدمر وأخبار ملكة غير ملكة تدمر .

على أن رواية كون الزباء هي بنت الملك عمرو بن الظرب بن حسان وكون ملكه شاملا لأرض جزيرة الفرات ومشارف الشام ومنزله بين الخابور وقرقيسياء ونشوب نزاع وقتال بينه وبين ملك من ملوك تنوخ قد يكون انطوى فيها حقيقة ما ثم اختلطت مع التداول بروايات زباء تدمر . وفي هذه الحالة نكون ازاء ملك عربي آخر في ناحية من أنحاء جزيرة الفرات لم يبق من معالمه إلا ما ذكرته الروايات .

-٧-

الحالة الدينية في الدولة التدمرية

كانت الحالة الدينية في الدولة التدمرية متسقة بوجه عام مع مثلها في الدولة النبطية بل وفي شمال الجزيرة وجنوبها حيث كان لهم آلهة رئيسية وأخرى ثانوية وحيث كانت آلهتهم سماوية أو ما يتصل بالسماء وحيث كان لهم أصنام يتخذونها رموزاً مادية لآلهتهم ويضعونها في المعابد ويقربون اليها قرابينهم ويقيمون عندها طقوسهم .

ولقد كان البعل هو الاله الرئيسي شأن سائر بلاد الشام في هذا الدور وقبله وكانوا يعتبرونه اله السماوات والارض . والى جانبه (ملك بل) اله الخصب والنماء و (أغل بل) اله القمر (يرجال بل) اله الشمس و (شمن بل) اله المطر . وكلها مشتقة كما يلحظ من بعل — بل — أو منسوبة اليه فكأنها كانت ملائكته ومساعديه . وكان من آلهتهم كذلك الزهرة — عشتار — وعزيزي واللات وان لم تعرف اختصاصاتها كما عرفت اختصاصات

الآلهة السابقة ، ومن الهتهم (شع هقوم) وكان اله القوافل وحاميها ودشرى (ذوالشرى) وكان اله الخمر . ولقد بلغ أنواع الأصنام التي عثر عليها في التنقيبات التدمرية (٢٢) والاسماء التي مر ذكرها مما قرىء على الاصنام المكتشفة حيث يؤيد هذا ما قلناه من أنها كانت رموزاً لآلهتهم .

ولقد وجد نقش تدمري احتوى عبارة معناها (بورك اسمه الى الابد الرحمن الرحيم) مما فيه دلالة على تطور في التفكير الديني مقاوب لما وصل اليه عرب شمال الجزيرة وجنوبها . والراجح ان ذلك كان في القرن الثالث أو بعده حيث أخذت النصرانية تنتشر بمقياس واسع في بلاد الشام مع التنبيه الى ان هناك مدونات مسيحية قديمة ذكرت ان النصرانية بدأت تتسرب الى أهل منطقة تدمر في القرن الاول الميلادي أسوة بسائر بلاد الشام ؛ ثم اتسع نطاقها بعد غدوها الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية .

ولقد قرىء أسماء عدد من أسماء اساقفتها مدونة في سجلات الاعمال الكنسية مثل الاسقف مارينوس الذي حضر مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥ ب م والاسقف يوحنا الذي شهد مجمع خلقيدونيا عام ٤٥١ والاسقف يوحنا الثاني الذي اشتهر في أيام القيصر انستاس (٤٩١-٥١٨) والذي نفي في عهد يوستنياس (٥١٨-٥٢٧) لدفاعه عن المجمع الخلقيدوني وقوله بطبيعتين للمسيح وهو المذهب الذي كانت عليه الامبراطورية الرومانية حيث يبدو من هذا ان النصرانية قد عمت أو كادت تعم تدمر منذ القرن الرابع .

ولقد عرف من المدونات اليهودية انه في مدينة تدمر وغيرها من مدن الدولة التدمرية كثير من الجاليات اليهودية في زمن الزباء وقبلها ، وقد لجأوا الى هذه البلاد من فلسطين نتيجة للاحداث التي جرت بينهم وبين الرومان في القرنين الاول والثاني بعد الميلاد ، حتى لقد بالغ بعض رواة الرومان في عددهم فقالوا انهم كانوا نصف سكانها . ومع ذلك فقد كانوا يكرهون الزباء وبلادها ويتمنون هلاكها كما هلكت ثمود على ما ذكرته بعض المدونات اليهودية . وكان كثير منهم في صفوف أعدائها ، وكانوا يحاربونها مع الفرس تارة ومع الرومان أخرى .

ولقد كانت أسماء ملوك تدمر والنبط في النقوش بلهجة غير فصيحة ، فذكرتها الكتب العربية بلهجة فصحى . وهذا من ذلك الباب تقريباً .

١٠ — التنوخيون والضجاعمة

تمهيد

يستفاد مما ذكرته الروايات العربية انه قام في حوران ومشارف الشام بعد زوال مملكة الأنباط مملكتان عربيتان واحدة تنوخية وأخرى ضجعمية . ومهما كان في هذه الروايات من شوائب فاننا نرجح انها تنطوي على حقيقة تاريخية تداولتها الألسنة جيلا بعد جيل . ومن المحتمل ان تكون حركة القبائل العربية البدوية اشتدت في اطراف المعمورة الشامية بعد انهيار دولة الانباط التي كانت دريئة لهذه المعمورة من حركات تلك القبائل وعيثها فلم ير الرومان بداً من معالجة الامر في النطاق العربي البدوي عملا بالمثل السائر (ان الحديد بالحديد يفلح) فعمدوا الى التفاهم مع بعض الزعماء الاقوياء من بدو العرب ليكونوا هذه الدريئة . وقد يرد مأخذ على فصاحة اسماء الملوك التي ترويها الروايات على ما سوف يأتي بعد لأن أصحابها عاشوا قبل طور الفصحى بمدة طويلة . وليس من شأن هذا أن ينفي وجود اصحابها ومن السائغ ان يقال ان الاسماء قد تداولتها الاجيال التي تكلمت بالفصحى قبل الاسلام فوصلت الى الرواة كذلك بعد الاسلام . ولقد كانت اسماء ملوك تدمر والنبط في النقوش بلهجة غير فصيحة ، فذكرتها الكتب العربية بلهجة فصحى وهذا من ذلك الباب تقريباً .

التنوخيون

وكان التنوخيون هم اصحاب الملك الاول . وهم على ما يستفاد من الروايات العربية فرع من قبيلة تنوخ او مجموعة القبائل التي سميت بتنوخ والتي هاجرت من اليمن في اوائل القرن الثاني بعد الميلاد الى شواطىء الخليج العربي ثم تسرب فريق منها الى العراق وآخر الى الشام على النحو الذي كان يجري دائماً .

ولم يذكر رواة العرب من ملوك التنوخيين في الشام الا ثلاثة وهم النعمان بن عمرو وعمرو بن النعمان والحواري بن عمرو [١] . ولم يذكروا لهم مآثر في مجال الحكم والسلطان

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٢٩ — ٣٠

والنشاط السياسي والحربي والاجتماعي والعمراني مما يدل على ان ملكهم لم يعد زعـامة بدوية تسمت باسم الملك على العادة التي كان يسير عليها زعماء القبائل الكبيرة والقوية مما أوردنا امثلة له في الفصل السابق ، مع فرق مهم وهو موافقة الرومان او اعترافهم بهذا الملك واتفاقهم مع الملوك ليكونوا دريئة ومانعاً لعيث القبائل البدوية في المعمورة الشامية ومن المحتمل جداً ان يكون الرومان قد عينوا لهم مخصصات لقاء ذلك .

الضجاعمة او سليح

وضعفت قوه التنوخيين على ما يظهر في اواخر القرن الثاني لسبب مـا فحل محلهم في في الملك العربي البدوي زعماء قبيلة الضجاعمة وهي احدى فروع قبيلة سليح الكبرى التي كانت اذ ذاك تنتشر في حوران وشرق الاردن [1] والمتبادر ان هـذا كان ايضاً بموافقة واعتراف الرومان حينما رأوا ان هؤلاء اقوى من التنوخيين للقيام بالمهمة الموكولة اليهم .

وقد ذكرت رواية عربية اسماء ثلاثة ملوك ايضاً من سليح وهم النعمان بن عمرووابنه مالك وعمرو بن مالك [2] . ولم تذكر لهم مآثر في مجال السلطان والحضارة والحرب ايضاً . وذكرت روايات اخرى اسم زياد بن الهبولة كأحد ملوكهم [3] وقالت انه كان معاصراً لحجر بن معاويـــة بن الحارث الكندي آكل المرار الذي ذكرنا خبره في فصل سابق . ويلحظ ان زمن زياد متأخر جدا عن الزمن الذي يفرض فيه قيام ملك الضجاعمة ، لأن حجرا كان من رجال القرن السادس الميلادي ! وذكرت رواية ثالثة اسم الضيزن بن معاوية كأحد ملوك سليح [4] . وذكرت رواية رابعة اسم سبطة بن المنذر بن داود او سبيط بن ثعلبة بن عمرو من ملوكهم ايضاً [5] . وقالت هذه الرواية ان الغسانيين اخذوا الملك منه، حيث وثب عليه احدهم فقتله وتغلبوا بعده على الحكم .

وعلى كل حال فالروايات المتعددة عن الضجاعمة او سليح وملكهم تسوغ القول ان ذلك

---

(١) انظر مروج الذهب ايضاً ج ٢ ص ٣٠

(٢) انظر بلوغ الارب للألوسي ج ٢ ص ١٧٢

(٣) و (٤) جواد علي ج ٤ ص ١٢١ - ١٢٢

(٥) جرجي زيدان ص ١٩٧

لا يخلو من حقيقة تاريخية .

ولقد ذكر احد كتاب اليونان القدماء شيخاً عربياً سماه Zakamos وقال انه كان عاملا على العرب من قبل الروم بدرجة فيلارخوس . وذكر كاتب يوناني آخر هذا الاسم ايضاً . ومما رواه الكتاب ان هذا الشيخ تنصر وتنصر معه عدد كبير من اتباعه . وان الحكم صار من بعده لماوية او مارية ـ ولعلها ابنته او زوجته ـ وانها اختلفت مع الرومان وأدى الخلاف الى حرب في اواسط القرن الرابع الميلادي وانتصرت غير مرة عليهم ثم تصالحت معهم . وكان من جملة ما اشترطته تعيين راهب عربي اسمه موسى كان يتعبد في بادية الشام راهباً لعربها فوافق القيصر على ذلك .

ولقد خمن جواد علي [1] ان يكون اسم زوكوموس محرفاً عن ضجعم . وهذا يعني اذا صح ان الاسم اسم القبيلة لا اسم الشيخ ، وقد ذكر الاسم زيدان وخمنه كما خمنه جواد علي ايضاً [2] .

وفي هذه الحالة يكون في الرواية دعامة للملك الضجعمي الذي حل محل الملك التنوخي بالاتفاق مع الرومان كما هو المتبادر . وان كان يرد على هذا مسألة الزمن لأن الروايات تذكر ان الغسانيين حلوا محل الضجاعمة في الملك في القرن الثالث على ما سوف نذكره بعد .

١١ ـ الدولة الغسانية [3]

-١-

اولية الغسانيين

قام بعد الملك الضجعمي السليحي الملك الغساني الذي كان أسعد حظاً من سابقيه من

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ١٢١ـ١٢٢

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٩٧

(٣) هذه النبذة مقتبسة من تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ٤ ص ١١٨ ـ ١٦٠ وتاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٢٠٧ ـ ٢٢٠ الطبعة الجديدة وتاريخ سورية للدبس الجزء الثاني المجلد الرابع ص ٣١ـ٣٦و١٣٩ ـ ١٤٤و٢٩٥ ـ ٣٠٠

حيث معرفة الشيء الكثير عنه ثم من حيث امتداده ونشاطه الاجتماعي والسياسي والحربي والعمراني .

ونسابو العرب ينسبون الغساسنة الى قبيلة الازد القحطانية الكبرى ويقولون انهم فرع منها انساح من اليمن على أثر سيل العرم فيمن انساح ونزلوا أولا في تهامة على ماء يقال له غسان فنسبوا اليه ثم ارتحلوا عنه الى بلاد الشام وان جدهم الذي ينتسبون اليه هو جفنة بن عمرو بن مزيقياء بن عامر بن ماء السماء .

وليس من امكان لتثبيت او نفي ما ذكرته الروايات العربية في صدد نسبهم ونزوحهم لأنها متعددة متضاربة مع التنبيه الى ان نسبتهم الى جفنة والى ماء السماء والى مزيقيا من الامور التي تكررت فيها الروايات حتى اتصلت بعهد النبي ﷺ .

ويخمن انهم جاؤوا الى بلاد الشام في القرن الثاني بعد الميلاد . ومما يروى انهم نزلوا في جوار قبيلة سليح فضرب ملوك الضجاعمة عليهم الاتاوة . فتحملوها زمناً ثم استثقلوها وتحايل زعيم لهم اسمه ثعلبة حتى قتل زعيم الضجاعمة او ملكهم فأدى ذلك الى حروب بين الطرفين انتصر فيها في النهاية الغساسنة وصاروا اصحاب الحكم والسلطان في اطراف بلاد الشام . وعلى كل حال فان وجود الغساسنة وملكهم في بلاد الشام من القرن الثالث الميلادي الى ما بعد وفاة النبي عليه السلام حقيقة من الحقائق التاريخية .

ولقد ذكر الكتاب القدماء على ما رواه المطران الدبس [١] ان الامبراطور الروماني فيلبس (٢٤٤-٢٤٩ ب م) عربي من اهل بصرى . كان من قواد الجيش الروماني في سورية واشتهر ببسالته في حرب الفرس فنودي به عاهلا بعد مقتل كورديان . وكان هذا مما جرى كثيرا في هذه الفترة من تاريخ الامبراطورية الرومانية .

ولا يذكر الكتاب انه غساني . وبصرى كانت عاصمة الغسانيين . ومن المحتمل ان يكون منهم . وفي هذه الحالة اما ان يكون احد ملوكهم الاولين او احد ابطالهم استخدمه الرومان في جيشهم فأبلى معهم بلاء حسناً فكان ذلك مؤدياً الى اعتلائه العرش . وحينئذ يكون قدوم الغساسنة الى بلاد الشام واستقرارهم في منطقة حوران سابقاً بمدة غير قصيرة لتاريخ ارتقاء هذا القائد عرش الامبراطورية . ويكون تخمين طروئهم في القرن الثاني بعد الميلاد وجيهاً .

---

(١) تاريخ سورية المجلد الرابع الجزء الثاني ص ٦-٩

-٢-

ملوكهم المذكورة اسماؤهم

في الروايات العربية والافرنجية

لقد تعددت الروايات وتضاربت في عدد ملوك الغساسنة ومدد حكمهم . فهناك قائمة رواها حمزة الاصفهاني فيها اثنان وثلاثون ملكاً مع مدة حكم كل منهم .
وهذه هي الاسماء الواردة فيها كما ذكرها جرجي زيدان

	مدة حكمه	
جفنة بن عمرو بن مزيقيا		٤٥
عمرو بن جفنة		٥
ثعلبة بن عمرو		١٧
الحارث الاول بن ثعلبة		٢٠
جبلة الاول بن ثعلبة		١٠
الحارث الثاني بن جبلة		١٠
المنذر الاكبر بن الحارث		٢
النعمان الاكبر بن الحارث		١٥
المنذر الاصغر		١٣
جبلة الثاني		٣٤
الايهم		٣
عمرو		٢٦
جفنة الثاني بن عمرو		٢٧
جبلة الثالث بن النعمان		١٦
النعمان بن الايهم		٢١
الحارث الثالث		٢٢
النعمان بن الحارث		١٨
المنذر بن النعمان		١٩

عمرو بن النعمان	مدة حكمه	٣٣
حجر بن النعمان		١٢
الحارث الرابع بن حجر		٢٦
جبلة بن الحارث		١٧
الحارث الخامس بن جبلة		٢١
النعمان بن الحارث أبو كرب		٣٧
الايهم بن جبلة بن الحارث		٢٧
المنذر » » »		١٣
شراحيل » » »		٢٥
عمرو » » »		١٠
جبلة بن الحارث		٤
جبلة بن الايهم		٣

ومدة حكم هؤلاء الملوك تقرب من ستمئة سنة وهذا يعني ان حكمهم بدأ في القرن الاول للميلاد وهو غير صحيح .

وقد رتب نولدكه المستشرق الألماني قائمة فيها عشرة أسماء اقتباساً من مصادر يونانية وسريانية قديمة وهذه هي كما ذكرها جرجي زيدان أيضاً .

جبلة أبو شمر	توفي سنة	٥٠٠	ب م
الحارث بن جبلة	»	٥٦٩	
المنذر ابو كرب بن الحارث	»	٥٨٢	
النعمان بن المنذر	»	٥٨٣	
الحارث الاصغر بن الحارث الأكبر		٥٨٣—٦١٤	
الحارث الأعرج بن الحارث الاصغر			
النعمان بن الحارث الاصغر			
عمرو بن الحارث الاصغر			
حجر بن عمرو			

ومدة حكم هؤلاء نحو مئة وخمسين سنة وفي القائمة ثغرات واضحة . وقد توقف زيدان في قبول رأي نولدكه بسبب ذلك ووصل في بحثه واستنتاجاته إلى ترجيح كون مدة حكم الدولة أربعمئة سنة (٢٢٠–٦٣٣) غير انه لم يستطع على ما يبدو أن يضع قائمة حاسمة لملوكهم كما ترى في هذه القائمة المقتبسة على الراجح من الروايات العربية :

٢٢٠ ب م جفنة بن عمرو
٢٦٥ عمرو بن جفنة
٢٧٠ ثعلبة بن عمرو
٢٨٧ الحارث الاول بن ثعلبة
٣٠٧ جبلة بن الحارث الاول
٣١٧ الحارث الثاني بن جبلة ابن مارية
٣٢٧ عمرو بن جبلة الايهم ، النعمان ، المنذر الاصغر ، المنذر الاكبر .
٣٨٠ النعمان ـ الحارث الثالث
٤٣٠ النعمان
٤٦٠ حجر ـ المنذر ـ عمرو
٤٨٦ الحارث الرابع
١٢ جبلة بن الحارث
٥٢٩ الحارث بن ابي شمر
٥٦٩ النعمان بن ابي شمر
٦٢٥ شراحيل ، الايهم ، المنذر ، عمرو ، الحارث (والاخير لم يحكم)
٦٣٣ جبلة

ومما يجدر ذكره ان روايات السيرة ذكرت ان ملك الغساسنة في السنة الهجرية السادسة كان الحارث بن ابي شمر وهو الذي أرسل النبي عليه السلام كتاباً اليه يدعوه فيه الى الاسلام . وهذا الاسم بكامله يأتي في قائمة زيدان وقائمة حمزة متقدماً كثيراً عن البعثة . وفي آخر قائمة زيدان اسم الحارث بدون صفة أخرى وفي جانبه جملة (لم يحكم) والمعقول ان هذا هو الذي أرسل النبي عليه السلام اليه كتاب الدعوة .

والبداية التي بنها زيدان في قائمته لحكم الغساسنة متقدمة أكثر من اللازم اذا صح تخريج جواد علي لكلمة زوكوموس بالضجاعمة على ما ذكرناه قبل حيث يكون ملك الضجاعمة قد امتد الى القرن الرابع .

ولقد أورد جواد علي قائمة حمزة بدون سنين وقائمة نولدكه وقوائم اخرى مقتبسة من البطليومي والمسعودي وكتاب البدء والتاريخ والجرجاني وابن خلدون . ومنها ما يقتصر على ذكر احد عشر ملكاً . والاسماء مماثلة لما ورد في قائمتي حمزة وزيدان فلم نر ضرورة الى ايرادها .

- ٣ -

سيرة الغساسنة

يمكن ان يقال ان من أسباب بروز الغساسنة وتقدمهم في مجال الحكم والسلطان النزاع الذي نشب بين الرومان والفرس في القرن الاول قبل الميلاد ثم امتد الى القرن السادس امتداداً لما كان من نزاع بين الفرس واليونان أو بين الشرق والغرب واستمراراً له . ولقد اشتد هذا النزاع في القرن الخامس واستمر شديدا . وعمد الفرس الى ادخال دولة اللخميين في العراق الى جانبهم فيه ففعل الروم مثل ذلك بالنسبة لدولة الغساسنة وصاروا يطلبون من ملوكها الاشتراك بكتائب عربية مع كتائبهم وكانوا يغدقون عليهم بسبب ذلك الاموال والالقاب والتكريم ويستزيرونهم عاصمتهم القسطنطينية ، فجعل هذا الغساسنة يزهون ويبرزون بل وأحياناً يمنون ويتبطرون ويتمردون على الروم .

ومما يسجل مع الاسف ان ذلك أدى في الوقت نفسه الى التنافس والتنازع بين الدولتين العربيتين في نطاق العروبة حتى غدتا عدوتين لبعضها وصار كل منهما يؤلب معه ما يقع في نطاق سلطانه وقدرته من القبائل العربية لتشترك في الحروب التي كانت تقع بين الدولتين وحسب مما ذكرته الروايات العربية في سياق ذكر ايام العرب وحروبها .

ومن الغريب ان الكتب العربية امتلأت بأخبار دولة اللخميين في العراق وملوكها على ما سوف نذكره بعد في حين انها لم تذكر شيئاً كثيراً من اخبار دولة الغساسنة ، مع ان الآثار العمرانية التي خلفها الغساسنة والتي ما يزال كثير منها قائماً بأعيانه أوأطلاله

وآثاره في حوران وشرق الأردن تدل علـى أنهم كانوا أنشط من اللخميين في مجـال الحضارة والعمران .

ولعل ظروف جمع وتدوين الروايات العربية مما يفسر هذا . فقد دونت هذه الروايات في عهد الدولة العباسية . وكان مركزها العراق . وكانت مصادر الروايات البدو والبادية المتاخمة للعراق على الارجح والاغلب . وكانت هذه مناطق الدولة اللخمية . فزودت هذه المصادر الرواة بما كان يتداول في مناطقها مـن احداث جلها متصل بهذه الدولة وملوكها في حين لم يقسم مثل هذا الاهتمام للمناطق التي قامت فيها الدولة الغسانية . ولعل ما ذكره بعض مؤلفي العرب القدماء من انه كان في أديار الحيرة سجلات تحتوي تاريخ ملوكها [1] كان من أسباب ما نراه من كثرة أخبار اللخميين في الكتب العربية خـلافا لأقرانهم الغساسنة .

ومما ذكرته الكتب اليونانية القديمة من سيرة هذه الدولة ان الملك جبلة نصر الروم سنة ٤٩٧ ب م وأخمد ثورة أزعجتهم فمنحوه رتبة فيلارك [2] وجعلوه عاملا عـلى بطرا وبعبارة أخرى امتـد سلطان الغسانيين الى شرق الاردن . وان الروم استعانوا بالملك الحارث على حركة تمردية في السامرة فساعدهم على قمعها فمنحوه رتبة باسيليوس [3] ولقبوه بلقب بطريق [4] ، وانه حارب الفرس معهم وكان من أقوى أنصار القائد بليزاريوس الذي قاد الجيوش الرومانية وأبلى في الحرب بلاء حسناً ، وانه زار القسطنطينية فلقي حفاوة عظيمة . وكانت له عند الروم شهرة عظيمة في الشجاعة وشدة البأس حتى كان نساؤهم يخوفن أولادهن به . وان الملك المنذر كان نصيرا كبيرا للروم وانه زار القسطنطينية هو الآخر مع ولدين له فلقي من القيصر طيباريوس حفاوة عظيمة وألبسه تاجاً . ولم تحتو الكتب اليونانية ما يساعد على معرفة هؤلاء الملوك في سلسلة ملوك الغساسنة . وقد خمن زيدان الذي ننقل عنه هذه الاخبار على ما يستفاد من كلامه أن جبلة هو والد الحارث بن جبلة وان الحارث هو الحارث بن ابي شمر وان المنذر هو ابنه .

---

(١) جواد علي ج ٤ ص ٣٠

(٢) بمعنى امير على ما فسره زيدان

(٣) بمعنى ملك وقد ذكر جواد ثورة السامرة ولكنه رواها بصيغة ثورة السامريين في فلسطين عزواً الى مؤرخ سرياني اسمه ملالا

(٤) لقب عسكري بمعنى القائد

وقد يرى البعض ان ما رواه زيدان عن الكتب اليونانية من تخويف النساء الروميات لأولادهن بالحارث غير معقول . ونحن لا نشارك هؤلاء في رأيهم . فليس ما يمنع ان تكون زيارة الحارث للقسطنطينية أثارت اهتمام سكانهـا وان يكون منظر الملك العربي بثيابه العربية مما أثر في النظارة وجعل الناس يتحدثون عنه .

ولقد قلنا قبل ان العداء بين الروم والفرس اثار عداء بين ملوك غسان ولخم وأدى الى تكرر الحروب بين الطرفين . وقد ذكرت الروايات اليونانية خبر حرب منها وقعت سنة ٥٢٨ بين الحارث بن ابي شمر ملك غسان والمنذر بن ماء السماء ملك لخم . وخبر حرب اخرى سنة ٥٣١ بينهما أيضاً . وقد ذكرت الروايات المذكورة في سياق ذكر الحرب الثانية بصراحة انها كانت بتحريض كسرى انو شروان ملك الفرس المنذر على الحارث .

ومما ذكره زيدان الذي ننقل عنه هذا السياق ان قيصر الروم جوستنيان طلب الصلح من انو شروان فوافق ثم ندم لأنـه أتاح للروم فرصة نشاط ونجاح في ميادين أوروبه وافريقية ولم يرد ان ينقض العهد مباشرة فأوعز للمنذر فتذرع بذريعة نزاع على طريق للماشية في جنوبي تدمر كان كل من الملكين يدعي ملكيتها وهـاجم المنطقة فنشبت الحرب بين الملكين العربيين وعادت الحرب ثانية نتيجة لذلك بين الفرس والروم . وكان النصر حليفاً للحارث . ثم اقتتل الطرفان ثانية وطالت بينهما الحروب وكان مـن أيامها اليوم المعروف في الروايات العربية بيوم عين اباغ نسبة الى واد بين الكوفة والرقة وقد انتهت الحرب بنصر الحارث ودخول قنسرين في حيازته . ومما ذكرته الروايات العربية على ما أورده زيدان في سياق يوم اباغ ان المنذر نزل عـلى عين اباغ وارسل للحارث يطلب منه فدية وينذره بالحرب ان ابى فما كان من الحارث الا ان سار اليه بجموع بلغ عددها اربعين الفاً . ولما وصل الى عين اباغ ارسل للمنذر يقول انا شيخان فلا تهلك جنودنا وانما يخرج ولد من أولادي وولد من اولادك فمن قتل خرج عوضه ولد آخر واذا فني أولادنا خرجت انا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فوافق المنذر ولكنه غدر حيث انزل بعض رجاله بدلا من أولاده فقتل للحارث ولدان ثم علم بالمكيدة فحمل على المنذر فقتله وهزم رجاله [1] . واعقب يوم اباغ يوم حليمة – نسبة لأسم مرج [2] – حيث حمـل

---

(١) يروي جواد علي عزواً الى روايات عربية ان الحارث زحف بعد ذلك على الحيرة فنهبها ودفن ابنيه القتيلين فيها

(٢) مما يرويه جواد علي ان حليمة اسم بنت للحارث وهي التي اعلن زواجها لمن يقتل المنذر كما جاء في المتن

المنذر بن المنذر المقتول للأخذ بثأر ابيه فخرج الحارث الأعرج الذي تولى بعد الحارث ابي شمر فالتقى الجمعان في مرج حليمة ودارت الحرب بينهما أياماً لا ينتصف احدهما من صاحبه فجعل الحارث ابنته زوجة لمن يقتل المنذر فقتله لبيد بن عمرو الغساني . وكانت واقعة هائلة اجتمع فيها عرب العراق كافة تحت راية المنذر وعرب الشام كافة تحت راية الحارث . وزيدان يقول ان ابن الاثير يذكر ان الحارث هو صاحب عين رباغ ولكن السياق يقتضي ان يكون غيره .

ومما ذكره زيدان ان الحارث بن ابي شمر هو الذي توسط لامرىء القيس الشاعر في الذهاب الى قيصر القسطنطينية على ما روته الروايات العربية .

ولقد شاد الغساسنة كثيراً من القصور والمدن والقرى والقناطر والصهاريج . وفي حوران سهلها وجبلها وفي شرق الاردن آثار كثيرة وهامة تنسب إليهم . منها ما لا يزال قائماً باعيانه ومنها ما بقي أطلاله وآثاره او كشف عنه حديثاً . وكثير من منشآتهم بالطراز الروماني حيث كانت البلاد تحت سلطان الروم الأعلى فتأثر الغساسنة بطرازهم وأساليبهم وهو ما كان شأن تدمر أيضاً . ومما ينسب اليهم قصر صرح الغدير وقصر الابيض وقصر المشتى وقصر القضا وقصر المنار وقصر السويداء وقلعة الزرقاء وقصر بركه وقصر ابين ودير حالي ودير الكهف ودير هنا ودير النبوة الخ .

ولحسان بن ثابت الشاعر الخزرجي المخضرم قصيدة في مدح بعض ملوك غسان تدل اذا صحت ــ وليس ما يمنع صحتها ــ على أن شعراء العرب كانوا يفدون على ملوك غسان من الجزيرة وغيرها ينشدونهم المدائح ويأخذون عطاياهم ، وأنهم كانوا يتخذون مصايف لهم على نهر بردى يقضون صيفهم في ترف ونعيم . وهذا بعض شعر حسان فيهم :

لله در عصابة نادمتهم ... يوماً بجلق في الزمان الاول
يمشون في الحلل المضاعف نسجها ... مشي الجمال الى الجمال البزل
الخالطون فقيرهم بغنيهم ... والمنعمون على الضعيف المرمل
اولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم الافضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم ... شم الانوف من الطراز الأول
فلبثت أزماناً طوالا فيهم ... ثم ادكرت كانني لم أفعل

ويستفاد من ثنايا الروايات أن سلطان الغساسنة اتسع حتى شمل سلطان الأنباط بل واوسع من ذلك حيث كان سلطانهم نافذاً في حوران ومشارف الشام الى الحجر وشرق الاردن ومنطقة تدمر وسائر عرب سورية وفلسطين ولبنان بدوهم وحضرهم ، وان الدولة قد بلغت أوج عزتها وسعتها في ايام الحارث بن ابي شمر الذي كان حكمه في النصف الاول من القرن السادس وصار له من المنزلة والسطوة والمكانة ما لم ينله احد قبله .

ولقد نبهنا إلى ان هذا السياق مقتبس من كتاب جرجي زيدن . وما احتواه كتاب جواد علي يتطابق معه مع زيادات معزوة الى كتب اجنبية وعربية .

من ذلك ما ذكره كاتب روماني قديم اسمه ثيوفانس من خبر غزو جبلة بن الحارث لفلسطين حوالي سنة ٥٠٠ ب م ونسبة بناء القناطر واذرع والقسطل اليه .

ومنه ما ذكره المؤرخ بروكيبوس من أن المنذر ملك الحيرة لما اكثر الغارات على امبراطورية الروم وعجز قواد الروم من أرباب لقب دوق Dux ومشايخ العرب من أرباب لقب فيلارك المحالفين للروم عن صده منح القيصر الحارث بن جبله لقب ملك وطلب منه الوقوف في وجه غزوات المنذر وقال إن هذا اللقب لم يمنح لأحد من قبله .

والحارث هذا هو الذي ارسل رسولا الى أبرهة حاكم اليمن الحبشي في مأرب. وكان معه رفيق اسمه ابو كرب بن جبله وصف بأنه كان عاملا للروم على عرب غابات النخيل الواقعة على حدود فلسطين الجنوبية على ما مر ذكره في فصل مملكة سبأ وريدان وحضرموت ويمنت الخ

وكان هذا الحارث من اتباع المذهب القائل بوحدة طبيعة المسيح والذي كان يعرف بالمذهب اليعقوبي . وهو غير مذهب الروم الذي كان يقول بطبيعتين للمسيح . ولكنه استطاع ان يحتفظ بمذهبه الذي كان مذهب معظم بلاد الشام وبالعلاقات الحسنة بقيصر الروم معاً فكان له الفضل في بقاء هذا المذهب وانتشاره . وقد شرحنا ما كان من اختلاف النصارى في امر المسيح وذكرنا أن جمهور نصارى الشام ومصر والعراق قد كانوا من اتباع مذهب وحدة طبيعة المسيح وعدم مساواته مع الله ـ الاب ـ مساواة كاملة وانهم تعرضوا بسبب ذلك لاضطهاد الروم في الجزء السابق .

ومما ذكره مؤرخ سرياني اسمه مخائيل ان محاورة جرت بين الحارث بن ابي شمر والبطريق افرام في طبيعة المسيح وفي مذهبه القائل بطبيعة واحدة فيه . وقد صيغت الرواية باسلوب

يفهم منه أن تغلب على خصمه البطريق بأدب ولطف ومما ذكر في هـذه الرواية ان المحاورة جرت بالسريانية واليونانية . وفي هذا ما فيه من دلالة على سعة ثقافة الحارث وقوته في الجدل المذهبي .

ومما ذكره المستشرق صموئيل من اخبار الحارث أنه هو الذي أمر ببناء كنيسة الرصافة الكبرى . وكان العرب يقدسون هذه المدينة لوجود قبر القديس سرجيوس ذي المكانة العظيمة عندهم فيها .

ومن ذلك ما ذكره البطليوسي من ان الحارث هو الذي بنى الحفر ومصنعها بين دعجان ومعان .

ومن ذلك ما ذكرته المصادر الاجنبية من أن الروم لم يلقبوا المنذر بن الحارث الذي خلف اباه بلقب الملك وانما كانوا يلقبونه بلقب (فلابيوس المنذر البطريق الفائق المديح) وقد نبه المصدر الى أن لقب البطريق كان عند الروم من القاب الشرف الفخمة ولم يكن يمنح الا لعدد قليل من الخاصة . وكان بعض الملوك يهتمون للحصول عليه من القيصر .

ومن ذلك ما ذكرته المصادر الأجنبية القديمة من خبر خلاف نشب بين القيصر جوستنبيانوس والمنذر المذكور تطور الى قطيعة وأدى إلى حرد المنذر على الروم وايغاله في البادية . وقد اغتنم ملوك الحيرة الفرصة فأخذوا يغزون بلاد الشام ويوقعون الرعب في أهلها مما حمل الروم على مراسلة المنذر والتودد اليه واسترضائه. وقد ارسلوا اليه بطريقاً اسمه يوطنيانوس واجتمع معه في مدينة الرصافه وانتهى الاجتماع الى رضاء المنذر وعودته الى قواعده للقيام بالدفاع عن حدود الشام . وقد زار المنذر بعد ذلك وفي عهد القيصر طيباريوس القسطنطينية فلقي احتراماً وتكريماً واغدقت عليه الهدايا والالطاف ومنحه القيصر لقب ريكس مع التاج . وكان لهذا اللقب شأن كبير في الامبراطورية . ثم تعكرت الصلات بينه وبين الروم وانتهى الأمر بفاجعة حيث اتهمه القائد الروماني موريقوس بالمخامرة في ظروف حربية بين الروم والفرس وأثارت التهمة القيصر فأصدر امراً سرياً الى حاكم الشام بقتله . ودعاه هذا الى حفلة تدشينية لكنيسة حوارين وكان صديقاً له . فلما جاء اكتفى بالقبض عليه وارساله مخفوراً الى القسطنطينية حيث اقام فيها إجبارياً . وخلف موريقوس القائد طيباريوس فأمر بنفي المنذر الى صقلية وبقطع

الاعانة السنوية التي كان يدفعها الروم للغساسنة . وأثار هذا العمل ثائرة أبنـــاء المنذر فحردوا وتوغلوا في البادية ثم أخذوا يهاجمون الروم ويلحقون بهم الخسائر وسير القيصر حملة عليهم فلم تجد شيئاً . وكان المتولي لحركة العصيان النعمان كبير أبنـــاء المنذر فدعاه قائد الحملة بحجة التفاوض والتسوية ولما جاء اعتقـــله ونفاه الى القسطنطينية حوالي سنة ٥٨٣ ب م .

ومما روي ان النعمان هاجم فيما هاجمه من حوارين واستولى عليها وقتل واسر ونهب ثم عاد الى البادية ، وانه ذهب الى موريقوس حينما رأى الروم يلحون في طلبه واعتذر اليه وقال له إنما حارب مع الفرس ليتمكن بذلك من انقاذ والده من الاسر ، وان موريقوس طلب منه التحول الى المـــذهب الخلقيدوني – أي الذي يقـــول بطبيعتين للمسيح – أجابه ان جميع القبائل العربية على المذهب الآخر وانه اذا بدل مذهبه لا يأمن عـــلى نفسه من القتل ؛ فاعتقله ونفاه .

وقد قال جواد علي ان بنيان الغساسنة بعد ذلك تصدع وتفرقوا ووهنوا ومنهم من هاجر الى العراق ومنهم من ترك المذهب اليعقوبي واعتنق المذهب الرومي واعقب ذلك اضطراب في الامن وفوضى في القبائل . وعزا هذا الى ابن العبري ومخائيل السرياني وقال إن الكتاب القدماء ويعني كتاب اليونان والرومان والسريان – لم يعودوا يشيرون الى ملك الغساسنة . ثم قال إن الروايات العربية لم تذكر شيئاً من ذلك واستمر في ذكر الملوك الذين تولوا بعد المنذر حسب قائمة حمزه الأصفهاني وما رواه هذا من مآثرهم . وهي في هذه القائمة واحد وعشرون وفي قائمة زيدان ستة عشر . ولا يكاد يعقل أن يكون كل هـــذا العدد قد تولوا بعد سنة ٥٨٣ اذا صح انهـــا سنة اعتقال المنذر ثم اعتقال ابنه النعمان ونفيهما .

ومهما يكن من أمر فإن استمرار الملك الغساني بعد المنذر والى خلافة عمر بن الخطاب اي الى ما بعد سنة ٦٣٥ ب م مما يكاد يكون حقيقة تاريخية .

وبناء على هذا فلا يكون إغفال الكتاب القدماء لذكر الملك الغساني يعني انقطاع هذا الملك كما هو واضح . وكان ما يمكن أن يكون حصل هو ضعف السلطان الغساني وقوة نفوذ وهيمنة الرومان .

ومما ذكره حمزه الاصفهاني ان الملك جبله الذي تولى بعد المنذر قد اتخذ مدينة حارب

عاصمة له وبنى فيها قصراً ومصنعة [1] وان الملك الأيهم الذي تولى بعده بنى (دير ضخم) و (دير النبوة) و (دير سعف) وأن الملك عمرو الذي تولى بعد الايهم نزل السدير وانشأ في دمشق عدة قصور شامخة منها قصر الفضاء وقصر صفاة العجلات وقصر منار . وهو الذي مدحه النابغة الذبياني . وقد صور في بعض قصوره مجالسه وجلساءه ورؤساء دولته وصوره في أشكال مختلفة . وتولى بعده جفنة الذي يعرف بالاصغر بن المنذر الاكبر ثم النعمان بن عمرو بن المنذر الذي ينسب اليه قصر السويداء وقصر حارب وكان ابنه جبله الذي تولى بعده ينزل في صفين . وتولى بعده النعمان بن الأيهم ثم النعمان بن الحارث وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة . ومن أشهر من تولوا بعدهالحارث بن جبلة المكني بابي كرب والملقب بقسطام والذي عناه النابغة الذبياني في قوله :

بكى حارث الجولان من فقد ربه وحوران منه خاشع متضائل

من قصيدة مدح فيها ابنه . ثم الأيهم بن جبله صاحب تدمر وقصر بركه وذات انمار ثم الحارث الاصغر الذي زاره حسان بن ثابت ومدحه والذي زحف على تغلب لعدم اهتمامهم له حينما مر بدارهم فانهزم من أمامهم ثم عمرو بن الحارث الذي زاره النابغةالذبياني ومدحه ثم اخو هذا النعمان الذي زاره النابغة ومدحه كذلك . ثم الحارث بن ابي شمر الذي ارسل النبي عليه السلام اليه كتاب دعوة . وكان له قصر منيف وحجاب . ثم جبلة بن الأيهم آخر ملوكهم . وقد حارب مع القبائل المتنصرة جيوش الفتح الى جانب الروم ثم اسلم وزار يثرب في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم ارتد وفر الى القسطنطينية على ما ذكرته الروايات العربية مما سوف نشرحه في الجزء التالي .

هذا ، ولقد كانت جميع المناطق التي يشملها سلطان الغساسنة مسكونة بعناصر صريحة العروبة على ما تفيده الروايات . ومعنى هذا أن الموجات العربية الصريحة قد ملأت جنبات هذه البلاد وأن كثيراً من أنسال الموجات القديمة الآرامية والكنعانية والعمورية فيها قد اندمجوا فيها وانسكبوا في بوتقة العروبة الصريحة . ولا نشك في أن سائر البلاد الشامية الحضرية التي لم تكن في مشمول السلطان الغساني قد أخذت تتأثر بذلك شيئاً فشيئاً لأن غالبية سكانها من انسال تلك الموجات حتى اذا جاءت موجة الفتح العربي تحت راية الاسلام ثم انسباك الجميع في بوتقة العروبة الصريحة وصارت هذه العروبة طابع البلاد

---

(١) خزان ماء

الشامل الخالد المقدس . واذا كان بقي بعض الجماعات محتفظة باللغة السريانية فمرد ذلك الى عزلتها من جهة والى الاعتبارات الدينية من جهة أخرى . وهي من الضآلة ما يجعل أمرها ناقضاً لذلك التعميم .

-٤-

الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية
والدينية في الدولة الغسانية

ليس هناك ما يساعد على زيادة بيان عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الدولة الغسانية إلا ما سبق ذكره في سياق ملوكها وأحداثها . ولقد كان معظم سكان البلاد التي كان يشملها سلطان هذه الدولة من حضر وبدو من العرب الصرحاء الذين اخذوا يهاجرون من شمال الجزيرة العربية وجنوبها قبل الميلاد المسيحي واستمروا على ذلك بعد الميـلاد . والذين يمتون إلى الاصول القحطانية او اليمنيه منهم جاؤوا في بدء الامر الى شمال الجزيرة ثم ارتحلوا عنه. ولقد ظل التواصل بالاضافة الى ذلك قوياً بينهم وبين سكان الجزيرة وبخاصة شمالها . فكل هذا يسوغ القول إن معظم ما ذكرناه في الفصل السابق من الحالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي كان عليها العرب قبل الاسلام في الجزيرة وبخاصة في شمالها سواء من كان منهم في المدن والقرى ام في البادية استلهاماً من القران واستئناساً بالروايات ينسحب على أهل مدن الدولة الغسانية وقراها وباديتها .

وقد يمكن ان يقال إن طبيعة الاتصال المباشر بين اهل الدولة وأهل بـلاد الشام القدماء والرومان الذين كانوا أصحاب الحكم والسلطان في هذه البلاد يسوغ القول ان اهل هذه الدولة كانوا أحسن حالا من أهل الجزيرة وشمالها خاصة في هذه الحالات لأن اهل البلاد القدماء والرومان كانوا متقدمين اكثر منهم في مجال الحضارة .

اما الحالة الدينية لاهل الدولة الغسانية فقد كانت على ما تفيده الروايات والنقوش مماثلة في القرون الاولى لما كانت عليه في الدولة النبطية التي قامت الدولة الغسانية عـلى انقاضها من تأليه الشمس والقمر والكواكب وتسمية الاله الرئيسي بعل ومن اتخـاذ آلهة ثانوية وحامية باسماء اخرى واصطناع تماثيل لها توضع في المعابد ليقوم الناس باداء الطقوس وتقريب القرابين عندها ثم اخذت النصرانية تنتشر بينهم تبعـاً لانتشارها في

انحاء البلاد الشامية الأخرى ثم اخذ نطاقها يتسع في القرن الرابع وما بعده تبعاً لاعتناق القياصرة لها حتى غدت ديانة أغلبية اهل الدولة الغسانية.

وقد انشأ ملوك الغساسنة ورجال دولتهم البارزون كثيراً من الكنائس والاديرة التي لا يزال آثار بعضها موجودة الى اليوم في انحاء حوران والبلقاء. وفي النقوش التي اوردناها في الفصل الاول نقش وجد بباب دير من هذه الاديرة انشأه زعيم اسمه شرحيل بن ظالمو في القرن السادس قبل الميلاد. وقد ذكرت الكتب العربية عدداً من الأديار يرجح انها من منشآتهم ايضا مثل [1] دير اسحق ودير البخت في منطقة دمشق ودير البتراء في وادي موسى ودير بصرى ودير كعب ودير نجران ودير الخمان ودير الباعقي في حوران ودير خالد ودير صليبا ودير سابر في اقليم الخولان ودير سعد في ديرة الشام ودير فيق في منحدر الاردن. وهذه الأديرة غير كثير أخرى ذكرتها الكتب فى داخل الشام وساحلها.

وقد كان يختار لها مواقع نزهة فتكون مقصد للرواد. وقد نوه بعض الشعراء الاسلاميين بما كانوا يجدون فيها من بشاشة وقرى ومتعة وسرور.

من ذلك في دير اسحق الذي كان بين حمص والسلمية:

واذا مررت بدير اسحق فقل	جادتك غيث سحائب وبروق
دير يشبه ماؤه بهوائه	وهواؤه بلطافة المعشوق

ومن ذلك في دير البنات:

دير البنات الزهر انت المنى	وانت من دون الاماني المرام
لم أنس يوماً فيك أذهبته	تالله بلى أذهبته بالمرام
ونحن في غرة ايامنا	والعيش مثل الطيف حلو اللمام
والدوح ما جفت له زهرة	والروض طفل ما جفاه الغمام
وبيننا خود كشمس الضحى	واغيد قد فاق بدر التمام

ومن ذلك في دير يونا:

حبذا يومنا بدير يونا	حيث نسقى براحة ونغنى
واستهنا بالناس فيما يقولون	اذا خبروا بما قد فعلنا

(١) انظر خطط الشام لكرد علي ج ٦ ص ٢٥ وبعدها

وهذان البيتان للوليد بن يزيد الخليفة الأموي ؛ حيث يتبادر من كل ذلك أن هذا كان امتداداً لما كان عليه الحال قبل الاسلام [1] وفية ظاهرة من مظاهر الحياة الاجتماعية والدينية والعمرانية للدولة الغسانية والبلاد الشامية في عهدها.

ومع كل ما ذكرناه فإن الوثنية لم تزل بالمرة في نطاق هذه الدولة وقد ذكرت الروايات أنه كان لقبائل مشارف الشام من لخم وجزام وعاملة وغطفا من قبيل البعثة النبوية صنم اسمه الا قيصر يحجون اليه ويحلقون رؤوسهم عنده [2] كما ذكرت ان الحارث بن ابي شمر الغساني اهدى لصنم طي المسمى (الفلس) سيفين وجدهما علي بن ابي طالب رضي الله عنه في خزانة الصنم حينما بعثه النبي عليه السلام لهدم الصنم ومعبده [3] حيث يدل ذلك على أن الديانة القديمة لم تزل بالمرة .

ومع ان المذهب اليعقوبي كان هو المذهب النصراني الغالب في بلاد الشام ومن جملتها المملكة الغسانية ومع ما رويناه قبل من تمسك الحارث بهذا المذهب ومجادلته عليه ومن قول النعمان لموريقوس إن جميع القبائل عليه فاننا نميل إلى القول انه كان للمذهب الرومي أو الملكاني الذي كان يقول بطبيعتين للمسيح نصيب من الانتشار بعد أن ضعف الملك الغساني وازدادت هيمنة الروم عليه في اواخر القرن السادس بعد الميلاد . ويؤيد هذا ما ذكره مخائيل السرياني وابن العبري واوردناه قبل قليل . بل ويتبادر لنا ان وقوف الغساسنة وبعض القبائل المتنصرة موقف المناوىء للدعوة الاسلامية الى جانب الروم وما كان من عدوانهم على قوافل المسلمين ورسل النبي عليه السلام ثم ما كان من محاربتهم حملة الفتح الى جانب الروم ناشيء عن ما كان من انسجام مذهبي بينهم وبين الروم وبالتالي عن كونهم او كون بعضهم تحولوا الى المذهب الملكاني . وهو ما كان من سكان جبل لبنان الموارنة او المردة الذين كانوا يتمذهبون بهذا المذهب .

على ان العرب المتنصّرة سواء منهم المتمذهبون بالمذهب اليعقوبي أم بالمذهب الملكاني ثم اهل انحاء البلاد الشامية الأخرى الذين كانوا يدينون بالنصرانية لم يلبثوا بعد جلاء الروم عن البلاد ان دانوا بالولاء للسلطان العربي الاسلامي اجمالا واخذوا يعتنقون الديانة الاسلامية التي جاءت الموجة الجديدة تحت رايتها على ما سوف نفصله في الجزء التالي .

---

(١) كان للاديرة في الدولة اللخمية التي سوف نذكرها في نبذة خاصة بعد قليل شأن كبير مماثل . وقد روى شعر جاهلي فيه تنويه بها مما فيه تأييد لامتداد الحالة الى ما قبل الاسلام .

(٢) جواد علي ج ٥ ص ١١٠

(٣) نفس المصدر ص ١١١

ولقد احتفظ بعضهم بنصرانيته فأقرهم ولاة المسلمين على ذلك . وقد ظل أنسال بعضهم يحتفظون بها في حوران وشرق الأردن وأنحاء البلاد الشامية الأخرى كدليل حاسم على ان الاسلام انما كان دعوة حرة يقبلها من يقبلها وينأى عنها من ينأى عنها بدون إكراه ولا إجبار إلا واجب ضمان الحرية لها ومقابلة المعتدين عليها والمتآمرين بسبيل ذلك مع الأجانب بالمثل عملا بقول القرآن (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) و (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) [1] .

والذي نرجحه أن معظم الذين احتفظوا بنصرانيتهم كانوا من أتباع المذهب الملكاني الرومي وان الذين كانوا يتمذهبون بالمذهب اليعقوبي قد أقبلوا على الاسلام لأنهم كانوا من جهة عرضة لاضطهاد الروم ورأوا من جهة أخرى ان ما يقوله الاسلام في شأن المسيح متسق من ناحية ما مع ما كانوا يعتقدون به .

ومن المؤسف أن الروم كانوا وظلوا يدسون دسائسهم مع هؤلاء ويحركونهم ضد الاسلام والسلطان الاسلامي ، وان منهم من كان وظل يستجيب لهذه الدسائس فيجر ذلك إلى أحداث أليمة لهم وللبلاد وللسلطان العربي الاسلامي مما سوف يكون شرحه من منهج الجزء التالي أيضاً .

-٥-

مدى السلطان الغساني

والأحداث والروايات تسوغ القول ان الملك الغساني لم يكن عمالة رومية عادية مرتهنة برضاء الروم وانما كان يقوم في أصله واستقراره واستمراره وتسلسله على عصبية وقوة ذاتية رأى الروم أن يستفيدوا منها في حماية معمورة الشام من البدو والبادية ورأى الغساسنة من جانبهم مصلحة ومنفعة في التواثق والاتفاق مع الروم على ذلك .

ويؤيد هذا رواية حرد المنذر وتوغله في البادية واضطرار الروم الى مراسلته واسترضائه ثم استزارته القسطنطينيه ومنحه لقباً ملوكياً مع التاج واغداق الهدايا والألطاف عليه ،

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٩٠ و ١٩٤

واستزارته قبله أباه الحارث وتلقيبهم إياه بلقب الملك وحفاوتهم العظمى به . واقد روى المطران الدبس في كتابه تاريخ سورية رواية حرد المنذر نقلا عـــن المدونات الافرنجية القديمة بمعنى أقوى حيث يقول ان حرده كان بسبب عدم احسان الروم لجائزته بعد حرب حاربها معهم [1] . وروى المطران أيضاً أن كسرى الفرس طلب من جوستنيانوس قيصر الروم عقب جولة حربية كانت الغلبة فيها للفرس اتاوة سنوية مقابل هدنة طلبهـــا الروم وقال له إني لا أريد أن تكون هذه الاتاوة جزية بل جعلا كالجعل الذي يدفعه الى المون والعرب [2] .

حيث يدل هذا على ان الروم كانوا يدفعون للغساسنة مخصصات سنوية لا على أساس مرتبات عمالة ولكن على أساس أنها مقابل مايقومون به من حماية الحدود ويمارسونه من الهيمنة على البدو والبادية . ولقد كان الروم يوجهون لملوك الغساسنة ألقاباً ولكنها لم تكن ألقاب عمال وإنما هي ألقاب ملوكية وتشريفية على سبيل الترضية والتكريم مما فيه تأييد لما نقرره .

ولقد كان ملوك الغساسنة من ناحية أخرى يمارسون الحكم والسلطان الفعلي في أنحاء مملكتهم ويولون العمال ويجبون الضرائب حتى في أواخر حكمهم إبان البعثة النبوية وحركة الفتح بعد وفاة النبي عليه السلام على ما تفيده روايات السيرة والفتح [3] ويتلقبون بلقب الملك ويستمتعون بأبهته ويرسلون الوفود الى الدول الاخرى باسمهم [4] ويتسلسل الملك في ذريتهم من الآباء للابناء مما فيه مظاهر الحكم والسيادة والاستقلال والسلطان بارزة .

(١و٢) تاريخ سورية الجزء الثاني المجلد الرابع ص ٤٤٠

(٣) انظر طبقات ابن سعد ج٣ص ٥٤-٥٦و١٧٥-١٧٧ وتاريخ الطبري ج ٢ ص٥٨٦ وبعدها

(٤) ذكرنا هذا في تاريخ الدولة الحميرية في عهد الحاكم الحبشي ابرهة .

الممالك والمآثر العربية في بلاد العراق

١ ــ التنوخيون

٢ ــ مملكة الحضر

٣ ــ مملكة عربية في شمال الخليج العربي

٤ ــ المملكة اللخمية

١ ـ التنوخيون

- ١ -

اوليتهم وهويتهم

من أقدم من برز في العراق في مجال الحكم والسلطان على ما يستفاد من الروايات [١] التنوخيون . وقد ذكرت بعض الروايات انهم لم يكونوا قبيلة تحمل هذا الاسم في الاصل وانما كانوا مجموعة قبائل أو بطون عربية متفرقة هاجرت معاً وتجمعت على بعضها فسميت باسم تنوخ الذي يعني التجمع والتكتل في حين ان بعض الروايات ذكرت انهم من قضاعة اليمن وان اسمهم اصيل . وقد يكون هذا هو الاوجه . وقد يكون بعض فروع من قبائل اخرى التحقت بتنوخ بطريق الحلف والولاء جرياً على عادة العرب على ما ذكرناه في فصل سابق فنشأ هذا اللبس . ولقد ذكر جواد علي [٢] انه يرجح ان تنوخ هي القبيلة التي ذكرها بطليموس باسم Thannita فيكون هذا إذا صح من مؤيدات اصالة الاسم .

ولقد ذكر اليعقوبي [٣] انـه كان في منطقة المعرة قبيلة باسم تنوخ كانت اندمجت في حركة الفتح ثم استقرت في هذه المنطقة وان رئيسها في القرن الثالث الهجري يوسف بن ابراهيم قام بحركة فرض سلطانه بها على المعرة ثم على قنسرين [٤] . ومن المعرة اتجه بعض رجال من تنوخ مع عشائرهم في القرن الهجري الثاني الى الساحل الشامي فاستقر بعضهم في مدينة اللاذقيه وجبلها وبعضهم في جبل لبنان .

والمستفاد من الروايات ان هجرة التنوخيين من اليمن كانت في أوائل القرن الثـاني بعد الميلاد فنزلوا أولا في شواطىء الخليج العربي ثم أخذوا يتسربون الى العراق . ومنهم

---

(١) انظر جواد علي ج٤ ص ١٨ - ٢٨ ومن هذا المصدر اقتبسنا معظم ما جاء في هذه النبذة

(٢) نفس المصدر

(٣) ج٣ ص ٢٢٣

(٤) انظر الجزء الاول من كتابنا العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي ص ١٥٢ وبعدها وفي هذا ذكرت المصادر انظر ايضاً روض الشقيق لشكيب ارسلان ص ٢٤٠ وبعده واخبار الاعيان الشدياق ص ٦٤٦ وبعدها

من تسرب الى بلاد الشام وهم الذين تولى زعماؤهم سلطان البادية بعد سقوط الدولة النبطية على ما ذكرناه قبل . وتاريخ هذا التسرب متقارب مع تاريخ بروزهم في بلاد الشام.

ولقد كان تسرب التنوخيين الى العراق في أيام الدولة الارشكانية الفارسية التي سيطرت على العراق بعد حركة الاسكندر المكدوني بمدة ما ، وكانت اذ ذاك تمر في فترة ضعف وارتباك فعمدت الى التفاهم على ما يظن مع زعيم التنوخيين مالك بن فهم على أن يتولى سلطان البادية ويكف غارات اهلها عن معمورة العراق كما كان يفعل الروم في بلاد الشام فكان ذلك بدء الدولة التنوخية .

وقد استقر هذا الزعيم الذي تلقب بلقب الملك في مدينة بقة أولا ثم أنشأ قصراً على ضفة الفرات في المكان الذي عرف بالحيرة وأحاطه بجنة واسعة . وأخذ يحض زعماء قبيلته على بناء المنازل فلم تلبث أن قامت مدينة الحيرة التي يوصف موقعها بأنه من أنزه المواقع وأطيبها هواء وأعذبها ماء وأصفاها جواً .

وقد اختلف في معني اسم الحيرة . فمن مؤلفي العرب من قال أنها من الحيرة بمعنى الضلال والتحير . ومنهم من قال ان أصل الكلمة (الحير) التي تعني باللغة القديمة الحظيرة أو البستان . وقد يكون هذا وجيهاً[١] . وقد قال زيدان [٢] ان الكلمة سريانية بمعنى الحصن أو المعقل. وقال المستشرقون [٣] ان الكلمة من حرتا السريانية التي معناها المخيم أو المعسكر ولا يخلو هذا من وجاهة أيضاً . غير أننا لا نرى ضرورة لوصف الكلمة بالسريانية حيث يحتمل أن تكون مشتركة المعنى في السريانية والعربية القديمة الصريحة التي سبقت الفصحى . وقد ذكرت في كتب يونانية وسريانية قديمة بلفظ (ايرتا) حيناً و (حيرتو) حيناً [٤] .

- ٣ -

اسماء ملوكهم والمأثور من سيرتهم

ولقد ذكرت الروايات ملكين آخرين من ملوكهم غير مالك بن فهم الذي ذكر قبل

---

(١) انظر لسان العرب مادة حيرة

(٢) العرب قبل الاسلام ص ١٩٩

(٣) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٥-٧

(٤) المصدر السابق نفسه

وهما أخوه عمرو وابنه جذيمة المعروف بالوضاح والأبرش . وقد سمي كذلك لبرص كان فيه .

وينوه الرواة بالثالث ويصفونه بأنه من أعظم ملوك العرب رأياً وأثبتهم جأشاً وأشدهم نكاية وأكثرهم هيبة وبأساً . وبأنه أول من اجتمع له الملك بأرض العراق وضم اليه العرب وخضع له قبائل العراق وأطراف الجزيرة وبادية الشام ونفذ حكمه في الحضر والبدو على السواء . وكان في نطاق سلطانه ما بين الحيرة والأنبار وبقة وهيت وعين التمر وأطراف البر الى الغمير والقطقطانة وخفية وما والاها والرقة وسائر قراها وقبائل معد وبعض أنحاء اليمن . وقد امتد حكمه ستين عاماً . وقد روت الروايات عنه فيما روت أنه غزا جديساً وطسما في اليمامة فوجد حساناً بن تبع أسعد أبي كرب قد سبقه الى غزوهما فانكفأ راجعاً بمن معه وتبعته خيول تبع فاجتاحت سرية من سراياه ...

ولقد عثر في ام الجمال في حوران على نقش جاء فيه [1] « هذا موضع فهر بن شلي مربي جديمت ملك تنوخ » حيث يثبت بهذا ان ملك جذيمة لتنوخ وبالتالي ملك تنوخ من الحقائق التاريخية بقطع النظر عما جاء في الروايات العربية من خيال وغلو .

وفي الكتب العربية قصص طريفة تدور حول جذيمة لا نستبعد أن يكون لها اصل ما أو أن تكون ترديداً لصدى اسمه وصيته على ما فيها من صنعة وغلو . وهو صاحب النديمين اللذين يضرب بهما المثل العربي القديم فيقال كندماني جذيمة ملازمة واخلاصاً . وقد تمثل شاعر جاهلي بالمثل في رثاء أخ له في هذين البيتين الحزينين :

وكنا كندماني جذيمة حقبة	من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالك	لطول اجتماع لم تبت ليلة معا

وينسب الى جذيمة شعر عربي فصيح كما تذكر كتب الادب العربية أقواله وأقوال معاصريه بأسلوب عربي فصيح فضلا عن اسمه واسم ابيه واخيه . وهذا من جملة التغليط لأن عهده كان في القرن الثالث الميلادي ولم تكن اللغة العربية قد نضجت وتكاملت وصارت الى طورها الفصيح . وهذا من الشعر المروي عنه :

والملك كان لذي براش	حوله يزري بجابر
بالسابغات وبالقنا	والبيض تبرق والمغافر

---

(١) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٠٢

أزمان لا ملك يجير | ولا زمام لمن يجاور
أودى بهم غير الزمان | فمنجد منهم وغائر

والنقش المعروف بنقش امرىء القيس احد ملوك لخم والذي أوردناه في فصل مراحل اللغة دليل حاسم على اختلاق هذا الشعر وما يدخل في لغته وأسلوبه من كلام العرب وأسمائهم في القرون الاربعة بل والخمسة بعد المسيح . وكل ما يمكن من أمر الاسماء انها انقلبت الى لهجة فصحى في التداول وكانت قبل الفصحى قريبة منها .

ومما رواه الرواة عن جذيمة انه تكهن وتنبأ . وانه كان له صنمان سماهما الضيزنان وكان يستنصر ويستسقي بهما ، وانه كان يغازي إياداً النازلين بعين اباغ فأرسلوا من سقى سدنة صنميه خمراً ثم سرقوهما وأرسلوا الى جذيمة يفاوضونه على اعادتها بشرط أن يكف عن غزوهم فوافق بشرط ان يرسلو اليه غلاماً من لخم فيه جمال وظرف موجود عند اخوال له فيهم اسمه عدي بن نصر ليتخذه نديماً له ، فأرسلوه اليه فجعله على شرابه . وقد تزوج بأخته رقاش نتيجة حب نشأ بينه وبينها وقد أورد رواة العرب قصة هذا الحب والزواج بأسلوب أدبي طريف تبدو الصنعة فيه بارزة .

والروايات تذكر ان جذيمة مات مقتولا ؛ قتلته الزباء انتقاماً لأبيها عمرو بن الظرب ابن حسان ملك الجزيرة ومشارف الشام حيث كانت مصاولة تنافسية مديدة بين الملكين جرت في سياقها حروب كثيرة وانتصر جذيمة في النهاية وقتل خصمه فاحتالت الزباء عليه ودعته الى مقرها ثم قتلته في خبر طويل طريف تبدو عليه كذلك الصنعة بارزة . والخبر يفيد ان الزباء هذه غير زباء تدمر ...

وقبل ان يقضي جذيمة نحبه وصى بملكه من بعده لابن اخته عمرو بن عدي اللخمي فلما مات تولى هذا الملك فكان ذلك بداية الدولة اللخمية.

٢ ــ مملكة الحضر

ذكرت الروايات العربية مملكة في العراق كانت عاصمتها مدينة الحضر الواقعة قرب تكريت [1] . وقد وصفت الروايات هذه المدينة بأنها كانت محصنة وكان فيها ستون برجاً

(١) انظر معجم البلدان لياقوت في مادة حضر والطبري ج ١ ص ٤٨٣-٤٨٦ وتاريخ العرب قبل الاسلام زيدان ص ١٩٧

كباراً وبين كل برج وبرج تسعة صغار، وكان يمر بها نهر الثرثار وهو نهر عظيم عليه قرى وجنان . وكان له ملك يقال له الساطرون أو الضيزن ومن الروايات من قال انه من الجرامقة ومنها من قال انه من قبيلة قضاعة وانه الضيزن بن معاوية نسبة لأبيه أو الضيزن ابن جلهمة نسبة لأمه . وانه ملك جزيرة الفرات كلها الى الشام وكان يغير على بلاد الفرس. فزحف عليه سابور ملك الفرس وحاصر مدينته سنتين وفتحها وأعمل يد القتل في قضاعة حتى أبادهم أو كاد . ومما روته الروايات ان سابوراً سبى بنتاً للضيزن اسمها النضيرة وتزوجها وكانت جميلة شفافة البشرة فسألها بأي شيء كان يغذوك أبوك فقالت بالزبد والمخ وشهد الابكار من النحل وصفو الخمر فقال لها وأبيك لأنا أحدث عهداً وأوثر من أبيك الذي غذاك بما تذكرين ثم ربط غدائرها بفرس جموح واستركضها فقطعت قطعاً .

وقد روت هذه الروايات شعراً كثيراً عن الحضر وقضاء سابور على مملكتها فمن ذلك ما يعزى الى الجدي بن الدلهات او عمرو بن إلّة من رجال الضيزن في رواية من هذه الابيات :

الم يحزنك والانباء تمنى	بما لاقت سراة بني عبيد
ومصرع ضيزن وبني أبيه	واحلاش الكتائب من تزيد
أتاهم بالفيول مجللات	وبالابطال سابور الجنود
فهدم من أواسي الحصن صخراً	كأن ثقاله زبر الحديد

ومن ذلك هذان البيتان للأعشى :

ألم تر للحضر اذ اهله	بنعمى وهل خالد من سلم
أقام بـه سابور الجنود	حولين تضرب فيه القدم

ومن ذلك هذه الأبيات التي تعزى لعدي العبادي :

واخو الحضر اذ بناه واذ	دجلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلساً	فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد	الملك عنه فبابه مهجور

ومنها هذا البيت في نضيرة :

أقفر الحصن من نضيرة	فالمرباع منها فجانب الثرثار

ومهما يكن من أمر فإنه ليس من المستبعد أن يكون قد انطوى في الروايات حقيقة تاريخية .

ولقد ربط جرجي زيدان[1] عزواً إلى روايات عربية بين الضيزن هذا وبين الضيزن المروي أنه أحد ملوك الضجاعمة على ما مر قبل في حين أن الروايات الأخرى تنسب ضيزن الحضر الى قضاعه .

٣ ـ مملكة عربية في شمال الخليج العربي

ذكر كاتب اسمه اريان هذه المملكة في سياق ذكره حركة زحف الاسكندر المكدوني في الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد . ومما قاله إن الاسكندر أنشأ مدينة في النهاية القصوى من شمال الخليج العربي دعيت باسمه ، وقد ضربت قربها ملك العرب المجاورين الذي كان يسمى باسم باسين وأنشأ لها سداً لحمايتها وسماها باسمه [2]

وظاهر من هذا أن المملكة العربية المذكورة قامت في القرن الثالث قبل الميلاد أو بعد ذلك بقليل ، حيث يدل ذلك على أن القبائل الصريحة العروبة أخذت تتسرب إلى العراق قبل الميلاد وتنتشر فيه كما كان ذلك شأن شقيقاتها التي أخذت تتسرب إلى البلاد الشامية وتنتشر فيها وأنها أنشأت في العراق هذه المملكة التي نأسف لعدم إمكان معرفة شيء آخر عنها .

٤ ـ الدولة اللخمية [3]

اوليتها وملوكها

هذه الدولة من دول العرب الهامة في هذا الدور مثل دولة الغساسنة من حيث انبساط

---

(١) ص ١٩٠ ـ ١٩٨

(٢) جواد علي ج ٢ ص ٣٧٥

(٣) معظم ما جاء في هذه النبذة مقتبس بالدرجة الاولى من تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٤ ص ٢٤ ـ ١١٧ الذي جمع جميع الروايات تقريباً عربية وغير عربية ثم من تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان ص ٢٢١ ـ ٢٤١ الطبعة الجديد ومن كتاب ملوك الحيرة لعلي ظريف الاعظمي .

السلطان وتسلسل الحكم ووضوح المعالم .

وقد قامت على انقاض دولة التنوخيين في الحيرة نتيجة للمصاهرة التي تمت بين آخر الملوك التنوخيين جذيمة وعدي اللخمي الذي تزوج رقاشاً أخت جذيمة حيث عهد هذا بالملك لابن أخته عمرو لأنه لم يكن له وريث من صلبه على ما ذكرته الروايات العربية وأوجزناه في نبذة التنوخيين .

وبعض الروايات تذكر لخماً وتنوخاً معاً وتقول انهما فرعان شقيقان من قضاعة اليمن الكبرى وبعضها تذكر لخماً لحدتهم وتقول إنهم من نسل كهلان بن سبأ بن قحطان .

ومن المتعذر تبيين حقيقة أصل لخم وتنوخ وصلتهما ببعضهما من الروايات العربية لأنها مشوشه ومتداخلة . وكل ما يمكن أن يكون صحيحاً بالنسبة إلى لخم أنهم قبيلة أو فرع من قبيلة يمنية هاجروا كتنوخ وغيرهم من القبائل وتسربوا إلى العراق في القرون الأولى بعد الميلاد المسيحي .

ومن المحتمل أن تكون القبيلتان أو البطنان يمتان إلى جد واحد وهاجرتا معاً وتسربتا إلى العراق وتواثقتا في الدولة التي كانت تحت رآسة زعماء تنوخ . ولا يبعد أن تكون المصاهرة قد توطدت بين زعماء القبيلتين وأن يكون جذيمة قد وصى بالملك لابن أخته عمرو الذي كان أول الملوك اللخميين كما ذكرته الروايات .

ولقد عرفت دولة اللخميين بدولة آل نصر أيضاً نسبة إلى جد عمرو الأول كما عرفت بدولة المناذرة لكثرة من تسمى باسم المنذر من ملوكها . وقد امتد حكمها نحو ثلاثة قرون ونصف أي من سنه ٢٦٨ إلى سنة ٦٣٢ ب . م وتولى عرشها من ذرية عمرو خمسة عشر ملكا آخر فضلا عن أربعة ملوك آخرين غرباء . وهذه قائمة الذين تولوا عرش المملكة في الحيرة مع سني حكمهم حسب ترتيب جرجي زيدان :

١ — عمرو الأول بن عدي ٢٦٨ — ٢٨٨ ب . م

٢ — امرىء القيس الأول بن عمرو ٢٨٨ — ٣٢٨ »

٣ — عمرو الثاني بن امرىء القيس ٣٢٨ — ٣٧٧ »

٤ — أوس بن قلام من بني الحارث بن كعب من غير اللخميين ٣٧٧ — ٣٨٢ »

٥ — امرؤ القيس الثاني بن عمرو ويعرف بالمحرق ٣٨٢ — ٤٠٣ »

٦ ـ النعمان الاول بن امرىء القيس ٤٠٣ - ٤٣١ ب . م
ويعرف بالسائح وبالأعور

٧ ـ المنذر الأول بن النعمان ٤٣١ - ٤٧٣ «

٨ ـ الأسود بن المنذر ٤٧٣ - ٤٩٣ «

٩ ـ المنذر الثاني بن المنذر الاول ٤٩٣ - ٥٠٠ «

١٠ ـ النعمان الثاني بن الأسود ٥٠٠ - ٥٠٤ «

١١ ـ علقمة الذميلي أبو يعفر اللخمي ٥٠٤ - ٥٠٧ «
من غير آل نصر

١٢ ـ امرؤ القيس الثالث بن النعمان ٥٠٧ - ٥١٤ «

١٣ ـ المنذر الثالث بن امرىء القيس ٥١٤ - ؟ «
المعروف بابن ماء السماء

١٤ ـ الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ؟ ؟ «

١٥ ـ المنذر الثالث ثانية ؟ ٥٦٣ «

١٦ ـ عمرو الثالث بن المنذر ٥٦٣ - ٥٧٨ «
المعروف بابن هند

١٧ ـ قابوس بن المنذر الثالث ٥٧٨ - ٥٨١ «
المعروف بالمحرق وبمضرط الحجارة

١٨ ـ المنذر الرابع بن المنذر الثالث ٥٨٢ - ٥٨٥ «

١٩ ـ النعمان الثالث بن المنذر ٥٨٥ - ٦١٣ «

٢٠ ـ أياس بن قبيصة الطائي ٦١٣ - ٦١٨ [١] «

٢١ ـ المنذر الخامس بن النعمان ٦٢٨ - ٦٣٢ [٢] «

ولقد أورد جواد علي هذه الاسماء بتسلسلها أيضاً عزواً إلى حمزة الاصفهاني . وأضاف إلى ذلك قائمتين واحدة معزوة للمسعودي فيها عشرة أسماء وتنتهي عند إياس بن قبيصة مع قوله إن عـــدد ملوك الحيرة ٢٣ ومدتهم ٦٢٠ سنة ، وواحدة معزوة إلى اليعقوبي فيها اثنا عشر اسماً .

---

(١) تولى في الفترة بين ٦١٨ - ٦٢٨ ولاة من الفرس .
(٢) أكثر الرواة على أن هذا لم يحكم وإنما تسمي ملكا بالوراثة .

وفي الروايات العربية اختلاف في الاسماء وسني الحكم . وبعضها يقدم ويؤخر وبعضها يفضل اسماء أو يبدل أسماء بأسماء .

ومن العجيب أن يكون ذلك وأكثر المؤلفين العرب القدماء ينقلون عن ابن الكلبي . وهذا يقول إنه كان يستخرج أخبار وأنساب وأعمار سني حكم آل نصر من بيع الحيرة .

فإما أن يكون ابن الكلبي مجازفاً في كلامه وإما أن تكون الروايات التبست وتداخلت بسبب تأخر التدوين .

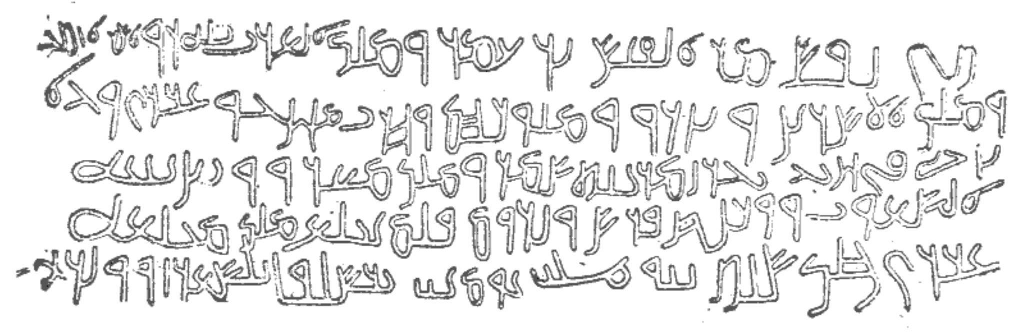
ولقد تولى الاربعة الذين هم من آل نصر وهم في القائمة أوس وعلقمة والحارث الكندي وأياس عرش الحيرة في ظروف غير عادية على ما يستفاد من الروايات . وكانت مدتهم قصيرة . وكان آل نصر يتمكنون من العودة إلى العرش عقب كل واحد منهم على ما سوف نورد بيانه بعد .

-٣-

موجز سيرة ملوك الحيرة وأحداث الدولة اللخمية

والكتب العربية ملأى كما قلنا قبل بأخبار هذه الدولة وملوكها مع ما في الروايات من تناقض وتعدد وتداخل .

ومما روته أن عمراً بن عدوي أول ملوك هو أول من اتخذ الحيرة عاصمة منفردة للدولة . وكان من سبقه من ملوك تنوخ يتخذون الحيرة حيناً وبقة حيناً عاصمة لهم، وأنه



النقش الذي وجد على حجر قبر امرىء القيس الذي عثر عليه في النمارة
نقلا عن الجزء الرابع من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

استطاع بما أبداه من نشاط وبذله من جهود أن يوطد سلطانه على جميع قبائل العراق .

وامرؤ القيس الاول الذي خلفه هو على الارجح صاحب حجر القبر الذي عثر عليه في خرائب النمارة في حوران والذي أوردنا نص نقشه في سياق النصوص والذي جاء فيه ما مؤداه بالفصحى التي كانت لغة النقش قريبة إليها « هذا قبر امرىءالقيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي حاز التاج وملك الاسديين ونزاراً وملوكهم وهزم مذحجاً بقوته وجاء إلى نزجي في صبح نجران مدينة شمر وملك معداً وأنزل بنيه في أرض الشعوب ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه في القوة وهلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ كانون الاول فليسعد الذي ولده حيث يدل محتوى النقش على ما كان من سيادة وسعة سلطان الدولة في عهد هذا الملك سعة كبيرة حتى شمل قبائل العرب في باديتي الشام والعراق والقسم الشمالي بل وبعض الاقسام الجنوبية أي منطقة نجران ـ من جزيرة العرب وخضعت له قبائل سعد وأسد ونزار ومذحج وربيعة ومضر. وجعل أبناءه ولاة أو حكاماً من قبله على أقسام البلاد والقبائل وكانت له صلات سياسية مع دولتي الفرس والروم . وقد يكون معنى جملة (وكله الرووم الفرس) أناطوا بهشؤون القبائل العربية التي في الشام والعراق أو اعترفوا بسلطانه عليهم . وسنة ٢٢٣ التي أرخ بها النقش هي على ما خمنه الأثريون نسبة إلى تقويض تاريخ دولة الأنباط سنة ١٠٥ ب . م وبعبارة ثانية يكون تاريخ النقش هو سنة ٣٢٨ب.م وهي السنة التي ذكرت الروايات وفاته فيها .

وقد علل الاثريون وجود حجر قبر هذا الملك في النماره باحتمال أنه جاء إلى حوران في مهمة ما وتوفي فيها فبني له قبر وكتب اسمه ومآثره على حجر القبر .

ولغة النقش دليل على أن كل ما روي من شعر ونثر جاهلي بلغة فصحى معزو إلى هذا الملك وما قبله من ملوك لخم وتنوخ أو إلى غيرهم وسواء أكانوا من سكان شمال الجزيرة أم جنوبها أم بلاد الشام وجزيرة الفرات والعراق مصنوع أو مبدل إلى الفصحى فيما بعد لان اللغة العربية لم تكن قد وصلت إلى دور الفصحى القرآنية التي جاء كثير من المنظوم والمنثور الذي يعزى إلى هذا الظرف أو قبله حينما كتب ولكنها تدل على أن اللغة العربية قد أخذت تقترب إلى هذا الدور .

ومما روته الروايات العربية أن هذا الملك هو أول من تنصر من آل نصر وأن زمنه مصادف لملك سابور كسرى الفرس الذي عرف بذي الاكتاف . ومع ذلك فإن هذه

الروايات لم تذكره في سياق الاحداث المروعة التي روت وقوعها بين سابور والعرب ، حيث روت أن بعض قبائل العرب انتجعت بلاد فارس فغضب عليها وقتل منها جماعات كثيرة قتلا مبرحاً .

وأسر منهم جماعات كثيرة أخرى أمراً عنيفاً . ثم قاد حملة سار بها نحو البحرين ثم اليمامة حتى وصل إلى يثرب . ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب بأرض الشام ففعل في جميع هذه البلاد ما فعله بالأولين من قتل وأسر عنيفين . ثم جنح إلى استصلاح العرب بعد أن تبين له صعوبة الاستمرار في خطة البطش والقسوة . وبعد قليل من هذا التنكيل نشبت الحرب بين الروم والفرس فانضم عرب الشام إلى جيوش الروم ثم انضم سائر العرب اليهم أيضاً حتى بلغ عدد العرب مئة وسبعين ألف مقاتل وزحفوا مع الروم على بلاد فارس وأوقعوا في جيوش سابور وقتلوا منها مقتلة عظيمة حتى اضطر سابور إلى الفرار ثم دخلوا مدينة طينسون عاصمته وهي التي تعرف في الكتب العربية بالمدائن ونهبوها [1] .

والتحفظ أولى ازاء هذه الاحداث التي لم يؤيدها أحد من الكتاب القدماء اليونانيين والرومانيين الذين رووا كثيراً من أحداث الشرق العربي وحروب الفرس والروم والعرب . مع التنبيه إلى أن من المحتمل أن يكون لها أصل. كأن يكون نشب قتال بين بعض القبائل الناجعة في العراق العجمي ـ الشمالي ـ وبعض الحاميات الفارسية جنحت فيه هذه الحاميات الى سبيل البطش الشديد وأن يكون بعض قبائل العرب في العراق وجزيرة الفرات قد انضمت إلى عرب الشام في زحفهم مع الرومان على الفرس لاخذ الثأر والانتقام .

ورواة العرب ينعتون عمراً الثاني الذي خلف امرأ القيس أباه بمسعر الحرب . ولكنهم لم يذكروا له احداثاً تفسر هذا النعت . وأم عمرو هي في بعض الروايات مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك الغساسنة . وكان لها قرطان ثمينان نادران كانا مضرب المثل في الأدب العربي .

ويأتي بعد هذا في السلسلة الاسماء ، أوس بن قلام وهو من غير اللخميين . ولم تذكر

---

(١) انظر جواد علي ج ٤ ص ٣٤ – ٣٥

الروايات العربية أسباب توليه . وقد تولى في زمن سابور . فمن المحتمل أن يكون ذلك بسبب ما كان من تمرد بعض عرب العراق وانضمامهم إلى جيوش الروم مع عرب الشام ضد الفرس . لقد ذكرت الروايات التي ذكرت قصة التنكيل ثم قصة الثأر أن سابوراً استرد عاصمته ثم تصالح مع يوسانوس الذي انتخبه الجيش الروماني ملكا على أثر مقتل اليانوس الذي قاد الحرب ضد الفرس • فمن المحتمل أن يكون سابور في هذا الظرف في موقف القوي فاستطاع أن يحول دون ولاية ابن عمرو وأن يولي قلاماً .

وقد نسب رواة العرب قلاماً إلى العماليق . وقال حمزه إنه اوس بن قلام بن بطينا بن جمهر بن لحيان العمليقي . وقال راو آخر إنه كان من أسرة تقيم في الحيرة من بني الحارث بن كعب . وهذا الكلام أوجه كما هو المتبادر . ولم تذكر الروايات أحداثاً له سوى أن حكمه دام ثلاث سنين ثم وثب عليه شاب لخمي اسمه جحجبا أو ما يقرب منه فقتله. وكان سابور قد توفي وخلفه ابنه بهرام فأعاد أو اضطر الى الموافقة على عودة آل نصر الى عرش الحيرة في شخص امرىء القيس الثاني بن عمرو الثاني . وننبه الى أن اليعقوبي والمسعودي لم يذكرا قلاماً في سلسلة ملوك الحيرة . وقد ذكر الاول أن الذي تولى بعد عمرو هو المنذر بن امرىء القيس وذكر الثاني أن الذي تولى بعد عمرو هو النعمان بن امرىء القيس.

ولم يذكر رواة العرب شيئاً هاماً عن الملك الذي تولى بعد قلام والذي هو امرؤ القيس في قائمة زيدان . غير أن جميعهم وصفوه بالمحرق لانه أخذ قوماً حاربوه فحرقهم .

وقد شغل النعمان الاول بن امرىء القيس الذي تولى بعد ابيه امرىء القيس حيزاً غير يسير في روايات الرواة . وقد نعته الرواة بالسائح وبالاعور وقالوا إنه غزا الشام مراراً وكان ضابطاً للملك وكان عندة كتيبتان على استعداد دائم للقتال واحدة تسمى الشهباء قوامها متطوعة من الفرس وثانية تسمى الدوسر قوامها من العرب . وإن الحيرة بلغت في عهده شأواً عظيماً عمراناً ونشاطاً وكثافة سكان . وإنـــه هو الذي بنى القصرين الشهيرين اللذين يضرب بهما المثل العربي القديم عظمة ورواء وهما الخورنق والسدير • وكان الاول في الحيرة والثاني في البادية مصيفاً . ومما روي عنه أنه استخدم في بناء الخورنق صانعاً رومياً اسمه سنمار فلما أتمه القاه من أعلى القصر لسبب تعددت الروايات فيـــه منها أن الملك استدرج سنمارا في الكلام حتى قال إنه يعرف لبنة في القصر اذا رفعت من مكانها انهدم ومنها أنه قتله لئلا يصنع قصراً شبيهاً به . وهناك مثل عربي جاهـــلي وهو « جزاه جزاء سنمار »

يفسره بعض الرواة بقصة الخورنق وقتل بانيه سنمار . ويضرب لمن يجازي بالشر شخصاً يستحق المكافأة . وقد عزي الى شعراء جاهليين أبيات بذلك مثل :

جزاني جزاه الله شر جزائه — جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
و : جزاء سنمار جزوها بـــه — وباللاة والعزى جزاء المكفر
و : جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر — وحسن فعل كما يجزى سنمار

ومن المحتمل أن يكون لقصة سنمار اصل ما او صلة ما ببناء الخورنق والملك النعمان كما أن من المحتمل أن يكون لسنمار هذا قصة أخرى وأن الصنعة والخيال لعبا دورهما في حبك صلتها بالخورنق وصاحبه .

ولقد سمي هذا الملك كما قلنا بالسائح . وقد ذكرت الروايات العربية كسبب لهذه التسمية أن الملك قال في نفسه وقد رأى عظمة ملكه : أي درك في هذا الذي ملكته اليوم ويملكه غداً غيري ، ثم ساقه تفكيره الى الزهد بالملك والسياحة في الارض . واشير الى هذا في قصيدة معزوة الى عدي بن زيد العبادي الشاعر النصراني الجاهلي أنشدها للنعمان الثالث فيها تذكير بأمجاد الملوك الغابرين وزوالهم مع ذلك وهذه هي :

أيهـــا الشامت المعير بالدهر — أأنت المبرّأ الموفور
أم لديك العهـــد الوثيق من — الايام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من — ذا عليـــه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك انوشروان — أم أين قبـــله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم — لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بنـــاه وإذ — دجلة تجبى اليـــه والخابور .
شاده مرمراً وجلله كلساً — فللطـــير في ذراه وكور
لم يهبـــه ريب المنون فباد — الملك عنـــه فبابه مهجور
وتـــدبر رب الخورنق إذ — أشرف يوماً وللهدى تفكير
سره مـــاله وكثرة ما يملك — والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبـــه وقال وما — غبطـــة حي الى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والنعمة — وارتهم هنـــاك قبور

ثم صاروا كأنهم ورق جف   فألوت بـه الصبا والدبور

والقصة والقصيدة تتحملان شكاً كبيراً بدون ريب. ومما يروى أن هذا النعمان تنصّر نتيجة لتبشير قديس اسمه سمعان العمودي وشفائه اياه من مرض ألم به .

ويسمى المنذر ابن النعمان الذي تولى بعدأبيه بالمنذر الاكبر . وهو من مشاهير ملوك الحيرة : ويقول رواة العرب أن الدولة وصلت في عهـده الى درجة عظيمة من القوة والسلطان ويروون قصة مفادها أن كسرى بردجرد ارسل ابنه بهرام جور الى هذا الملك ليتعلم عنده الرماية والفروسية والصيد ، وقد برع في كل ذلك بفضل عناية المنذر ؛ وأن زعماء الفرس أرادوا صرف الملك عنه حينما مات أبوه فاستنجد بالمنذر فسارع إلى نجدته ومكنه من تولي العرش . وقد كان للمنذر عند بردجرد ثم عند بهرام منزلة رفيعة . وكانوا يعترفون بسلطانه الشامل على جميع العرب . وقد حارب الروم إلى جانبهم أكثر من مرة . وكان الحظ يبسم له حيناً ويعبس حيناً في المعارك التي اشترك فيهـا . وقد بسم له مرة فتوغل في بلاد الشام حتى كاد يقضي على سلطان الروم فيها وحتى صار هؤلاء يسمونـه بالأسد العربي . ثم عبس له فغرق معظم جيشه في نهر الفرات . وقـد ذكر هذا الحادث مؤرخ روماني اسمه سقراط وقال إن عدد الذين غرقوا من جيشه بلغ زهاء مئة ألف . وكان ذلك حوالي سنة ٤٢١ ب م . ويلحظ أن تاريخ الوقعة سابق للتاريخ الذي يخمن أن المنذر اعتلى على العرش فيه على ما جاء في القائمة . ومن المحتمل ان يكون التباس في احد التاريخين . لان سقراط الذي رواها كان معاصراً وكانت وفاته سنة ٤٣٩ ب م .

والاسود الذي تولى بعد المنذر حارب الغساسنة وانتصر عليهم وأسر منهم في احدى الجولات ثم وقع في جولة أخرى أسيراً بيدهم فقتلوه . وهناك روايـة عربية تذكر مع ذلك أن الفرس هم الذين قتلوه دون ذكر سبب لذلك . ومما روته الروايات عنه غزوة له لبني ذبيان وبني أسد وايقاعه فيهم .

وقد جعل بعض الرواة اليوم المعروف بالوحرحان من أيام العرب في عهد الاسود هذا وبسبب اغتيال ابن له اسمه شرحبيل في سياق طويل مضطرب . وبعض الرواة يجعلون هذا اليوم في عهد أخيه النعمان أو المنذر على اختلاف الروايات . وقـد كان بسبب قتل زعيم من زعماء بني كلاب حيث تكونت جبهتان عظيمتان من القبائل اشترك أحد الملوك

الثلاثة على اختلاف الروايات مع احداها ضد الاخرى .

والروايات لم تكد تروي شيئاً من سيرة المنذر الثاني الذي تولى بعد الأسود . أما الذي تولى بعد هذا وهو النعمان الثاني فقد ذكرت أنه قضى أكثر مدته وهو يحارب في بلاد الشام وجزيرة الفرات الى جانب الفرس . وقد أصيب في النهاية في معركة وقعت بالقرب من قرقيسياء على الخابور بجرح كان فيه حتفه . واغتنم جماعة من ثعلبة حلفاء الروم الفرصة فأغاروا على الحيرة ونهبوها . وقد ذكرت كتب الروم القديمة معظم أخبار النعمان هذا .

ويظهر أن موت النعمان وغزو بني ثعلبة الحيرة ونهبها قد أدى الى ارتباك في الدولة وأنه لم يكن للنعمان أبناء أو اخوة قادرون على ضبط الملك حيث ذكرت الروايات أن الذي خلفه كان من غير ذوي قرباه وهو علقمة ابو يعفر . ولقد كان هذا من اللخميين حيث يكون المحتمل انه كان من الزعماء البارزين الذين تميزوا بالشجاعة والحزم فنودي به ملكا أو نائباً . وقد امتد ملكه أو نيابته ثلاث سنين دون أحداث هامة ثم تولى العرش امرؤ القيس الثالث بن النعمان الثاني في رواية والمنذر الثالث بن امرىء القيس في رواية أخرى .

والمنذر الثالث من مشاهير ملوك الحيرة ومن أكثرهم ذكراً في الروايات التاريخية والادبية العربية ومن أطولهم حكماً . ويعرف بابن ماء السماء نسبة لأمه كما ينعت بذي القرنين لضفيرتين كانتا له . وقد وصفت الروايات العربية عهده بأنه بلغ قمة المجد وأوج السعادة . وله ذكر غير يسير في الكتب القديمة غير العربية .

ومما ذكرته الكتب اليونانية عنه أنه غزا حدود بلاد الروم سنة ٥١٩ بم وأسر قائدين في جملة من أسر ، وأن قيصر الروم جوستنيان أرسل اليه وفداً مؤلفاً من ابراهام والد المؤرخ نوسوسوس وشمعون الارشامي وسرجيوس اسقف بيت رصافة لمفاوضته ، وقد نجح الوفد في مهمته فأطلق المنذر سراح القائدين ودخل في المدنة التي انعقدت بين الروم والفرس كما دخل فيها الغساسنة . ومما ترويه هذه الكتب أنه صادف وصول وفد ملك الروم الى المنذر وصول وفد ملك اليمن ذي نواس المشهور بتعذيب النصارى اليه ليحرضه على تعذيب نصارى مملكته ايضاً . وقد كان احتلال الاحباش لليمن وتغلبهم على ذي نواس في زمنه . وقد رجح جواد علي أن تكون مهمة الوفد اليمني كانت الاستنجاد

به وبالفرس حينما شعر بنيات الاحباش العدائية نحوه ومن ورائهـا الروم وهو يعرف ما بين الفرس والروم من عداء وما بـين الروم والاحباش من تجانس وصلات وثيقة . ولا يخلو القول من وجاهة . وفي هذه الحالة يكون كلام الكتاب الافرنج عن مهمة وفد ذي نواس من قبيل التحرص . ومع ذلك فان فكوة تحريض المنذر على النصارى ليست مستبعدة . فالمنافسات الدينية في ذلك الوقت كانت تشغل حيزاً هاماً من سياسة الدول وحركات الجماعات الدينية المتخالفة .

والمنذر الثالث هو الذي أرسل إلى أبرهة والى اليمن الحبشي الوفد الذي أوردنا خبره في فصل مملكة (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) في سياق خبر الوفود التي قدمت على هذا الوالي بعد ما كتبت الغلبة للاحباش على ذي نواس وبـدا من أبرهته شيء من التمرد على سيادة ملك الحبشة حيث أراد كل من الفرس والروم جذبـه اليهم وحيث اندمج كل من اللخميين والغساسنة في هذه الحركة تضامناً مع محالفيهم . وقد كان الاخفاق نصيب الحلف الفارسي اللخمي حيث ظل أبرهة في صف الحلف الرومي الحبشي ثم تقدم للتبسط في الجزيرة شمالا وكان من ذلك زحفه عـلى مكة الذي كان فيه هلاكه وهلاك جيشه

ومما ترويه المصادر اليونانيـة أن القيصر جوستنيان حاول إغراء المنذر وسلخه عن الفرس وجره الى حلفه وصفه : وشعر كسرى الفرس بذلك فاتخذها سبباً لنقض الهدنة فاستأنف الفرس والروم مصاولاتهم الحربيـة واندمج فيهـا المنذر الى جانب الفرس والحارث بن جبلة الغساني الى جانب الروم . وقد كان للمنذر نشاط كبير في سياق ذلك حيث هاجم بلاد الشام مرارا وأثخن فيها قتلا وأسرا ونهباً وغنائم . ولم يكن نشاطـه قاصرا على ما في نطاق سلطان الغساسنة بل كان يشمل مناطق أخرى من بلاد الشام . فقد وصل مرة الى انطاكية وأسر فيما اسره اربعمائة راهبة، وقدمهن ضحية للآلهة العزى على مازعمه مؤرخو السريان . ولقد ذكر ابن العبري خبر توغله في املاك الروم واستيلائه على ارضين واسعة شملت منطقة الخابوروالنصيبين وأسره الراهبات ولكنه لم يذكر حادث تضحيتهن . وهاجم مرة بلاد الشام الغربية وبلغ فينيقية وتوغل في لبنان . وحرض الروم الملك الغساني ومنحوه لقب الملك فكان منه نشاط مقابل وهاجم فيما هاجمـه جزيرة الفرات واطراف المملكة اللخمية .

ولقد عاد الروم والفرس فاتفقوا على التهادن ولكن المنـــذر والحارث لم يدخلا في الهدنة لان الاحقاد والثارات كانت قد تأصلت بـــين الطرفين فظلت المصاولات متلاحقة بينهما . وكان من صفحاتها ان المنذر أسر أحد أبناء الحارث وقدمه ضحية للاله العزى على ما ذكره المؤرخ بروقوبيوس ، ولقد ذكرت الكتب العربية صفحات هذه المصاولات أو بعضها غير أن فيما ذكرته كثيرا من الاختلاف والتناقض في الاسماء والنتائج والوقت مما يتعذر الخروج منه بحقيقة تبعث الطمأنينة . ولقد ذكرنا في مبحث الغساسنة انه كان من صفحات هذه المصاولات التي ذكرتها تلك الكتب يوم عين أباغ الذي دارت فيـــه الدائرة على المنذر وقتل فيه . وبعض الروايات تذكر ان المنذر لم يقتل في يوم عين أباغ وانما قتل في يوم حليمة . وبعضهـــا يجعل صاحب يوم حليمه عمروا بن المنذر الذي تولى الملك بعد أبيه وقد دارت الدائرة في هذا اليوم على اللخميين أيضاً على ما روته الروايات وأوردناه في ذلك المبحث كذلك .

ولقد انفصل المنذر الثالث عن عرشه ردحاً من الزمن ثم عاد اليه ثانية ،وكان صاحب العرش في الحيرة وصاحب السلطان على العرب في هذه الفترة الحارث بن عمرو الكندي . وكان سبب ذلك حسب الروايات العربية المضطربة المتناقضة في الوقت نفسه في الوقائع والنتائج والاسماء والزمن أن قباذ كسرى الفرس حاول حمل المنذر على اعتناق مذهب مزدك الاشتراكي الاباحي فأبى فأدى إبـــاؤه الى قطيعة وجفاء بين الملكين . واغتنم الحارث ملك كنده الذي كان ينافس المنذر في السيادة على عرب الشمال فتقرب من قباذ فأيده وسلطه على المنذر فرجحت كفته عليه واضطر هذا الى التواري الى أن مات قباذ وتولى انوشروان فقدم عليه فأكرمه وأعاده الى عرشه . وحينئذ انسحب الحارث فتتبعه المنذر وأخذ ينكل بأنصاره ويقتل رؤساء قومه وحلفائه ثم ظفر به فقتله على ما شرحناه في بحث المملكة الكندية في الفصل الثالث .

ويرى جواد علي أن ما كان من قوة وشدة ومطامح المنذر وما كان من محاولة إغراء جوستنيان له هو السبب او علي الاقل من الاسباب الجوهرية التي جعلت قباذ يتنكر للمنذر تحسباً للعواقب ويقوي الحارث الكندي عليه ولا يخلو هذا من وجاهة . ولقد ذكرت الروايات اليونانية القديمة ان الروم كانوا يدفعون في بعض الظروف للمنذر اتاوة مقابـــل سكوته وتوقفـــه عن مهاجمة حدودهم . وهذا ما يؤيد وجاهة ذلك الرأي كما هو

المتبادر .

ويبدو مما تقــدم أن العداء بين اللخميين والغسانيين قد تأصل نتيجة لتحريض الروم والفرس وإثارتهم فيهم روح المنافسة والمناظرة لضمان مآربهم . وقــد ظل ذلك قوياً متأججاً . وأدى إلى حروب متكررة أريقت فيها دماء العرب وكان بعض ملوك غسان ولخم من ضحاياها .

ومن القصص التي ذكرتها الروايات العربية عن المنذر أنـه كان له نديمان أمر بدفنهما حين في نشوة سكره فلما أفاق ندم وبنى عليهما صومعتين عرفتا بالغريين وكان يكثر من الاقامة عندهما حتى صارا من أحاديث العرب السائرة وأنه كان له يوم نعيم ويوم بؤس في السنة اذا قصده قاصد في أولها أعطاه مئة ناقة وإذا قصده قاصد في ثانيهما أمر بذبحه وطلاء الغريبين بدمه؛ وانه قصده قاصد في يوم بؤسه ولم يكن يعلم فأمر بذبحه فاستمهله سنة فطلب كفيلا فاستغاث برجل من رجال المنذر اسمه شريك بن عمرو فكفله فلما انتهت السنة وتأخر قدم الغريم في آخر أيامها أمر المنذر بقتل الكفيل وقبل التنفيذ وصل الغريم فسأله عن سبب وفائه وقد أفلت فقال له ديني يأمرني بذلك وكان نصرانياً فأثار بذلك عجب الملك وعفا عنه وتنصر وابطل يومي البؤس والنعيم . وقد أوردت الروايات العربية القصة في سياق أدبي طويل تبدو عليه آثار الصنعة بقوة . وتقول الروايات ان تنصر المنذر استتبع تنصر كثير من عرب العراق مع أن النصرانية كانت فاشية بمقياس غير ضيق في هؤلاء قبل المنذر مما يقوي أسباب التوقف في صحة هذه الروايات .

وقد كان عمرو بن هند الذي تولى بعد هذا المنذر من مشاهير ملوك لخم ايضاً ، وقـد أكثرت الروايات العربية من ذكره كأبيه . وهند هي أمه . ويظهر أنها كانت ذات شهرة ما حتى نسب اليها . وهي التي بنت دير الحيرة المعروف باسمها ونقشت عليه اسمها واسم ابنها . وهو النقش الذي اوردنا نصه في مبحث النصوص والذي هو النص الطويل نوعاً ما الذي كتب بلغة عربية فصحى .

ومما قاله عنه الرواة إن الحيرة كانت في أيامه موئل الشعراء ولم تكن مجالسه لتخلو من منافسات الشعراء فيما بينهم ونقد بعضهم لبعض . وكان سريع الانفعال كثير الزهو والخيلاء شديد البطش والهيبة . وهو صاحب يوم حليمة عــلى ما روته بعض الروايات

حيث قاد جموعه وسارع الى الاشتباك مع جموع الغساسنة بقيادة الحارث بن جبلة انتقاماً ليوم أباغ الذي قتل فيه أبوه . وقد دارت الدائرة في هذا اليوم عليه أيضاً .

ومما يروى عنه بأسلوب تبرز عليه الصنعة أنه استاء من شاعر اسمه المتلمس وآخر اسمه طرفة بن العبد وهو من أصحاب المعلقات فكتب لكل منهما رقعة إلى عامله في البحرين ليجيزهما بجائزة كما قال لهما . وفي الطريق أقرأ المتلمس رقعته لغلام قارىء فإذا فيها أمر بقتله فالقى بها في الماء وانصرف عن الرحلة . وصارت رقعته مضرب المثل لمن يحمل أمر قتله بيده . أما طرفه فإنه قال ان الملك لا يمكن أن يكون قد أمر بقتله واستنكف عن إقراء رقعته واستمر في رحلته وسلم الرقعة لعامل البحرين فكان فيها حتفه .

ويستفاد من الروايات أن سلطان الدولة في زمنه كان يصل الى عمـــان والبحرين جنوباً لشرق والى الملح في اليمامـــة جنوباً لغرب ، وكان يشمل جزيرة الفرات شمالا لغرب .

وقد نسبت اليه جملة غزوات للقبائل . منها غزة لتغلب بسبب امتناعهم عن نصرتـه على أخذ ثأر أبيه من الغساسنة فشفى غليله منهم . ومنها غزوة لبني دارم انتقاماً لاخ له اسمه سعد قتلوه فقتل منهم مئة وألقى بجثثهم في النار فسمي مذ ذاك بالمحرق .

ومما ذكرته الروايات أنه هو الذي أصلح بين بني بكر وتغلب الذين امتدت الحرب بينهم أربعين سنة . وهي الحرب المشهورة بحرب البسوس وقد ذكرناها في سياق أيام العرب . وقد أخذ من كل من الفريقين مئة غلام من اشرافهم رهائن فكانوا يصحبونه في السلم والحرب ، وننبه الى أن من الروايات ما يذكر ان الاصلاح بين القبيلتين تم على يد الحارث بن حجر الكندي وقـــد ذكرنا ذلك في سياق أيام العرب وفي سياق بحث المملكة الكندية .

ومما ذكرته الروايات اليونانية من أحداثه غارته على بلاد الشام سنة ٥٦٣ ب م ثم غارات أخيه قابوس في زمنه وبأمره عليها سنتي ٥٦٧ و ٥٦٨ ب م .

وكان سبب هذه الغارات على ما ذكرته الروايات أن الروم كانوا يدفعون لابيه أتاوة لاسكاته عن مهاجمة حدودهم ، وانعقد بين الفرس والروم هدنة فتوقفوا عن دفعها فطالبهم

بها فأرسلوا رسلا الى ملك الفرس ليقنع عمرواً بعدم حقه فيها فلم يقنع وأرسل رسولا من قبله الى القسطنطينية للمطالبة بها فقوبل مقابلة سيئة فثار غضبه وأخذ يهاجم بلاد الشام ٠ ولم تذكر الروايات نتائج هذه الغارات .

وقد هلك عمرو قتلا بيد عمرو بن كلثوم الشاعر الفارس التغلبي الجاهلي المشهور على ما ذكرته الروايات العربية في خبر طويل تبرز عليه الصنعة بقوة حيث سأل جلساءه يوماً وقد بلغ الزهو منه أبلغ درجة عما اذا كانوا يعرفون أحدا من العرب تأنف أمه من خدمة أمه فقالوا لا نعرف الا اذا كانت ليلى أم عمرو لان اباها مهلهل بن ربيعة وعمها كليب بن وائل وهما اعز العرب وبعلها كلثوم فارس العرب وابنها عمرو سيد تغلب فعزم على اذلالها وارسل الى عمرو بن كلثوم يستزيره مع امه فلما لبيا الدعوة ادخل الام على امه وطلب منها تخديمها. فسألتها ان تناولها طبقاً فقالت لها لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فألحت عليها ام الملك فغضبت ونادت واذلاه بالتغلب فسمع ابنها هتافها فهاج واستل سيفاً للملك كان معلقاً بسارية السرادق وضرب به الملك فقتله ثم انتهب هو وجماعته مخيم الملك وتوغلوا في الصحراء .

وفي المعلقة المنسوبة الى عمرو بن كلثوم هذه الابيات التي يمكن ان يكون فيها اشارة ما الى الحادث :

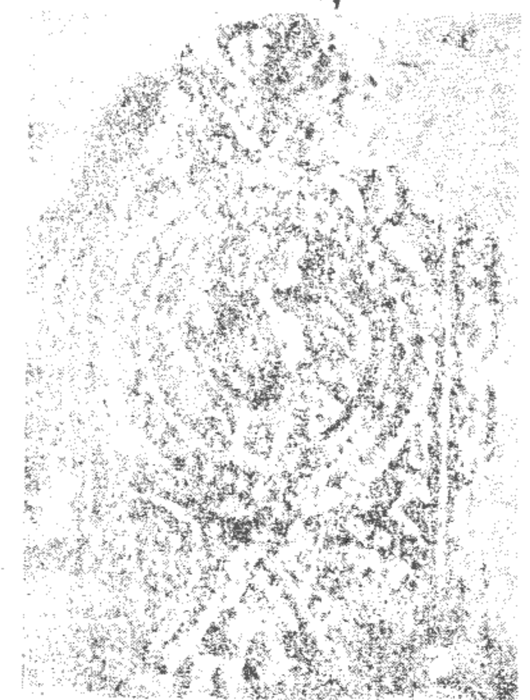
اذا ما الملك سام الناس خسفاً ... أبينا أن نقر الخسف فينا
ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ولقد فاخر شاعر تغلبي في الاسلام بما فعله عمرو فقال هذه الابيات :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا ... لتخدم ليلى امه بموفق
فقام ابن كلثوم الى السيف معتلنا ... وأمسك من ندماته بالمخنق
وجلله عمرو على الرأس ضربة ... بذي شطب صافي الحديدة رونق

وقد يخيل للمرء ان هذا الشاعر لم ينظم هذه الابيات مفاخراً لو لم تكن القصة متداولة منذ أيام الجاهلية .

ولقد وصف بعض الرواة قابوساً الذي خلف عمروا بالضعف واللـين ونعتوه بنعت قينة العرس وقال بعضهم انه لم يملك مع ان هناك روايات عربية تذكر ان اخاه عمروا فوض اليه امور الدولة المهمة في حياته وكان يسيره على رأس الحملات التي كان يوجهها على بلاد الشام ومع ان هناك روايات عربية ويونانية تذكر عنه اخبارا تدل على انه كان ذا



من آثار الحيرة نقلا عن الجزء الرابع من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

نشاط وحيوية . ولقد تكررت على ما جاء في هذه الروايات غاراتـــه على تخوم الروم وبلاد الشام . وفي احداها استولى من الغساسنة على غنائم كثيرة فلحق بـــه المنذر بن الحارث الملك الغساني على رأس جموعه وتغلب عليه واخذ منه كثيرا من الاموال والابل وكان ذلك سنة ٥٧٠ ب م ولقد اغتنم فرصة القطيعة التي قامت بين الروم والمنذر الغساني والتي ذكرناها في مبحث الدولة الغسانية فأخذ يغير على حدود الروم والشام طيلة ثلاث سنين ٥٧٥ ــ ٥٧٨ ووصلت سراياه الى انطاكية ، فكان ذلك مما حمل الروم على مراضاة المنذر الذي جمع جموعه حينئذ وقام في سنة ٥٧٨ بهجوم صاعق على الحيرة فأحرق وقتل ونهب وسبى واطلق من في سجونها من أسرى الروم .

ولم تكد الروايات تذكر شيئاً هاماً عن المنذر الرابع الذي تولى بعد قابوس . اما ابنه النعمان الثالث الذي اشتهر بكنيته إلى قابوس فكان من مشاهير الملوك اللخميين

وأكثرهم بروزاً . وقد رويت عنه قصص وأخبار كثيرة تبرز عليها الضنعة ولكنها لا تخلو على الأرجح من حقائق تاريخية أيضاً .

ولقد كان له اخوة عديدون فتولى العرش دونهم . ومما ذكرته الروايات في صددذلك أنه كان لكسرى ابرويز مستشار عربي اسمه عدي بن زيد العبادي فاستشاره فيمن يخلف المنذر من أبنائه وكان هواه مع النعمان فأشار عليه بإستدعاء الاخوة واختبارهم . وعلم النعمان جواباً جعل كسرى يرجحه ويملكه ويلبسه تاجاً ذهبياً مرصعاً باللؤلؤ في خبر طويل يبرز عليه الصنعة .

ويصفه الرواة بالشجاعـــة والكرم ويقولون إن الدولة في أيامه بلغت منتهى الترف والرخاء وان الحيرة بلغت ذروة رقيها وعمرانها وانه كان يأ كل ويشرب بأواني الذهب والفضة . وكان يقصده الشعراء فيبالغ في إكرامهم .

وكان الشاعر المشهور النابغة الذبياني شاعره الخاص مدة طويلة . وله فيه قصائـــد رائعة . وممن روي وفودهم عليه حسان بن ثابت الشاعر الخزرجي المخضرم وحاتم الطائي الشاعر الجواد المشهور والمنخل اليشكري الذي حسد النابغة على مكانته من أبي قابوس فأوغر صدره عليه حتى هم بقتله فهرب منه ثم اعتذر له بقصيدة رائعة في خبر طويل شائق تبرز الصنعة عليه .

وكان يأمر بتدوين القصائد البليغة في القراطيس وحفظها في خزائن خاصة ويجيز عليها بالجوائز السنية .

وقد ذكرت الروايات الكنيسية القديمة انه كان يتعبد للعزى ويذبح للأوثان ثم تنصر بسبب شفائه من صرعة ألمت به على يد أسقف الحـــيرة شمعون بن جابر وتبعه أولاده بالتنصر .

وهناك رواية عربية تذكر ان تنصره كان بتأثير عدي بن زيد العبادي حيث خرجا معاً يوماً فوقفا علي بعض المقابر فقال عدي وكان نصرانياً أتدري أبيت اللعن ما تقول هذه المقابر قال وما تقول قال انها تقول :

أيهـــا الركب المخبونا   عـــلى الأرض المجدونا

كما أنتم كذا كنـــا   كما نحـــن تكونونا

وتقول :

رب ركب قد أناخوا حولنا ... يشربون الخمر بالماء الزلال

عصف الدهر بهم فانقلبوا ... وكذاك الدهر حالا بعد حال

فتأثر وتنصر . ومن الرواة من ينسب قصة الغريين الى هذا الملك . وهي القصة التي التي نسبها فريق من الرواه إلى المنذر الثالث وأوردنا خلاصتها قبل قليل .

وإلى هذا الملك ينسب دير اللج الذي لم يكن في ديارات الحيرة أحسن منه بناء وأنزه موضعاً . ومن المنشآت التي تنسب اليه مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى التي ما تزال آثارها باقية إلى اليوم .

ومن الاحداث التي ذكرت له غزوته لقَرقيسياء على حدود الروم . وقد حرض الروم الغساسنة فأغاروا بالمقابلة على الحيرة ونهبوها في ظرف كان النعمان متغيباً عنها في أنحاء البحرين . كذلك مما ذكر عنه أنه كان من عادته ارسال لطيمة – قافلة تجارية الى عكاظ في كل سنة لتباع في سوقها فتعرض لها في إحدى السنين بنو عامر بن صعصعة ونهبوها فسير عليهم حملة عرفت في أيام العرب باسم يوم السلان ودارت الدائرة فيه على حملته . وقد تعرضت قافلته في سنة أخرى للنهب أيضاً من قبل مغامر من بني ضمرة اسمه البراض مما كان سبباً ليوم الفجار الثالث من أيام العرب ذكرناه في سياق ذكر بعض هذه الأيام في مبحث سابق .

كذلك مما ذكرته الروايات انه كان في مجلس ملوك الحيرة منصب اسمه الردافة يجلس فيه صاحبه على يمين الملك . وكان المنصب لزعماء بني يربوع يتوارثونه ابن بعد أب . فطلب حاجب بن زرارة التيمي الدارمي احد زعماء العرب المشهورين من النعمان تحويل المنصب الى زعماء قبيلته فراود النعمان بني يربوع فرفضوا وغضبوا وأدى الأمر الى الحرب بينهم وبينه في يوم عرف بيوم الطفخة دارت الدائرة فيه على جيش النعمان ووقع ولداه قابوس وحسان اللذان كانا مع الجيش في الأمر مما جعل النعمان يرسل اليهم فيسترضيهم ويثبتهم في مركزهم ويعطيهم ألفي جمل فدية عن ولديه .

وقد كان هلاك النعمان قتلا في سجن كسرى ابرويز أورد الرواة قصته في خبر طويل مضطرب فيه صنعة وقد لا يخلو مع ذلك من حقيقة . وخلاصته ان غريماً لعدي بن زيد الذي ساعد النعمان على ولاية العرش اسمه عدي بن مارينا كان له هوى مع أخ آخر للنعمان

اسمه الاسود فحنق على عدي بن زيد لترجيح كفة النعمان عليه وأخذ يدس له عند النعمان ويثير ريبته فيه حتى تغير قلبه عليه فطلب منه أن يزوره فلما فعل سجنه ثم قتله . ثم ندم على ما فعل وأراد أن يكفر عن عمله فقرب ابناً لعدي اسمه زيد وحباه وأرسله إلى كسرى ووصاه به وأخبر كسرى بموت أبيه فجعله مكانه . وعلم الابن بما كان من أمر أبيه فأخذ يدبر المكائد للنعمان ليثأر له ونجح في ذلك حتى جعل كسرى يغضب على النعمان ، لأنه قيل له إن النعمان يأنف من مصاهرته ، وقد استدعاه الى عاصمته ثم ألقى به في السجن ثم قتله - كما فعل هو بعدي - ثم اعتقل معظم أبنائه وقتلهم .

ولقد تمرد العرب بعد قتل النعمان وأخذوا يعيثون فساداً في القطاعات الفارسية وغيرها فأرسل كسرى قائداً فارسياً ليحكم الحيرة ويقمع حركة العرب فأخفق فأرسل قائداً آخر فأخفق أيضاً فلم ير بداً من تولية عربي فولى إياساً بن قبيصة الطائي الذي ذكرت الروايات أنه كان من المقربين عنده وانه كان ساعده حينما فر من وجه الملك الذي سبقه والذي كان يريد قتله ثم عاونه في نزاعه مع الروم . وأقام إلى جانبه مع ذلك مندوباً فارسياً اسمه الهمرجان أو البحرجان ووهبه ثلاثين قرية على شاطىء الفرات .

ولقد كان من نتائج قتل النعمان يوم مشهور من أيام العرب وهو يوم ذي قار - والمكان بين الكوفة وواسط - ولقد ذكرت الروايات العربية ان النعمان كان أودع سلاحه وماله وذخائره عند هانيء بن مسعود زعيم قبيلة بني شيبان حينما أحس بنية الغدر من كسرى فطالب هذا هانئاً بما لديه فأبى فأمر إياساً بن قبيصة بإرغامه على التسليم . وقاد هذا حملة مؤلفة من الفرس والعرب وجمع هانيء قومه وأنصاره واشتبك مع الحملة في معركة حامية في ذي قار فكانت الغلبة فيها لهانيء وجموعه وفر اياس ومن معه من كتائب العرب والفرس . وكانت الوقعة في السنة الثالثة من البعثة . وكان لها دوي عظيم حتى لقد روي ان النبي عليه السلام قال حينما بلغه خبرها « هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي انتصروا »

ومع ما يظهر على القصة التي جاءت في الكتب طويلة وأوجزناها بما تقدم من صنعة فاننا نرجح انها انطوت على حقيقة تاريخية . لأن ذكرى الواقعة ظلت تتداول بين العرب في القرون الاسلامية الأولى ، وذكرها أكثر مؤلفي العرب الاسلاميين القدماء .

ولقد ذكرت بعض الروايات ان كسرى اقام بعد اياس على الحيرة ولاة من الفرس

الفرس سمت أحدهم أو آخرهم وهو (آزادبه) الذي اصطدم به خالد بن الوليد رضي الله عنه حينما زحف على العراق بعد حروب الردة في اليمامة على ما سوف نشرحه في الجزء التالي .

على ان هناك رواية تذكر اسم ملك لخمي وهو النعمان الخامس الذي ينعت بالمغرور ، وتقول انه تولى الملك بعد خلع ابرويز نتيجة للفتن الناشبة في بلاد الفرس كما ان هناك رواية تقول ان هذا النعمان لم يباشر الملك فعلا وانما سمي ملكاً كحق ورائي ليس غير وكان آخر من تسمى بذلك من اللخميين . ولقد ذكرت كتب التاريخ هذا النعمان باسمه ونعته وما كان من نشاطه وتآمره مع بعض زعماء البحرين ضد السلطان الاسلامي في ظروف الردة على ما سوف نشرحه في الجزء التالي مما يمكن أن يكون فيه تأييد ما لممارسته الملك [1] .

-٣-

الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية

في الدولة اللخمية

ان ما قلناه في صدد الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مبحث الدولة الغسانية يمكن ان يقال هنا بتمامه . فليس هناك ما يساعد على زيادة بيان عن هذه الحالة في الدولة اللخمية عدا ما أوردناه في سياق سيرة ملوكها وأحداثها .

ولقد كان معظم أهل هذه الدولة من العرب الصرحاء الذين أخذوا يهاجرون من شمال الجزيرة وجنوبها قبل الميلاد المسيحي واستمروا على ذلك بعده إلى البعثة النبوية .

ولقد كان التواصل وظل قوياً بينهم وبين شمال الجزيرة وبخاصة مناطق البحرين والسماوة واليمامة ونجد حيث يسوغ هذا وذاك أن يقال ان ما ذكرناه في الفصل السابق من حالات اقتصادية واجتماعية وثقافية في شمال الجزيرة ينسحب على أهل هذه الدولة من حضر وبدو كذلك . ولما كان أهل هذه الدولة على صلة مباشرة بالفرس وبأهل العراق

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٢٠ وبعدها

من ناحية وبالروم الذين كانوا أصحاب السلطان في بلاد الشام وبأهل الشام القدماءوجميعهم كانوا أكثر تقدماً من شمال الجزيرة في تلك الحالات فان من الممكن أن يقال ان هــذه الحالات في هذه الدولة كانت أحسن منها في شمال الجزيرة ومماثلة لما كانت عليه في الدولة الغسانية .

أما الحالة الدينية فقد كانت في أول الامر كما كانت عليه في جنوب جزيرة العرب أي معبودات سماوية بأسماء متنوعة ومعبودات حامية محلية وتماثيل مادية كرموز لها توضع في المعابد لتقام عندها الطقوس وتقدم لها القرابين مع ملاحظة رب أعلى واعتبار هــذه المعبودات مساعدين لديه . ومن أسماء المعبودات التي ذكرتها الروايات الــلاة والعزى وسيد والضيزن في العراق العربي والمحرق لبكر بن وائل وتيم لبني تميم ووال لتغلب وعوض لبكر بن وائل في جزيرة الفرات .

ولقد تأثر بعض سكان الدولة بالديانة الفارسية المجوسية وعبدوا النار وظلوا على ذلك الى أن حل الاسلام محلها . وتأثروا كذلك بالنصرانية ثم أخذ نطاقها يتسع في القرن الرابع وما بعده ودان بها ملوك الدولة أو كثير منهم حتى كادت تصبح دين الدولة أو أصبحت فعلا كما كان شأنها في الدولة الغسانية مع احتفاظ بعض القبائل بالشرك والوثنية أيضاً كما كان شأن بعض قبائل الدولة الغسانية على ما يستفاد من الروايات العربية [١] إلى أن زالت بعد الفتح الاسلامي .

ولقد غدت الحيرة من المراكز المهمة في حركة التبشير النصراني . ومنها ذهب بعض المبشرين الى اليمن وانحاء الجزيرة الاخرى . وفيها انعقد أحد المجامع الكنيسية المعروف بمجمع داد يشوع سنة ٤٢٤ ب م . ولقد ذكرت المؤلفات الكنيسية القديمة عدداً مــن أساقفة الحيرة منهم هوشع في أوائل القرن الخــامس وقد شهد مجمعاً كنسياً عقــد سنة ٤١٠ ب م ووقع قراراتــه باسم « اسقف حيرتا » ومنهم شمعون وكان يسمى أسقف العرب وكان حوالي سنة ٤٢٤ ومنهم شمعون حوالي سنة ٤٨٦ والياس حوالي سنة ٤٩٧ ويوسف حوالي سنة ٥٨٥ ب م .

وكان المذهب السائد في هذه الدولة المذهب النسطوري ثم المذهب اليعقوبي والمذهبان متقاربان بعض الشيء على ما شرحناه في الجزء السابق في عقيدة طبيعة المسيح الوحيدة

---

(١) انظر جواد علي ج ٥ ص ١٠١ وبعدها

المتحدة أو الممتزجة باللاهوت والناسوت وعدم مساواته للأب مساواة كاملة . وكان الى ذلك فريق يعتنق المذهب الملكاني الرومي القائل بثنائية طبيعة المسيح .

وكما أنشأ ملوك الدولة الغسانية ورجالها البارزون كثيراً من الأديرة أنشأ أمثالهم في الدولة اللخمية كثيراً منها أيضاً تبعاً لانتشار النصرانية فيها . وكانت هذه بدورها في أماكن نزهة كما كانت ترحب بالرواد والمسافرين الذين كانوا يجدون فيها القرى والبشاشة والمتعة والخمور المعتقة . وقد نوه الشعراء بما كانوا يلقونه من ذلك في مقطعات شعرية عديدة أكثرها اسلامي الزمن ويعزى بعضها الى شعراء جاهليين : ومنها ما نظمه شعراء القرون الاسلامية الاولى روتها الكتب العربية في سياق ما روته من أسماء الأديرة .

من ذلك في دير علقمة ويعزى الى عدي بن زيد العبادي الشاعر النصراني الجاهلي :

نادمت في الدير بني علقما	عاطيتهم مشموله عندما
كأن ريح المسك من كأسها	اذا مزجناها بماء السما
علقم ما بالك لم تأتنا	اما اشتهيت اليوم ان تنعما
من سره العيش ولذاته	فليجعل الروح له سلما [1]

ومن ذلك في دير هند الصغرى الذي أنشأته هند بنت النعمان الثالث لشاعر لم يذكر اسمه [2] :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة	لدى دير هند والحبيب قريب
فنقضي لبانات ونلقى أحبة	ويورق غصن للسرور رطيب

ومن ذلك ما يعزى للشاعر العباسي المشهور ابي نواس في دير الرصافة [3] :

ليس كالدير بالرصافة دير	فيه ما تشتهي النفوس وتهوى
بت ليلة فقضيت أوطاراً	ويوماً ملأت قطريه لهوا

ومن ذلك ما يعزى للشاعر العباسي ابي العيناء في دير باشهرا [4] :

نزلنا دير باشهر	على قسيسه ظهرا

---

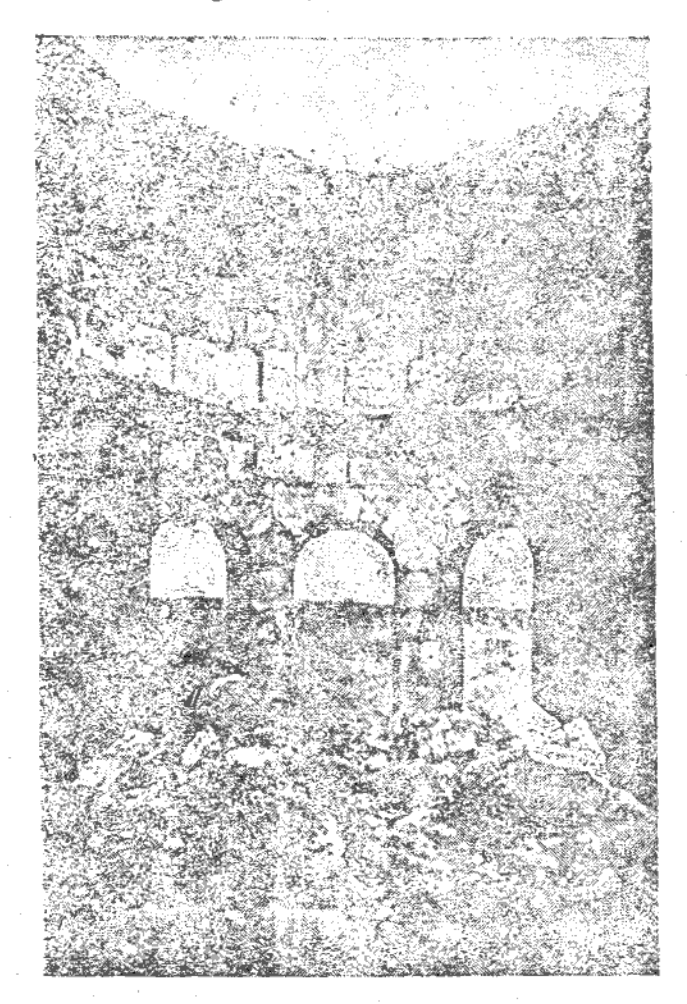
(١) انظر مادة دير واسم دير علقمة في معجم البلدان لياقوت

(٢) المصدر السابك نفسه

(٣و٤) انظر ايضاً كتاب ملوك الحيرة لعلي ظريف الاعظمي

عـلى دين يسوعي	فمـا أسنى وما أمرا
فأولى من جميل الفعل	ما يستعبد الحرا
وسقانا وروانا	من الصافية العـذرا
فطار الوقت في الدير	ورابطنا بـه عشرا

وقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان كثيراً مـن الاديار التي كانت في العراق وجزيرة الفرات والتي تلمح على أسمائها لمحة القدم . ويرجح انها او ان اكثرها من منشآت



بقايا معبد الرصافة
نقلا عن الجزء السادس من تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

الدولة اللخمية مثل دير الابلق بالاهواز ودير ايبون بين جزيرة ابن عمر وقرية ثمانين ودير ابن براق بظاهر الحيرة ودير ابن وضاح بنواحي الحيرة ودير الأبيض المطل على الرها ودير اسحق بين حمص وسلمية ودير الاسكون بالحيرة والدير الاعلى بالموصل ودير الأعور بظاهر الكوفة ودير المن بالقرب من الجودي ودير باغوث على شاطىء دجلة ودير بالما بين الموصل وتكريت ودير باشهر بين سامرا وبعدا ودير بانخال في أعلى الموصل ودير بني مرينا بظاهر الحيرة ودير الثعالب بقرب بغداد ودير الحب شرق الموصل ودير الجرعة بالحيرة ودير الجماجم بظاهر الكوفة ودير حافر بين حلب وبالس ودير الحويق بالحيرة ودير حشبان بنواحي حلب ودير حميم بالاهواز ودير حنظلة بقرب الفرات ودير حنة بالحيرة ودير الخصيب قرب بابل ودير الخنافس غربي دجلة ودير الدهوار بنواحي البصرة ودير دينار في جزيرة الفرات ودير الرصافة ودير الزرنوق بين دجلة وجزيرة ابن عمر ودير سابا قرب الموصل ودير سليمان قرب دلوك ودير العاقول بين المدائن والنعمانية ودير عتبة المسيح بالحيرة ودير العذارى بين الموصل وباجرمى الخ . وقد استغرق ذكر الأديار ستاً وخمسين صفحة ووصف كثير منها بالنزاهة والضخامة وأورد في عدد غير قليل منها مانظمه الشعراء الاسلاميون في القرون الاسلامية الاولى من شعر مماثل للمقطعات التي أوردناها .

ونقول هنا ما قلناه في سياق سيرة الدولة الغسانية ان هذا كان على الارجح امتداداً لما كانت عليه الحالة قبل الاسلام وان فيه ظاهرة من مظاهر الحياة الاجتماعية والعمرانية والدينية في الدولة اللخمية .

ولقد ظل أمر النصرانية في حواضر الدولة اللخمية وبواديها على هذا الى البعثة النبوية وحركة الفتح وبعدها فأخذ الاسلام يحل محلها . وشاء بعض اهلها ان يحتفظوا بنصرانيتهم فأقرهم ولاة المسلمين على ذلك وظلوا على هذا أمداً ومنهم من ظل على ذلك الى اليوم الى جانب الاسلام الذي انضوت كثرة اهل الدولة الساحقة الى لوائه مما صار دليلا رائعاً وحاسماً على ان السلطان الاسلامي سار وفق تعاليم القرآن ازاء حرية التدين .

- ٤ -

مدى سلطان الدولة اللخمية

يبدو من سيرة الملوك اللخميين وحياتهم انهم كانوا يتمتعون باستقلال وسيادة في المناطق والقبائل والمدن التي كانت تحت سلطانهم وحكمهم وانهم كانوا يعينون العمال ويجبون الضرائب فيها لحسابهم وان صلتهم بملوك الفرس كانت صلة محالفة ومنافع متقابلة في أكثر الاحيان أكثر منها صلة خاضع تابع أو عامل وان كان يستفاد من ثنايا الروايات أيضاً ان ملوك الفرس كانوا يتمكنون أحياناً من بسط سلطانهم على الدولة اللخمية وملوكها ويتدخلون فيها عزلا ونصباً في ظروف ترتبك فيها حالة الدولة بسبب انكسار حربي او تنافس على العرش .

ولقد كانت القبائل البدوية التي كانت تغدو وتروح بين جزيرة العرب واطراف العراق وجزيرة الفرات تزعج المدن والقرى بغاراتها فلم يكن لملوك الفرس بد حينما كان يشتد التنافس والعداء بينهم وبين الروم او حينما تنشب في بلادهم فتن تنافسية وهذا وذاك مما كان يكثر كثيراً من مصانعة ملوك الحيرة واغداق المنح عليهم واقرار سلطانهم وسيادتهم في مناطق دولتهم الحضرية والبدوية . وقد كانوا الى هذا يحتاجون اليهم في نزاعهم مع الروم فكان هذا يجعلهم يسيرون معهم على هذه الخطة في أغلب الاحيان .

ولقد نوه كتاب اليونان والرومان القدماء بشدة حب العرب للحرية ومقاومتهم للسيطرة وانفتهم من الخضوع والخنوع وقالوا انهم الشعب الوحيد من بين الشعوب الآسيوية الذي لم يخضع لحكم الفرس ولم يتمكن الفرس من ارغامهم فكانوا يعاملونهم معاملة اصدقاء حلفاء وجنوا من ذلك فوائد عظيمة وسهل عليهم به فتح مصر ولو كان العرب حرباً على الفرس لما تمكنوا من ذلك قط [١] .

وقد تكون هذه الشهادة العيانية والاختبارية عائدة إلى زمن أقدم من زمن بروز الدولة اللخميه ولكنها تصدق فيما نعتقد على هذا الزمن ايضاً لأن هؤلاء هم أحفاد وأنسال

---

(١) جواد علي ج ١ ص ٣٧٠

أولئك ولأن الموقف كان مشابهاً من حيث كان موقف نزاع وتشاد بين الفرس والرومان امتداداً لما كان من مثل ذلك بين الفرس واليونان. وقد امتد هذا الموقف إلى البعثة النبوية فكانت حاجة الفرس مستمرة اليهم وكانت مصانعتهم لهم وعدم اثارتهم مما توجبه هذه الحاجة بدون ريب .

على أن من الحق أن نذكر أن الروايات تفيد أن وطأة السيطرة الفوسية قد اشتدت في أواخر عهد هذه الدولة فكان من مظاهر ذلــك قتل كسرى ابرويز النعمان الثالث ونصبه إياساً بن قبيصة الطائي والياً على الحيرة . وقد يدل هذا على أن عصبية اللخميين وهنت في أواخر عهدهم فرأى إياس في نفسه الجرأة على الحلول محلهم . ومنذئذ ظل سلطان الفرس هو النافذ على بلاد الدولة اللخمية إلى أن حررتها موجة الفتح العربية الكبرى تحت راية الاسلام بعد قليل من وفاة النبي عليه السلام .

ونذكر مع ذلك بما أوردناه قبل من ان ملوك الفرس حاولوا حكم بلاد الدولة اللخمية من قبل حكام أو قواد من الفرس فأخفقوا فاضطروا الى نصب اياس العربي مداراة للعرب وبيوم ذى قار الذي انتصف فيه العرب من العجم والذي كان نتيجة لاباء العرب وأنفتهم مما فيه تأييد لما قلناه .

ولقد أخذت حواضر العراق وجزيرة الفرات وبواديها تمتلىء بالعرب الصرحــاء منذ القرن الأول بعد الميلاد وأخذت أنسال الموجات العربية القديمه مــن كلدانية وآرامية وعمورية وآشورية فيها تتأثر بهم وتنسبك بوتقتهم ويغدو طابع العروبة الصريحة طابعاً لها واللغة العربية الصريحة لغة لها على ما تفيده روايات السيرة والفتح العربي [١] حتى إذا تم هذا الفتح وتوطد سلطان العرب من جديد على هذه البلاد صارت اللغة العربية الفصحى والصبغة العربية الصريحة لغتها وصبغتها الشاملتين الخالدتين المقدستين .

---

(٢) انظر طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٥-٢٧ و ٤٨ و ٧٩-٨٢ وتاريخ الطبري ج ٢ ص١٩، -٥٢٢ و ٥٥١-٥٧٨

فهرست

الكتب المطبوعة الاخرى للمؤلف

رواية وفود النعمان
دروس في فن التربية
مختصر تاريخ العرب والاسلام جزءان
دروس التاريخ العربي
دروس التاريخ المتوسط والحديث
دروس التاريخ القديم
تركية الحديثة
بواعث الحرب العالمية الأولى
عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة } مقتبس من القرآن
سيرة الرسول عليه السلام جزءان } مقتبس من القرآن
القرآن واليهود
القرآن والمرأة
القرآن والضمان الاجتماعي
القرآن المجيد
حول الحركة العربية الحديثة ستة أجزاء
مشاكل العالم العربي
الدستور القرآني
الوحدة العربية
تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم
الاجزاء الاربعة الأولى من تاريخ الجنس العربي
مأساة فلسطين
جهاد الفلسطينيين
العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي ثلاثة أجزاء
عروبة مصر في التاريخ